هو العليم

دورة العلوم والمعارف الإسلامية

معرفة الله

الجزء الأوّل

تأليف

سماحة العلّامة الراحل

آية الله الحاج السيّد محمّد الحسين الحسيني الطهراني

أفاض الله علينا من بركات نفسه القدسيّة

دار المحجّة البيضاء

هو العليم

دورة العلوم والمعارف الإسلامية

١

معرفة الله

الجزء الأول

تأليف سماحة العلامة الراحل

آية الله الحاج السيد محمد الحسين الحسيني الطهراني

أفاض الله علينا من بركات نفسه القدسية

تعريب :

عباس جواد الصافي

دار المحجة البيضاء

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

فهرس مطالب وموضوعات

معرفة الله

الجزء الأوّل

البحثان الثالث والرابع:

استطاعة رؤية الله

الصفحة ٦١ إلى الصفحة ١١٧

يشمل المطالب التالية:

المطالب	الصفحات

البحث الخامس إلى الثامن :

الله عاشق ما سواه ، وما سوى الله عاشقه

الصفحة ١٢١ إلى الصفحة ٢٣٨

يشمل المطالب التالية :

المطالب	الصفحات
التجلّي الذاتيّ للحقّ محال مادام وجود السالك باقياً	٢١٣
إذا زال جبل وجودك، فليس بينك وبين الحقّ من فاصلة	٢١٥
السلوك والرياضات هي من أجل الاستعداد للجذبات الإلهيّة	٢١٩
معراج الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله ليلة المعراج	٢٢١
شطحات العرفاء وطامّاتهم حال خروجهم عن طورهم	٢٢٥
مشاهدة السالك آثار وأحكام الأسماء والصفات الإلهيّة	٢٢٩
معرفة الله تعالى بذاته وصفاته الكلّيّة محال؛ والفناء في كلّ منهما ممكن	٢٣١
أبيات الشيخ البهائيّ الراقية في لقائه بالله تعالى	٢٣٣
بيان سماحة الحدّاد في كيفيّة قضاء الحاجات في حال الفَناء	٢٣٧

البحثان التاسع والعاشر:

إمكانيّة رؤية الله تعالى ولقائه من قبل المؤمنين الصالحين

الصفحة ٢٤١ إلى الصفحة ٣١١

يشمل المطالب التالية:

التفسير الوارد في «الميزان» لآية: **فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ رَبِّهِ**	٢٤٣
إمكان لقاء الله منحصر في التوحيد الخالي من شوائب الشرك	٢٤٥
يَا مَنْ دَلَّ عَلَى ذَاتِهِ بِذَاتِهِ، وَتَنَزَّهَ عَنْ مُجَانَسَةِ مَخْلُوقَاتِهِ	٢٤٧
غزل «فروغي البسطاميّ» في ظهور الله تعالى في جميع العوالم	٢٤٩
فقرات من مناجاة تاج الدين ابن عطاء الله الإسكندريّ	٢٥٣
فقرات المناجاة التي تُخبر عن التوحيد المحض	٢٥٥
أبيات هاتف الإصبهانيّ في تجلّي الله تعالى في كلّ مكان	٢٥٧
شرح مناجاة ابن عطاء الله الإسكندريّ	٢٥٩
نظر المجلسيّ رحمه الله في شأن دعاء عرفة وذيله	٢٦٥
المناجاة المشهورة لابن عطاء الإسكندريّ هي من تأليفه	٢٦٧

المطالب	الصفحات

البحثان الحادي عشر والثاني عشر :

الله في كلّ مكان ، افتح عينيك وحدِّق

الصفحة ٣١٥ إلى الصفحة ٣٥٨

يشمل المطالب التالية :

المُقَدِّمَةُ الأُولَى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّه حمداً لا حدّ له ، وشكراً لا عادَّ له ، كما تستحقّه ذاته المُقدّسة جلّ وعلا ، الذي خلق الوجود وعالَم الخلق سبباً لتكامل وجود الإنسان ، وخلق الإنسان لعبادة ذاته المقدّسة .[1]

وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ.[2]

ولا يمكن معرفة حقيقة العبادة دون معرفة حقيقة العبوديّة . لذا فإنّ معرفة ذاته سبحانه وتعالى وأسمائه الحسنى وصفاته العليا هي من جملة العلل الغائيّة والنهائيّة لوجود عالم التكوين .

وأمّا الغاية القصوى والهدف الأعلى من تلك المعرفة ، فهي الخضوع والخشوع للحيّ القيّوم والاصطباغ بصبغة العبوديّة ، وارتداء لباس الذلّ والمسكنة في مقابل عِزّ كبريائه ، ورؤية جميع عوالم الوجود كآية ومرآة

١ـ هناك بعض الآيات في القرآن الكريم وردت في سياق هذا المعنى؛ مثل الآية: **أَلَمْ تَرَوا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ** . .(صدر الآية ٢٠ ، من سورة لقمان) والآية: **وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ** .(صدر الآية ١٣ ، من سورة الجاثية) والآية: **وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ** . .(صدر الآية ٣٣ ، من سورة إبراهيم) والآية: **هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا** . . (صدر الآية ٢٩ ، من سورة البقرة). وقد جاء في الحديث القدسيّ: **عَبْدِي ! خَلَقْتُ الأَشْيَاءَ لِأَجْلِك ؛ وَ خَلَقْتُكَ لِأَجْلِي** . .(كلمة الله، ص ١٦٩ ، عن «مشارق أنوار اليقين» لحافظ رجب البرسيّ).

٢ـ الآية ٥٦ ، من السورة ٥١ : الذاريات.

لذات الحقّ ، والخروج من قيود الغرور ، والوصول إلى ذروة الإقرار والاعتراف بالفَناء والزوال والاندكاك في ذات الحقّ المقدّسة :

وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا .[١]

والتحيّات الزاكيات والصلوات المباركات على الأنبياء العظام وملائكة الملأ الأعلى ، الذين أنقذوا بني البشر من سجن السبُعيّة والبهيميّة والشيطنة ، وذلك من خلال المساهمة في إيصال الوحي إليهم ، والذين عرّفوهم سُبل معرفة العبوديّة ، وجعلوهم قابلين ومستعدّين للاستفادة من جميع المواهب الربّانيّة والمُتَع السبحانيّة . وبالخصوص على سيّد الرسل وهادي السبل وعقل الكلّ ، بداية البدايات ونهاية النهايات ، سيّدنا محمّد ابن عبد الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، وعلى صنوه وشقيقه ووصيّه ووزيره وصهره ووليّه وأخيه وخليفته ، عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين السابق في إيمانه ، والمتربّع على كرسيّ مقام عزّ ذي الجلال ، وناشر لواء الحمد بيده ، ونائل المقام المحمود للشفاعة الكبرى .

وعلى ذرّيّتهم الطاهرة ، الأئمّة المعصومين سلام الله عليهم أجمعين ، لا سيّما مولانا بقيّة الله في الأرضين الحجّة ابن الحسن العسكريّ أرواحنا فداه ، الإمام الحيّ ، والواسطة للفيض الإلهيّ ، ومُفيض الرحمة والوجود من العالَم الأعلى وناشرها على الماهيّات الإمكانيّة ، وباسط نور الرحمة الإلهيّة من مقام غيب الغيوب والكنز المخفيّ ، على النفوس العالميّة ، كلٌّ حسب قابليّته واستعداده .

وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ .[٢]

١ـ الآية ١١١ ، من السورة ٢٠ : طه.

٢ـ الآية ٢١ ، من السورة ١٥ : الحجر.

ومنزل خزائن الجود والرحمة حسب إرادة الحقّ تبارك وتعالى ومشيئته على كلّ ذرّة من ذرّات ماهيّات عالَم الوجود ، وموزِّع ذلك عليها كلّ حسب قوّته وما قُدّرَ له منها .

مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ.[1]

نعم ، فمنذ عودة هذا الحقير المسكين من النجف الأشرف في شهر شوّال المكرّم سنة ١٣٧٦ ه[2] وحتّى هذا التأريخ ، وهو شهر ربيع الأوّل من عام ١٤٠٠ ه ، كان محور البحث الذي دار بيني وبين الأشقّاء والروحانيّين الأعزّاء وسادة الإيمان ، على أساس تفسير آي القرآن والبحث والتنقيب في الروايات الواردة عن المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وكانت في أحايين كثيرة تتّضح مسألة تطابق الآيات القرآنيّة والأخبار النبويّة مع الحقائق ، سواءٌ من ناحية الاستدلال الفكريّ والذهنيّ ، أم من الناحية الوجدانيّة ومشاهدة الضمير ، وذلك باستخدام البحوث الفلسفيّة

١ـ جزء من الآية ٣٥ ، من السورة ٢٤ : النور.

٢ـ في هذا التأريخ، قَدِمَ الحقير إلى طهران بنيّة التوجُّه منها للتشرّف بزيارة الضريح الطاهر للإمام عليّ بن موسى الرضا عليه آلاف التحيّة والثناء ، وبعد أداء الزيارة واللقاء بالأساتذة السابقين للحوزة العلميّة في قم وزيارة الأقرباء والأرحام ـ وكان فصل الصيف على الأبواب ـ فرجعتُ مرّة أُخرى إلى النجف الأشرف ، حيث كنتُ قد خلّفتُ بيتي مع أثاثه وباقي المتعلّقات الخاصّة هناك . ولأنّي كنتُ قد قرّرتُ الإقامة في طهران ، فقد جعلتُ عودتي إليها في التأريخ المذكور، وأقمتُ فيها حتّى انتهاء فصل الصيف ، ثمّ عدتُ ثانية إلى النجف، ومكثتُ فيها حتّى بعتُ الدار، فكانت عودتي إلى طهران أواسط شهر جمادى الأُولى سنة ١٣٧٧ هجريّة قمريّة. ومنذ ذلك الوقت ، ذهبتُ إلى المسجد ، وتابعتُ من هناك الدرس والبحث.

والعلميّة من جهة ، والمحاورات الذوقيّة والعرفانيّة من جهة أُخرى .

ولقد كانت لنا في مرّات عديدة وأوقات مختلفة بحوث خاصّة بمسألة التوحيد والولاية والمعاد ، وتفسير الكثير من الآيات القرآنيّة والعديد من المسائل الفقهيّة والعلميّة .

ومع وجود التفاسير الكثيرة والبالغة أكثر من ثلاثين نوعاً ، فقد اعتمدنا أكثر ما اعتمدنا على تفسير «الميزان في تفسير القرآن» تأليف سماحة الأُستاذ آية الله العظمى العلّامة السيّد محمّد حسين الطباطبائيّ التبريزيّ أمدّ الله في ظلاله السامية ، وكان ملاذنا في البحث والتدقيق .

وللتفسير المذكور مكانة سامية ومَعَزَّة غالية في نفس الحقير ، وإنّه لذو مَعلَم خاصّ وفريد بين التفاسير الأُخرى .

ولذا ، فقد استقرّ رأينا على تهيئة سلسلة كاملة من التفسير المشار إليه وذلك باللغة الفارسيّة وبإنشاء سهل وتحرير مُدرَك وسلس ، يحوي جميع المواضيع المذكورة فيه ، حتّى يتسنّى للإخوة الناطقين باللغة الفارسيّة الاستفادة كما يجب وبأقصى ما يمكن من ينابيع «تفسير الميزان» .

ثمّ رسا بنا المقام ، ولأسباب معيّنة ، إلى تأليف رسالة مستقلّة عن كلّ من المواضيع المتعلّقة بالأبحاث العقائديّة والأحكام التعبديّة والمسائل الأخلاقيّة والاجتماعيّة ، حتّى يتمّ بحث كلّ موضوع من تلك المواضيع بتفصيل أكثر وإطناب أوسع ، تُستَوفى فيه متعلّقات ذلك الموضوع كافّة ، فتزول بذلك كلّ الإشكالات والشبهات والأسئلة ، وتتّضح جميع جوانب ذلك الموضوع بشكل كامل ووافٍ .

وكان مجموع ما بلغ من تلك الرسائل حتّى الآن حوالى مائة رسالة ، كرسالة إعجاز القرآن ، وإعجاز الأنبياء ، ورسالة الشفاعة ، ورسالة الولاية ، ورسالة الإمامة والزعامة ، ورسالة النبوّة ، ورسائل متفرّقة في أحوال وسيرة

الأئمّة المعصومين سلام الله عليهم أجمعين ، ورسالة في البرزخ ، ورسالة في القيامة ، ورسالة في الحشر وقيام الإنسان عند الله ، ورسالة الميزان ، ورسالة الصراط ، ورسالة العبوديّة في الإسلام ، ورسالة الصلاة ، ورسالة الوجوبَينِ العَينيّ والتعيينيّ لصلاة الجمعة في جميع الأزمنة ، ورسالة الصيام ، ورسالة الحجّ ، ورسالة الجهاد والحكومة ، ورسالة القرض الحَسن والربا ، ورسالة الملكيّة وطرقها المشروعة وغير المشروعة ، ورسالة الحقوق العامّة ، ورسالة حقوق المرأة ، وغير ذلك من البحوث الدينيّة والعلميّة ، والتي هي صُلب ما يحتاج إليها شبابنا في العصر الحاضر وأجيالنا في المستقبل .

لكن ، وممّا يُؤسَف له ، لم يُنجَز من تلك الرسائل إلّا النزر اليسير وذلك لكثرة الشواغل العلميّة والأُمور الاجتماعيّة التي كانت تحيط بي ، والتي حالت دون وصولي إلى الهدف المنشود .

إلّا أنّ العناية الإلهيّة شملتني ، فتمكّنتُ من جمع المواضيع القرآنيّة والتفاسير الروائيّة والعلميّة والاجتماعيّة والتأريخيّة والأخلاقيّة على شكل سلسلة علميّة سمّيتها «**دورهٔ علوم ومعارف اسلام**» (=**سلسلة العلوم والمعارف الإسلاميّة**) بحثتُ فيها تلك المواضيع ووضعتها بين يدي الإخوة الأعزّاء ، فلم تَقلّ أهمّيّة عن ذلك الهدف المنشود .

وهذه السلسلة من العلوم ، هي من قسم العقائد وتنقسم إلى ثلاثة محاور رئيسة هي : **معرفة الله** ، **ومعرفة الإمام** ، **ومعرفة المعاد** ، وتعالج ثلاثة مواضيع مهمّة : مسألة **التوحيد** و**الولاية** و**المعاد** .

وأمّا في أقسام الأحكام والمسائل فتشمل أبحاثاً حول القرآن والصلاة والصوم والحجّ والمسجد والدعاء والربا ورؤية الهلال في شهر رمضان ولزوم اشتراك الآفاق بالنسبة إلى الدخول في الشهر الجديد ، وحول

جهاد وقضاء وحكومة المرأة ، وتفسير الآية الكريمة **ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ** وبعضاً من الأحكام الأُخرى والتي تمّ تأليف معظمها ، وسيتمّ وضعها بين يدي القرّاء لدراستها ومطالعتها إن شاء الله تعالى . وهذا هو القسم الأوّل من سلسلة العلوم والمعارف الإسلاميّة «**معرفة الله**» .

وأصل هذه الأبحاث مأخوذ من تفسير الآية المباركة **ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ** ، حتّى آخر الآية الكريمة **وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ** .

وقد تمّ فيها معالجة مسألة التوحيد الذاتيّ والأسمائيّ والأفعاليّ لذات الحقّ المقدّسة ، وكيفيّة وجود عالَم الخَلق ، والربط بين الحادث والقديم ، ونزول نور الوجود في ظواهر الإمكان ، وحقيقة الولاية وربط الموجودات بذات البارئ تعالىٰ ، ولقاء الله والوصول إلى ذاته المقدّسة بالفَناء واندكاك الكينونة المجازيّة المُعارة في الوجود المطلق والكينونة الأصيلة الحقيقيّة .

نسأل الله الربّ الودود والمنّان أن يوفّقنا في إنجاز هذه المهمّة التي نسعى جاهدين في إتمامها ، دون أن ندّخر أيّ جهد ووسع في سبيل ذلك ، وأن يتقبّل منّا هذا العمل البسيط بكرمه وفضله ، وأن يسدّد خطانا بجوده ومَنّه .

إلَهِي ... وَأَلْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الَّذِينَ هُمْ بِالبِدَارِ إلَيْك يُسَارِعُونَ، وَبَابَكَ عَلَى الدَّوَام يَطْرُقُونَ ، وَإيَّاكَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ يَعْبُدُونَ، وَهُمْ مِنْ هَيْبَتِكَ مُشْفِقُونَ؛ الَّذِينَ صَفَّيْتَ لَهُمُ المَشَارِبَ ، وَبَلَّغْتَهُمُ الرَّغَائِبَ، وَ أَنْجَحْتَ لَهُمُ المَطَالِبَ، وَقَضَيْتَ لَهُمْ مِنْ فَضْلِكَ المَآرِبَ، وَمَلَأْتَ لَهُمْ ضَمَائِرَهُمْ مِنْ حُبِّكَ، وَرَوَّيْتَهُمْ مِنْ صَافِي شِرْبِكَ ؛ فَبِكَ إلَى لَذِيذِ مُنَاجَاتِكَ وَصَلُوا، وَمِنْكَ أَقْصَى مَقَاصِدِهِمْ حَصَّلُوا.[1]

١ـ بعض الفقرات من مناجاة المريدين، وهي من جملة **المناجاة الخمسة عشرة**

إلهي ! سهّل لنا سبلك حتّى لا نرى غيرك ولا نعرف أحداً سواك . وأوصِل ذاتنا وكياننا إلى مقام الفَناء ، حتّى تنعدم كلّ ذرّة من الأنانيّة والعجب في وجودنا ، فنكون عبيداً خالصين مخلصين لك العبوديّة ، بمحمّد وآله الطاهرين صلواتك وتسليماتك عليهم أجمعين ، والسلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، والحمد للّه ربّ العالمين .

في تأريخ ربيع المولود سنة ١٤٠٠ هجريّة

السيّد محمّد الحسين الحسينيّ الطهرانيّ

المنسوبة إلى الإمام السجّاد عليه السلام، وقد ذكرها المرحوم الشيخ الحرّ العامليّ في «الصحيفة الثانية السجّاديّة» ص ٣٠ و ٣١ ، الطبعة الحجريّة.

المُقَدِّمَةُ الثَّانِيَةُ

بسم الله الرحمن الرحيم

الصلاة والسلام على الرسول الأمين خاتم الأنبياء والمرسلين محمّد، وعلى الوصيّ غُرّة الدين، وعلى أولاده الأماجد الأمجاد الطاهرين، واللعنة والخزي من ربّ العالمين على أعدائهم ومعانديهم وغاصبي حقّهم من الآن إلى يوم الدين.

كما لاحظتم في المقدّمة الأُولى، فقد صمّم الحقير في شهر ربيع الأوّل من سنة ١٤٠٠ هـ على تأليف وكتابة القسم الأوّل من سلسلة العلوم والمعارف الإسلاميّة، وهو «**معرفة الله**»، ونشر أجزائه بالتتابع بحول الله وقوّته، والشروع في بقيّة أقسام العلوم والمعارف التي ذُكِرت آنفاً، لكنّ الله سبحانه لم يشأ لذلك أن يتمّ.

فوُفِّقْتُ بعد ذلك بشهرين من نفس السنة، أي في يوم السادس والعشرين من شهر جمادى الأُولى، بالسفر إلى مدينة مشهد المقدّسة، وتشرّفتُ بتقبيل عتبة الإمام الهُمام، واكتحَلت عيناي بتراب أقدام زائري ثامن الأئمّة عليّ بن موسى الرضا عليهما السلام وعلى آبائهما وأولادهما جميع صلوات الله وملائكته المقرّبين وأنبيائه المرسلين وعباده الصالحين، من الآن إلى قيام يوم الدين، وألقيتُ رحال الفاقة على أعتابه المحروسة بالملائكة، متوسّلاً بساحة قدسه وطهارته وعلوّ درجاته، معترفاً مذعناً بفقري وعجزي وعدم قدرتي على تحديد صلاحي وفسادي، وعدم معرفتي طريق الحقّ من الباطل، طالباً الشفاعة والعون منه، في أن

يأخذ الله جلّت عظمته وعلت آلاؤه بيدي ، وأن يُنجّيني من هزائـز آخـر الزمان وفتنه ، ولا يَكلَني إلى نفسي طرفة عين أبداً ، والله المستعان .

فتقبّل مولاي روحي فداه ذلك مـنّي ، وسكبَ لي بـعظمته وكـرامـته كأس رحمته برعايته الدائمة لي على أتمّ وجه وأكمل نحو ، وليس بمقدار استجدائي منه .

ومن جملة ما قُدّر بالقلم أمـر تأخـير خـروج سـلسلة «**مـعرفة اللـه**» خمس عشرة سنة ، وهـا هـو ذا غـرّة شـهر ربـيع المـولود مـن سـنة ألف وأربعمائة وخمسة عشر للهجرة قد طـلعت ، حـيث وُفّـقتُ للـبدء بـذلك ، ولا عِلم لي في مقدار ما قدّرته لي روحي من العون وقلمي من القدرة ، الله وحده أعلَم !

يقول مَولى الموحّدين وسيّد قلوب العـاشقين أمـير المـؤمنين عـليه السلام :

عَرَفْتُ اللَهَ سُبْحَانَهُ بِفَسْخِ العَزَائِمِ وَحَلِّ العُقُودِ وَنَقْضِ الهِمَمِ .[١]

خاطب الحقير يوماً أُستاذنا سماحة العلّامة الطباطبائيّ قدّس الله سرّه الزكيّ : كثيراً ما يصمّم على فعل الخير ، وتـتوفّر له الظـروف والمسبّبات لإنجاز ذلك ، فلا يملك أدنى شكّ في حُسن وخلوص ذلك العمل ، فيجدّ في تنفيذ ذلك الفعل ، حتّى يصل إلى مرحلة الجزم والإرادة القطعيّة ، ثمّ وبدون أيّة علّة ولا سبب ، يُثني ذلك الإنسان نفسه عن تنفيذ ذلك العمل وينصرف

١ـ «نهج البلاغة» الحكمة ٢٥٠ ؛ وفي طبعة صبحي الصالح ـ بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٣٨٧، الصفحة ٥١١ ؛ ويقول في ص ٧٢١ ضمن شرحه لمعاني «النهج»: **العزائم** : جمع عزيمة، وهي ما يصمّم الإنسان على فعله؛ وفسخ العزائم: نقضها. **العقود** : جمع عقد بمعنى النيّة، تنعقد على فعل أمرٍ.

عن إنجازه ! وبعد ذلك يعتريه العَجب وتنتابه الدهشة في حصول كلّ ذلك ؟! ويتساءل عن منشأ المانع الذي تسبّب في عدوله عن نيّته ؟! فلا يصل إلى حلّ ولا يقترب من شاطئ الأمان .

فأجاب الأُستاذ على ذلك بجملة واحدة فقط قائلاً : «نعم ، هو ما تقول !» .

ورُمتُ أنا الحقير في البدء على تأليف سلسلة «**معرفة الله**» وتقديمها على جميع البحوث العقائديّة ، من مبحث «**معرفة الإمام**» ومبحث «**معرفة المعاد**» وسائر الأبحاث الفلسفيّة والعرفانيّة والأخلاقيّة والعلوم والفقه والتأريخ والتفسير ، ذلك بأنّ الله هو الأوّل ، وهو المُقدَّم على عالَم الوجود بالتقدّم التكوينيّ ، فاستوجب الأمر أن يكون مُقدَّماً كذلك في التأليف . إلّا أنّ الله لم يشأ ولم يرغب ، فقد تمّ خلال مدّة الخمس عشرة سنة هذه بحمده ومَنّه تأليف القسم الخاصّ بـ«**معرفة الإمام**» في ثمانية عشر جزءاً ، والقسم الخاصّ بـ«**معرفة المعاد**» في عشرة أجزاء ، هذا ما يخصّ سلسلة المعارف . وأمّا ما يخصّ سلسلة العلوم في قسم الأخلاق والحِكمة والعرفان ، فقد تمّ تأليف : «**رسالة السير والسلوك المنسوبة إلى بحر العلوم**» مع مقدّمة وتعليق من قِبَل الحقير ، و«**رسالة لُبّ اللُّباب في سير وسلوك أُولي الألباب**» ، وكتاب «**التوحيد العلميّ والعَينيّ**» ، و«**الشمس الساطعة**» ، و«**الروح المجرّد**» ، وما يخصّ قسم البحوث التفسيريّة : «**رسالةٌ بديعةٌ**» ترجمة «**رسالة جديدة**» ؛ وما يخصّ قسم البحوث العلميّة والفقهية : «**رسالةٌ حولَ مَسألة رُؤية الهِلال**» ، وكتاب «**وظيفة الفرد المُسلم في إحياء حكومة الإسلام**» ، وكتاب «**ولاية الفقيه في حكومة الإسلام**» في أربعة أجزاء ، وكتاب «**نور ملكوت القرآن**» في أربعة أجزاء من سلسلة **أنوار الملكوت** ، و«**رسالة مسوّدة القانون الأساسيّ**» ، وكتاب «**نظرة على مقالة**

بسط وقبض نظريّة الشريعة للدكتور عبد الكريم سروش» ، و«**الرسالة النكاحيّة : تحديد النسل ضربة قاصمة لكيان المسلمين**» ؛ وفي قسم الأبحاث التأريخيّة : «**لمعاتُ الحسين** عليه السلام» ، و«**الهديّة الغديريّة : رسالتان قاتمة ومشرقة**» . وقد تمّ طبع ونشر أغلب هذه المؤلّفات .

والآن نشرع ، بحول الله وقوّته ، في كتاب «**معرفة الله**» ؛ **وَمَا تَوْفِيقِىَ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ** .

البحثان الأول والثاني

تفسير آية النور

اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ
الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ
لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ
نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ
لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمَ

بِسْــمِ اللهِ الـرَّحْمَنِ الـرَّحيم

وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ

وَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى أعْدَائِهِمْ أجْمَعِينَ مِنَ الآنَ إلَى قِيامِ يَوْمِ الدِّينِ

وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ

قَالَ اللهُ الحَكِيمُ فِي كِتَابِهِ الكَرِيم :

ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ (بل هي في وسط الصحراء تظلّها السماء، تكتسب من الشمس والهواء والأرض) **يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ** (إلى منزل قُربه) **مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَـٰلَ لِلنَّاسِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ✻** (وتلك المشكاة ـ أو المؤمنون الذين اهتدوا بنور الله تعالى) **✻ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ✻ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ ✻ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ.**[1]

١ـالآيات ٣٥ إلى ٣٨، من السورة ٢٤: النور.

قال أُستاذنا الأعظم العلّامة آية الله الطباطبائيّ قدّس الله سرّه في تفسير هذه الآيات والآيات التي تليها والخاصّة بوصف الكافرين :

«تتضمّن الآيات مقايسة بين المؤمنين بحقيقة الإيمان والكفّار ، تميّز المؤمنين منهم بأنّ المؤمنين مهديّون بأعمالهم الصالحة إلى نور من ربّهم يفيدهم معرفة الله سبحانه ويسلك بهم إلى أحسن الجزاء والفضل من الله تعالى يوم ينكشف عن قلوبهم وأبصارهم الغطاء ، والكفّار لا تسلك بهم أعمالهم إلّا إلى سراب لا حقيقة له ، وهم في ظلمات بعضهافوق بعض ولم يجعل الله لهم نوراً فما لهم من نور .

وقد بيّن سبحانه هذه الحقيقة بأنّ له تعالى نوراً عامّاً تستنير به السماوات والأرض فتظهر به في الوجود بعدما لم تكن ظاهرة فيه ، فمن البيّن أنّ ظهور شيء بشيء يستدعي كون المُظْهِر ظاهراً بنفسه و(**الظَّاهِرُ بِذاتِهِ المُظْهِرُ لِغَيْرِهِ هُوَ النُّورُ**) ، فهو تعالى نور يظهر السماوات والأرض بإشراقه عليها ،كما أنّ الأنوار الحسّيّة تُظْهِر الأجسام الكثيفة للحسّ بإشراقها عليها غير أنّ ظهور الأشياء بالنور الإلهيّ عين وجودها وظهور الأجسام الكثيفة بالأنوار الحسّيّة غير أصل وجودها .

ونوراً خاصّاً يستنير به المؤمنون ويهتدون إليه بأعمالهم الصالحة وهو نور المعرفة الذي سيستنير به قلوبهم وأبصارهم يوم تتقلّب فيه القلوب والأبصار فيهتدون به إلى سعادتهم الخالدة فيشاهدون فيه شهود عيان ما كان في غيب عنهم في الدنيا ، ومثّل تعالى هذا النور بمصباح في زجاجة في مشكاة يشتعل من زيت في نهاية الصفاء فتلألأ الزجاجة كأنّها كوكب درّيّ فتزيد نوراً على نور ، والمصباح موضوع في بيوت العبادة التي يسبّح الله فيها رجال من المؤمنين لا تلهيهم عن ذكر ربّهم وعبادته تجارة ولا بيع .

فهذه صفة ما أكرم الله به المؤمنين من نور معرفته المتعقّب للسعادة

الخالدة ، وحرّمه على الكافرين وتركهم في ظلمات لا يُبصرون ، فخصّ من اشتغل بربّه وأعرض عن عرض الحياة الدنيا بنور من عنده ، **وَاللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشاءُ لَهُ المُلْكُ وَإلَيْهِ المَصيرُ**.

وقوله تعالى : **ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ** ـإلى آخر الآية .

المشكاة على ما ذكره الراغب وغيره : **كُوَّةٌ غَيْرُ نافِذَةٍ** وهي ما يتّخذ في جدار البيت من الكوّة لوضع بعض الأثاث كالمصباح وغيره عليه وهو غير الفانوس .

و**الدرّيّ** : من الكواكب العظيم الكثير النور ، وهو معدود في السماء . و**الإيقاد** : الإشعال ، و**الزيت** : الدهن المتّخذ من الزيتون .

وقوله : **ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ**: **النور** معروف وهو الذي يظهر به الأجسام الكثيفة لأبصارنا ، فالأشياء ظاهرة به وهو ظاهر مكشوف لنا بنفس ذاته ، فهو الظاهر بذاته المظهر لغيره من المحسوسات للبصر . هذا أوّل ما وضع عليه لفظ النور ، ثمّ عمّم لكلّ ما ينكشف به شيء من المحسوسات على نحو الاستعارة أو الحقيقة الثانية فعدّ كلّ من الحواسّ نوراً أو ذا نور يظهر به محسوساته كالسمع أو الشمّ والذوق واللمس ، ثمّ عمّم لغير المحسوس فعدّ العقل نوراً يظهر به المعقولات ، كلّ ذلك بتحليل معنى النور المبصر إلى **الظاهر** بذاته **المُظْهِر** لغيره .

وإذ كان وجود الشيء هو الذي يظهر به نفسه لغيره من الأشياء كان مصداقاً تامّاً للنور ، ثمّ لمّا كانت الأشياء الممكنة الوجود إنّما هي موجودة بإيجاد الله تعالى كان هو المصداق الأتمّ للنور فهناك وجود ونور يتّصف به الأشياء وهو وجودها ونورها المستعار المأخوذ منه تعالى ووجود ونور قائم بذاته يوجد ويستنير به الأشياء .

فهو سبحانه نور يظهر به السماوات والأرض ، وهذا هو المراد بقوله :

ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ، حيث أُضيف النور إلى السماوات والأرض ثمّ حمل على اسم الجلالة ، وعلى هذا ينبغي أن يحمل قول من قال : إنّ المعنى **اللَّهُ مُنَوِّرُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ** ، وعمدة الغرض منه أن ليس المراد بالنور النور المستعار القائم بها وهو الوجود الذي يحمل عليها **تَعالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِك وَتَقَدَّسَ** .

ومن ذلك يستفاد أنّه تعالى غير مجهول لشيء من الأشياء ، إذ ظهور كلّ شيء لنفسه أو لغيره إنّما هو عن إظهاره تَعالى فهو الظاهر بذاته له قبله ، وإلى هذه الحقيقة يشير قوله تعالى بعد آيتين : **أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَـٰٓفَّـٰتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُ** ، إذ لا معنى للتسبيح والعلم به وبالصلاة مع الجهل بمن يصلّون له وتسبيحه فهو نظير قوله :

وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ (الآية ٤٤ ، من السورة ١٧ : الإسراء) ، وسيوافيك البحث عنه إن شاء الله .

فقد تحصّل أنّ المراد بالنور في قوله : **ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ** نوره تعالى من حيث يشرق منه النور العامّ الذي يستنير به كلّ شيء وهو مساوٍ لوجود كلّ شيء وظهوره في نفسه ولغيره وهي الرحمة العامّة .

وقوله : **مَثَلُ نُورِهِ** يصف تعالى نوره ، وإضافة النور إلى الضمير الراجع إليه تعالى ـ وظاهره الإضافة اللاميّة ـ دليل على أن المراد ليس هو وصف النور الذي هو الله ، بل النور المستعار الذي يفيضه ، وليس هو النور العامّ المستعار الذي يظهر به كلّ شيء وهو الوجود الذي يستفيضه منه الأشياء وتتّصف به ، والدليل على قوله بعد تتميم المثل : **يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَآءُ** ، إذ لو كان هو النور العامّ لم يختصّ به شيء دون شيء ، بل هو نوره الخاصّ بالمؤمنين بحقيقة الإيمان على ما يفيده الكلام .

وقد نسب تعالى في سائر كلامه إلى نفسه نوراً كما في قوله :

يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ . (الآية ٨ ، من السورة ٦١ : الصفّ)

وقوله : **أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا**. الآية ١٢٢ ، من السورة ٦ : الأنعام)

وقوله : **يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ**. الآية ٢٨ ، من السورة ٥٧ : الحديد)

وقوله : **أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ** . الآية ٢٢ ،من السورة ٣٩ : الزمر)

وهذا هو النور الذي يجعله الله لعباده المؤمنين يستضيئون به في طريقهم إلى ربّهم وهو نور الإيمان والمعرفة .

وليس المراد به القرآن كما قاله بعضهم فإنّ الآية تصف حال عامّة المؤمنين قبل نزول القرآن وبعده . على أنّ هذا النور وصف لهم يتّصفون به كما يشير إليه قوله : **لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ** . (الآية ١٩ ، من السورة ٥٧ : الحديد)

وقوله : **يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا**. (الآية ٨ ، من السورة ٦٦ : التحريم)

والقرآن ليس وصفاً لهم وإن لوحظ باعتبار ما يكشف عنه من المعارف رجع إلى ما قلناه .

وقوله : **كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ** المُشَبَّه به مجموع ما ذكر من قوله **مِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ** ـ إلى آخره ، لا مجرد **المِشْكَاة** وإلّا فسد المعنى ، وهذا كثير في تمثيلات القرآن .

وقوله : **ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ** تشبيه الزجاجة بالكوكب الدرّيّ من جهة ازدياد لمعان نور المصباح وشروقه بتركيب الزجاجة على المصباح فتزيد الشعلة بذلك سكوناً من غير اضطراب بتموّج الأهوية وضرب الرياح ، فهي كالكوكب الدرّيّ في تلألؤ نورها وثبات شروقها .

وقوله : **يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ** خبر بعد خبر للمصباح ، أي المصباح يشتعل آخذاً اشتعاله من شجرة مباركة زيتونة ، أي أنّه يشتعل من دهن زيت مأخوذ منها ، والمراد بكون الشجرة لا شرقيّة ولا غربيّة أنّها ليست نابتة في الجانب الشرقيّ ولا في الجانب الغربيّ حتّى تقع الشمس عليها في أحد طرفي النهار ويفيء الظلّ عليها في الطرف الآخر فلا تنضج ثمرتها فلا يصفو الدهن المأخوذ منها فلا تجود الإضاءة ، بل هي ضاحية تأخذ من الشمس حظّها طول النهار فيجود دهنها لكمال نضج ثمرتها .

والدليل على هذا المعنى قوله : **يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ** ، فإنّ ظاهر السياق أنّ المراد به صفاء الدهن وكمال استعداده للاشتعال وأنّ ذلك متفرّع على الوصفين : لا شرقيّة ولا غربيّة .

وأمّا قول بعضهم : من أنّ المراد بقوله :«**لا شرقيّة ولا غربيّة**» إنّها ليست من شجر الدنيا حتّى تنبت إمّا في شرق أو في غرب ، وكذا قول آخرين : إنّ المراد أنّها ليست من شجر شرق المعمورة ولا من شجر غربها ، بل من شجر الشام الواقع بين الشرق والغرب وزيته أفضل الزيت ، فغير مفهوم من السياق .

وقوله : **نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ** خبر لمبتدأ محذوف وهو ضمير راجع إلى نور الزجاجة المفهوم من السياق ، والمعنى نور الزجاجة المذكور نور عظيم على نور كذلك ، أي في كمال التلمّع .

والمراد من كون النور على النور قيل : هو تضاعف النور لا تعدّده فليس المراد به أنّه نور معيّن أو غير معيّن فوق نور آخر مثله ، ولا أنّه مجموع نورين اثنين فقط ، بل إنّه نور متضاعف من غير تحديد لتضاعفه ، وهذا التعبير شائع في الكلام .

وهذا معنى لا يخلو من جودة ، وإن كان إرادة التعدّد أيضاً لا تخلو من لطف ودقّة ، فإنّ للنور الشارق من المصباح نسبة إليه بالأصالة والحقيقة ونسبة إلى الزجاجة التي عليه بالاستعارة والمجاز ، ويتغاير النور بتغاير النسبتين ويتعدّد بتعدّدهما وإن لم يكن بحسب الحقيقة إلا للمصباح والزجاجة صفر الكفّ منه ، فللزجاجة بالنظر إلى تعدّد النسب نور غير نور المصباح ، وهو قائم به ومُستَمَدّ منه .

وهذا الاعتبار جار بعينه في الممثَّل له ، فإنّ نور الإيمان والمعرفة نور مستعار مُشرِق على قلوب المؤمنين مقتبس من نوره تعالى قائم به ومستمدّ منه .

فقد تحصّل أنّ الممثّل له هو نور الله المشرق على قلوب المؤمنين ، والمثل هو المشبّه به النور المشرق من زجاجة على مصباح موقد من زيت جيّد صاف وهو موضوع في مشكاة ، فإنّ نور المصباح المشرق من الزجاجة والمشكاة تجمعه وتعكسه على المستنيرين به يشرق عليهم في نهاية القوّة والجودة .

فأخذ المشكاة للدلالة على اجتماع النور في بطن المشكاة وانعكاسه إلى جوّ البيت ، واعتبار كون الدهن من شجرة زيتونة لا شرقيّة ولا غربيّة للدلالة على صفاء الدهن وجودته المؤثّر في صفاء النور المُشرِق عن اشتعاله وجودة الضياء على ما يدلّ عليه كون زيته **يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ** ، واعتبار كون النور على النور للدلالة على تضاعف النور أو

كون الزجاجة مستمدّة من نور المصباح في إنارتها .

وقوله : **يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ** استئناف يعلّل به اختصاص المؤمنين بنور الإيمان والمعرفة وحرمان غيرهم .

فمن المعلوم من السياق أنّ المراد بقوله : **مَن يَشَآءُ** القوم الذين ذكرهم بقوله بعد : **رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ** ـ إلى آخره ، فالمراد بـ **مَن يَشَآءُ** المؤمنون بوصف كمال إيمانهم [1] .

وفي تفسيره لـ **وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ** ، قال :

وقوله : **وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ** الفضل العطاء ، وهذا نصّ في أنّه تعالى يعطيهم من فضله ما ليس بإزاء أعمالهم الصالحة ، وأوضح منه قوله تعالى في موضع آخر : **لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ** (الآية ٣٥ ، من السورة ٥٠ : ق) ، حيث إنّ ظاهره أنّ هذا المزيد الموعود أمر وراء ما تتعلّق به مشيّتهم .

وقد دلّ كلامه سبحانه أنّ أجرهم أنّ لهم ما يشاؤون قال تعالى : **أُولَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ * لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ** . (الآية ٣٤ ، من السورة ٣٩ :الزمر)

وقال : **أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا * لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَـٰلِدِينَ** . (الآيتان ١٥ و١٦ ، من السورة ٢٥ : الفرقان)

وقال : **لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ** . (الآية ٣١ ، من السورة ١٦ : النحل)

(وعليه ، فإنّ المؤمنين وحدهم الذين يُثابون على أعمالهم الصالحة التي تقع تحت إرادتهم وفي قبضة مشيّتهم .) فهذا المزيد الذي هو وراء

١ـ «الميزان في تفسير القرآن» ج ١٥ ، ص ١٣٠ إلى ١٣٥ .

جزاء الأعمال أمر أعلى وأعظم من أن تتعلّق به مشيّة الإنسان أو يوصل إليه سعيه ، وهذا أعجب ما يعده القرآن المؤمنين ويبشّرهم به فأجد التدبّر فيه»[1] .

ويستطرد الأُستاذ العلّامة قدّس الله سرّه في بحث فلسفيّ مستقلّ كاشفاً الحقيقة المطلقة لمشيّة البارئ والمتمثّلة بالآية ٤٥ ، من هذه السورة : **يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ، حيث يقول :

«إنّا لا نشكّ في أنّ ما نجده من الموجودات الممكنة معلولة منتهية إلى الواجب تعالى وأنّ كثيراً منها ـ وخاصّة في المادّيّات ـ تتوقّف في وجودها على شروط لا تحقّق لها بدونها كالإنسان الذي هو ابن ، فإنّ لوجوده توقّفاً على وجود الوالدين وعلى شرائط أُخرى كثيرة زمانيّة ومكانيّة ، وإذ كان من الضروريّ كون كلّ ممّا يتوقّف عليه جزء من علّته التامّة كان الواجب تعالى على هذا جزء علّته التامّة لا علّة تامّة وحدها .

نعم ، هو بالنسبة إلى مجموع العالم علّة تامّة ، إذ لا يتوقّف على شيء غيره ، وكذا الصادر الأوّل الذي تتبعه بقيّة أجزاء المجموع ، وأمّا سائر أجزاء العالم فإنّه تعالى جزء علّته التامّة ضرورة توقّفه على ما هو قبله من العلل وما هو معه من الشرائط والمعدّات .

هذا إذا اعتبرنا كلّ واحد من الأجزاء بحياله ، ثمّ نسبنا وحده إلى الواجب تعالى .

وها هنا نظر آخر أدقّ وهو أنّ الارتباط الوجوديّ الذي لا سبيل إلى إنكاره بين كلّ شيء وبين علله الممكنة وشروطه ومعدّاته يقضي بنوع من الاتّحاد والاتّصال بينها ، فالواحد من الأجزاء ليس مطلقاً منفصلاً ، بل هو

١ـ «الميزان في تفسير القرآن» ج ١٥، ص ١٤٠.

في وجوده المتعيّن مقيّد بجميع ما يرتبط به متّصل الهويّة بغيرها .

فالإنسان الابن الذي كنّا نعتبره في المثال المتقدّم بالنظر السابق موجوداً مستقلّاً مطلقاً فنجده متوقّفاً على علل وشروط كثيرة والواجب تعالى أحدها يعود بحسب هذه النظرة هويّة مقيّدة بجميع ما كان يعتبر توقّفه عليه من العلل والشرائط غير الواجب تعالى ، فحقيقة زيد مثلاً هو الإنسان ابن فلان وفلانة المتولّد في زمان كذا ومكان كذا المتقدّم عليه كذا وكذا المقارن لوجوده كذا وكذا من الممكنات .

فهذه هي حقيقة زيد مثلاً ومن الضروريّ أنّ ما حقيقته ذلك لا تتوقّف على شيء غير الواجب ، فالواجب هو علّته التامّة التي لا توقّف له على غيره ، ولا حاجة له إلى غير مشيّته ، وقدرته تعالى بالنسبة إليه مطلقة غير مشروطة ولا مقيّدة ، وهو قوله تعالى : **يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**.[1]

وقد ذكر الأُستاذ العلّامة قدّس الله ترابه في معرض كلامه عن البحث الروائيّ :

«وفي التوحيد وقد روي عن الصادق عليه السلام أنّه سُئل عن قول الله عزّ وجلّ : **ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ** ؛ فقال : هو مثل ضربه الله لنا ؛ **فَالنَّبِيُّ وَالأَئِمَّةُ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ مِنْ دِلَالَاتِ اللهِ، وَآيَاتِهِ الَّتِي يُهْتَدَى بِهَا إِلَى التَّوْحِيدِ وَمَصَالِحِ الدِّينِ وَشَرَائِعِ الإسْلَامِ وَالسُّنَنِ وَالفَرَائِضِ. وَلَا قُوَّةَ إلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ**.

ثمّ قال :

«أقول : الرواية من قبيل الإشارة إلى بعض المصاديق وهو من أفضل

١ـ «الميزان» ج ١٥، ص ١٤٩ و ١٥٠ ؛ وهذه الآية هي الآية ٤٥، من السورة ٢٤: النور.

المصاديق وهو النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم والطاهرون من أهل بيته عليهم السلام ، وإلّا فالآية تعمّ بظاهرها غيرهم من الأنبياء عليهم السلام والأوصياء والأولياء .

نعم ، ليست الآية بعامّة لجميع المؤمنين ، لأخذها في وصفهم صفات لا تعمّ الجميع كقوله : **رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّـهِ** ـ إلى آخره .

وفي «الدرّ المنثور» أخرج ابن مردويه عن أبي هريرة عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم في قوله : **زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ** قال : **قَلْبُ إبْرَاهِيمَ ؛ لَا يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ** .

أقول : وهو من قبيل ذكر بعض المصاديق ، وقد ورد مثله من طرق الشيعة عن بعض أئمّة أهل البيت عليهم السلام كما تقدّم .

وفيه أخرج ابن مردويه عن أنس بن مالك وبريدة قالا : قرأ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم هذه الآية : **فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُ** ، فقام إليه رجل فقال : أيّ بيوت هذه يا رسول الله ؟

قال : **بُيُوتُ الأَنْبِيَاءِ** .

فقام إليه أبو بكر فقال : **يَا رَسُولَ اللهِ ! هَذَا البَيْتُ مِنْهَا ، لَبَيْتُ عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ ؟! قَالَ : نَعَمْ ! مِنْ أَفَاضِلِهَا !** [1] .

نعم ، كان ذلك جزءاً من تفسير هذه الآية الشريفة من دُرر كلام سيّدنا الأعظم وسندنا الأقوم سماحة العلّامة الأكرم حشره الله مع المُقرّبين والمخلَصين من أنبيائه وأوليائه المُعظَّمين ، والذي تبرّكنا به في هذا الكتاب .

١ـ «الميزان في تفسير القرآن» ج ١٥ ، ص ١٥٢ و١٥٣ .

وأمّا تفصيل وشرح المواضيع التي ذكرها العلّامة ، والمستفاد من الآيات المذكورة ، فهو على النحو التالي :

«الله» اسم جامع للكمال والجمال والجلال الربّانيّ ، وشامل لجميع الأسماء والصفات الكلّيّة والجزئيّة . ولأنّ بحثنا يرتكز على **معرفة الله** ، لابدّ لنا من البحث والتمحيص في هذه الكلمة المباركة من جميع جهاتها ، حتّى تنكشف لناكلّ الأُمور والجوانب المتعلّقة بهذه المسألة : من النور البحت للذات والوجود الصِّرف ، حتّى نور الأسماء والصفات الكلّيّة ، وعبر مراتب ودرجات متفاوتة ومختلفة ؛ ثمّ الوصول إلى نور الأسماء والصفات الجزئيّة ، حتّى الهيولى المبهمة ، وهي المادّة الكثيفة القابلة لعُروض الأجناس والفصول والأنواع .

وعلينا أن نرى كيفيّة نزول القديم في الحادث ، والكلّيّة في الجزئيّة ، والأنوار المحضة في الأنوار المشوبة بالظُّلمة ، وعموماً ، **الله** في اسم **الأحديّة** واسم **الوحدانيّة** .

وأن نرى كيفيّة نزول النور المطلق في شبكات التعيُّن ، الواحدة بعد الأُخرى ومعنى الولاية الكلّيّة والمطلقة والذي هو واحد ويُعتبر من مختصّات الله سبحانه ؟

وللبحث في هذا المقام لا غِنى لنا من استمداد العَون من آية النور المباركة .

نحمد الله عزّ وجلّ على أنّنا أكملنا بحث موضوع **الولاية** حتّى الجزء الخامس من «معرفة الإمام» من سلسلة العلوم والمعارف الإسلاميّة بجميع تفاصيله ، بِدءاً من المعنى اللغويّ ، وحتّى مواطن استخدام هذه الكلمة ، وكذاكيفيّة الولاية ومفاد هذه الكلمة ومحتواها في الوجود المقدّس لسيّدنا خاتم الرسل والأنبياء والمقام المقدّس لمولانا أمير المؤمنين والأئمّة

الطاهرين عليهم جميعاً صلوات الله وسلام أنبيائه المرسلين وملائكته المقرّبين إلى يوم الدين ، وقد تمّ بحث كلّ ذلك بالتمام والكمال . فاتّضح معنى الولاية التكوينيّة والولاية التشريعيّة .

لعلّ من أهمّ الأبحاث والمواضيع ومسائل الأُصول العقائديّة هو البحث في موضوع الولاية . فمعرفة **الوليّ** (صاحب الولاية) والآثار المترتّبة على الوليّ والولاية ، ومعرفة كيفيّة موضوع مقام الرحمة ، وإفاضة الفيض من قِبَل الربّ الفيّاض في الماهيّات الإمكانيّة بوساطة نفس الوليّ ، والآيات الواردة في القرآن الكريم بهذا الصدد ، والروايات المُسَلَّم بها والموثوقة والصحيحة المرويّة عن الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم ،كلّ ذلك يُعتَبر من أعظم وأكبر المسائل الأُصوليّة .

ولقد بحثنا تفسير ومعنى وشأن نزول الآية الشريفة : **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ .**[١] والآثار المترتّبة عليها .

وبحثنا كذلك معنى ومحتوى قول الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم :

يَا عَلِيُّ ! أَنْتَ وَلِيُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ مِنْ بَعْدِي .

ويا لها من آية مباركة تلك التي ذُكرت في الجزء الثامن عشر من القرآن الكريم : **ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ** ، فهي آيةٌ تنشر النورَ في القلوب وتُضفي على الفكر الصفاء والنقاء ، وتمنح الروح قوّةً وقدرة .

الله ، اسمٌ جامعٌ لصفات الكمال ومُنزّهٌ عن صفات النقص والعَيْب ، ينطوي على كلّ صفات الجمال والجلال ، ويمتلك صَرافةً ذاتيّة محضة ،

١ـ الآية ٥٥ ، من السورة ٥: المائدة.

وهو لا متناهٍ في الحياة والعلم والقدرة . هو نور السماوات والأرض . ولكن ، ما معنى كونه نوراً للسماوات والأرض ؟! هل الله سبحانه نورٌ حسيّ ، والسماوات والأرض شيءٌ آخر ؟! وهذا النور المحسوس المُشاهَد في السماوات والأرض هو الله ..؟؟ على هذا ، ففي غياب السماوات والأرض وانعدام وجودهما لا وجود للّه كذلك ليكون نوراً للسماوات والأرض . وعليه فلا وجود للّه إذاً . فما معنى ومُحَصّلة هذا الافتراض في تلك الآية ؟!

أو أنّ معنى **ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ** أنّ **ٱللَّهُ مُنَوِّرُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ** ، فلا هو ولا حقيقته نور ، بل مُنَوِّر ، أي أنّ النور الموجود في السماوات والأرض إنّما هو نور الله ، فهو **مُنَوِّر** .

وقد قال بعض العامّة بالقول الأوّل ، في حين ذهب بعض الخاصّة ممّن فتحوا باب التأويل إلى انتخاب المعنى الثاني . فالمجموعة الأُولى تعتقد بأنّ الله هو جسم ولا إشكال في كون واقعه نوراً مادّيّاً . والثانية تعتقد بأنّ الله سبحانه ليس مادّة ولا مادّيّاً ، وعلى هذا فنور السماوات والأرض الذي هو نورٌ مادّيّ لا يمكن أن يكون هو الله . لذا ، لا محالة من تأويل الآية الشريفة واعتبار النور بمعنى **المُنَوِّر** ، حتّى نخرج من هذا المأزق وهو القول بجسميّة الله سبحانه ، ممّا يستلزم الشِّرك ونسبته تعالى إلى المحدوديّة والإمكان . وأمّا القول بالمنوِّر فلا إشكال فيه ، ذلك بأنّ الله هو الخالق والموجِد لجميع الموجودات المجرّدة والمادّيّة ، وخلقته وتنويره للسماوات والأرض بالنور المادّيّ لا يستلزم الإشكال ، فينتج عن ذلك معنىً معقول ومقبول .

و**الحنابلة** (أتباع أحمد بن حنبل) هم الطائفة الوحيدة من بين طوائف المسلمين الذين يقولون بالمعنى الأوّل ، ويُصرّون على ذلك . ويؤكّد ابن

تيميّة الحنبليّ أيضاً ، على هذا الرأي ويصرّ عليه بقوله : إنّ المراد من آيات القرآن في العبارات والألفاظ المستعملة فيه ، هو هذه المعاني المعروفة المادّيّة والطبيعيّة والجسمانيّة . ولا يجوز حَمل ألفاظه وكلماته على غير هذه المعاني . وتُصرّ **الوهّابيّة** (وهم أتباع محمّد بن عبد الوهّاب ويعتقدون بالمذهب الحنبليّ) على المبدأ المذكور وتؤكّد عليه .

يقول الحنابلة : إنّ المراد من العرش والكرسيّ واليد والنور والاستواء والنزول ومجيء الربّ ، وأمثال ذلك ممّا ورد ذِكرهُ في القرآن الكريم واستُخدِمَ في كثير من الآيات ، هو هذه المعاني المستعملة والمتعارف عليها ، ولا يجوز بأيّ شكل من الأشكال التصرُّف في الآيات المذكورة أو تغييرها ، أو حَمل تلك الألفاظ والكلمات على مَعانٍ أُخرى أوسع وأكثر تجرّداً .

وكان ابن تيميّة يقول صراحةً بأنّ المراد من نزول الله هو هذا النزول المُشاهَد والمحسوس . وإنّ ما رُويَ في الأحاديث النبويّة من نزول الله سبحانه في ليالي الجمعة ، يُقصَد به هذا الشكل من النزول .

وقدكان يقول بصريح العبارة حين يعتلي المنبر ويقوم بإلقاء خُطَبِه : إنّ النزول المراد به هو هذا النزول المعروف ، فالله ينزل تماماً كما أنزِل أنا ! انظروا ، هكذا ! فكان ينزل دَرَجةً من على المنبر ويُمثّل ويُشَبّه للناس كيفيّة نزول الله سبحانه بصورة محسوسة .

ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ، أي أنّ الله سبحانه هو هذا النور المحسوس .

ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ[1] ، معناه أنّ الله جلس واستقرَّ على

١ـ الآية ٥ ، من السورة ٢٠ : طه.

عرشه .

وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ[١] ، تعني أنّ حجم كرسيّه الذي يجلس عليه واتّساعه هو بقَدر حجم واتّساع السماوات والأرض .

وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا[٢] ، معناه أنّ الله سبحانه يأتي في اليوم الآخِر مع ملائكته على شكل صفوفٍ مُتراصّة أو جماعات منظّمة .

وتقول هذه الطائفة كذلك : إنّ العرش هو بمعنى كرسيّ وعرش السُّلطان والمُلك ؛ وكما أنّ السُّلطان يجلس على كرسيّه وعرشه أثناء حُكمه ، ويتّكئُ عليه ويستقرّ فوقه ، فإنّ هذه الآية تُفيد معنى أنّ الله كذلك يجلس ويستقرُّ على كرسيّه (المناسب في سعته وعظمته له تعالى) .

وإنّ مجلس الله وكرسيّه الذي يستقرّ عليه يوازيان حجم ووسع السماوات والأرض .

وإنّ ربّك ، يأتي يوم القيامة في صفوف مع ملائكته صفّاً بعد آخر ، تماماً كما يتقدّم الناس رافعين أرجُلَهُم من مكان ليضعوها في مكان آخر .

وفي تعليقهم على آية **يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ**[٣] يقولون : أي أنّ الله سبحانه يملك يداً أقوى وأكبر وأعظم وأعلى من سائر الأيدي .

وتعتقد هذه الجماعة كذلك : أنّ الله لا يمكن رؤيته في الدنيا بحاسّة البصر ، إلّا أنّه يمكن رؤيته في الآخرة بهذه العين الباصرة الظاهريّة الحسّيّة التي يملكها البصير . وسيأتي الله بجسم وأُذُن ويد وأرجل نحو الناس تماماً كمجيء الفرد العاديّ في الدنيا ، وسيجلس على عرشه ، تماماً

١ـ الآية ٢٥٥ من السورة ٢ : البقرة.

٢ـ الآية ٢٢ ، من السورة ٨٩ : الفجر.

٣ـ الآية ١٠ ، من السورة ٤٨ : الفتح.

كالجلوس المتعارف لدينا نحن البشر ،كلّ ما في الأمر ، أنّ الله سيبدو أعظم وأكبر وأقوى ، لا غير .

وأمّا حُكماء الإسلام والفلاسفة اللاهوتيّون العِظام فكلّهم متّفقون على أنّ **الْأَلْفَاظَ إِنَّمَا وُضِعَتْ لِلْمَعْنَى العَامِّ** . وعلى هذا فإنّ أيّة كلمة وَضعها الإنسان أو يضعها في المستقبل بأيّ لسان وأيّة لغة ، فهي إنّما تُوضَع للمعنى العامّ ، وليس لخصوصيّة ذلك المعنى المحدود الحسّيّ والطبيعيّ والمادّيّ والمُقَيَّد بالزمان أو المكان الفلانيّ .

فإذا أخذنا مثلاً كلمة «مصباح» بنظر الاعتبار ، فإنّ هذه الكلمة مصداق للمصباح الموجود في غرفتنا في الليلة الفلانيّة ، دون أن يكون لغرفتنا دَخلٌ في ذلك أو أن يكون للّيلة الفلانيّة أثرٌ على معنى المصباح . ولذا فإنّنا نرى صِدق هذه الكلمة كذلك على مصباح غرفة صديقنا في ليلة أُخرى . ومن هنا يتبيَّن أنّ مفهوم ومعنى لفظة «مصباح» لم يكن لهما أثر أو دَخل في خصوصيّة هذا الزمان أو ذاك ، أو في خصوصيّة هذا المكان أو غيره ، بل يَصدُقان على جميع أنواع المصابيح دون استثناء .

ولذلك فلو أعطينا المفهوم السابق بُعداً آخر أوسع ، لشاهدنا أنّه لا دَخلَ هنا مثلاً لكون مِزيَتة المصباح مصنوعة من النحاس أو من البلَّور أو الخَزَف وما إلى ذلك ، بل تُطلَق لفظة مصباح على جميع تلك الأنواع من المصابيح . وإذن ، فلا أثر لخصوصيّة المِزيَتة في مفهوم المصباح عموماً .

ففي الأزمنة الأُولى كانت لفظة مصباح تَصدُق على كلّ إناء يحتوي على زيت وفيه فتيل وعليه زجاجة تُهيمن على شِدّة وتصاعد شعلته . ولمّا استُبدِلَ الزيت الذي كان يُستخدَم في تلك المصابيح ـ وكان زيت الخِرْوَع في أغلب الأحيان أو زيت الزيتون ـ بالنفط المعروف لدينا اليوم ، لم يكن ذلك مدعاةً لتغيّر دلالة لفظة مصباح عمّا كانت تعنيه في السابق . وكذلك

الحال مع اختراع المصباح الغازيّ حيث ظلّت تُطلَق عليه لفظة مصباح . وها نحن اليوم نطلق كلمة مصباح حتّى على المصابيح الكهربائيّة المنتشرة في عالمنا الحاضر . وستظلّ كلمة مصباح تُطلَق على الأشكال الجديدة من المصابيح ، والتي قد تُستَحدَث في المستقبل سواء كانت تعمل على الطاقة الكهربائيّة أو كانت قُدْرة الإنارة فيها بشكل لا تُقاس بما نستخدمه في عصرنا الحاضر .

وكلّ ذلك كان ولا يزال دون أدنى تصرُّف أو تدخّل في معنى كلمة مصباح أو المفهوم الموضوع له ، فقد استخدمها السابقون وها هم اللاحقون يستخدمونها كما هي عليه دون تغيّر يُذكَر .

ومن هنا يتبيّن لنا أنّ أيّاً من الخصوصيّات المتفاوتة والأشكال المختلفة لا دَخل لها ولا أثر على معنى كلمة المصباح ومراده ومفهومه الذي وُضِع له هذا اللفظ منذ بداية وجوده واختراعه وعلى اختلاف أشكاله ، ولا زال كذلك إلى يومنا هذا .

والمصباح في الحقيقة هو كلّ شيء وُضِعَ في مكان أو حيّز محدود لاستخدامه في إنارة الأشياء وإضاءتها .

وكذا كلمة **النور** ، فهي في أصل لفظتها ووضعها أوّل مرّة لم توضع للإشارة إلى النور الحسّيّ المحسوس بحاسّة الباصرة وحسب . بل إنّ معنى **النور** هو ذلك الشيء الذي يكون ظاهراً بنفسه وذاته ، وقادراً على إظهار الأشياء الأُخرى .

وأحد مصاديق هذه اللفظة هو النور المحسوس المادّيّ والظاهريّ ، كنور الشمس مثلاً ونور القمر والمصباح ، ذلك أنّ هذه الأنوار لا تحتاج بوجودها وذاتها إلى مُظهِرٍ لها ، فهي ظاهرة بذاتها ونفسها . إنّنا لا نرى نور الشمس ولا ضوء القمر بمعيّة أشياء أُخرى ، بل هي مُنيرة ومُضيئة بذاتها ،

وأمّا بالنسبة إلى الأشياء الأُخرى ، فإنّنا نراها ونتحسّسها بواسطة نور الشمس وضوء القمر . إنّنا نلاحظ الصحراء والبحر والجبال والبراري والبساتين وأشياء كثيرة أُخرى ونتعامل معها في أوقات مختلفة وأزمان متباينة ، وهي لا تَظهر لنا ولا نتمكّن من إدراكها إلّا بواسطة النور ، فتصدق هنا المقولة القائلة **النُّورُ هُوَ الظَّاهِرُ بِذاتِهِ ، المُظْهِرُ لِغَيْرِهِ** ، ولهذا فإنّنا نُطلقُ عليه كلمة **نور** .

ولكنّ كلمة **نور** لا تقتصر على النور المادّيّ الحسّيّ ، فنور الفكر والعقل ، والنور النفسيّ والقلبيّ ، ونور عالَم الملكوت ، ونور الأسماء والصفات الإلهيّة ، ونور الجمال والجلال ، ونور ذات الحقّ تعالى وتقدّس ، كلّ ذلك من أمثال النور .

فقد نتكلّم عن فلان قائلين إنّ له فكراً نورانيّاً ، أو عقلاً نورانيّاً ، أو نفساً نورانيّة ، أو قلباً نورانيّاً ، دون أدنى تصرُّف في معنى ما نقصده من إطلاق كلمة **النور** . وإنّ أنوار عالَم المثال وعالَم العقل ، ونور صفة الجمال أو صفة الجلال للحقّ تعالى هي من الأُمور المعروفة لدى العرفاء . وأعجب من ذلك كلّه وأوضحه نور ذات الحقّ تعالى .

وعموماً فإنّ أهل العرفان يتعاملون بلفظة النور عند تكلّمهم وتحدّثهم عن الصفات المختلفة للحقّ سبحانه وتعالى ، بِدءاً بأوضحها وهو نور القمر وضوؤه ، وانتهاءً بنور الذات السوداء اللون .

وعلى هذا الأساس وتلك القاعدة فإنّ ذات الله سبحانه نور ، لأنّه لا يحتاج في ذاته ونفسه إلى مُنوِّر ، وكلّ ما سوى ذلك من العقل الأوّل إلى العقل العاشر ، ومن أعلى رتبة للاسم والصفة وحتّى أوطئها ، كلّها محتاجة إلى نور الله سبحانه .

الله سبحانه هو أصل الوجود ، والموجودات إنّما موجودة بوجوده ،

وعلى هذا فإنّ هويّته هي النور الذي هو **الظَّاهِرُ بِنَفْسِهِ المُظْهِرُ لِغَيْرِه** .

ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ، أي أنّ الله هو أصل وجود السماوات والأرض ، وأصل حقيقتهما وتكوينهما وهو المُوجِدُ لهما .

الله هو الأوّل ، وبعده تأتي الموجودات ؛ وهو لا يحتاج إلى مُعرِّف ، وكلّ الموجودات محتاجة اليه ليُعرّفها ؛ هو أصل الوجود وباقي الموجودات موجودة بوجوده ؛ هو الظاهر بهُويّته وبقيّة الأشياء ظاهرة بظهوره ؛ هو النور ، وبقيّة الموجودات مُنوَّرَةٌ بنوره . هو أصل الحقيقة ، وبقيّة الموجودات إنّما هي مجاز وعارية .

إنّ البحث في عموميّة وشموليّة وضع اللفظ للمعنى العامّ هو بحث شيّق . وبحمد الله وحُسنِ توفيقه قد بحثنا بشكل وافٍ في معنى وحقيقة **الصراط** في المجالس ٥١ إلى ٥٣ ، وفي معنى وحقيقة **الميزان** في المجلسينِ ٥٤ و٥٥ من الجزء الثامن من كتاب «معرفة المعاد» من سلسلة العلوم والمعارف الإسلاميّة .

كثيرة هي حالات إطلاق لفظة **النور** في القرآن والأخبار على الأنوار المعنويّة ، ولبيان بعض تلك الحالات نكتفي هنا بذِكْر بعض الأمثلة . فأمّا في القرآن الكريم فقد وردت الآيات التالية :

ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّـٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَـٰتِ أُولَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ.[١]

ففي هذه الآية الشريفة أُطلِقت لفظة النور على الهُدى وأُطلقت الظُّلمة على الكفر .

١ـ الآية ٢٥٧ ، من السورة ٢ : البقرة.

يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ * يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ.[١] هنا أُطلِقَت كلمة النور على القرآن الكريم الذي أنزلَه الله على رسوله .

وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ.[٢]

في هذه الآية شُبِّهت البصيرة بالنور .

أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ (كالغافل الذي قسى قلبه عن ذكر الله تعالى) **فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَـٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ أُولَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ.**[٣]

وأُطلِقت هنا لفظة النور على قبول دين الإسلام وتَبنّيه ، في مقابل القاسية قلوبهم والرافضين له .

وأمّا ما ورد في الأخبار ، ففي «**نهج البلاغَة**» قال مولى الموحّدين وأمير المُؤمنين عليه أفضل صلوات المصلّين :

وَنَوَّرَ فِي قَلْبِهِ اليَقِينُ.[٤]

١ـ الآيتان ١٥ و١٦ ، من السورة ٥ : المائدة.

٢ـ الآية ٤٠ ، من السورة ٢٤ : النور.

٣ـ الآية ٢٢ ، من السورة ٣٩ : الزمر.

٤ـ «نهج البلاغة» الحكمة ٣٧٣، طبعة عيسى البابي الحلبي ؛ وفي طبعة مصر مع تعليقة للشيخ محمّد عبده: ج ٢ ، ص ٢٢٥ : **أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ ! إنَّهُ مَنْ رَأَى عُدْوَاناً يُعْمَلُ بِهِ وَمُنْكَراً يُدْعَى إلَيْهِ فَأَنْكَرَهُ بِقَلْبِهِ فَقَدْ سَلِمَ وَبَرِئَ ، وَمَنْ أَنْكَرَهُ بِلِسانِهِ فَقَدْ أُجِرَ وَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ صاحِبِهِ ، وَمَنْ أَنْكَرَهُ بِالسَّيْفِ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ العُلْيا وَكَلِمَةُ الظَّالِمِينَ هِيَ السُّفْلَى فَذَلِكَ الَّذِي أَصَابَ سَبِيلَ الهُدَى وَقَامَ عَلَى الطَّرِيقِ وَنَوَّرَ فِي قَلْبِهِ اليَقِينُ.**

أَحْيِ قَلْبَكَ بِالمَوْعِظَةِ، وَأَمِتْهُ بِالزَّهَادَةِ، وَقَوِّهِ بِاليَقِينِ، وَنَوِّرْهُ بِالحِكْمَةِ، وَذَلِّلْهُ بِذِكْرِ المَوْتِ، وَقَرِّرْهُ بِالفَنَاءِ، وَبَصِّرْهُ فَجَائِعَ الدُّنْيَا، وَحَذِّرْهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ وَفُحْشَ تَقَلُّبِ اللَيَالِي وَالأَيَّامِ.[1]

وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحِرَاءَ، فَأَرَاهُ وَلَا يَرَاهُ غَيْرِي. وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الإسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَخَدِيجَةَ؛ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا. أَرَى نُورَ الوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ، وَأَشُمُّ رِيحَ النُّبُوَّةِ.[2]

وقد وردت روايات كثيرة عن طريق العامّة والخاصّة، وكلُّها تؤكِّد على أنّ أوّل مخلوق خلقه الله سبحانه كان النور. كما ورد أنّه **أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ** الروح والقلم والعقل.

روى العلّامة المجلسيّ رضوان الله عليه، عن ثامن الحُجَج الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال في مجلسٍ للمأمون، في تعليقه على بحثٍ طويل مع عِمران الصابيّ حول بداية الخَلق:

وَالنُّورُ فِي هَذَا المَوْضِعِ أَوَّلُ فِعْلِ اللهِ الَّذِي هُوَ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ.[3]

ورُوي في كتاب «غوالي اللئالي» أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله قال:

١ـ «نهج البلاغة» ج ٢، ص ٣٨ و٣٩، الرسالة ٣١، طبعة مصر مع تعليقة للشيخ محمّد عبده، وصيّته عليه السلام للإمام الحسن عليه السلام كتبها إليه بحاضرين، عند انصرافه من صفّين.

٢ـ «نهج البلاغة» الخطبة ١٩٠؛ وفي طبعة مصر مع تعليقة للشيخ محمّد عبده: ج ١، ص ٣٩٢.

٣ـ «بحار الأنوار» ج ١٠، ص ٣١٤، باب مناظرات الرضا واحتجاجاته، الحديث الأوّل، الطبعة الحديثة.

أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَهُ نُورِي.[١]

وفي حديث آخر أنّ الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله قال:

أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَهُ العَقْلُ.[٢]

وروى الصدوق في «الخِصال» بسنده عن سَماعة أنّه قال: كنتُ عند أبي عبد الله الصادق عليه السلام وعنده جماعة من مواليه فجرى ذِكر العقل والجهلِ ... حتّى قال: فقال أبو عبد الله عليه السلام:

إنَّ اللَهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ خَلَقَ العَقْلَ وَهُوَ أَوَّلُ خَلْقٍ خَلَقَهُ مِنَ الرُّوحَانِيِّينَ عَنْ يَمِينِ العَرْشِ مِنْ نُورِهِ -إلى آخره.[٣]

وورد نظير هذا الكلام في حديث الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام خلال حديث طويل له مع هشام بن الحكم، حيث قال:

يَا هِشَامُ! إنَّ اللَهَ خَلَقَ العَقْلَ وَهُوَ أَوَّلُ خَلْقٍ خَلَقَهُ اللَهُ مِنَ الرُّوحَانِيِّينَ عَنْ يَمِينِ العَرْشِ مِنْ نُورِهِ.[٤]

وروى عن عَبادة بن الصامِت قال: سمعتُ رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: **إنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَهُ القَلَمُ. فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ! فَجَرَى بِمَا هُوَ كَائِنٌ إلَى الأَبَدِ.**[٥]

١ـ «بحار الأنوار» ج ١، ص ٩٧، باب حقيقة العقل وكيفيّته وبدو خلقه، الحديث السابع.

٢ـ «بحار الأنوار» ج ١، ص ٩٧، باب حقيقة العقل وكيفيّته وبدو خلقه، الحديث الثامن.

٣ـ «بحار الأنوار» ج ١، ص ١٠٩، كتاب العقل والجهل، الحديث السابع.

٤ـ «بحار الأنوار» ج ١، ص ١٥٨، كتاب العقل والجهل، الحديث الثلاثون.

٥ـ «بحار الأنوار» ج ٥٧، ص ٣٧٤، باب القلم واللوح المحفوظ والكتاب المبين، الحديث الرابع والعشرون.

وعن معاوية بن قُرّة عن أبيه أنّه قال: تلا رسول الله صلّى الله عليه وآله: «نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ». **قَالَ: لَوْحٌ مِنْ نُورٍ، وَقَلَمٌ مِنْ نُورٍ، يَجْرِي بِمَا هُوَ كَائِنٌ إلَى يَوْمِ القِيَامَةِ.**[1]

قال عزيز الدين النسفيّ: «جاء في الحديث **أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَهُ العَقْلُ**. وجاء في حديث آخر **أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَهُ القَلَمُ**. وفي آخر أنّه **أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَهُ رُوحِي**. وجاء في آخر أيضاً: **أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَهُ نُورِي**. وقد وردت أمثال ذلك في كثير من الأحاديث»[2].

وقال في مكان آخر: «جاء في حديث نبويّ أنّ: **أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَهُ العَقْلُ**. وورد كذلك أنّ: **أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَهُ القَلَمُ**. وفي حديث آخر أنّ: **أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَهُ العَرْشُ**.

ووردت أحاديث كثيرة بهذا المعنى»[3].

وقال الشيخ نجم الدين الرازي: «اعلَم أنّ مبدأ المخلوقات والموجودات كان الأرواح الإنسانيّة، وكان مبدأ الأرواح الإنسانيّة الروح المحمّديّة الطاهرة كما قال عليه الصلاة والسلام: **أَوَّلُ ما خَلَقَ اللَهُ تَعَالَى رُوحِي**. وفي رواية أُخرى **نوري**. ولأنّه عليه الصلاة والسلام كان زبدة وخلاصة الموجودات وثمرة شجرة الكائنات، إذ **لَوْلَاكَ لَمَا خَلَقْتُ الأَفْلَاكَ**، فإنّه كان كذلك مبدأ الموجودات ولا يمكن أن يكون غير ذلك، وذلك أنّ الخَلقَ كان على مثال الشجرة، والمصطفى عليه الصلاة والسلام هو ثمرة تلك الشجرة، والشجرة في الحقيقة لا تكون إلّا من حَبِّ

١ـ «بحار الأنوار» ج ٥٧، ص ٣٧٤، الحديث الخامس والعشرون.

٢ و٣ «الإنسان الكامل» لعزيز الدين النسفيّ، ص ٢٢٠ و٣٩٨، طبعة طهران، قسم المعهد الإيرانيّ والفرنسيّ بتصحيح ماريجان موله.

الثمرة»[١] .

ويقول في مكان آخر : «هنالك لطيفة عجيبة تُستَشَفُّ من قوله عليه الصلاة والسلام : **أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ القَلَمُ ، أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ العَقْلُ ، أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ رُوحِي** ، وهي أنّ هذه الأقوال الثلاثة كلّها صحيحة ، وهي في الحقيقة قول واحد ، وقد احتار خَلقٌ كثير في كيفيّة هذه التركيبة . فقوله : **أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ القَلَمُ** . إنّما هو قلم الله لا قلمنا نحن ، فذلك القلم يجب أن يتناسب وعظمة الله وجلاله ، وتلك هي روح محمّد الطاهرة ونوره . فلمّا خلق الحقّ تعالى تلك الروح ونظر إليها بالمحبّة ، غلبَ عليها الحياء ، فانقسمت الروح قسمين حياءً ، فكان العقل شعبة من الروح»[٢] .

وقال أيضاً : «لقد قطعتُ نَسبي من الدنيا والآخرة والجنان الثمان في ذلك اليوم ، وجعلته **أنَا مِنَ اللَـهِ** . لا جَرم أنّ أيّ نَسبٍ مُتعلّق بالحدوث منقطع ، وأمّا نَسبي فباقٍ ، إذ **كُلُّ حَسَبٍ وَنَسَبٍ يَنْقَطِعُ إلَّا حَسَبِي وَنَسَبِي** ، وقال للآخرين : **فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ** ، فقد فُزتُ بالأولويّة والسباق في كلّ ميدان .

فإن كان هناك أوّل في الفطرة ، فقد كنتُ أوّل برعم طلع على شجرة الفطرة ، إذ **أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ نُورِي** . . وإن كان الأمر يتعلّق بساحة يوم القيامة ، فأنا أوّل جوهرة تخرج من لآلىء الثرى ، **أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ يَوْمَ القِيَامَةِ** . وإن أردتَ البحثَ في مقام الشفاعة ، **أَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ وَمُشَفَّعٍ** . وإن كنتَ تُريد الحديث عن الصراط والتقدّم عليه ، **أنَا أَوَّلُ مَنْ يَجُوزُ الصِّرَاطَ** . وإن أردتَ معرفة صاحب مقام الصدّارة في مجلس الجنان ،

١ـ «مرصاد العباد» ص ٣٧ ، طبعة بنگاه ترجمه ونشر كتاب.

٢ـ «مرصاد العباد» ص ٥١ و٥٢.

فأَنَا أَوَّلُ مَنْ يُفْتَحُ لَهُ أَبْـوَابُ الجَـنَّةِ. وإذا رُمْتَ النـظر إلى سـيّد العـاشقين ومقتدى المشتاقين ، **فأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَتَجَلَّى لَهُ الرَّبُّ**. وأوّل عـاشق حـقيقيّ يفوز بوصال المعشوق .

وما أطرف أن يكون كلُّ ذلك هو أنا ، أمّا أنا فلا أكون أنا ، **أَمَّـا أَنَـا فَلا أَقَولُ أَنَا**: شعر :

چو آمد روى مهرويم ، كه باشم من كـه مـن‌باشم
كه آنگه خوش بوم با او ،كه من بى‌خويشتن باشم
مرا گـر مـايه‌اى بـينى ، بـدان كـان مـايه او بـاشد
برو گر سايه‌اى بينى ، بدان كان سايه مـن بـاشم[١]

إنّ هذا الذي سَمِعتَهُ من أنّ محمّداً عليه السلام لا ظلّ له ناشئ من أنّ محمّداً كان هو النّور كلّه ، إذ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءَكُمْ نُورٌ مِنْ رَبِّكُمْ**[٢] ولذا ، فلا ظلّ للنور كما تعلم . ولمّا كان عليه السلام قد تخلّص من ظلّه ، فـقد لاذ جميع الخَلق والعالَم كلّه بنوره ، إذ إنّ : **آدَمُ وَمَنْ دُونَهَ تَـحْتَ لِـوَائِـي يَـوْمَ القِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ**.

لقد غمر النور المحمّديّ العالَم والوجود وأحاط بهما ، إذ إنّ : **أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ نُورِي** ، فختم الأبدَ بنوره إذ **لَا نَبِيَّ بَعْدِي** .

١ـ «مرصاد العباد» ص ١٣٣ و ١٣٤.

يقول «إذا أقبل حبيبي بطلعة كالبدر ، فمن الذي سأكونه يا ترى، لأكون أنا بذاتـي ؛ وسأُسرُّ به حينئذٍ إذ سأكون بلا «أنا».

وإنّ شاهدتَ من جوهرٍ فِيَّ ، فاعلم أنّ ذلك جوهره هو ، وإنّ شاهدتَ فيه من ظلٍّ ، فاعلم أنّ ذلك ظلّي أنا».

٢ـ مقتبس من ذيل الآية ١٥ ، من السورة ٥ : المائدة : **قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ** .

وبعد شروق شمس الدولة المحمّديّة وطلوع نورها ، أفلتْ كواكب ولاية الأنبياء ، فنُسِخَت بذلك آية ليلة الأديان الأُخرى ، حيث حَلَّت آية **مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ** مَحلّها ، **إذَا طَلَعَ الصَّبَاحُ اسْتُغْنِيَ عَنِ المِصْبَاحِ** .

فالمسكين هو ذلك الأعمى الذي حُرِمَ من كلّ ذلك النور والضياء .

شعر :

خورشيد برآمد اى نگارين ديرست

بر بنده اگر نتابد از إدبارست[١]

وأورد الشيخ نجم الدين الرازيّ كذلك : **خَلَقْتُ المَلَائِكَةَ مِنْ نُورٍ** .[٢]

وقال أيضاً : «هذه الطائفة هي أصحاب المَيمَنة ، حيث مَشرَبهم من عالَم الأعمال ، ومَعادُهم درجات جنّات النعيم . مع هذا فإنّ طريقهم ليس طريقاً بحسب معرفة الذات والصفات الربّانيّة ، إذ إنّهم ما زالوا أسرى آفة حُجُب الصفات الروحانيّة والنورانيّة ، إذ **إنَّ لِلَّهِ [تَعَالَى] سَبْعِينَ أَلْفَ حِجَابٍ مِنْ نُورٍ وَظُلْمَةٍ** ».[٣]

١ـ «مرصاد العباد» ص ١٣٤ ؛ وكذلك ص ١٥٨ و ١٥٩.

«أشرقت الشمس فالوقت متأخّر أيّها المعشوق ، فإذا لم تسطع عَلَيّ فذلك بسبب الإدبار».

٢ـ رسالة «عشق وعقل» ص ٤٠ ، منشورات بنگاه ترجمه ونشر كتاب، الطبعة الثانية؛ وفي تعليقة ص ١١١ يقول: مقتبس من «صحيح مسلم» كتاب الزهد، و«مسند أحمد بن حنبل» ج ٦ ، ص ١٥٨ و ١٦٨ ، نقلاً عن «المعجم المفهرس».

٣ـ ذُكرت هذه الرواية في «مرصاد العباد» ص ١٠١ و ٣١١. وذكرها كذلك الملّا عبد الرزّاق الكاشانيّ في شرح «منازل السائرين» ص ٧ و ٢٩٠ ، منشورات بيدار، وذكرها أيضاً المعلِّق على الكتاب في ص ٤١٥. وقال العلّامة محمّد بن محمود الآمليّ في كتاب «نفائس الفنون» ج ٢ ، ص ٥٩ و ٦٠ ، حيث يقول: ⇦

....

⇦ «الفصل الثامن: في بيان مشاهدات الأنوار ومراتبها»: قال الله تعالى: **مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ * أَفَتُمَـٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ * وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ**. اعلم أنّه بسبب انصقال مرآة القلب تدريجيّاً بمصقلة الذِّكر، وامّحاء أدران الطبيعة وظلمة البشريّة عنها، يكون ظهور الأنوار الغيبيّة فيها أقوى. وتتوهّج تلك الأنوار على غرار توهُّج الشمعة والمصباح والمشعل والنيران، وذلك عندما يكون الخيال لا يزال يشوب تلك الأنوار. وبعد ذلك تتراءى للعيان الأنوار العلويّة، حيث تكون في البداية على صورة كواكب متناثرة، وبعد ذلك على صورة قمر ومن ثمّ تظهر بصورة شمس حتّى تظهر الأنوار المجرّدة من المحالّ. وعندما تنسلخ الأنوار من الحُجُب تماماً ولا يكون للخيال مجالاً للتصرّف فيها، تنعدم حينئذٍ الألوان والأشكال، فيسود انعدام اللون والشكل والكيفيّة والصورة؛ ذلك أنّ تلوّث الصفات البشريّة هو الذي يجعل الروح تُدرك شكل ولون النور من وراء حجاب الخيال، فعندما تسود الروحانيّة المحضة ويتمّ الخروج من تلك حُجُب الخيال تنتفي الأشكال والألوان. لكن على الرغم من أنّ الله سبحانه وتعالى هو مظهر جميع الأنوار وذلك حسب ما تصرّح به الآية: **ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ** وأنّ كثرة هذه الأنوار وقلّتها يكون بحسب صفاء القلب وصقالته من ظلمة البشريّة، إلّا أنّ ظهورها يكون مختلفاً ومتبايناً وذلك بسبب اختلاف وتباين منشأ مشاهداتها.

ويقال لهذه الأنوار **الأنوار الأرضيّة** وذلك عندما تكون على صورة أُمور سفليّة مثل البروق واللوامع واللوائح والمشاعل والقناديل والمصابيح. أمّا عندما تكون على صورة أجرام علويّة كالكواكب والأقمار والشموس فيقال لها **الأنوار السماويّة**.

وعلى هذا فإنّها تظهر بصورة برق إذا كانت منشأ مشاهدتها الذِّكر، أو بصورة مشكاة أو قنديل إذا كانت منشأ مشاهدتها المعرفة.

ومن هنا يقول الحقّ تعالى: **ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ** أي أنّه تبارك وتعالى مظهر الأنوار السماويّة والأرضيّة، وأنّ نور عرفانه يظهر على السالك على صورة مشكاة، فإذا كانت الروحانيّة منشأ مشاهدتها والتي تنعكس على القلب السماويّ تبعاً لمقدار صقالته، يكون ظهورها على مثال الكواكب والأقمار والشموس. ⇨

وقال في مكان آخر : **حِجابُهُ النُّورُ ؛ لَوْ كُشِفَتْ لَأَحْرَقَتْ سُبُحاتُ وَجْهِهِ ما انْتَهَى إلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ.** [١]

لا جَرم أن قيل لهذه الطائفة : احذَروا من أن تخلطوا بين العقل والعِقال في ميدان التفكُّر في ذات الحقّ جلّ وجلا الذي لا حدّ له ، **تَفَكَّرُوا فِي آلَاءِ اللَهِ وَلَا تَتَفَكَّرُوا فِي ذَاتِ اللَهِ!** [٢]

وذكر في مناسبة أُخرى : «وأمّا ما قاله من أنّنا متى ما حصلنا على عقل أكبر ، فإنّنا نجد الحبّ فيه أظرف وأشرف وأثبت ، كما أنّ سيّد الكائنات [صلوات الله عليه] كان أعقل الموجودات وأعشقها على الإطلاق .

واعلَم حقّاً بأنّ نور العقل في كمال وسموّ مرتبته ، هو بمثابة مشكاة الجسد وزجاجة القلب ، وزيت المصباح بمثابة صفاء الزيت ، إذ **يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ** . ومع أنّ الملائكة كانت تمتلك زيت الرُّوحانيّة وصفاءه الذي هو

⇦ فعلى سبيل المثال، إذا كان صفاء القلب بمقدار الكوكب، يُرى نور الروح بمقدار ذلك الكوكب، وإذا كانت مرآة القلب صافية تماماً، يُرى القمر كاملاً، وإذا كانت هناك بقيّة من الكدورة، يُرى القمر ناقصاً، وعندما يكتمل صفاء مرآة القلب وتقبّلها لنور الروح، تصبح المشاهدة بمقدار الشمس؛ وكلّما كان الصفاء أكثر، كان سطوع الشمس أكبر. وإذا وقعت مشاهدة القمر والشمس في آنٍ واحد، يكون القلب حينئذٍ القمر الذي يعكس النور فيُنير الروح به، وتكون الروح الشمس. وانعكاس إشعاعات الأنوار لصفات الحقّ عزّ وعلا من وراء الحُجُب الروحانيّة على مرآة القلب هو بمقدار صفائها».

١ـ جاء في تعليقة ص ١١٠ : «مأخوذ عن حديث نبويّ ، «صحيح مسلم» باب الإيمان، ص ٢٩٣ ؛ مقدّمة كتاب ابن ماجة، ص ١٣ ؛ «مسند أحمد» ج ٤، ص ٤٠١ و ٤٠٥. وأصل الحديث هو: **حِجابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحاتُ وَجْهِهِ ...**».

أقول: ذكرها كذلك مُؤلِّف «مرصاد العباد» ص ٣١٠؛ كما ذكرها المعلِّق على كتاب «شرح المنازل» ص ٧.

٢ـ رسالة «عشق وعقل» ص ٥٣ و ٥٤.

نور العقل ، حيث **خُلِقَتِ المَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ** ، وكان ذلك الزيت مستعدّاً لاكتساب ناريّة النور الإلهيّ **وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ** ،إلّا أنّهم لم يحصلوا لا على مشكاة الجسد ، ولا زجاجة القلب ، ولا مصباح السِّرّ ، ولا فتيلَ الخَفيّ ، حيث إنّهم لم يستحقّوا اكتساب ناريّة النور الإلهيّ بدون هذه الأسباب .

وأمّا الحيوانات فعلى الرغم من حصولها على مشكاة الجسد وزجاجة القلب ، إلّا أنّ ذلك كان في غياب زيت الروحانيّة وصفاء النور [الذي هو العقل] فكانوا في مقام العجز كذلك إذ **فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا**.

فأُعطي الإنسان تمام الاستعداد وكمال التَّهيُّؤ لقبول تلك الأمانة ، التي هي في الحقيقة نور الفيض دون واسطة ، إذ **لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيم** ، فوُهِبَ جسداً مثله كمثل المشكاة ، وقلباً على صفة الزجاجة ، وزيتَ روحٍ بصفاء العقل الذي أنار زجاجة قلبه بذلك النور الساطِع ، فأصبحت **ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ** ، ووضعَ زجاجة القلب ومصباح السِّرّ وفتيلَ الخَفيّ ، فتجلّت هذه المجموعة ومنها آدمُ بنارِ النور الإلهيّ إذ **خُلِقَ آدَمُ فَتَجَلَّى فِيهِ مِصْبَاحٌ** ، فأصبح فيمن يستحِقُّ [نار] النور الإلهيّ حيث **وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ**.

فكلُّ مصباح كان زيته أصفى ، وصفاؤه في النورانيّة أكثر ، فهو في النورانيّة **نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ** واكتمل وظَرُفَ بمجرّد اتّصال نار النور الإلهيّ به . ولمّا لَم يُمنَحْ أيَّ مصباحٍ موهبة قبول النورانيّة وكمال الاستعداد لذلك إلّا مصباح سيِّد الكائنات صلّى الله عليه ، ولمّا كان زيت مصباحه أتمَّ وأكمل وكان صفاء زيته الذي هو العقل لا ألطفَ ولا أظرف منه ، فلا جَرَمَ أن يكون قد وصل إلى درجة الكمال لقبول نور الفيض دون واسطة **ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى** فكان يُردّد ويُكثر من قراءة هذا الدعاء في كلّ صباح وهو :

اللَهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُوراً وَفِي سَمْعِي نُوراً وَفِي بَصَرِي نُوراً وَفِي لِسَانِي نُوراً، وَعَنْ يَمِينِي نُوراً وَعَنْ يَسَارِي نُوراً [وَمِنْ فَوْقِي نُوراً] وَمِنْ تَحْتِي نُوراً [وَأَمَامِي نُوراً وَخَلْفِي نوُراً] وَاجْعَلْنِي نُوراً وَأَعْظِمْ لِي نُوراً.

ولمّا كان كلّ وجوده هو ذلك النور، حينئذٍ دعاه الحقُّ تعالى نوراً، حيث قال: [**قَدْ] جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ**.[1]

وبالجملة فقد أُطلِقَت كلمة النور في كثير من أدعيتنا على الحقّ المتعال، ففي دعاء الجوشن الكبير وردت الجمل التالية:

يَا نُورَ النُّورِ، يَا مُنَوِّرَ النُّورِ، يَا خَالِقَ النُّورِ، يَا مُدَبِّرَ النُّورِ، يَا مُقَدِّرَ النُّورِ، يَا نُورَ كُلِّ نُورٍ، يَا نُوراً قَبْلَ كُلِّ نُورٍ، يَا نُوراً بَعْدَ كُلِّ نُورٍ، يَا نُوراً فَوْقَ كُلِّ نُورٍ، يَا نُوراً لَيْسَ كَمِثْلِهِ نُورٌ.[2]

وفي المناجاة الشعبانيّة:

إلَهِي هَبْ لِي كَمَالَ الانقِطَاعِ إلَيْكَ، وَأَنِرْ أَبْصَارَ قُلُوبِنَا بِضِيَاءِ نَظَرِهَا إلَيْكَ، حَتَّى تَخْرِقَ أَبْصَارُ القُلُوبِ حُجُبَ النُّورِ فَتَصِلَ إلَى مَعْدِنِ العَظَمَةِ، وَتَصِيرَ أَرْوَاحُنَا مُعَلَّقَةً بِعِزِّ قُدْسِكَ.[3]

حتّى قوله:

إلَهِي وَ أَلْحِقْنِي بِنُورِ عِزِّكَ الأَبْهَجِ، فَأَكُونَ لَكَ عَارِفاً وَعَنْ سِوَاكَ

١ـ رسالة «عشق و عقل»، ص ٧٦ إلى ٧٨.

٢ـ «مفاتيح الجنان» ص ٩٣، طبعة الإسلاميّة، سنة ١٣٧٩هـ، نقلاً عن «البلد الأمين» و«المصباح» للكفعميّ، وهو مرويّ عن الإمام سيّد الساجدين، عن أبيه، عن جَدّه رسول الله صلّى الله عليه وآله.

٣ـ «مفاتيح الجنان» ص ١٥٨، نقلاً عن ابن خالويه، قال: «إنّها مناجاة أمير المؤمنين والأئمّة من ولده عليهم السلام، كانوا يدعون بها في شهر شعبان».

مُنْحَرِفاً وَمِنْكَ خَائِفاً مُرَاقِباً ، يَا ذَا الجَلَالِ وَالإكْرَامِ.[١]

١ـ «مفاتيح الجنان» ص ١٥٩.

إنّ تشبيه آية النور المباركة لحالات نفس السالك إلى **الله** هي من أروع التشبيهات في هذا المقام. وليس أجدر من أن ننقل هنا نصّ عبارات أُستاذ السلوك والعرفان آية الحقّ والإيقان **السيّد مهدي بحر العلوم** في الرسالة المنسوبة إليه.

يقول **السيّد بحر العلوم**:

«وأمّا السالك فإنّه يرى آثار وفيوضات ذلك. ومن جملة الآثار حصول الأنوار في القلب حيث يكون في البدء على شكل مصباح ثمّ على شكل شعلة ثمّ كوكب ثمّ قمر ثمّ بعد ذلك على شكل شمس، ثمّ تنخمد وتزول ألوانها. والكثير منها يكون على شكل برق وأحياناً تكون بصورة مشكاة وقنديل، وهذان الاثنان يحصلان أكثر ما يحصلان بفعل المعرفة والسبق من الذِّكر. وقد أشار الإمام أبي جعفر عليه السلام إلى المرتبة الأُولى كما روى ذلك ثقة الإسلام في «الكافي» أنّ الإمام عليه السلام قال في بيان أقسام القلوب: **وَقَلْبٌ أَزْهَرُ أجْرَدُ. فَقُلْتُ: وَمَا الأَزْهَرُ؟ فَقالَ: فيهِ كَهَيْئَةِ السِّراجِ ـ إلَى أنْ قالَ: وَأَمَّا القَلْبُ الأَزْهَرُ فَقَلْبُ المُؤْمِنِ**. وقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى بعض هذه المراتب قائلاً: **قَدْ أَحْيَا قَلْبَهُ وَأَمَاتَ نَفْسَهُ حَتَّى دَقَّ جَليلُهُ وَلَطُفَ غَليظُهُ وَبَرَقَ لَهُ لَامِعٌ كَثِيرُ البَرْقِ.**

إنّ إحدى المعاني الباطنة للآية الشريفة: **ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ** هي شرح لهذه المراحل حيث يستحيل شخص الإنسان في هذه الأحوال إلى مشكاة فيها مصباح والذي يمثّل القلب، وفي تلك الزجاجة مصباح والمذكور بالنور، ويتحوّل القلب بعد نشر ذلك إلى ما يُشبه **الكَوْكَبُ الدُّرِّيُّ** فيكون ساطعاً نيّراً مثلُهُ كمثل نور الشجرة المباركة الكثير النفع وهو ما يُمثّل النورانيّة والروحانيّة لذكر **الله** حيث ليس بشرقيٍّ ولا غربيّ، بل نابع عن الطريق الباطن والذي هو كذلك ليس بشرقيّ ولا غربيّ. **وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ** أي إذا لم يغفل عن ذكر **الله** والذي يؤدّي إلى مقارنة الشيطان المخلوق من النار بنصّ الآية الشريفة **وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَـٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ**، ويزيد **نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ** نوراً على نوره حتّى يغدو جميع ذلك نوراً. **وَهَذِهِ الزُّ جاجَةُ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُ**. وفي بيان **مَثَلُ نورِهِ** قال عليه السلام: **يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ * رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ** ⇦

وورد أيضاً في دعاء ليلة عرفة ما يلي :

وَبِاسْمِكَ السُّبُّوحِ القُدُّوسِ البُرْهَانِ الَّذِي هُوَ نُورٌ عَلَى كُلِّ نُورٍ، وَنُورٌ مِنْ نُورٍ يَضِيءُ مِنْهُ كُلُّ نُورٍ ؛ إذَا بَلَغَ الأَرْضَ انْشَقَّتْ، وَإذَا بَلَغَ السَّمَاوَاتِ فُتِحَتْ، وَإذَا بَلَغَ العَرْشَ اهْتَزَّ.[1]

وبعد الجمل السابقة، تأتي هذه الجمل :

أَسْأَلُكَ بِنُورِ وَجْهِكَ الكَرِيمِ الَّذِي تَجَلَّيْتَ بِهِ لِلْجَبَلِ فَجَعَلْتَهُ دَكّاً وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً.[2]

وجاء في آخر الدعاء المذكور (دعاء ليلة عَرَفة) ما يلي :

أَنْتَ الَّذِي أَشْرَقْتَ الأَنْوَارَ فِي قُلُوبِ أَوْلِيَائِكَ حَتَّى عَرَفُوكَ وَوَحَّدُوكَ.[3]

هذا وقد أفرد محمّد بن يعقوب الكلينيّ باباً خاصّاً في «أُصول الكافي» وذكر فيه أنّ الأئمّة عليهم السلام هم نور الله عزّ وجلّ، وقد أورد ستّ روايات بهذا الصدد نوردُ منها اثنتينِ هنا على سبيل المثال :

الأُولى: روى بسنده المتّصل عن أبي خالد الكابلي أنّه قال : سألتُ أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ : «**فَـَٔامِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَٱلنُّورِ**

⇦ **عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ.*** («رسالة السير والسلوك المنسوبة إلى بحر العلوم» ص ١٩٤ إلى ١٩٧ مع مقدّمة وشرح للسيّد محمّد الحسين الحسينيّ الطهرانيّ، منشورات حكمت).

* أي في بيان تحقّق هذا النور ومصداقيّته فإنّه يقول إنّ رجالاً يُسبّحون **الله** في الصباح والمساء في تلك البيوت.

١ـ «مفاتيح الجنان» ص ٢٥٣، حيث ذُكِرَ أنّ في الرواية أنّه يُدعى به في ليلة عَرَفة وليالي الجُمَع.

٢ـ «مفاتيح الجنان» ص ٢٥٣.

٣ـ «مفاتيح الجنان» ص ٢٧٣.

ٱلَّذِىَ أَنزَلْنَا». [١] فَقَالَ : يَا أَبَا خَالِدٍ ! النُّورُ وَاللَهِ نُورُ الأَئِمَّةِ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إلَى يَوْمِ القِيَامَةِ ؛ وَهُمْ وَاللَهِ نُورُ اللَهِ الَّذِي أَنْزَلَ ، وَهُمْ وَاللَهِ نُورُ اللَهِ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ. وَاللَهِ يَا أَبَا خَالِدٍ ! لَنُورُ الإمَامِ فِي قُلُوبِ المُؤْمِنِينَ أَنْوَرُ مِنَ الشَّمْسِ المُضِيئَةِ بِالنَّهَارِ.

وَهُمْ وَاللَهِ يُنَوِّرُونَ قُلُوبَ المُؤْمِنِينَ ، وَيَحْجُبُ اللَهُ عَزَّ وَجَلَّ نُورَهُمْ عَمَّنْ يَشَاءُ فَتَظْلِمُ قُلُوبُهُمْ. وَاللَهِ يَا أَبَا خَالِدٍ ! لَا يُحِبُّنَا عَبْدٌ وَيَتَوَلَّانَا حَتَّى يُطَهِّرَ اللَهُ قَلْبَهُ ، وَلَا يُطَهِّرُ اللَهُ قَلْبَ عَبْدٍ حَتَّى يُسَلِّمَ لَنَا وَيَكُونَ سِلْماً لَنَا ، فَإذَا كَانَ سِلْماً لَنَا سَلَّمَهُ اللَهُ مِنْ شَدِيدِ الحِسَابِ وَآمَنَهُ مِنْ فَزَعِ يَوْمِ القِيَامَةِ الأَكْبَرِ. [٢]

الثانية: روى بسند متّصل آخر منه عن صالح بن سهل الهَمَدانيّ أنّه قال : قال أبو عبد الله (الصادق) عليه السلام في قول الله تعالى : «ٱللَهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَوٰةٍ»: فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ «فِيهَا مِصْبَاحٌ». الحَسَنُ «ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ». الحُسَيْنُ «ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ». فَاطِمَةُ كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ بَيْنَ نِسَاءِ أَهْلِ الدُّنْيَا.

«تُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ» إبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ. «زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ» لَا يَهُودِيَّةٍ وَلَا نَصْرَانِيَّةٍ. «يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ» يَكَادُ العِلْمُ يَنْفَجِرُ بِهَا. «وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ» إمَامٌ مِنهَا بَعْدَ إمَامٍ.

«يَهْدِى ٱللَهُ لِنُورِهِ مَن يَشَآءُ» يَهْدِي اللَهُ لِلأَئِمَّةِ مَنْ يَشَاءُ ؛ «وَيَضْرِبُ ٱللَهُ ٱلْأَمْثَـٰلَ لِلنَّاسِ».

١ـ صدر الآية ٨ ، من السورة ٦٤ : التغابن.

٢ـ «أُصول الكافي» ج ١ ، ص ١٩٤ ، كتاب الحجّة، باب أنّ الائمّة عليهم السلام نور الله عزّ وجلّ ، الحديث الأوّل.

قُلْتُ : «أَوْ كَظُلُمَـٰتٍ» ؟ قَالَ : الأَوَّلُ وَصَاحِبُهُ . «يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ» الثَّالِثُ . «مِن فَوْقِهِ مَوْجٌ ، ظُلُمَـٰتٌ» الثَّانِي . «بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ» مُعَاوِيَةُ لَعَنَهُ اللَـهُ وَفِتَنُ بَنِي أُمَيَّةَ ؛ «إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُ» المُؤْمِنُ فِي ظُلْمَةِ فِتْنَتِهِمْ «لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا» . «وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا» إمَاماً مِنْ وُلْدِ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ ، «فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ» إمَامٍ يَوْمَ القِيَامَةِ .

وَقَالَ فِي قَوْلِهِ : «يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ»[1] : أَئِمَّةُ المُؤْمِنِينَ يَوْمَ القِيَامَةِ ، تَسْعَى بَيْنَ يَدَيِ المُؤْمِنِينَ وَبِأَيْمَانِهِمْ حَتَّى يُنَزِّلُوهُمْ مَنَازِلَ أَهْلِ الجَنَّةِ .[2]

وروى الكلينيّ بهذا المضمون بسند آخر عن عليّ بن جعفر عليه السلام ، عن أخيه موسى عليه السلام[3] .

وذكر الكلينيّ في باب خَلق الأبدان والأرواح والقلوب للأئمّة عليهم السلام أربع روايات ، نكتفي هنا بذكر واحدة منها فقط :

روى بسنده المتّصل عن محمّد بن مروان عن أبي عبد الله (الصادق) عليه السلام قال سمعته يقول : **إنَّ اللهَ خَلَقَنَا مِنْ نُورِ عَظَمَتِهِ ، ثُمَّ صَوَّرَ خَلْقَنَا مِنْ طِينَةٍ مَخْزُونَةٍ مَكْنُونَةٍ مِنْ تَحْتِ العَرْشِ ، فَأَسْكَنَ ذَلِكَ النُّورَ فِيهِ ، فَكُنَّا نَحْنُ خَلْقاً وَبَشَراً نُورَانِيِّينَ لَمْ يَجْعَلْ لأَحَدٍ فِي مِثْلِ الَّذِي خُلِقْنَا مِنْهُ نَصِيباً . وَخَلَقَ أَرْوَاحَ شِيعَتِنَا مِنْ طِينَتِنَا ، وَأَبْدَانَهُمْ مِنْ طِينَةٍ مَخْزُونَةٍ مَكْنُونَةٍ أَسْفَلَ فِي ذَلِكَ الطِّينَةِ ، وَلَمْ يَجْعَلِ اللهُ لأَحَدٍ فِي مِثْلِ الَّذِي خَلَقَهُمْ مِنْهُ**

١ـ مقطع من الآية ١٢ ، من السورة ٥٧ : الحديد.

٢ـ «أُصول الكافي» ج ١ ، ص ١٩٥ ، الحديث الخامس.

٣ـ «أُصول الكافي» ج ١ ، ص ١٩٥ ، كتاب الحجّة، باب أنّ الأئمّة عليهم السلام نور الله عزّ وجلّ ؛ ورواها البحرانيّ في تفسير «البرهان» ج ٢ ، ص ٧٣٥ ، الطبعة الحجريّة، عن طريق العامّة عن ابن المغازليّ الشافعيّ في كتاب «المناقب» مرسلاً عن عليّ بن جعفر.

نَصِيباً إلَّا لِلأَنْبِيَاءِ. وَلِذَلِكَ صِرْنَا نَحْنُ وَهُمْ: النَّاسَ، وَصَارَ سَائِرُ النَّاسِ هَمَجٌ لِلنَّارِ وَإلَى النَّارِ.[١]

وأورد الكلينيّ كذلك في باب ولادة النبيّ صلّى الله عليه وآله ووفاته أربعين رواية نورد منها في هذا المقام ثلاثة:

١- روى بسند متّصل عن جابر بن يزيد قال: قال لي أبو جعفر (الباقر) عليه السلام: **يَا جَابِرُ! إنَّ اللَهَ أَوَّلُ مَا خَلَقَ، خَلَقَ مُحَمَّداً صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَعِتْرَتَهُ الهُدَاةَ المُهْتَدِينَ. فَكَانُوا أَشْبَاحَ نُورٍ بَيْنَ يَدَيِ اللَهِ!**

قُلْتُ: وَمَا الأَشْبَاحُ؟!

قَالَ: ظِلُّ النُّورِ، أَبْدَانٌ نُورَانِيَّةٌ بِلَا أَرْوَاحٍ. وَكَانَ مُؤَيَّداً بِرُوحٍ وَاحِدَةٍ وَهِيَ رُوحُ القُدُسِ. فَبِهِ كَانَ يَعْبُدُ اللَهَ وَعِتْرَتُهُ.

وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ حُلَمَاءَ، عُلَمَاءَ، بَرَرَةً، أَصْفِيَاءَ؛ يَعْبُدُونَ اللَهَ بِالصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ، وَالسُّجُودِ، وَالتَّسْبِيحِ، وَالتَّهْلِيلِ؛ وَيُصَلُّونَ الصَّلَوَاتِ، وَيَحُجُّونَ، وَيَصُومُونَ.[٢]

٢- روى بسند متّصل عن أحمد بن علي بن محمّد بن عبد الله بن عمر بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، عن أبي عبد الله (الصادق) عليه السلام أنّه قال:

إنَّ اللَهَ كَانَ إذْ لَا كَانَ. فَخَلَقَ الكَانَ وَالمَكَانَ. وَخَلَقَ نُورَ الأَنْوَارِ الَّذِي نُوِّرَتْ مِنْهُ الأَنْوَارُ. وَأَجْرَى فِيهِ مِنْ نُورِهِ الَّذِي نُوِّرَتْ مِنْهُ الأَنْوَارُ.

١ـ «أُصول الكافي» ج ١، ص ٣٨٩، باب خلق أبدان الأئمّة وأرواحهم وقلوبهم عليهم السلام، الحديث الثاني.

٢ـ «أُصول الكافي» ج ١، ص ٤٤٢، كتاب الحجّة، باب مولد النبيّ صلّى الله عليه وآله ووفاته، الحديث العاشر.

وَهُوَ النُّورُ الَّذِي خَلَقَ مِنْهُ مُحَمَّداً وَ عَلِيّاً. فَلَمْ يَزَالَا نُورَيْنِ أَوَّلَيْنِ، إذْ لَا شَيْءَ كُوِّنَ قَبْلَهُمَا. فَلَمْ يَزَالَا يَجْرِيَانِ طَاهِرَيْنِ مُطَهَّرَيْنِ فِي الأَصْلَابِ الطَّاهِرَةِ حَتَّى افْتَرَقَا فِي أَطْهَرِ طَاهِرَيْنِ: فِي عَبْدِ اللهِ وَأَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. [1]

٣- وروى كذلك بسند متّصل أيضاً عن مُرازِم عن أبي عبد الله (الصادق) عليه السلام قال: **قَالَ اللَهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا مُحَمَّدُ! إنِّي خَلَقْتُكَ وَعَلِيّاً نُوراً، يَعْنِي رُوحاً بِلَا بَدَنٍ، قَبْلَ أَنْ أَخْلُقَ سَمَاوَاتِي وَأَرْضِي وَعَرْشِي وَبَحْرِي، فَلَمْ تَزَلْ تُهَلِّلُنِي وَتُمَجِّدُنِي.**

ثُمَّ جَمَعْتُ رُوحَيْكُمَا فَجَعَلْتُهُمَا وَاحِدَةً، فَكَانَتْ تُمَجِّدُنِي وَتُقَدِّسُنِي وَتُهَلِّلُنِي. ثُمَّ قَسَّمْتُهَا ثِنْتَيْنِ وَقَسَّمْتُ الثِّنْتَيْنِ ثِنْتَيْنِ فَصَارَتْ أَرْبَعَةً: مُحَمَّدٌ وَاحِدٌ، وَعَلِيٌّ وَاحِدٌ، وَالحَسَنُ وَالحُسَيْنُ ثِنْتَانِ.

ثُمَّ خَلَقَ اللَهُ فَاطِمَةَ مِنْ نُورٍ ابْتَدَأَهَا رُوحاً بِلَا بَدَنٍ. ثُمَّ مَسَحَنَا بِيَمِينِهِ فَأَفْضَى [2] **نُورَهُ فِينَا.** [3]

أما وإنّنا لنقرأُ في زيارة الجامعة الكبيرة: **خَلَقَكُمُ اللهُ أَنْوَاراً فَجَعَلَكُمْ بِعَرْشِهِ مُحْدِقِينَ حَتَّى مَنَّ عَلَيْنَا بِكُمْ فَجَعَلَكُمْ «فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُ».** [4]

وروى في تفسير «نور الثَّقلَيْن» [5] بسند متّصل منه عن جابر، عن الإمام

١ـ «أُصول الكافي» ج ١، ص ٤٤١ و٤٤٢، الرواية التاسعة.

٢ـ جاء في بعض النسخ **فَأَضَاءَ**. (التعليقة).

٣ـ «أُصول الكافي» ج ١، ص ٤٤٠، الحديث الثالث.

٤ـ «مفاتيح الجنان» ص ٥٤٧، عن الشيخ الصدوق في «الفقيه» و«العيون»، عن موسى بن عبد الله النخعيّ، عن الإمام عليّ النقيّ عليه السلام.

٥ـ تأليف الشيخ عبد علي بن جمعة العروسيّ الحويزيّ، ج ٣، ص ٦٠٧.

أبي جعفَر (الباقر) عليه السلام في قوله عزَّ وجلّ : **فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ** أنّه قال :

هِيَ بُيُوتُ الأَنْبِيَاءِ، وَبَيْتُ عَلِيٍّ مِنْهَا.

وروي في تفسير «البرهان»[1] عن الشيخ الحافظ رجب البرسيّ قال : روى ابن عبّاس أنّه قال : كنتُ في مسجد رسول الله صلّى الله عليه وآله وقد قرأ القارئ :

فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْأَصَالِ.

فقلتُ : يا رسول الله ! ما البيوت ؟!

فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله : **بُيُوتُ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَأَوْمَى بِيَدِهِ إلَى بَيْتِ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهَا ابْنَتِهِ.**

نعم ، لقد تبيّن من هذه الأبحاث بصورة لا تقبل الشكّ معنى نور الله وأحقّيّة الوِلاية وعظمتها التي هي عين التوحيد ، وكذلك طريق إفاضة النور من مقام وحدة الربوبيّة عزَّ وجلّ الذي هو عين النور وأصل الجود والوجود ، وطلوعه في المصباح ، واستمداد المصباح من **زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ** ، وتلألئه في الزجاجة ، وانعكاسه في المشكاة ، ، وحفظ وصيانة المشكاة للنور ، وإفاضة النور ونشره في فضاء الغرفة ، وانتفاع الناس بوساطة ذلك في فضائه النيّر والمتلألئ كلٌّ بحسب رتبته .

وعَلِمنا كذلك سرّ الولاية والإمامة اللتين هما معدن النور ومنبعه . وكذا كيفيّة اتّحاد الأنوار الخمسة الطيّبة ووحدتها ، والتي من جملتها المقام الأقدس للسيّدة الكبرى فاطمة الزهراء سلام الله عليها ، وكيفيّة نشوء نورها

١ـ تأليف السيّد هاشم البحرانيّ ، ج ٢ ، ص ٧٣٧ ، الطبعة الحجريّة.

المقدّس وإيجاده من نَشء ومبدأ عالَم الإيجاد ونشأة الحياة في سلسلتَي التكوين والتشريع . ومع عدم وجود صفة الذكورة والأُنوثة في عوالم التجرُّد ، وأنّ الولاية الحقّة هي ولاية الله ، وهي واحدة ، فإنّه ومع الأخذ بنظر الاعتبار مسألة نشأة الكثرة فقد دُعيتْ بالرجال ووُضِعَت في بيوت أنوار الوحي والإلهام وذِكْر الله تعالى .

وعلى أيّة حال فقد يكون سبب ذِكر نور جلال تلك السيّدة الكبرى في الأخبار والآثار بلحاظ صفة الأُنوثة في عالَم الكثرات ، ممّا يجعل كلّ ناظر يغضّ النظر عن ذلك ويُمنَع من الاطّلاع على جمالها الذي هو جمال الله . إنّ نور ذلك الجمال الربّانيّ الأزليّ الأبديّ السرمديّ يَبرُقُ ويتلألأ بشكل يُعمي بصر كلّ عين عاجزة ؛ ولهذا صار نور الجلال حجاباً لنور الجمال . وسيملأ دويُّ ملائكة القدس : **غُضُّوا أبْصَارَكُمْ** ، أسماع الخَلق وأركان ساحة المحشر الكبرى عند عبور سيّدة نساء العالمين ، وتعبر تلك السيّدة معدن الولاية ومنجم الإمامة يُغَطّيها حجاب تتدلّى منه آلاف **الحُجُزات**[1] ، ويربط كلّ واحد من شيعتها نفسه بواحدة من تلك الحُجُز ويتمسّك بها . فتتقدّم صلوات الله عليها حتّى تمثل بين يدي الله سبحانه في موقف عظيم ومشهد رهيب ، واضعة في كفّها اليمنى رأس ولدها **الحسين** بينما وضعت في كفّها اليسرى قميصه الملطَّخ بالدماء ، فتقول : ربّاه ! لقد ضحّى ولدي الحسين بكلّ ما لديه في سبيلك ، فهذا رأسه وهذا قميصه ! فما جزاؤه عندك يا ربّ ؟!

فيتقدّم **رِضوان** خازن الجنّة **ومالِك** خازن جهنّم في الحال ويسلّمانها مفتاحي الجنّة والنار ، ويضعانه في كفّيّ السيّدة الكبرى قائلينِ : إنّ الله

١ـ **الحُجزة ج حُجَز وحُجُزات وحُجَزات وحُجْزات: مَعقَد الإزار.** [المنجد].(م)

يقول : لقد أعطانا ولدك الحسين كلّ ما لديه ، فسنعطيه نحن كلّ ما لدينا ؛ فخذي مفتاحي الجنّة والنار وأدخلي مَن شئتِ من أحبّائكِ إلى الجنّة ، وألقي بمَن شئتِ من أعدائكِ إلى النار ، فهذا الموقف موقف العدل لديّ .

وَلَها جَلَالٌ لَيْسَ فَوْقَ جَلَالِهَا إلَّا جَلَالُ اللَهِ جَلَّ جَلَالُهُ
وَلَهَا نَوَالٌ لَيْسَ فَوْقَ نَوَالِهَا إلَّا نَوَالُ اللَهِ عَمَّ نَوَالُهُ

* * *

مِشْكَاةُ نورِ اللَهِ جَلَّ جَلَالُهُ
زَيْتونَةٌ عَمَّ الوَرَى بَرَكاتُها
هِيَ قُطْبُ دائِرَةِ الوُجودِ وَنُقْطَةٌ
لَمَّا تَنَزَّلَتْ أكْثَرَتْ كَثَرَاتُها
هِيَ أحْمَدُ الثَّانِي وَأحْمَدُ عَصْرِها
هِيَ عُنْصُرُ التَّوْحِيدِ فِي عَرَصاتِها

البحثان الثالث والرابع

استطاعة رؤية الله

وتفسير الآية المباركة

سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ
أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝
أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمَ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحيم

وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ

وَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى أعْدَائِهِمْ أجْمَعينَ مِنَ الآنَ إلَى قِيامِ يَوْمِ الدِّينِ

وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إلَّا بِاللهِ العَليِّ العَظِيمِ

قَالَ اللَّهُ الحَكِيمُ فِي كِتَابِهِ الكَرِيم :

سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْأَفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ (أي آياتنا) **ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ * أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ**.

(الآيتان ٥٣ و ٥٤ ، من السورة ٤١ : فصّلت)

لشرح الآيتينِ الشريفتينِ الآنفتَي الذِّكر ، يتحتّم علينا البحث عن صاحب الضمير في الآية الشريفة «**أَنَّهُ ٱلْحَقُّ**» .

في اعتقاد الحقير أنّ هذا الضمير يعود إلى المُقدّر والمستفاد من الفعل «**نُرِي**» وهو «**مُرَى**» (أي الآية والمرآة بلحاظ كونها آية ومرآة إلى الضمير «**نا**» . فما هو **المُرَى**[1] إذن؟ إنّها في الحقيقة آيات الحقّ المُبيِّنَة

١ـ **مُرَى** اسم مفعول من باب **أرى يُرى** من باب إفعال. لأنّ اسم الفاعل منه **مُـرْئى** واسم المفعول منه هو **مُرْأى**. وقد حُذِفت الهمزة للتخفيف بعد نقل حركتها إلى ما قبلها، **مُرِي** و**مُرَى**. وأمّا **مرئيّ** فهو اسم مفعول من باب **رأى يرى** ، واسم الفاعل منه **راءٍ** واسم ⇦

للحقّ . إذ لا يمكن أن يكون غير ذلك بحسب البلاغة القرآنيّة ، وكذا انسجام تتمّة الآية المذكورة والآية التي تليها . فلا يمكن أن يكون عَوْدُها إلى «**ءَايَـٰتِنَا**» ، ذلك أنّ «آيات» هي جمع مؤنّث مجازي ، فلا يجوز أن يعود ضمير المفرد المذكّر الغائب إليها بحال من الأحوال . وأيضاً لا يُعقَل أن تكون مضافاً إليه بالنسبة إلى «**نا**» ، إذ يجب أن يكون مرجع ضمير المذكّر الغائب إلى اسم الجنس للمذكّر الغائب ، في حين أنّ الضمير «**نا**» هو ضمير جمع المتكلّم مع الغير .

وكذلك لا يمكن أن يعود إلى القرآن كما قال به البعض ، وأوردوا دليلاً على ذلك ، وهو الآية التي تسبق هذه الآية مباشرة :

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ .

وذلك أنّ هذه الآية ، وإن تلاءمت مع الآيات الآفاقيّة الأُخرى وانسجمت معها ، إلّا أنّه لابدّ من تفسيرها وتأويلها فيما يتعلّق بالآيات الأنفسيّة . ومضافاً إلى ما قيل ، فإنّ هذه الآية لا تنسجم مع تتمّة الآية المذكورة والآية التي تليها ولا تتلاءم معها .

وكذلك الحال في مسألة عَود الضمير إلى «رسول الله» إذ إنّ رسول الله ليس مذكوراً في سياق الكلام ، اللهمّ إلّا باعتبار التوجيه ، حيث يمكن أن يقال : لأنّ إنكار القرآن مُساوق مع إنكار نبوّة رسول الله ، فقد أُشير إليه هنا باعتباره «حقّ» ، وهو مُساوقٌ مع ذِكر القرآن ، فلا يخلو هكذا توجيه حتماً من التكلُّف .

⇐ المفعول **مَرئيٌّ** . وقد كان اسم المفعول من ذلك في الأصل هو **مَرْءُويٌ** ، فطرأ عليه إعلال **مَرميٌّ** فأصبح **مرئيّ** . فـ«**رأى يرى**» متعدٍّ إلى مفعول واحد و«**أرى يُرِي**» متعدٍّ إلى مفعولين .

ولا ريب في أنّ الضمير المذكور لا يرجع لا إلى «الله» ولا إلى «التوحيد» ، باعتبار أنّ نتيجة ما حصل من إنكار المشركين لرسول الله وللقرآن ، هو إنكارهم وجود الله أو وحدانيّته ، لأنّ هذا النوع من العَوْد يستلزم كذلك الاستعانة بالتأويل ، ولا شكّ في أنّ تأويلاً كهذا يُخرجُ القرآن من حياض سلاسته وعذوبة بيانه .

إنّ ما ذكرناه هنا من تأويل الضمير وعَوده هو ما ارتكز عليه وأيّده إلى حدّ ما صاحب تفسير «مجمع البيان» : الشيخ الطبرسيّ والقاضي البيضاويّ وأُستاذنا الأكرم العلّامة الطباطبائيّ قدّس الله أسرارهم جميعاً . مع أنّ العلّامة أورد وجهاً آخر أيضاً في هذا الصدد ، وباعتقاد الحقير أنّه أقرب إلى الحقيقة ، هذا في حين لفتتْ نظري مطالب في كثير من التفاسير الأُخرى تدعو إلى الدهشة والإعجاب .

فأمّا إرجاع الضمير إلى اللفظ المقدّر «مُرَى» فهو أقرب لسببينِ اثنين :

أوّلهما : أنّ إرجاع الضمير في مثل هذه الحالات شائع الاستعمال كثيراً عند العرب ، وقد ورد مَثَلُهُ في القرآن الكريم كذلك : **ٱعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ**.[1]

فهنا نلاحظ أنّ الضمير «هُوَ» ليس له مرجع لفظيّ في الآية الشريفة ، ولذا لزم إرجاعه حتماً إلى لفظٍ تقديريّ مُستَفاد من «ٱعْدِلُوا» ، وهو فعل أمر للجمع المذكّر ، وهذا اللفظ التقديريّ هو الـ «عدل» .

وهنا وجب إرجاع الضمير إلى كلمة «عَدْل» وذلك كما يتبيّن من جهة سياق ومفهوم الآية ، لأنّنا حين نقول «ٱعْدِلوا» ثم نُتبِعها بقولنا : «هو أقربُ

١ـ الآية ٨ ، من السورة ٥ : المائدة.

للتقوى» ، ففي الحال يُفهَم من سياق الكلام ويتبادر إلى الأذهان أنّ «العَدلَ» المُشتَقّ من المصدر «ٱعْدِلُوا» هو الأقرب للتقوى من غيره .

ثانيهما : في الآية الشريفة التي هي مدار بحثنا هنا «سنريهم ءَايـٰتنا فى ٱلأَفاق وفى أنفسهم حتّى يَتَبيّنَ لهم أنّه الحقُّ» يتبادر إلى ذهننا مباشرة من أنّ الشيء «المُرى» هو الحقّ . وهو عبارة عن لفظة «مُرى» ، اسم المفعول من الفعل «نُرِي» ، بمعنى «**ءَايَـٰتِنَا**» .

ويتوجّب علينا أن نعلم أنّ ها هنا تكمن مسألة عظيمة وشاهد أعظم على توحيد الله تعالى ، وهي : أنّ الحقّ عبارة عن **ءَايَـٰتِنَا** (الآيات مضافة إلى الضمير «نا») ، ويُقصَدُ بها الآيات والدلائل التي أقرّها الله في الآفاق والنفوس للدلالة على توحيده .

لا جَرَمَ أنّ جميع الموجودات ، سوى الله سبحانه ، هي آياته تعالى ؛ سواء أكانت تلك الآيات واقعة في العالَم الخارج عن نفوس بني آدم ، أم تلك الحادثة في داخلها. لذا ، فليس هناك أيّ وجود مستقلّ لأيٍّ من المخلوقات ، بل هي في مجموعها آيات ومرايا وشواهد على سطوع جمال الذات المقدّسة للحقّ تعالى . ولأنّ هذه الآيات والمرايا لا تمتلك صفة الظهور بنفسها ، بل هي كلّها مظاهر للّه سبحانه ، لذا صار بالإمكان رؤية الله تعالى في كلّ واحدة من تلك الآيات . لأنّ الآية ـ بما هي آية ـ إنّما هي وسيلة لإظهار صاحبها (أي صاحب الآية) ، ولا تُبدي أو تُظهر نفسها هي على الإطلاق . إنّها مرآة صافية خالية من أيّ لون أو صدأ ، وعارية عن كلّ أنواع التموّج أو الخدوش . مرآةٌ تُري صورة الإنسان كما هي دون أيّة مغالطة أو تحريف . فإن تغيّر فيها أيُّ شيء أو تبدّل ، فذلك لأنّها غير صافية ولا يُمكنها أن تحاكي الواقع أو أن تكون ذات قيمة تُذكَر .

وعلى هذا فإنّ المرآة الصافية والماء الرقراق الزلال والهواء النقيّ في

فضاء مُضاء تبدو الآيتيّة واضحة كلّ الوضوح خلالهما لا يشوبها شيء، وكأنّه لا وجود لا للمرآة ولا للماء ولا للهواء، بل إنّ كلّ ما هو موجود إنّما هو موجودات ماثلة أمام تلك المرآة وداخل ذلك الماء ومُشاهَد في ما وراء النور والهواء.

كلّ ما موجود هو الله ولا وجود لشيء غير الحقّ. جميع الآفاق وكلّ الأنفُس إنّما هي آيات، ولا وجود لشيء أو موجود غير «نا» و«الله» و«الحقّ» في ما وراءها مطلقاً.

لا وجود لغير «الله» في عالَم الوجود. وكلّ ما سواه إنّما هو آية له لا أكثر. وهو وحده ذو الآية وصاحب العلامة، هو كلُّ شيء ولا شيء سواه. وذو الآية الذي هو الحقّ في هذه العبارة، هو نفسه الآفاق والأنفس. فالآفاق والأنفس هما حقّ إذن.

إنّ هذه الآية تُدَلِّل على أنّ حقيقة الآفاق والأنفس هي وجود الحقّ تعالى، وأنّها لا تملك شيئيّة ما في حدّ ذاتها، لأنّها إنّما وُصِفتْ على أنّها آية وعلامة، لا غير. وبالتالي فإنّ الحقّ تعالى عبارة عن واقع الآفاق والأنفس وحقيقتها. أينما تُوَلِّ وجهك فثمَّ وجود الله، وإلى أيّ شيء أرجعت بصرك ترى فيه الله. فما أكثر الأشياء، لكنّ الله واحد فرد صمد. فلا موجود في عالَم الوجود سوى الله. فالتعيُّنات والإنّيّات ومعها الماهيّات كلّ تلك أُمور عدميّة وباطلة، والوجود المقدّس للحقّ تعالى واحد، حيث يتجلّى في الآفاق والأنفس ويظهر في كلّ جنبة من جنباتها.

إنّ كلمة **لَا إلَهَ إلَّا اللهُ** المباركة التي هي كلمة التوحيد ومعنى التوحُّد والوحدة، إنّما أصلها راجع إلى كلمة **لَا مَوْجودَ سِوَى اللهِ** التي تنفي كلّ نوع من أنواع التعيُّن عن ذات الحقّ تعالى، وتُجرّده منه.

وخير دليل وشاهد على هذا الكلام هو تتمّة الآية الشريفة:

أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ .

أي أنّ الله سبحانه حاضر وناظر وشاهد بوجوده في وجود جميع الموجودات الآفاقيّة والأنفسيّة وكذلك في كلّ شيءٍ يمكن أن تُطلَق عليه كلمة شيء ، لا بكونه موجوداً آخراً أو في مكانٍ آخر ، وأنّ مُجَرّد عِلمه هو المحيط بالموجودات للتقدير فيها أو التحكُّم بها .

وأعجب من هذه التتمة هي الآية التي تليها :

أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌ .

فما السبب في كون هذه الآية أعجب وأغرب ؟ السبب في ذلك هو أنّ الله سبحانه يقول : إنّ الناس ليشكّون في لقاء الله ربّهم في حين أنّه موجود في الآفاق والأنفس ، وإنّ واقع الآفاق والأنفس هو الله الذي برز من خلال الآيات والعلامات ، وتجلّى فيها بوضوح . فلمّا كان الله سبحانه موجوداً في الآفاق والأنفس ومشهوداً في كلّ جزء منها ، ولمّا كان الله أوّل شيء ينظر إليه الناس من خلال رؤيتهم لأيّ شيء حولهم ولكلّ نفس من نفوسهم ، فلِمَ ، والحال كذلك ، يشكُّ الناس بوجود الله ويرتابون في أمره ولقائه ، مع وضوح تلك الآيات وجلاء تلك الصور والعلامات ؟!

ثمّ يقول سبحانه «إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌ» ، وهذا لا يعني الإحاطة العِلميّة الحضوريّة أو الحصوليّة ، بل إنّ ما يعنيه هو الإحاطة الوجوديّة وإحاطة المَعيّة التي يتجلّى فيها أوّلاً عبر وجوده مع كلّ آية وأيّة علامة في الآفاق والأنفس وإحاطته بها ، ثمّ تعيُّن تلك الآية وتشخُّصها ثانياً وبالعَرض والمجاز .

الله أوّلاً ومن ثَمّ باقي الموجودات . هو السابق وما دونه مسبوق مغلوب . هو القائم وما دونه إنّما هو يتقوّم به . هو الظاهر وبه تظهر الأشياء وتتجلّى .

الله نور وما دونه فهو مُنوَّرٌ بنوره . ولو كانت الأشياء قادرة على إظهار الله ، لاستَبدلتْ مكانها بمكانه ، ولأصبحت هي الإله ، ولأصبح الله هو المخلوق ، ولأصبحت الأشياء في سلسلة أعلى مراتب العلل ، ولكان الله هو المعلول . لا يمكن للّه أن يتّكل على غيره ، لا في أصل الخِلقة ولا في الظهور والآيتيّة . لذا ، فتعبير هو الحقّ يعني أنّه هو الموجود الأصيل عبر جميع مراتب الوجود ، من أصل الوجود ومن الظهور خلال مراتب الوجود .

وحيث علمنا أنّ الله سبحانه هو أصل النور ومبدأ الظهور وأصالة التحقُّق والوجود في الآفاق وفي الأنفس ، لذا وجب أن نعلم :كيف يتسنّى للإنسان معرفة هكذا ربّ ؟! فلو أراد الوصول إليه عن طريق معرفة غيره ، لم يصحّ ذلك ، لأنّ ما دون الله متعلّق ظهوره بالله سبحانه ، إذ الله هو المانح لظهوره فظهر كما يظهر ، فكيف يكون بالإمكان إذن الوصول إلى الله ، مع علمنا بأنّ الذي نروم معرفة الله عن طريقه إنّما هو ظاهر بظهور الله المُظهِر لذلك الشيء ؟!

إنّ المصباح المضيء في مسجد مضيء في نفسه وذاته ، وأمّا بقيّة الأشياء المضيئة في ذلك المسجد ، فهي مضيئة بنور ذلك المصباح ، لا بنورها هي بالذات . فنور المصباح ينتشر في ظُلمة المسجد ، والأشياء الموجودة في غياهب ذلك المكان تُضيءُ وتُنير بضياء المصباح ونوره . فَلِكَيْ نرى ذلك المصباح ونتعرّف عليه ، يتوجّب علينا رؤيته هو بذاته وليس نوره الساقط على الأشياء . لا يمكننا بحال من الأحوال رؤية المصباح نفسه من خلال نوره الساقط على الأرض والمنعكِس عن هذا الشيء أو ذاك . يجب رؤية المصباح بنفسه ، لا بالأشياء المظلمة المعتمة والمُنارَة بنوره والمستضيئة بضيائه .

إنّ لهذه المسألة شأناً من الشؤون ، إذ يجب معرفة الله عن طريق الله لا غير الله ممّن أساس وجوده وخِلقته وتسويته وحقيقته وظهوره مأخوذ من الله ومبنيّ على وجوده .

وهنا تبرز مسألة أُخرى إلى حيّز الوجود ، وهي أنّه كيف يمكن معرفة الله بواسطة الله نفسه سبحانه ؟ وما العمل بشأن كلّ تلك الأخبار الدالّة على استحالة معرفة الإنسان للّه تعالى أو الوقوف على كُنه ذاته المقدّسة ؟

لا سبيل إلى معرفة الله إلّا عن طريق آثار الله الدالّة عليه . ومع ذلك فإنّ تلك المعرفة لا يمكن أن تكون تفصيليّة ، بل إجماليّة . الحقُّ أنّ الأرض والسماء والخُضرة والماء والموجودات من الذرّة حتّى المجرّة ، مروراً بالبرغوث والبقّة حتّى الفيل ، أقول كلّ تلك المخلوقات هي مشاهد تدلّ على وجود الله سبحانه . هي آيات وعلامات تدلّ كلّ واحدة منها على وجود الله ، كلٌّ حسب سعته الوجوديّة . القرآن نفسه يدعونا إلى تتبُّع تلك الآثار والرجوع إليها كأصدق بيّنة على وجود الله .

ومن هنا تتجلّى مصداقيّة الحِكمة القائلة **تَفَكَّرُوا فِي آلاءِ اللَهِ؛ وَلَا تَتَفَكَّرُوا فِي ذَاتِ اللَهِ**[1] .

١ـ يقول الشيخ نجم الدين الرازي في رسالة «عشق وعقل» ص ٥٣ و ٥٤، بعد بحثه حول الصالحين المحجوبين عن نور الله: «هذه الطائفة هي أصحاب الميمنة، ومشربهم يكون من عالم الأعمال، ويكون معادهم درجات جنّات النعيم؛ ومع ذلك فلا سبيل لهذه الطائفة إلى معرفة ذات الله وصفاته في الحقيقة، لأنّهم مازالوا مقيّدين بآفة حُجُب الصفات الروحانيّة والنورانيّة؛ إذ **إنَّ لِلَّهِ [تَعالَى] سَبْعينَ ألْفَ حِجابٍ مِنْ نورٍ وَظُلْمَةٍ**. وقال في مكان آخر: **حِجابُهُ النُّورُ ، لَوْ كُشِفَتْ لَأَحْرَقَتْ سُبُحاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**. ولذا قيل لهذه الطائفة: احذروا من خلط العقل بالعقال في مجال التفكّر في ذات الحقّ جلّ وعَلا، لأنّه ليس له حدّ ؛ **تَفَكَّرُوا في آلَاءِ اللَهِ وَلا تَتَفَكَّرُوا فِي ذَاتِ اللَهِ**». ⇦

ومن جهة أُخرى علمنا أنّه لا يمكن معرفة الله سبحانه عن طريق الموجودات ، إذ كما قلنا لا يمكن معرفة الله إلّا عن طريق الله نفسه . وقد وردت روايات كثيرة في هذا الباب في أنّ الإنسان باستطاعته معرفة الله بذاته .

كانَ أمير المُؤمنين عليه السلام يخطب يوماً فسأله أحد الحاضرين قائلاً : **يَا أَمِيرَ المُؤْمِنينَ ! هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ ؟!**

فأجاب عليه السلام : **كَيْفَ أَعْبُدُ رَبّاً لَمْ أَرَهُ ؟!**

ثمّ أوضح عليه السلام ذلك بقوله :

لَا تَرَاهُ العُيُونُ بِمُشَاهَدَةِ الأَبْصَارِ ؛ وَلَكِنْ تَرَاهُ القُلُوبُ بِحَقَائِقِ الإيمَانِ.

ولدينا من الآيات القرآنيّة الشريفة ما يناهز العشرين آية أو أكثر وكلّها تدلّ على أنّ الناس سينالون شرف لقاء الله في يوم ما ، دون ريب .

وبين هذه المجموعة من الأخبار وتلك وقع العلماء في أشدّ حيرة من أمرهم ، قائلين : كيف يمكن حلّ مثل هذه المعضلة ؟!

فنهج البعض منهجاً يقول بأنّ الأخبار التي دلّت على عدم إمكانيّة

⇦ يقول المعلّق على الكتاب في ص ١٠٩ في معرض تعليقاته: «روي هذا الحديث بأشكال عدّة، منها: **تَفَكَّرُوا في خَلْقِ اللهِ وَلَا تَفَكَّرُوا فِي اللهِ فَتَهْلِكُوا. تَفَكَّرُوا فِي آلَاءِ اللهِ وَلَا تَفَكَّرُوا فِي اللهِ**. («جامع الصغير» ج ١، ص ١٣١ ؛ «كنوز الحقائق» ص ٥٢) **تَفَكَّرُوا فِي كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَفَكَّرُوا فِي ذَاتِ اللهِ ؛ فَإنَّ بَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ إلَى كُرْسِيِّهِ سَبْعَةُ آلَافِ نُورٍ وَهُوَ فَوْقَ ذَلِكَ**. («جامع الصغير»، ج ١، ص ١٣١) **تَفَكَّرُوا فِي الخَلْقِ وَلَا تَتَفَكَّرُوا فِي الخَالِقِ**. («قصص الأنبياء» للثعلبيّ ص ١٠ ، طبعة مصر؛ و«جامع الصغير» ج ١، ص ١٣١)».

أقول: قد روى الملّا عبد الرزّاق الكاشانيّ أيضاً هذه الرواية في كتاب «شرح منازل السائرين» ص ٦٣ ، انتشارات بيدار.

رؤية الله عزّ وجلّ وإدراكه ومعرفته كلّها صحيحة ؛ فإنّه لا سبيل لبني آدم إلى معرفة الله بأيّ شكل من الأشكال ، سواء كانت تلك المعرفة إجماليّة أم تفصيليّة . فأين الخالق من المخلوق ؟ **أَيْنَ التُّرابُ وَرَبُّ الأَرْبابِ !؟**

سأل أمير حسين الهَرَويّ ، عارف خراسان الكبير سنة ٧١٧ للهجرة العالِمَ المعروف في شَبَستَر آنئذٍ وهو الشيخ محمود الشبستريّ ، قائلاً :

كدامين فكر ، ما را شرط راه است ؟
چرا گه طاعت و گاهی گناه است ؟[١]

فأجابه الشيخ قائلاً :

در آلا فكـــر كـــردن شــرط راهست
ولى در ذات حــقّ مــحض گـناه است
بـــود در ذات حـــقّ انــديشه بــاطل
مــحال مــحض دان تـحصيل حـاصل
چو آيـات است روشـن گشـته از ذات
نگـــردد ذات او روشـــن ز آيـــات
هـــمه عـــالم ز نـــور اوست پـيدا
كـــجا او گـــردد از عـــالم هــويدا[٢]

١ـ يقول : «
أيُّ رأيٍ ألتَــزِمْ أو مَــنهَجِ أَفَأعصي مَرّةً ثُمَّ أتـوب؟»

٢ـ يقول : «إنّ التفكير في الآلاء شرط للوصول إليها، لكنّ التفكير في ذات الحقّ إثم محض.
إنّ التفكير في ذات الحقّ أمر باطل وهو أمر محال فاعلم ذلك.
إنّ الآيات ظاهرة وجليّة بذاته وليست ذاته جليّة بالآيات.
فالعالم كلّه ظاهر بنوره، ولكن أنّى أن يظهر هو بواسطة هذا العالم».

نگـــنجد نـــور ذات انـــدر مـظاهر
کـه سـبحات جـلالش هست قـاهر
رهـا کـن عـقل را بـا عشق مـی‌باش
کـه تـاب خـور نـدارد چشـم خـفّاش
درآن مـوضع کـه نـور حـقّ دلیـل است
چـه جـای گـفتگوی جـبرئیل است
فـرشته گـرچـه دارد قـرب درگـاه
نگـــنجد در مـقام **لِـي مَـعَ اللَـه**
چـــو نـور او مـلک را پـر بسـوزد
خـرد را جـمله پـا و سـر بسـوزد
بـود نـور خـرد در ذات انـور
بسـان چشـم سـر در چشـمهٔ خـور
چـو مُـبصَر بـا بـصر نـزدیک گـردد
بـصر از درک او تـاریک گـردد
سـیاهی گـر بـبینی نـور ذات است
بـه تـاریکی درون آب حـیات است[1]

١ـ يقول: «لا يمكن أن تُحدّ نور ذاته بالمظاهر، لأنّ سُبُحات جلاله هي القاهرة.
اهجر العقل وذُب في العشق، فإنّ عيون الخفّاش لا طاقة لها برؤية نور الشمس.
في ذلك الموضع الذي يكون نور الحقّ فيه هو الدليل لا مكان لحديث جبرئيل.
فالمَلَك لا يمكنه أن يكون في مقام «لي مع الله» وإن كان قريباً من ساحته عزّ وجلّ.
ذلك أنّ نوره يُحرق جناح المَلَك، ويُحرق العقل بتمامه.
مَثَلُ بصيص النور في ذاته النيّرة كمَثَل العين الباصرة بالمقارنة مع المصبّ.
فلو اقترب المُبصَر من البَصَر، لأظْلَمَ البَصَر وعجز عن دركه.
فإن تحسب نور ذاته سواداً، فهذا السواد وتلك الظلمة يحويان ماء الحياة».

سـيه جـز قـابض نـور بـصر نـيست
نـظر بگـذار كـاين جـاى نـظر نـيست
چـه نسـبت خـاک را بـا عـالم پـاک
كـه ادراک است عـجز از درک ادراک
سـيه روئـى ز مـمكن در دو عـالم
جـدا هـرگز نشـد و اللـهُ أعـلم
سـوادُ الوجـه فـى الدّارَيـن درويش
سـواد اعـظم آمـد بـى كـم و بـيش
چه مى‌گويم كه هست اين نكته باريک
شب روشـن مـيان روز تـاريک[1]

١ـ يقول : «ليس السواد سوى قابض وخاطف لنور البصر، فافهم أنّ هذا ليس مكاناً للنظر.

أين التراب من عالم الطهارة، فإنّ الإدراك هو العجز عن درك الإدراك.

سواد الوجه ليس منفصلاً عن الممكن في كلا العالمَينِ، والله اعلم.

إنّ سواد الوجه في الدارين درويش، وقد جاء السواد الأعظم من غير زيادة أو نقصان.

فماذا نقول في مسألة دقيقة كهذه، فهي كالليل المُضيء في نهار مُظلم».

«گلشن راز» لنجم الدين محمود بن عبد الكريم الشبستريّ، ص ١١ إلى ١٣، بخطّ عماد الأردبيليّ، منشورات مكتبة الأحمديّ، شيراز، ١٣٣٣؛ وقد أورد آية الله العلّامة الكبير الحاجّ الشيخ آقا بزرگ الطهرانيّ قدّس الله سرّه في «الذريعة» ج ١٨، ص ٢٢٦ و ٢٢٧ ما يلي :

« **١٣٠ : «گلشن راز»:**

قصيدة بالفارسيّة للشيخ العارف سعد الدين محمود الشبستريّ صاحب «مرآة المحقّقين» والذي ذُكِر في «كشف الظنون» أنّ هذا الكتاب هو من كتب الشيعة، وقد ذكر له أربع شروحات. وهذه القصيدة هي جواب على سبعة عشر سؤالاً على شكل أبيات شعريّة والذي بعث بها إليه من خراسان **السيّد أمير حسين الهروي: خليفة بهاء الدين زكريّا** ⇦

....

⇐ **المَلتانيّ: خليفة شهاب الدين السهرورديّ**. فأمّا السؤال الأوّل:

ز اهـل دانش و اربـاب مـعنى سـؤالى دارم انـدر بـاب مـعنى

يقول: «عندي سؤال لأهل العلم وأرباب المعنى في باب المعنى».

أوّلُ «گلشن راز»:

بنام آنكه جـانرا فكـرت آمـوخت چراغ دل به نور جان برافـروخت

يقول: «باسم من علّم الروح التفكير، وأنار سراج القلب بنور الروح».

وفي ذلك قوله:

نشـان نـاشناسى نـاسپاسى است شناسائىّ حقّ در خود شناسى است

يقول: «إنّ الجحود علامة اللامعرفة (الجهل) ومعرفة الحقّ هي في معرفة الذات».

وفي النهاية يذكر وجه تسمية ذلك إذ يقول:

از آن گلشن گرفتم شـمّهاى بـاز نـهادم نـام او را «گـلشن راز»

يقول: «أخذتُ من الرياض قطفة وأسميتُها «گلشن راز» (=رياض الأسرار)».

وذكر تأريخه بقوله:

گذشته هيفده از هـفتصد سـال ز هجرت ناگهان در ماه شـوّال

يقول: «في شهر شوّال، سبعمائة وسبع عشرة مضين من الهجرة».

وآخر بيت منه هو:

بنام خويش كـردم خـتم پـايان الهى عـاقبت «مـحمود» گـردان

يقول: «ختمتُ الكتاب باسمي، فاجعل اللهمّ عاقبتنا محمودة».

وقد طُبع مع شرحه في «مفاتيح الإعجاز». وله شروح أُخرى كذلك تزيد عـلى أحـد عشر شرحاً؛ منها تعليقات الخواجة عبد الرحيم الخلوتيّ. (علماء آذربايجان: ١٤٢) وقد ذكر الميرزا حسن شفيع زاده الشبستريّ تلك الشروح في كتابه الكبير الذي ألّفه فـي تـرجـمة الشبستريّ.

وقد تُرجِم «گلشن راز» إلى اللغة الألمانيّة سنة ١٢٥٤هـ (الموافق لسنة ١٨٣٨م). وكذلك تُرجِم شعراً إلى اللغة التركيّة، ونُظّم بالفارسيّة على شكل تخميسات. وقد شرح محمّد ⇐

فـلو قـضى الإنســان ســنيّ حـياته بـالجهدِ والاجـتهاد والتـفكُّر والاسترشاد ، لما وصل إلى نتيجة ترضيه أو حِلٍّ يُغنيه ، ودليل ذلك الأخبار المرويّة هنا . وأمّا الأخـبار القـائلة بأنّ الإنسـان يـرى اللـه وتـحصل لديـه المعرفة به ، فيجب حملها على المعنى المجازيّ . أيّ أنّ مَعنى رؤية الإنسان للّه تعالى هو أن يرى نِعَمَهُ ومخلوقاته العينيّة وملائكته ورضوانـه ومـنازل الجنّة والحُور والقصور في الجنّة ، ليس إلّا .

في حين يعتقد البعض الآخـر أنّ بـالإمكان رؤيـة اللـه عـزّ وجـلّ ، ويؤوِّلون الروايات القائلة بعدم القدرة على رؤية الله سبحانه على أنّها تريد بـذلك عـدم إمكـانيّة رؤيـته تـعالى بـالعين الإنسـانيّة المـوجودة فـي رأس الإنسان ، ولم تقل بعدم إمكانيّة ذلك بعين القلب ؛ وتريد بذلك عدم إمكانيّة رؤيته تعالى بالباصرة ولم تُصرّح أنّ ذلك غير ممكن بالبصيرة ، وعلى هذا فتلك الأخبار مفهومة القصد .

إنّ الإنسان يرى الله بحقائق الإيمان ، وهذا ممّا تـدلّ عـليه الآيـات القرآنيّة ، بل الحقّ أنّها تُصَرِّح بذلك دون لبس ولا مجال للاعتقاد بكـونها مجازيّة . ولِمَ يتكلّم الله بالمجاز ؟ هل أُغلِقَتْ طـرق الصـراحـة والحـقيقة أمامه حتّى يذكر في أكثر مـن عشـرين مكـاناً فـي القـرآن الكـريم لقـاءه والتأكيد على ذلك ؟ وهل هدفه من كلّ تلك الآيات هو التقاء أنواع مختلفة

⇦ ابن محمود الدهدار بيتاً واحداً سمّاه «مرآة الحقائق»، وله شروحات أُخرى لأبياته منفردة. وجدير بالذكر أنّ نُسَخ الكتاب الخطّيّة متوفّرة في الأسواق؛ وأمّا أقدم تلك النسخ، حسب علمي، فتوجد عند مهدي البيانيّ في طهران ويرجع تأريخها إلى سنة ٧٥٤ هـ، و(أدبيّات: ١٠٩د) بتأريخ النصف من رجب سنة ٨٣٠، و (دانشگاه: ١٩٣٠) ربيع الأوّل ٨٣٥، و(مجلس: ٩٦٦) والذي كُتب في سنة ٨٥٨».

من التفاح والكُـمّثرى والعـنب والرُّطَب والحـوُر العـين والغـلمان **جَـنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ** ؟!

إذن ، والحال هذه ، علينا أن نُـؤوِّلَ الأخـبار التـي تـؤكّد عـلى عـدم إمكانيّة رؤية الله عزّ وجلّ على أنّها نتيجة لدرجات المـعرفة غـير التـامّة ، مقارنة بإمكانيّة رؤيته تعالى ، بل إمكانيّة حدوث ذلك وتحقُّقه في الخارج . تلك المعرفة أو المعارف الجزئيّة التـي تـحدث للـناس كـالمعرفة الحـاصلة بالذات والحقيقة عن طريق شـبح أو صـورة حسب تـصوّرهم ، فـيريدون بذلك التوصّل إلى كيفيّة وكـمّيّة اللـه عـزّ وجـلّ وشكـله وصـفاته ، حـيث يجعلون كلّ ذلك بمثابة آية للّه ذي الآية .

إنّنا نجد أنفسنا مضطرّين لبيان مقدّمة هنا إذا شئنا الفصل بين هاتين المجموعتين ، مستعينين بحول الله وقوّته . ومع كون هذه المـقدّمة بـمثابة قانون علميّ وقاعدة حِكَميّة وفلسفيّة ، إلّا أنّنا سنسعى جاهدين في بـيانها بصورة مبسّطة حتّى يكون بالإمكان فهمها :

حتّى يكون بإمكان أيّ موجود الحـصول عـلى مـعرفة كـافية وعِـلم شامل عن موجود آخر ، يتوجّب وجود شيء من ذلك الموجود (الثاني) في هذا الموجود (الأوّل) . إنّنا نرى الكثير من الموجودات في العالَم من حولنا ، منها الإنسان ، والحيوان على مختلف صوره وأشكاله وآثاره وخـواصّـه ، فالبقر والغنم والإبل والطير والبطّ ،كلّ هذه تختلف عن بعضها البعض .

وهناك الشجر والحجر والماء . وهي كلّها موجودات كثيرة مـختلفة ، والكثرة تستلزم ذلك الأختلاف والتنوع الموجود فيما بينها .

فالشجرة كيان منفصل عن الحيوان ، لأنّها تختلف وتتميّز عنه ، وإلّا لكانَ الاثنان شيئاً واحداً . وزيد غير عمرو ، والوالد ليس بالولد . فلو كـانا

متشابهين تماماً في جميع الجهات لماكانا اثـنين بـل كـانا واحـداً . وهـذه المقدّمة مفهومة ولا تحتاج إلى نقاش .

والآن ، وبـعد أن عـلمنا أنّ فـي هـذا العـالَم وهـذه الدنـياكـلّ تـلك الكثرات ،كيف يمكن لشيء ما أن يتوصّل إلى معرفة شـيء آخـر والعـلم به ؟! فمثلاً ،كيف يعلم الخروف بوجود بقرة ها هنا ، ويتوصّل الجَمَل إلى العلم بأنّ الحصان حيوان لا عداوة له معه ؟ ويفهم الثـعلب أنّ الأسـد عـدوّ لدود له ، ويدرك الخروف أيضاً أنّ الذئب عدوّه وقاتله ، وهكذا الحال مع جميع أصناف الحيوانات ؟

إنّ الإنسان يعرف الكـثير مـن المـوجودات ، فـهو يـعرف الشـجرة والحيوان والأفراد من أنواع جنسه ، مع أنّ تلك الأشياء منفصلة عن الإنسان مختلفة عنه في كثير من النـواحـي ، وهـو أمـر بـديهيّ ومـعروف ، إلّا أنّ الإنسان يعلم بها ويتعرّف عليها بهذه البساطة . فكيف تسنّى له ذلك ؟

لقد توصّل الحكماء الأفاضل إلى إنشاء قانون مفاده :

لَا يَعْرِفُ شَيْءٌ شَيْئَاً إلَّا بِمَا هُوَ فِيهِ مِنْهُ .

فحين أعلَمُ بوجود حيوان ،كالخروف مثلاً ، فما مـقدار مـا أسـتطيع الحصول عليه من المـعرفة بـهذا الخـروف ؟! بـنفس الكـمّ المـوجود مـن الخروف في ذاتي شخصيّاً . فما الموجود من الخروف في ذاتي ؟ هل هي الحـيوانـيّة ، أم الإحسـاس ؟ هـل هـي الحـركة بـالإرادة ، أم الجسـميّة أم الجوهريّة ؟ أم هل هي الآثار والخواصّ ولوازمها (كالقوّة المغذّية أو النامية أو الدافعة أو المُوَلِّدة وغير ذلك) وإدراك الجزئيّات؟ ربّـما كـان ذلك الحسّ المشترك ومعرفة الصديق والعدوّ (بما يتناسب وحصول المنفعة واجـتناب الضرر)؟كلّ تلك الأُمور هي خواصّ وعلائم مشتركة موزّعة بين شـخصي وبين الخروف بالسويّة ، وقد استفادكـلٌّ مـنّا مشـتركاً مـن تـلك الخـواصّ

والعلائم .

وعلى الرغم من ذلك ، فلا سبيل أمامي على الإطلاق للعِلم بالخروف من خلال الخصائص والمميّزات التي تفصلني عنه وتـميّزني مـنه . لأنّـه ، وعلى افتراض حصولي على علم بالخروف ، سواء كان ذلك العلم في «ما به الاشتراك» معه أم في «ما به الامتياز» عَنه ، فعلى أساس تلك الفرضيّة ، وجب أن أكون أنا الخروف عينه والخروف هو عيني ، وهذا ما يدعى بالخُلف[١] .

إنّ العلم بأيّ موجود والاطّلاع عليه من قِبَل موجود آخـر والتـعرّف عليه يتأتّى من طريق معرفة الخواصّ المشتركة فيما بين هذين الموجودين وليس من الامتيازات بينهما ، فطريق العلم والعرفان مفتوح فقط فـي بـيان المشتركات (أو الخواصّ المشتركة) ، في حين أنّ الطـريق نـفسه مسـدود عند البحث في المتميّزات ، وإلّا كـنّا جـميعاً مـتشابهين ، ولتشـابهت كـلّ الموجودات كذلك مـع بـعضها البـعض . أي لو كـان المـجال (مـجال العـلم والمعرفة) مفتوحاً للبحث في جميع الجزئيّات والكثرات ، لأصـبحت كـلّ الموجودات بالضرورة موجوداً واحداً . ولكـان الحـصان والبـقر والجَـمَل والخروف والطيور والزواحف والحيوانات البحريّة والجـوامـد والنـباتات وقبائل الجِنّ والملائكة ، موجوداً واحداً لا اختلاف يُذكَر بـينها ، فـتزول بذلك الأسماء عن المسمّيات وتدعى كلّها باسم واحد .

والآن ، وجب أن نسأل أنفسنا نحن الذين نريد التعرّف على الله عزّ وجلّ ، مَن هو الله الذي نروم التعرّف عليه ؟! أيـن اللـه عـزّ وجـلّ وأيـن نحن ؟ فنحن مخلوقون وهو الخالق ، ونحن مرزوقون وهو الرازق ، ونحن معلومون وهو العالِم ، ونحن مقدور علينا وهو القـادر ، ونـحن مـحكومون

١ـ أي ما يُستَدلُّ فيه بامتناع أحَد النَّقيضَيْنِ على تَحَقُّق الآخر.(م)

وهو الحاكم ، ونحن مملوكون وهو المالك ، وهكذا دواليك .

الله عزّ وجلّ هو خالقنا ، وهو الذي وهب لنا الجسد والفكر والعقل ، ومنحنا الروح والنفس ، وتلك كلّها مجرّد مظاهر من لدن الله . والله ظاهر في ذاته عزّ وجلّ ، وهو الذي فرض لنا الظهور ووهبنا إيّاه ، لكنّ هذا الظهور إنّما هو ظهور مستند إلى ظهوره هو عزّ وجلّ .

ما مقدار القوّة والاستطاعة التي نملكها حتّى نعرف الله بواسطتها ؟! إنّ ذلك المقدار هو مقدار وجود الله سبحانه في ذواتنا . وما هو المقدار الموجود من ذات الله عزّ وجلّ فينا ؟! ما المقدار من ظهور الله ؟! ما المقدار من علم الله ؟! ما المقدار من قدرة الله ؟! وأخيراً ، وليس آخراً ، ما المقدار من حياة الله ؟!

لقد خلقنا الله عزّ وجلّ **أَحْسَنِ تَقْوِيم**[1] وأودع فينا من جميع الأسماء الحسنى والصفات العليا ، وجعل أنفسنا من الهيولى (أي قابليّة محضة لأيّة فعليّة متصوّرة في طريق التقدّم والكمال والتخلُّق بأسمائه وصفاته) . ولم يجعل لنا حدّاً ولا حدوداً من جهة الاستعداد والقدرة على التقدّم والتكامل والارتقاء في سُلّم اليقين والوصول إلى العرفان والتوحيد والفَناء في ذات الله المقدّسة والرُّسوّ عند صفاته الحسنى . فكما أنّه عزّ وجلّ غير متناهٍ ذاتاً ووجوداً وفعليّة في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، فقد جعلنا نحن كذلك لا متناهين قابليّة وإيجاداً واستعداداً .

وعلى هذا ، فبإمكاننا التقدّم إلى قمّة درجات صفاته وأسمائه من جهة الإمكان والاستعداد ، وبإمكاننا أيضاً التخلُّق بجميع ذلك كلّه . أمّا من حيث الفعليّة وتحقّق تلك القابليّة وتمركزها حول الحياة والصفات والأفعال ، فإنّ

١ـ مقتبس من الآية ٤ ، من السورة ٩٥ : التين : **لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ** .

ذلك منوط بالحركة والجهاد مع النفس وسلوك الطريق الواصل إلى الله سبحانه .

فإذا ابتعدنا في مسيرنا عن جلاله ونأيْنا بأنفسنا عن مسلكه ، وخُضنا في هوى النفس الأمّارة بالسوء ، وأعْتَمتِ الطبيعة والكثرة أبصارنا ، وأغشَت **أَدْنَى العَوَالِم** نواظرنا ، ولم نُعِر أهمّيّة تُذكَر لنور الوجود والبساطة في الإطلاق والتجرُّد ، وصار جلُّ سعينا هو الإستمرار في السّير في طريق الابتعاد والعزلة ، ففي هذه الحالة علينا أن نعترف أنّنا لم نعرف الله إلّا النزر اليسير ، وأنّنا هدرنا قابليّاتنا وإمكاناتنا تحت شعار الجهل والحماقة والكسل ، لأنّنا ، ومع الأسف ، لم ننتفع من وجود الآصرة بيننا وبين خالقنا على الوجه الصحيح .

وأمّا إذا صعد البشر سُلّماً أفضل ، ورقي فيه درجة أعلى ، وأبصر العالَم ببصيرته من زاوية أوسع ، وجهد في إصلاح نفسه مُخلّصاً إيّاها من الكثرات والموجودات المختلفة والمتفرّقة والمتشتّة والمتبدّلة ، فيكون بذلك قد عرف الله عزَّ وجلّ بنفس ذلك المقدار ، لأنّ الله العليّ الأعلى مثله كمَثَل الشمس الساطعة في كبد السماء التي تُضيء العوالم كلّها ، ولو أطرقنا برؤوسنا إلى الأسفل وأرخينا عيوننا إلى الأرض ، فإنّنا لن نرى إلّا نور تلك الشمس في هذا الرفّ أو ذاك ، أو في هذا البستان أو ذاك . وأمّا إذا رفعنا رؤوسنا قليلاً إلى الأعلى وتخلّلت أبصارنا الغيوم واخترقت ركام السحاب ، فلا ريب في أنّنا سنرى قدراً أكبر من نور الشمس لم نكن لنراه ونحن مطرقي الرؤوس ، وسنبصر الأُفُق بقعة منيرة ومكاناً ساطعاً بسبب ذلك النور . ولو عرجنا من هناك إلى مرتبة أعلى فسيكون بإمكاننا مشاهدة قرص الشمس المتوهِّج المُشِعِّ بنوره على وجه الأرض . ولو حالفنا الحظُّ وقدرنا على الصعود أكثر فأكثر فإنّنا سنرى بعض الكريّات التي تُدعى

بالكواكب والسيّارات في منظومتنا الشمسيّة . وإن استمرّينا في العلوّ حتّى اقتربنا من قرص الشمس فإنّنا سنطّلع على خصوصيّات أكثر لها كلّما سنحتْ لنا الفرصة من الاقتراب نحوها أكثر .

كذلك الحال مع الإنسان ، فلأنّه موجود يعكس كلّ الصفات الجماليّة والجلاليّة الربّانيّة ، وهو أيضاً يمثّل الظهور التامّ والمظهر الأتمّ للّه عزّ وجلّ ، فهو يمتلك قابليّة المرونة والمسير معاً . لكن ، ما هي قابليّة مرونته وما هو مسيره ؟ هي تجاوزه للموجودات الباعثة على التفرّق والفرقة ، للهواجس النفسانيّة الباطلة التي تحيط بعقيدته ، للخيالات والأحلام المُمَوَّهة والأفكار المُشوَّهة التي تذهب به بعيداً عن عالم القرب ، فليست قابليّة المرونة إلّا مجموع ذلك ، ولا شيء غيرها .

يتحتّم على الإنسان أن يترفّع بمنزلته وينأى بها عن ما يقتاته الحيوان في زريبته ، ويأنف عن الناسوت والمادّة ويتنزّه عن أصالة الطبيعة . عليه أن لا يعير كلّ ذلك اهتماماً استقلاليّاً أو أهمّيّة كبيرة ، وأن يتوجّه نحو عالم الملكوت ويوجّه فطرته إلى الوجهة الربّانيّة وملكوتها ، وأن يذوب وينصهر فيها ، وأن يصرخ بأعلى صوته :

وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضَ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، إنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ . [1]

١ـ هذه الفقرة من الدعاء هي من ضمن الأدعية السبعة في التكبيرات الافتتاحيّة في الصلاة والتي ذكرها آية الله السيّد محمّد كاظم اليزديّ أعلى الله مقامه في كتاب «العروة الوثقى» في باب الصلاة، فصل (تكبيرة الإحرام)، وهو دعاء مأثور عن الأئمّة المعصومين عليهم السلام، مقتبس من آيتين من آي القرآن الكريم، الأُولى: الآية ٧٩، من السورة ٦ : ⇦

فحينئذٍ ، وكلّما كانت وجهة القلب تزداد ميلاناً إلى هذا النحو ، سيقترب أكثر من عالَم القدس الذي هو عالَم الطهارة والتجرّد والنقاء والقدس ، وسيزداد اتّصافاً بالصفات الإلهيّة ، حتّى يوفَّق بعد ذلك إلى لقاء حقيقيّ بربّه فيصبح حقّاً وواقعاً من العارفين بالله عزّ وجلّ . وهو لن يُوَفَّق للّقاء بخالقه وحسب ، بل وكذلك سيتخلّق بأخلاق الحقّ تعالى بكلّ وجوده من قمّة رأسه حتّى أخمص قَدَمَيْهِ .

إنّ الذين يقولون :«لا يمكن للإنسان الوصول إلى معرفة الله سبحانه ولقائه ، وهو عاجز عن الوصول إلى ذلك المقام المنيع وتلك الذروة الرفيعة ولا حتّى إيجاد السبيل إلى ذلك ، فإنّ هذه المقولة ستصحّ ما دام بقي من وجوده وكيانه شيء يذكر ، فهذا الوجود هو مخلوق ، والمخلوق هو ما امتلك حالة التعيّن ، فلا يمكنه ، والحال هذه ، إيجاد سبيل ليصل به إلى الخالق الذي يفتقد التعيّن واللامتناهي . ليس بمقدور الإنسان معرفة الله بوساطة الفكر والتفكير ولا حتّى بطريق الإدراك ، ذلك أنّ الفكر والتفكير محدودان بينما الله سبحانه لا حدّ له . فكلّما حاول الإنسان جهده الإحاطة بالله بالتفكّر والقدرة العقليّة كان ذلك له محالاً ، ذلك لأنّ صورة تفكيره ، وهو ذهنه ، هي صورة تخيّليّة من صُنعِه وصنيعته هو ، فأين ذلك من الله عزّ وجلّ ؟

⇐ الأنعام، وهي قوله تعالى حكاية عن قول إبراهيم عليه السلام إذ قال لقومه: **إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ**. والثانية الآيتين ١٦٢ و١٦٣، من نفس السورة، هي قوله تعالى خطاباً للنبيّ الأكرم يأمره أن يقول للمشركين: **قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ**.

لذا ، فإنّ الأخبار الدالّة على أنّ الإنسان عاجز عن معرفة الله تستند كلّها بالأساس إلى هذا المعنى . وأمّا الأخبار القائلة بإمكانيّة تشرّف الإنسان بلقاء ربّه وحصوله على معرفة تامّة به ، فهي لا تستدلّ بإمكانيّة هذا الوصول وذلك اللقاء عن طريق الفكر والتفكير ، بل عن طريق الوجدان والإحساس في القلب . أيّ كأنّهم يقولون : اجتز حاجز الفكر وتخطَّ حدود العقل ، ثمّ اخلع عنك النَّفْسَ وترفّع عن القلب كذلك ، ثمّ صِلْ إلى مرحلة لا ترى فيها وجوداً لذرّة من كيانك ولا تجد فيها ما كان منك فيما سبق ، وحينئذٍ ، تلاشَ !

فلا وجود هناك لفكر أو عقلٍ أو نفس أو روح أو وجود بالمرّة . فليس هناك مجال لالتئام الفكرة أو تَجَسُّد الشعور أو الإدراك . ليس هناك من موجود يُذكَر . هناك ، حيث يوجد الله وحسب ! والله يعرف نفسه ويعلم ما فيها . في تلك اللحظة فقط يستطيع الإنسان أن يعرف الله ، تلك اللحظة التي لم يعد فيها ذلك الإنسان إنساناً ، لم يعد يدرك معنى لوجوده مقابل ذات الله عزّ وجلّ . فمتى برزتْ ذرّة من الوجود لم يعد لنور الله وجود في مقابل ذلك .

فهذا العالَم هو عالم المقرَّبين الذي تجرّد من كلّ شيء ، ولا مُقام لأيّ شيء آخر بينهم ، أي أنّه لا وجود لهم . فهم لا يملكون وجوداً ، لكنهم أحياء بحياة الله ، وفي الوقت نفسه فهم موتى من حياتهم . وهم لا يملكون شيئاً يتباهون فيه أمام وجود الله . هناك يوجد الله ، والله فحسب . هؤلاء قد اجتازوا مراتب الكثرات ، وعبروا حدود التعيّنات ، وخلعوا عن أنفسهم الحُجُب وأزالوا عنها الستار ، وهم بالتالي قد جاوزوا حُجُب الظُّلمات وحُجُب النور .

ولقد اجتاز الرسول الأعظم كلّاً من كثرات عالَم الطبع وعالَم البرزخ

وعالَم العقل ـ كلّاً حسب ما يناسبه ـ ، هذا من جهة ، ومن جهة أُخرى فقد اجتاز منزلة نفس الملك ـ التي تمتلك التعيّن والحدّ كذلك ـ حتّى وصل إلى مقام «**قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ**» حيث لا يوجد شيء سوى الله وحده !

... **وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ** (ذراعين) **أَوْ أَدْنَىٰ * فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ * مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ * أَفَتُمَـٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ * وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ * عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ * عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ * إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ * مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ * لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ * أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّـٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ * وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ** (التي هي نماذج مؤنّثة من الملائكة السماويّين وواسطة لنزول فيض الله تعالى إلى الأرض) * **أَ لَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ * تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ**(أن يكون للّه قوىً انفعاليّة ويكون لكم قوى فعليّة) * **إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَـٰنٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ** (القرآن والرسالة) .[١]

لقد كان المراد من «**شَدِيدُ ٱلْقُوَى**» هو الله صاحب المقام الأقدس ، كما في قوله تعالى : **إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ** .[٢]

وأمّا القول بأنّ المراد من ذلك هو جبرائيل فمستفاد من الآية المباركة : **ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ**[٣] ، وعلى هذا الأساس فالمقصود

١ـ الآيات ٧ إلى ٢٣ ، من السورة ٥٣ : النجم. وقبلها : **وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ** (أي هوى للغروب) * **مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ** (أي رسولنا) **وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ * عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ * ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ** .

٢ـ الآية ٥٨ ، من السورة ٥١ : الذاريات.

٣ـ الآية ٢٠ ، من السورة ٨١ : التكوير.

بـ «شَديدُ ٱلقُوى» هو جبرائيل ، وأنّ الضمائر المذكورة في الآيات : **ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ * وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ** ،كلّها تعود إليه أيضاً . وكذا الحال مع ضمير المفعول في الآية الشريفة **وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى** حيث يعود إلى المَلاك جبرئيل .

وأمّا الضمير في **فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ** فيعود بالتأكيد إلى الله عزّ وجلّ ، والمراد بـ**مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ** فهو رؤية فؤاد رسول الله حقيقة الوحي مشافهة ورؤية ولقاء الله سبحانه كذلك .

وأيّاً كان القول فإنّ ممّا لا شكّ فيه أنّ هذه الآيات تدلّ كلّها على أنّها أُوحيَت من قبل البارئ عزّ وجلّ إلى رسوله الكريم ، وأنّ صيغتها بهذا الشكل إنّما هي دليل على أنّها أُوحيت بطريق المشافهة الذي يتطلّب الحضور والالتقاء حتماً .

كلّ ما في الأمر ، أنّ الألقاب والصفات الخاصّة بجبرئيل المذكورة في الحالة الأُولى قد زُحزِحَتْ ووُضِعَت جانباً في الحالة التالية ، ليأتي دَوْر تلقين الوحي والتدلّي والدُّنوّ من مَقام العزّة والحقّ تعالى ، ورؤية ذلك الجلال الإلهيّ ، فإنّ الدنوّ والاقتراب والرؤية في الحالة الجديدة كلّها تعود إلى الله عزّ وجلّ حيث عاين رسول الله كلّ ذلك ليلة عُرِج به إلى العُلى ، ورأى الله وزاره بقلبه وبصيرته في تلك الليلة المباركة .

ولقد وردت أبحاث مفصّلة في التفاسير المختلفة حول لقاء وزيارة ليلة المعراج .

فسماحة أُستاذنا الأكرم العلاّمة آية الله الطباطبائيّ قدّس الله تربته المنيفة يقول : «وما أوردناه من الآيات هي الفصل الأوّل من فصول السورة الثلاثة وهي الآيات اللاتي تصدق الوحي إلى النبيّ صلّي‌الله عليه وآله وتصفه ، لكن هناك روايات مستفيضة عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام

ناصّة على أنّ المراد بالآيات ليس بيان صفة كلّ وحي ، بل بيان وحي المشافهة الذي أوحاه الله سبحانه إلى نبيّه صلّى الله عليه وآله ليلة المعراج .

فالآيات متضمّنة لقصّة المعراج وظاهر الآيات لا يخلو من تأييد لهذه الروايات وهو المستفاد أيضاً من أقوال بعض الصحابة كابن عبّاس وأنس وسعيد الخدريّ وغيرهم على ما روي عنهم وعلى ذلك جرى كلام المفسّرين وإن اشتدّ الخلاف بينهم في تفسير مفرداتها وجملها» [1]

وعلى هامش الآية الشريفة **مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ** ـ يقول العلّامة قدّس الله روحه :

«وليس في الآية ما يدلّ على أنّ متعلّق الرؤية هو **الله** سبحانه وأنّه لمرئي له صلّى الله عليه وآله ، بل المرئيّ هو **الأُفق الأعلى والدنوّ والتدلّي** وأنّه أُوحي إليه ، فهذه هي المذكورة في الآيات السابقة وهي آيات له تعالى ، ويؤيّد ذلك ما ذكره تعالى في النزلة الأُخرى من قوله :

مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ * لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ .

على أنّها لو دلّت على تعلّق الرؤية به تعالى لم يكن به بأس فإنّها رؤية القلب ورؤية القلب غير رؤية البصر الحسّيّة التي تتعلّق بالأجسام ويستحيل تعلّقها به تعالى وقد قدّمنا كلاماً في رؤية القلب في تفسير سورة الأعراف ، الآية ١٤٣» . [2]

١ـ «الميزان في تفسير القرآن» ج ١٩ ، ص ٢٦.

٢ـ «تفسير الميزان» ج ١٩ ، ص ٢٩.

يقول المؤلّف الفقير: ورد في كتاب «نفائس الفنون» ج ٢٧ ، ص ٦٨ و ٦٩:

«الفصل الحادي العشر، في بيان الوصول:

اعلم أنّ الوصول إلى حضرة البارئ عزّ وجلّ ليس من قبيل وصول الجسم إلى الجسم، أو وصول العرض إلى الجسم، أو العلم إلى المعلوم، أو العقل إلى المعقول؛ تعالى الله ⇦

وقال رحمة الله عليه في تعليقه على الآية الشريفة **وَلَقَدْ رَءَاهُ نَـزْ لَـةً أُخْرَىٰ** :

«وقد قالوا : إنّ ضمير الفاعل المستكن في قوله **رَءَاهُ** للنبيّ صلّى الله عليه وآله ، وضمير المفعول لجبرئيل ، وعلى هذا فالنزلة نـزول جـبرئيل ليعرج به إلى السماوات ، وقوله :

عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ظرف للرؤية لا للنزلة ، والمراد بـرؤيته رؤيـته وهو في صورته الأصليّة .

والمعنى : أنّه نزل عليه صلّى الله عليه وآله نزلة أُخرى وعُرِج به إلى السماوات وتراءى له صلّى الله عـليه وآله عـند سـدرة المـنتهى وهـو فـي صورته الأصليّة .

وقد ظهر ممّا تقدّم صحّة إرجاع ضمير المفعول إليـه تـعالى والمـراد بالرؤية رؤية القلب والمراد بـ: **نَزْ لَةً أُخْرَىٰ** نزلة النبيّ عند سدرة المـنتهى في عروجه إلى السماوات ، فالمفاد أنّه نزل نزلة أُخرى أثناء معراجه عـند

⇐ عن ذلك علوّاً كبيراً.

وكذلك ليست مسألة الوصول إلى حضرته هي بفعل العبد ، بل هي لطف دون علّة وتصرّف الجذبات الأُلوهيّة. ألم تَرَ إلى موسى وقد قال، وهو يسعى إلى رؤية الرؤية: **ربّى أَرِنِى أَنظُرْ إِلَيْكَ** ، فقال: **لَن تَرَانِى!** لكنّ رسول الله صلّىالله عـليه وآله وسـلّم، وبـحكم **سُبْحَانَ ٱلَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا** أُرْكِبَ البُراق وعُرج به (إلى السماء) مجتازاً **قـاب قـوسين** حتّى وصل مقام **أو أدْنى** ، وأُلبِسَ كلّ لباس محمّديّ بحكم **ما كانَ مـحمّداً أبـا أحـدٍ مـن رجالِكُم** وبُعِثَ رحمةً وتشرّف بالخطاب القائل **وما أرسلناك إلّا رَحْمَةً للعالَمين**. فكلّ من لم يستطع أن يحلّق ببراق القدرة من حضيض البشريّة إلى **سدرة منتهى** الروحانيّة فـليعرّج على حضرته ويقدّم له الولاء والطاعة، لأنّ من وصل إليه فقد وصل إلينا ؛ **من يُطِعْ الرسول فقد أطاعَ الله**» إلى آخر البيان الذي أورده في هذا الفصل.

سدرة المنتهى فرآه بقلبه كما رآه في النزلة الأُولى» .[١]

وتعليقاً على الآية **مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ** قال قدّس الله سرّه :

«**الزَّيْغُ** الميل عن الاستقامة ، و**الطغيان** تجاوز الحدّ في العمل ، و**زَيْغُ البَصَرِ** إدراكه المبصر على غير ما هو عليه ، و**طغيانه** إدراكه ما لا حقيقة له ، والمراد بالبصر بصر النبيّ .

والمعنى : أنّه صلّى الله عليه وآله لم يبصر ما أبصره على غير صفته الحقيقيّة ولا أبصر ما لا حقيقة له ، بل أبصر غير خاطئ في إبصاره .

والمراد **بالإبصار** رؤيته صلّى الله عليه وآله بقلبه لا بجارحة العين ، فإنّ المراد بهذا الإبصار ما يعنيه بقوله : **وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ** المشير إلى مماثلة هذه الرؤية لرؤية النزلة الأُولى التي يشير إليها بقوله : **مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ * أَفَتُمَـٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ**. فافهم ولا تغفل» .

وعلّق رحمة الله عليه على الآية الشريفة **لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ** بقوله :

مِنْ للتبعيض ، والمعنى : أقسم لقد شاهد بعض الآيات الكبرى لربّه ، وبذلك تمّ مشاهدة ربّه بقلبه ، فإنّ مشاهدته تعالى بالقلب إنّما هي بمشاهدة آياته بما هي آياته ، فإنّ الآية بما هي آية لا تحكي إلّا ذا الآية ولا تحكي عن نفسه شيئاً وإلّا لم تكن من تلك الجهة آية .

وأمّا مشاهدة ذاته المتعالية من غير توسّط آية وتخلّل حجاب فمن المستحيل ذلك ، قال تعالى :

وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا. (الآية ١١٠ ، من السورة ٢٠ : طه) .[٢]

١ـ «الميزان» ج ١٩ ، ص ٣١.

٢ـ «الميزان في تفسير القرآن» ج ١٩ ، ص ٣٢.

وقد أورد العلّامة في بحثٍ روائيّ: وفي «تفسير القمّيّ» بإسناده إلى ابن سِنان في حديث قال أبو عبد الله عليه السلام:

وَذَلِكَ أَنَّهُ ـ يَعْنِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ أَقْرَبُ الخَلْقِ إلَى اللَهِ تَعَالَى، وَكَانَ بِالمَكَانِ الَّذِي قَالَ لَهُ جَبْرَئِيلُ لَمَّا أُسْرِيَ بِهِ إلَى السَّمَاءِ: تَقَدَّمْ يَا مُحَمَّدُ! فَقَدْ وَطَأْتَ مَوْطِئاً لَمْ يَطَأْهُ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ. ولَوْلَا أَنَّ رُوحَهُ ونَفْسَهُ كَانَ مِنْ ذَلِكَ المَكَانِ لَمَا قَدَرَ أَنْ يَبْلُغَهُ.

وَكَانَ مِنَ اللَهِ عَزَّ وَجَلَّ كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: «قَابَ قَوْسَيْنِ (أي ذراعين) **أَوْ أَدْنَى»؛ أَيْ: بَلْ أَدْنَى.**

وفي «المجمع» وروي مرفوعاً عن أنس قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله في قوله: **فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ**، قال: قدر ذراعين أو أدنى من ذراعين.

وفي «التوحيد» بإسناده إلى محمّد بن الفضيل قال: **سَأَلْتُ أَبَا الحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: هَلْ رَأَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ؟!**

فَقَالَ: نَعَمْ! بِقَلْبِهِ رَآهُ؛ أَمَا سَمِعْتَ اللَهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: «مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ»؟ لَمْ يَرَهُ بِالبَصَرِ وَلَكِنْ رَآهُ بِالفُؤَادِ.[1]

وفي «الدرّ المنثور» أخرج عبد بن حَميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن محمّد بن كعب القَرْظيّ، عن بعض أصحاب النّبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم قال:

١ـ روي في «أُصول الكافي» ج ١، ص ٩٨، في باب إبطال الرؤية، الحديث ٨، عن محمّد بن يحيى وغيره، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن بن أبي نصر، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام أنّه قال:

قالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: لَمَّا أُسْرِيَ بِي إلَى السَّمَاءِ، بَلَغَ بِي جَبْرَئِيلُ مَكَاناً لَمْ يَطَأْهُ قَطُّ جَبْرَئِيلُ. فَكُشِفَ لَهُ؛ فَأَرَاهُ اللَهُ مِنْ نُورِ عَظَمَتِهِ مَا أَحَبَّ.

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! هَلْ رَأَيْتَ رَبَّك ؟

قَالَ: لَمْ أَرَهُ بِعَيْنِي؛ وَرَأَيْتُهُ بِفُؤَادِي مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ تَلَا: «ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ».

قال العلّامة قدّس سرّه :

«أقول : وروى هذا المعنى النسائيّ عن أبي ذرّ ـ على ما في «الدرّ المنثور» ـ ولفظه **رَأَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ رَبَّهُ بِقَلْبِهِ، وَلَمْ يَرَهُ بِبَصَرِهِ.**

وعن «صحيح مسلم» والترمذيّ وابن مردويه، عن أبي ذرّ قال: **سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ: هَلْ رَأَيْتَ رَبَّك ؟! فَقَالَ: نُورَانِيٌّ أَرَاهُ.**[1]

أقول : «**نُورَانِيٌّ**» منسوب إلى النور على خلاف القياس، كجسمانيّ في النسبة إلى جسم. وقرئ «**نُورٌ إنِّي أَرَاهُ**» بتنوين الراء وكسر الهمزة وتشديد النون ثمّ ياء المتكلّم، والظاهر أنّه تصحيف وإن أُيِّد برواية أُخرى عن مسلم في صحيحه، وابن مردويه عن أبي ذرّ أنّه سأل رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم : **هَلْ رَأَيْتَ رَبَّك ؟!**

فقال : **رَأَيْتُ نُوراً!**

وكيف كان فالمراد بالرؤية رؤية القلب، فلا الرؤية رؤية حسّيّة

١ـ روي في «أُصول الكافي» ج ١، ص ٩٨، باب إبطال الرؤية، الحديث ٧، عن أحمد بن إدريس، عن محمّد بن عبد الجبّار، عن صفوان بن يحيى، عن عاصم بن حُمَيد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

ذاكَرْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ عَلَيْهِ السَّلامُ فِيمَا يَرْوُونَ مِنَ الرُّؤْيَةِ؛ فَقَالَ: الشَّمْسُ جُزْءٌ مِنْ سَبْعينَ جُزْءاً مِنْ نُورِ الكُرْسيِّ، وَالكُرْسيُّ جُزْءٌ مِنْ سَبْعينَ جُزْءاً مِنْ نُورِ العَرْشِ، وَالعَرْشُ جُزْءٌ مِنْ سَبْعينَ جُزْءاً مِنْ نورِ الحِجابِ، وَالحِجابُ جُزْءٌ مِنْ سَبْعينَ جُزْءاً مِنْ نُورِ السِّتْرِ؛ فَإنْ كَانُوا صَادِقِينَ فَلْيَمْلَؤُوا أَعْيُنَهُمْ مِنَ الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ!

ولا النور نور حسّيّ .

وفي «الكافي» بإسناده عن صفوان بن يحيى قال : سألني أبو قُرّة المحدّث أن أُدخِله إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام . فاستأذنته في ذلك ، فأذِنَ لي فدخل عليه فسأله عن الحلال والحرام والأحكام . إلى قوله : أبو قرّة ، فإنّه يقول : **وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ** .

فقال أبو الحسن عليه السلام : **إنَّ بَعْدَ هَذِهِ الآيَةِ مَا يَدُلُّ عَلَى مَا رَأَى ؛ حَيْثُ قَالَ : «مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ» . يَقُولُ : مَا كَذَبَ فُؤَادُ مُحَمَّدٍ مَا رَأَتْ عَيْنَاهُ .**

ثُمَّ أَخْبَرَ بِمَا رَأَى فَقَالَ : « لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰ » ؛ وَآيَاتُ اللَهِ غَيْرُ اللَهِ .

أقول : الظاهر أنّ كلامه عليه السلام مسوق لإلزام أبي قُرّة ، حيث كان يريد إثبات رؤيته تعالى بالعين الحسّيّة فألزمه بأنّ الرؤية إنّما تعلّقت بالآيات ، وآيات الله غير الله ، ولا ينافي ذلك كون رؤية الآيات بما هي آياته تمثّل رؤيته تعالى وإن كانت آياته غيره ، وهذه الرؤية إنّما كانت بالقلب كما مرّت عدّة من الروايات في هذا المعنى .

وجاء في «تفسير القمّيّ» بإسناده إلى إسماعيل الجعفيّ عن الإمام أبي جعفر محمّد الباقر عليه السلام في حديث طويل :

فَلَمَّا انْتَهَى بِهِ إلَى سِدْرَةِ المُنْتَهَى ، تَخَلَّفَ عَنْهُ جَبْرَئِيلُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : فِي هَذَا المَوْضِعِ تَخْذُلُنِي ؟!

فَقَالَ : تَقَدَّمْ أَمَامَكَ ! فَوَاللَهِ لَقَدْ بَلَغْتَ مَبْلَغاً لَمْ يَبْلُغْهُ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَهِ قَبْلَكَ ! فَرَأَيْتُ مِنْ نُورِ رَبِّي ، وَحَالَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ السُّبْحَةُ .[1]

١ـ سُبحَةُ الله : جَلالُه ، ج : سُبَح . وسُبُحاتُ وَجهِ الله : أنوارُه ، أو ما يُسبَّح به من ⇦

قُلْتُ: وَمَا السُّبْحَةُ جُعِلْتُ فِدَاكَ ؟! فَأَوْمَى بِوَجْهِهِ إِلَى الأَرْضِ وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى السَّمَاءِ وَهُوَ يَقُولُ: جَلَالُ رَبِّي ! جَلَالُ رَبِّي ! ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

أقول : السُّبحة الجلال كما فسّر في الرواية ، والسبحة ما يدلّ على تنزّهه تعالى من خَلْقه ومرجعه إلى المعنى الأوّل ، ومحصّل ذيل الرواية أنّه صلّى الله عليه وآله رأى ربّه برؤية آياته» .[1]

وأمّا القاضي البيضاويّ فقد قال في تفسير الآية الشريفة **مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ** :

«ما رأى ببصره من صورة جبرائيل عليه السلام أو الله تعالى ، أي ما كذب بصره بما حكاه له ، فإنّ الأُمور القدسيّة تُدرَك أوّلاً بالقلب ثمّ تنتقل منه إلى البصر .

أو ما قال فؤاده لمّا رآه : لم أعرفك ؛ ولو قال ذلك كان كاذباً ، لأنّه عرفه بقلبه كما رآه ببصره ، أو ما رآه بقلبه ، والمعنى أنّه لم يكن تخيّلاً كاذباً . ويدلّ على ذلك «أنّه عليه الصلاة والسلام سئل : **هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ ؟!** فقال : **رَأَيْتُهُ بِفُؤَادِي !**» .[2]

وقال في تفسيره **عِندَ سِدْرَةِ ٱلْـمُنتَهَىٰ** : «التي ينتهي إليها أعمال الخلائق وعلمهم ، أو ما ينزل من فوقها ويصعد من تحتها ، ولعلّها شُبّهت بالسدرة وهي «شجرة النَّبْق» لأنّهم يجتمعون في ظلّها ، وروي مرفوعاً أنّها في السماء السابعة» .[3]

⇦ **دلائلِ عظمتِه.**

١ـ «الميزان» ج ١٩ ، ص ٣٤ إلى ٣٦.

٢ـ «تفسير البيضاويّ» ج ٢ ، ص ٤٧٢ و٤٧٣ ، طبعة دار الطبع العامرة.

٣ـ «تفسير البيضاويّ» ج ٢ ، ص ٤٧٣ و ٤٧٤ .

وقال في تفسير **أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ** : «إنكار لقولهم الملائكة بنات الله ، وهذه الأصنام استوطنها جنّيّات هنّ بناته ، أو هياكل الملائكة وهو المفعول الثاني لقوله : **أَفَرَءَيْتُمُ**» .[١]

وقد شاهدنا في تفسير «عليّ بن إبراهيم» عن الإمام محمّد الباقر عليه السلام قوله : **فَلمّا انتَهى بهِ إلى سِدرةِ المُنتَهى ، تَخَلّفَ عَنهُ جَبْرَئِيلُ . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : فِي هَذَا المَوْضِعِ تَخذُلُني ؟!**

فقال : تقدّم أمامك ! فوالله لقد بلغت مبلغاً لم يبلغه أحد من خلق الله قبلك !

وقد ورد في كثير من كتب العرفان أنّ جبرائيل قال : **لَوْ دَنَوْتُ أَنْمُلَةً لَاحْتَرَقْتُ .**

وذكر الشيخ نجم الدين الرازيّ هذا الحديث في «مرصاد العباد» في أربعة أماكن[٢] ، وفي رسالة «عشق وعقل» (= الحبّ والعقل) في ثلاثة أماكن[٣] . وقال المعلّق على هذه الرسالة : «لقد جاء ذِكر هذا الحديث متواصلاً في «مرصاد العباد» و «احاديث مثنوى (= أحاديث المثنويّ) . ولم نجده في «مجمع البحرين» و«المعجم المفهرس» في حاشية موادّ : **دَنا ودَنَوْتُ وأنْمُلَة ، وحَرَقَ**[٤] . وهذا المضمون ينسب إلى جبرئيل عليه السلام وأنّه قاله للرسول صلّى الله عليه وآله ليلة المعراج . وورد ذكر هذا الكلام ومعناه في أشعار الكثير من العرفاء خاصّة ، ومن جملتهم (سعدي) في

١ـ «تفسير البيضاويّ» ج ٢ ، ص ٤٧٣ و ٤٧٤ .

٢ـ «مرصاد العباد» ١٢٠ و ١٢١ ، ١٨٤ ، ٣٧٨ ، ٣٨١ ، رقم ٣٨٩، طبعة بنگاه ترجمه ونشر كتاب.

٣ـ رسالة «عشق وعقل» ص ١١٨ ، رقم ٢٥٨ ، طبعة بنگاه ترجمه ونشر كتاب.

٤ـ وردت هذه الرواية في «بحار الأنوار»، ج ١٨ ، ص ٣٨٢ ، نقلاً عن «المناقب».

ديوانه «بوستان» حيث يقول :

اگر ذرّه‌ای موی برتر پرم فروغ تجلّی بسوزد پرم[١]

١ـ يقول : «لو اقتربتُ قيد أنملة ـيا صاح ـ لأحرق نور الله جسمي والجناح».

جاء في «كلّيّات سعدي»، محمّد علي فروغي ، «بوستان» ص ٤ إلى ٦ ، في مدح النبيّ صلّى الله عليه وآله الأبيات التالية:

كريم السجايا جميل الشيم نبيّ البرايا شفيع الأُمم

امام رسل پيشواى سبيل امين خدا مهبط جبرئيل

شفيع الورى خواجهٔ بعث و نشر إمام الهدى صدر ديوان حشر

كليمى كه چرخ فلک طور اوست همه نورها پرتو نور اوست

شفيعٌ مُطاعٌ نبيٌّ كريم قسيمٌ جسيمٌ نسيمٌ وسيم

يتيمى كه ناكرده قرآن درست كتبخانهٔ چند ملّت بشست

چو عزمش برآهيخت شمشير بيم به معجز ميان قمر زد دو نيم

چو صيتش در افواه دنيا فتاد تزلزل در ايوان كسرى فتاد

به لا قامت لات بشكست خُرد به إعزاز دين آب عُزّى ببرد

نه از لات و عُزّى برآورد گرد كه تورات و انجيل منسوخ كرد

شبى بر نشست از فلک برگذشت به تمكين و جاه از ملک درگذشت

چنان گرم در تيه قربت براند كه بر سدره جبريل ازو باز ماند

بدو گفت سالار بيت الحرام كه اى حامل وحى برتر خرام

چو در دوستى مخلصم يافتى عنانم ز صحبت چرا تافتى؟

بگفتا فراتر مجالم نماند بماندم كه نيروى بالم نماند

اگر يک سر موى برتر پرم فروغ تجلّى بسوزد پرم

يقول : «كريم السجايا جميل الشيم ، نبيّ البرايا شفيع الأُمم.

إمام الرسل وسيّد السبيل ، أمين الله ومهبط جبرئيل.

شفيع الورى والبعث والنشر ، إمام الهدى صدر ديوان الحشر.

كليم تدور حوله الأفلاك ، كلّ النور منك تبارك علاك. ⇦

....

⇦ شفيع مطاع، نبيّ كريم، قسيم جسيم، نسيم وسيم.
يتيمٌ (أُمّيّ) لم يؤلِّف القرآن (من تلقاء نفسه)، فاقت علومه كلّ ما في مكتبات العالم.
فلمّا عزم شقّ القمر نصفين بسيفه.
ولمّا ذاع صيته في الدنيا انشقّ من ذلك إيوان كسرى.
وكُسّرت اللات قطعاً صغيرة وعزّ دينه وذهب ماء وجه العُزّى.
فلم يبق من اللات والعُزّى أثراً وقد نسخ من قبل التوراة والإنجيل.
فأمسك بالجاه والمُلك بين ليلةٍ وضُحاها.
وقد عَرَجَ في فضاء القُرب بمَضاء فوصل إلى السدرة التي مُنِعَ عنها جبرئيل.
فقال له حامي البيت الحرام: يا حامل الوحي، قد كنتُ مخلصاً في صداقتي معك فلِمَ تركتَ العنان وأبيتَ صُحبتي؟
قال: لا أستطيع الدنوّ أكثر من هذا لأنّ جناحي لا يقوى على التحليق لأبعد من ذلك.
فلو اقتربتُ قيد أنملة لأحرقَ نور تجلّيه تعالى جناحي».
إلى أن قال:

خدايا به حقّ بنیفاطمه	که بر قولم ايمان كنم خاتمه
اگر دعوتم ردّ كنى ور قبول	من و دست و دامان آل رسول
چه كم گردد ای صدر فرخنده پی	ز قدر رفيعت بدرگاه حیّ
که باشند مشتی گدايان خيل	به مهمان دارالسّلامت طفيل
خدايت ثنا گفت و تبجيل كرد	زمين بوس قدر تو جبريل كرد
بلند آسمان پيش قدرت خجل	تو مخلوق و آدم هنوز آب و گل
تو اصل وجود آمدی از نخست	دگر هر چه موجود شد فرع تست
ندانم كدامين سخن گويمت	كه والاتری ز آنچه من گويمت
ترا عزّ لَوْلاكَ تمكين بس است	ثناى تو طه و يس بس است
چه وصفت كند **سعدى** ناتمام	عليک السّلام ای نبیّ السّلام

يقول: «إلهي بحقّ بني فاطمة اجعل إيماني بهم هو الخاتمة. ⇦

وقال الشيخ نجم الدين الرازيّ : «كان **جبرئيل** و**ميكائيل** بازينِ صيّادَينِ في مُتصيّد ملكوت الله عزّ وجلّ يصطادان طيور التقديس والتنزيه **وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ** . فلمّا استحالت التوبة إلى صفات الجمال وطمحا ببصرهما إلى مواطن الصمديّة والجلال استحالا مقصوصَي الجناح وتركا الصيد في تلك البقاع البراح ، فقالا : **لَوْ دَنَوْتُ أَنْمُلَةً لَاحْتَرَقْتُ** .

مرغ كآنجا پريد پر بنهاد ديو كآنجا رسيد سر بنهاد[1]

وقيل لهم : لقد اصطدنا صيّاداً في مُتَصَيَّد الأزل بشباك «**يُحِبُّهُمْ**» وسنأتي به إلى هذا المُتصيَّد : **إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً** ، حتّى يُريكم كيف يَتصيَّد . شعر :

در بحر عميق غوطه خواهم خوردن
يا غرقه شدن يا گهرى آوردن[2]

⇦ فسواءٌ قَبِلتَ دعوتي أم رفضتها فإنّي ممسك بجلابيب الرسول وآل بيته.
لن يقلّل من عظمة منزلتك ومكانتك الرفيعة عند الحيّ تعالى.
إذا دَعَوْتَ جمع الفقراء إلى ضيافة دار السلامة.
لقد أثنى عليك ربّك وبجّلك وقبّل جبريل تراب مقدمك.
لقد طأطأت السماوات العلى لقدرك ومنزلتك وقد خُلِقتَ ولمّا يزل آدم طيناً وماءً.
أنت أصل الوجود كنت الأوّل، وما وُجِدَ بعدك كان فرعاً منك.
لا أعرف بأيّ كلام أخاطبك، فإنّك أرفع شأناً من كلّ ما أقول.
يكفيك (عزّ لولاك) من عزّ ورفعة. يكفيك ثناءً (طه) و(يس).
فمهما وصفك سعدي لن يكون كافياً عليك السلام يا نبيّ السلام».

١ـ يقول : «لمّا طار الطائر إلى هناك طوى جناحيه، وحيث وصل العفريت هناك أحنى رأسه».

٢ـ يقول : «سأغوص في البحر العميق، فإمّا أن أغرق أو أفوز بجوهرة».

كــار تـو مـخاطرەست خـواهـم كـردن

يــا ســرخ كـنم روى ز تـو يـا گـردن[١]

فقالوا بأجمعهم : لا جَرَمَ إذا سبقنا هـذا الصـياد ، فـي مـيدان السـباق بصولجان المعنى ، وعمل ما لا نستطيع نحن عـمله ، وصـاد مـا لم نـتمكّن جميعاً اصطياده ، فإنّنا سنقوم مَقامَ خَدَمِهِ ، وسنسرُّ للسجود بقلوبنا وأرواحنا أمامه ...»[٢] ـ إلى آخر عباراته اللطيفة من ذلك المقال .

نعم ، فهذا كـلّه يشـير بـالبنان إلى المـقام الأوحـد والمـنزلة الجـامعة لرسول الله صلّى الله عليه وآله وأصـحابه الحـقيقيّين ، حـيث لم يـتمكّن جبرئيل من أن ينال ذلك المَقام أو أن يحرز تلك المنزلة ويـظفر بـمراده ، فأخذ يقول : **لَوْ دَنَوْتُ أنْمُلَةً لاَحْتَرَقْتُ** . وقد روي عن نبيّ الله أ نّه قال :

لِي مَعَ اللَهِ وَقْتٌ لَا يَسَعُنِي فِيهِ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ .[٣]

١ـ يقول : «إنّ ما أفعله إزاءك هو مخاطرة، فإمّا أن يحمرّ وجهي (سروراً) أو تـحمرّ رقبتي (بالقتل).».

٢ـ «مرصاد العباد» ص ٣٨١ و ٣٨٢.

٣ـ وتدلّ الفقرات التالية من زيارة الجامعة الكبيرة على هذا المقام:

فَبَلَغَ اللَهُ بِكُمْ أشْـرَفَ مَـحَلِّ المُكَـرَّمينَ وَأعْـلَى مَـنازِلِ المُـقَرَّبِينَ وَأرْفَـعَ دَرَجَـاتِ المُرْسَلِينَ ، حَيْثُ لَا يَلْحَقُهُ لاحِقٌ وَلَا يَفوقُهُ فَائِقٌ وَلَا يَسْبِقُهُ سَابِقٌ وَلَا يَـطْمَعُ فِـي إدْرَاكِـهِ طَامِعٌ ، حَتَّى لَا يَبْقَى مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَلَا صِدِّيقٌ وَلَا شَهِيدٌ وَلَا عالِمٌ وَلَا جَـاهِلٌ وَلَا دَنِيٌّ وَلَا فاضِلٌ وَلَا مُؤْمِنٌ صَالِحٌ وَلَا فَاجِرٌ طَالِحٌ وَلَا جَبَّارٌ عَنِيدٌ وَلَا شَيْطَانٌ مَرِيدٌ وَلَا خَلْقٌ فِيمَا بَيْنَ ذلِكَ شَهِيدٌ إلَّا عَرَّفَهُمْ جَلَالَةَ أَمْرِكُمْ وَعِظَمَ خَطَرِكُمْ وَكِبَرَ شَأْنِكُمْ وَتَمَامَ نُورِكُمْ وَصِدْقَ مَقاعِدِكُمْ وَثَبَاتَ مَقامِكُمْ وَشَرَفَ مَحَلِّكُمْ وَمَنْزِلَتِكُمْ عِنْدَهُ وَكَرَامَتِكُمْ عَلَيْهِ وَخاصَّتَكُمْ لَـدَيْهِ وَقُرْبَ مَنْزِلَتِكُمْ مِنْهُ .

تعتبر هذه الزيارة من الزيارات المهمّة، التي وردت في «مفاتيح الجنان» ص ٥٤٤ إلى ٥٥٠ ، الطبعة الإسلاميّة ، ١٣٧٩ هجريّة ، وقد رُويت عن الشيخ الصـدوق فـي «الفـقيه» ⇦

....

⇦ و«العيون» عن موسى بن عبد الله النخعيّ.

جاء ذكر معراج الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله وعدم استطاعة الملائكة التقدّم معه ومرافقته إلى العُلى وذلك في مواضع عِدّة من كتاب «كلّيّات ديوان حكيم نظامي گنجوي» طبعة أمير كبير، من جملة ذلك ما ذُكِر في «مخزن الأسرار» الذي يبدأ بالبيت التالي:

بسم الله الرحمن الرحيم — هست كليد در گنج حكيم

يقول: «بسم الله الرحمن الرحيم؛ ذلك مفتاح كنز الحكيم».

ويقول في ص ١٨:

همسفرانش سپر انداختند — بال شكستند و پر انداختند
او به تحيّر چو غريبان راه — حلقه زنان بر در آن بارگاه
پردەنشينان كه درش داشتند — هودج او يک تنه بگذاشتند
رفت بدان راه كه همره نبود — اين قدمش زآن قدم آگه نبود
هركه جز او بر در آن راز ماند — او هم از آميزش خود باز ماند

يقول: «توقّف مرافقوه عن مرافقته وكُسرت أجنحتهم وأصبح ريشهم منفوشاً.

فارتسمت عليه حيرة الغرباء وأحاطت به من كلّ جانب.

فحطّوا هودجه وتركوه وحيداً.

فتابع الطريق دون صاحب أو رفيق، يُقدّم قدماً ويؤخّر أُخرى.

وتحيّر كلّ من سواه في هذا السرّ وحيل بينه وبينهم».

وجاء «في خسرو و شيرين» ص ٤١٠:

چو بيرون رفت از آن ميدان خضرا — ركاب افشاند از صحرا به صحرا
بدان پرّندگى طاووس اخضر — فكند از سرعتش هم بال و هم پر
چو جبريل از ركابش باز پس گشت — عنان بر زد ز ميكائيل بگذشت
سرافيل آمد و بر پر نشاندش — به هودج خانۀ رفرف رساندش
ز رفرف بر رف طوبى علم زد — وز آنجا بر سر سدره قدم زد
جريده بر جريده نقش مى‌خواند — بيابان در بيابان رخش ميراند ⇦

⇦ چو بنوشت آسمان را فرش بر فرش — بـه اسـتقبالش آمـد تـارک عـرش
فرس بـيرون جـهاند از كـلّ كـونين — عـلم زد بـر سـرير قـابَ قَـوسَين
قِدم برقع ز روی خـويش بـرداشت — حجاب كـائنات از پـيش بـرداشت
جهت را جعد بر جـبهت شكسـتند — مكـان را نـيز بـرقع بـاز بسـتند
مـحمّد در مكـان بـی‌مكانی — پـديد آمـد نشـان بـی‌نشانی
كـلام سـرمدی بـی نـقل بشـنيد — خداونـد جـهان را بـی جـهت ديـد

يقول : «فخرج من ذلك المكان قاطعاً الصحاری.
حتّى تناثر جناح الطاووس الأخضر وريشه من سرعة انطلاقه.
ولمّا تخلّف جبريل عن مرافقته واصل هو مسيره تاركاً وراءه حتّى ميكائيل.
ثمّ أجْلَسَهُ إسرافيل على بساطٍ من ريش وأوصله إلى هودج الديباج.
فارتقى من الهودج إلى مشارف طوبى ومن هناك خطا نحو السدرة.
وطالعَ كلّ صُحُفِ (أسرار الخَليقة) بعد أن طوى البراري بجواده الخَيفَق السريع.
وزُيّنتْ السماء بالفُرُش والسجّاد ولاحت له كُنُف البيت.
قد انطلق بفرسه قاطعاً الكونَينِ وأناخَ بِرَحْلِه عند قاب قوسين.
رفع عن مُحَيّاه البرقع وأزال حجاب الكائنات من أمامه.
أُزيلت من أمامه كلّ الموانع وأُسْدِل الستار خلفه.
فدخل محمّد صلّى الله عليه وآله إلى مكانٍ ليس كأيّ مكان ومحلٍّ ليس له عنوان.
وسمِعَ كلاماً سرمديّاً ورأى ربّ العالمين دون واسطة».

ويقول في كتاب «ليلى ومجنون» ص ٤٣٤ :

بـر طـرّه هـفت بـام عـالم — نه طـاس گـذاشـتی نـه پـرچـم
هـم پـرچـم چـرخ را گسـستی — هـم طـاسک مـاه را شكسـتی
طـاووس پـران چـرخ اخـضر — هم بـال فكـنده بـا تـو هـم پـر
جـبريل ز هـمرهيت مـانده — اللـه مـعك ز دور خـوانـده
مـيكائيلت نشـانده بـر سـر — وآورده به خـواجـه تـاج ديگـر ⇦

⇦ اســـرافـيلت فـتاده در پـاى / هم نيم رهت بـمانده بـر جـاى
رفـرف كـه شـده رفيق راهت / بـرده بـه سـرير سـدره گـاهت
چون از سر سـدره بـر گـذشتى / اوراق حـــدوث در نـــوشتى
رفـتى ز بسـاط هـفت فـرشى / تـــا طـــارم تـنگبار عـرشى
ســـبّوح زنـان عـرش پـايه / از نـور تـو عـرش كـرده سايه
از حـجلهٔ عـرش بـر پـريدى / هـــفتاد حــجاب را دريــدى
تـنها شـدى از گـرانـى رخت / هم تاج گـذاشـتى وهـم تـخت
بـازار جـهت بـه هـم شكسـتى / از زحمت تحت وفـوق رسـتى
خـــرگاه بـرون زدى ز كـونين / در خيمهٔ خـاص قـاب قـوسين
هم حضرت ذو الجـلال ديـدى / هــم ســرّ كـلام حقّ شـنيدى
از غـايت وهــم وغـور ادراک / هم ديـدن و هـم شـنودن پـاک
درخـواسـتى آنـچه بـود كـامت / در خواسته خاص شد به نامت

يقول: «لم تترك عزّاً ولا بيرقاً في العوالم السبعة.
لقد أزلت عَلَم الفَلَك وشققتَ قرص القمر.
وتناثر ريش وأجنحة طواويس الأفلاك.
وتخلّف جبريل عن مرافقته مودّعاً إيّاه على البعد قائلاً: الله معك.
فأجلسه ميكائيل على رأسه وألبسه تاجاً آخر.
وتوقّف إسرافيل كذلك ولم يستطع من مرافقته.
فكان الديباج رفيقه في رحلته والذي أوصل إلى سدرة المنتهى.
ولمّا اجتزت سدرة المنتهى كتبت الأقدار على الأوراق.
واجتزت البساط السباعيّ الفُرُش حتّى وصلت مشارف العرش.
فسبّح المسبّحون عند قوائم العرش وقد أصبح للعرش ظلّاً من نورك.
وطِرتَ من عند العرش مجتازاً سبعين حجاباً.
وكنت الوحيد الذي لا يُضاهى لِما لَبِستَ من حُللْ وتُوّجتَ ووُضعت على العرش. ⇦

....

⇦ وسُدْتَ كلّ شيء وارتحت من العناء والكلل.
وخيّمتَ خارج الكونَين في خيمةِ قاب قوسين.
ورأيتَ ذات ذي الجلال وسمعت سرّ كلام الحقّ.
وتطهّر بصرك وسمعك من كلّ وهم أو إدراك.
ونُلتَ كلّ ما اشتهيت، فخُتِمَ باسمك ما قد تمنيّت».
وجاء في ديوان «هفت پيكر» ص ٦٠٦ و٦٠٧. يقول فيه:

هم رفيقش ز تركتاز افتاد / هم براقش ز پويه باز افتاد
منزل آنجا رساند كز دورى / ديد در جبرئيل دستورى
سر برون زد ز مهد ميكائيل / به رصدگاه صور إسرافيل
گشت از آن تخت نيز رخت گراى / رفرف وسدره هر دو مانده به جاى
همرهان را به نيمه ره بگذاشت / راه درياى بيخودى (بيرهى) برداشت
قطره بر قطره ز آن محيط گذشت / قُطر بر قُطر هر چه بود نوشت
چون در آمد به ساق عرش فراز / نردبان ساخت از كمند نياز
سر برون زد ز عرش نورانى / در خطرگاه سرّ سبحانى
حيرتش چون خطر پذيرى كرد / رحمت آمد لگام گيرى كرد
قاب قوسين او در آن اثنا / از دنا رفت سوى أو أدنى
چون حجاب هزار نور دريد / ديده در نور بى حجاب رسيد
گامى از بود خود فراتر شد / تا خدا ديدنش ميسّر شد
ديد معبود خويش را به درست / ديده از هرچه ديده(غير)بشست

يقول: «ولقد عجز صاحبه عن اللحاق به وكَبا بُراقه أيضاً.
ووَصل إلى منزل تخلّف عنه فيه جبريل.
ثمّ أوصله ميكائيل إلى مقرّ إسرافيل.
وأُلبِسَ كذلك حُلّة من ذلك العرش وبقي الهودج والسدرة على حالهما.
وترك أصحابه في منتصف الطريق، وراح يقطع الطريق بدون دليل. ⇦

وفي هذا المَقام يقول الشيخ نجم الدين أيضاً :

«... وأمّا آدم ، فهو بيضة عنقاء جبل العِزّة . وتلك العنقاء هي لي خليفة ولكم سلطان ، فـ **ٱسْجُدُوا لِأَدَمَ** عند قدمَيْه ولا تقولوا [**أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا**] ناظرين بعين الحقارة إليه ، «**إِنِّىَ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**» فيه . فاغتنموا الفرصة مادام في البيضة واسجدوا له ، فإنّه لو خرج من البيضة فسيكون تحليقه إلى حيث عالَم **لِي مَعَ اللهِ وَقْتٌ لَا يَسَعُنِي فِيهِ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ** [**وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ**] ، فلن تبقى لكم إلّا الحسرة ، وستأخذكم العَبرة والحيرة وتكثرون من قول **لَوْ دَنَوْتُ أَنْمُلَةً لَاحْتَرَقْتُ** ، ويكون كلامكم في كلّ وقت :

آن مرغكِ من كه بود زرّين بالش
آيا كه كجا پريد و چون شد حالش
از دست زمانه خاك بر سر باشم
پرواز چرا نكردم از دنبالش (خل)[1]

⇦ قاطعاً المحيطات مدوّناً ماكان في كلّ إقليم وناحية.
صانعاً له من حبل الدعاء سلّماً إليه (العرش).
وظهر من نواحي العرش النورانيّ في حرم السرّ السبحانيّ.
فلمّا بدت عليه الحيرة تداركته الرحمة وأمسكت بلجام براقه.
فتحوّل حاله عند قاب قوسين، من منزلة (دنا) إلى منزلة (أو أدنى).
فلمّا زال حجاب الألف نور أصبح ودخل مرحلة النور بدون حجاب.
ارتقى منزلة راقية تيسّر له فيها رؤية الله.
فرأى معبوده عياناً، بحيث لم ترى عينه غيره».

١ـ يقول : «أين طائر السعد الذي خلّى وطار ، أين ذاك الطائر إلى مَ صار ؟
ياويلتاه سأظلّ العمر كلّه نادماً لعدم لحاقي به». ⇦

....

⇦ رسالة «عشق و عقل» ص ٨٤ ؛ ويقول المعلّق على الرسالة في ص ١١٩ ما قوله: «حديث معروف يعتمده الصوفيّة ويستندون إليه».

وقال مؤلّف «اللؤلؤ المرصوع» في ص ٦٦ ، في ذيل هذا الحديث : «**يَذْكُرُهُ الصُّوفِيَّةُ كَثِيراً وَلَمْ أَرَ مَنْ نَبَّهَ عَلَيْهِ ، وَمَعْنَاهُ صَحِيحٌ وَفِيهِ إيمَاءٌ إلَى مَقَامِ الاسْتِغْرَاقِ بِاللِّقَاءِ المُعَبَّرِ عَنْهُ بِالمَحْوِ وَالفَنَاءِ**».

ويشير مولانا إلى مضمون هذا الحديث بقوله:

لی مع الله وقت بود آن دم مرا — لايسع فيه نبيٌّ مجتبى
لايسع فينا نبيٌّ مرسلٌ — و المَلَك و الرّوح أيضًا فاعقلوا

يقول : «كان لي مع الله وقتٌ لم يكن لنبيّ مجتبى ما كان لي فيه». (نقلاً عن «أحاديث مثنوي» ص ٣٩، تدوين بديع الزمان فروزانفر).

وقال الشيخ نجم الدين كذلك في كتاب «مرصاد العباد» ص ١٣٤ و ١٣٥: «...وإذا التقيتَ بالحقّ تعالى فستكون ظلّاً له ، وإنّ أُولئك الحائرين التائهين الذين أرادوا الهروب من الحقّ هم في الحقيقة لا مهرب لهم من دولته وسطوته ، **مَن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ** *. ومتى ظَلَمْتَ نفسك فاهرب منها وادخل ظلّ الحقّ تعالى ، **لِي مَعَ اللهِ وَقْتٌ لَا يَسَعُنِي فِيهِ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ** . شعر:

چون سايه دويدم ز پيش روزى چند — وز سايهٔ او بـه سايهٔ او خرسند
امروز چو آفتاب معلومم شد — كو سايه بر اين كار نخواهد افكند

يقول : «قبل أيّام هربت كالظلّ ، فخرجتُ من ظلِّه ودخلتُ ظلَّه راضياً.

فلمّا تبيّنت الشمس لي اليوم علمتُ أنّها لن تظلّل هذا الشيء».

ومع أنّ الخواجة كان شمس العالمين إلّا أنّه نشأ في ظلّ **أبيتُ عِنْدَ رَبّي** . كان يتناول لقمته من مائدة **يُطْعِمُنِي** ، ويرتشف شرابه من كأس **يَسْقِينِي** . [يقول جمال‌الدين عبدالرزّاق:]

خوان تو **أبيتُ عِنْدَ رَبّي** — خواب تو **وَلا يَنامُ قَلْبي**
ای کرده به زير پای ، کونين — بگذشته ز حدّ **قابَ قَوسَين** ⇦

وخلاصة الكلام في هذا المقام أنّه : ما لم تَزُل كلّ ذرّة من الأنانيّة من الإنسان ، فلن يُسمَح له بالعروج إلى مَنسَك العدم والفَناء المطلقَينِ المتزامنَينِ مع الوجود المطلق . فذلك مقام خاصّ بذات الله عزّ وجلّ ووجوده . والله سبحانه غيور ، ومن شروط الغَيرة نَهر كلّ من استقرّت في قراره ذرّة من بقايا شخصيّته وأنانيّته .

تــا بــود یک ذرّه بــاقی از وجــود
کی شود صاف از کدر ، جام شهود [1]

فالمسألة جَدُّ مُحيِّرة ، إذ يتحتّم هجر كلّ ما سوى الله تعالى للوصول

⇦ خــاک قــدم تــو اهــل عــالم — زيــــر عَــــلَم تــو نسـل آدم
طـــاووس مــلئکه بَــريدت — ســرخـيل مـقرّبان مـريدت
چون نيست بضاعتی ز طاعت — از مـا گـنه و ز تـو شـفاعت

يقول : «مائدتك هي **أبيتُ عند ربّي** ، ونومك هو **ولا ينام قلبي** .
يامن داس بقدميه الكونَينِ واجتاز حدود **قاب قوسين** .
إنّ العالمين جميعاً هم تراب قدمك، وكلّ بني آدم منضوين تحت لوائك.
يا من كان طاووس الملائكة بريدهُ، وكانت خيول المقرّبين أتباعك وأوليائك.
ولمّا كانت كلّ طاعاتنا ليست إلّا بضاعة مُزجاة، فإن بدر منّا ذنب أو خطيئة فلارجاء لنا غير شفاعتك».

ويقول في ص ٤٨١ : «وأمّا العلم الباطن فهو معرفة تلك المعاني التي كان تُزرَق بها روح الخواجة عليه الصلاة (والسلام) دون وساطة جبرئيل من غيب الغيب ، في مقام **أَوْ أَدْنَىٰ** ، في حالة **لِي مَعَ اللهِ وَقْتٌ** ؛ حيث **فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَآ أَوْحَىٰ**** . وكانت تُراق على سنّة الكرام من فيوضات كؤوس ولاية النبوّة، وعلى القلوب الحرقى لعالم الطلب».

* صدر الآية ٨٠ ، من السورة ٤ : النساء.
** الآية ١٠ ، من السورة ٥٣ : النجم.

١ـ يقول : «لن يصفو كأس الشهود لأحد ، مادام هناك فيه ذرّة من الوجود».

إليه ، فكلّ ما سوى الله حجاب وسراب ، ومادام ذلك الحجاب باقياً ، فلا سبيل إلى الحصول على المعرفة التامّة . وما اكتُسِبَ من المعرفة إن هي إلّا معرفة جزئيّة وناقصة . إنّ المعرفة الحاصلة من مشاهدة خلق الله تعالى من جبال وأحجار ، وصَحارٍ وقفار ، والتعرّف على حيوانات البَرّ والبحار ، وما إلى ذلك ، إنّما هي معارف جزئيّة وليست كلّيّة ، والمهمّ في هذه المسألة هو المعرفة الكلّيّة ، ولا سبيل للوصول إليها إلّا باجتياز سبيل خطير وعظيم !

إنّ العالِم في الرياضيّات الذي يكتشف بواسطة قوانينه الرياضيّة أنّ القرآن معجزة ، وذلك بسبب الأُسلوب القويم لآياته ، والسياق المتوازن لسوره ، ويتوصّل إلى أنّ الآيات الخاصّة بالجهاد هي بالشكل الفلانيّ ، والآيات الخاصّة بالصلاة والصوم بالشكل العلّانيّ ، ثمّ يتوصّل طبقاً لحساباته الحاسوبيّة (الكومبيوتريّة) إلى إثبات أنّ هكذا جُمَل وهكذا ألفاظ لا يمكن للبشر أن يصوغ مثيلاتها ، أو حتّى صَبّها في قالبٍ يشبه إلى حدٍّ ما تلك الآيات الشريفة ، وأنّه بدون تدخّل لقوّة غيبيّة أو أمرٍ من ما وراء الطبيعة سيكون ذلك مستحيلاً ، ولن يكون بإمكان أحد على الإطلاق إيجاد مثل تلك الظاهرة العجيبة . فإنّ هذا ، في الواقع ، هو نوعٌ من أنواع المعرفة بالقرآن الكريم ، ومع هذا فإنّ البُعدَ بين هذه المعرفة ، وبين المعرفة الحقيقيّة للقرآن كبُعد الثريّا عن الأرض ! وبينهما ألفا حجاب ! فأين هذه المعرفة وأين الدخول في أعماق وحقائق القرآن وبواطنه ومعرفة تفسيره وتأويله وطريقة تطبيق آياته على مصاديقه ؟

أُولَـٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ .[1]

فهذه المعرفة لا يمكن لها أن تكون معرفة مقنعة ؛ انظروا إلى كلّ آية

١ـ ذيل الآية ٤٤ ، من السورة ٤١ : فصّلت.

من آيات هذا الكتاب السماويّ وستجدون كلّ واحدة من تلك الآيات مرآة تعكس وجه الله عزّ وجلّ ، إلّا أنّ الفَرق بين رؤية مَن كانت عيونهم مفتوحة ومَن كانت على أبصارهم غشاوة جِدُّ شاسع وبعيد . فهذا الأمر يستدعي التحقُّق من صحّة الباصرة وفحصها بدقّة .

فلو كانت عينا أحدهم عمياء ، فليس معنى ذلك أنّ سُبُل كلّ العلوم مغلقة في وجهه ، بل معناه أنّ بإمكانه أن يحصل على كثير من العلوم عن طريق سائر حواسّه الأُخرى كحاسّة السمع وحاسّة الشمّ وحاسّة اللمس وحاسّة الذوق ؛ لكنّ الفَرق بينه وبين مَن كانت حاسّة بصره سليمة من أيّة عاهة وتتمتّع ببصر وبصيرة سالمتَينِ كالفَرق بين السماء والأرض .

فلا يتمّ اجتماع الله مع سواه مادامت هناك في ذهن الإنسان أمانيّ باطلة ، ونوايا تَشطُطُ ، وأهداف نفسانيّة شيطانيّة ، وأغراض مادّيّة من حبّ المال والبنين والجاه والمقام وغير ذلك .

أنشد قيس بن الملوّح العامريّ أبياتاً من الشِّعر في حبّ ابنة عمّه ومعشوقته **لَيْلَى العَامِرِيَّة** ، تحتوي على أروع ما أُنشِدَ من الشِّعر في مقام الحِكمة والدقائق العقلانيّة وتُعتَبَر بحقّ كتاباً للعرفان والأسرار والرموز الشهوديّة ، مُبيّناً سبيل الوصول إلى المحبوب . وحتّى لو كانت تلك الأبيات في ظاهرها تحكي قصّة حبّ عُذريّ مجازيّ ، إلّا أنّها تحوي الكثير من الأُمور الراقية المفاهيم والعالية المعنى بوجه عامّ ، تَصدُق مبانيها على كلّ عاشقٍ حقيقيّ وصادق في حبّه . وتتضمّن مفهوماً يتعلّق بحبّ الله عزّ وجلّ ، وتكشف بطريقة مدهشة أسرار السلوك إلى الله والوصول إليه والفَناء في ذاته المقدّسة ، وتُميط الستار عن أعظم حجاب معنويٍّ ، وتصف أسلم الطرق وأأمَنَها للوصول إلى المقام الأقدس لذات الله سبحانه .

يقول قيس بن الملوّح والمعروف عند العامّة **بمجنون ليلى** :

تَـمَنَّيْتُ مِـنْ لَـيْلَى عَـلَى البُـعْدِ نَـظْرَةً
لِيُطْفَى جَـوىً بَـيْنَ الحَشـا وَالأَضـالِعِ
فَـقالَتْ نِسَـاءُ الحَـيِّ تَـطْمَعُ أنْ تَـرَى
بِــعَيْنَيْكَ لَــيْلَى مُتْ بِــداءِ المَـطامِعِ
وَكَــيْفَ تَـرَى لَـيْلَى بِـعَيْنٍ تَـرَى بِـها
سِــواهــا وَمــا طَــهَّرْتَها بِـالمَدامِـعِ
وَتَــلْتَذُّ مِـنْها بِـالحَديثِ وَقَـدْ جَـرَى
حَديثُ سِـواها في خُروقِ المَسـامِعِ[١]

وليس بإمكان من صحب غير الله وخاطب أعداءه واحتوى على مقاصد غير إلهيّة ، ونوايا غير سبحانيّة ، وآمالٍ دَنيّة دنيويّة ، أن يلقى الله تعالى ويتشرّف برؤيته . وبحكم امتناع اجتماع الضِّدَّيْن أو النقيضَيْن ، فلا سبيل لدخوله ذلك الميدان ما لم تَزُل النقائض وتنمح تلك الأعراض .

منظردل نيست جـاى صـحبت اغـيار
ديو چو بـيرون رود فـرشته در آيـد[٢]

١ـ «ديوان قيس بن الملوّح العامريّ» المشهور بمجنون ليلى العامريّة، ص ١٠٩، طبعة بومبي ؛ وقد روى آية الله الملّا أحمد النراقيّ أعلى الله درجته وهو (خالي لأُمّي)، هذه الأبيات الأربعة في كتاب «الخزائن» ص ١٣٠ ، إلّا أنّه ذكر البيتَينِ الأوّلين كالتالي:

وإذ رُمتُ من ليلى عن البُعد نظرةً — لأُطفي بها نارَ الحَشـا والأضـالِعِ
تقول نساءُ الحيّ تَطمعُ أن تَـرى — مَحاسن ليلى مُتْ بداءِ المَـطامِعِ

وذكر الأبيات كذلك الشيخ بهاء الدين العامليّ في «الكشكول» ص ٦١٠، العمود الأيمن، الطبعة الحجريّة، وفي طبعة مصر بتحقيق طاهر أحمد الزاويّ، دار إحياء الكتب العربيّة: ج ٢، ص ٢٣٠ ، وقال: «**يُنْسَب إلى المجنون**».

٢ـ جاء في «ديوان حافظ» ص ٨٤ ، الغزليّة رقم ١٨٧ ، طبعة پژمان، مطبعة ⇦

....

⇐ بروخيم، سنة ١٣١٨، ما يلي:

بـر سـر آنـم كـه گـر زدست بـرآيـد		دست بكـارى زنـم كـه غـصّه سـر آيـد
منظر دل نيست جاى صحبت اضـداد*		ديـو چـو بـيرون رود فـرشته در آيـد
صحبت حكّام، ظـلمتِ شبِ يـلداست		نـور ز خـورشيد خـواه بـو كـه بـر آيـد
بـر در اربـاب بـى مـروّت دنـيا		چند نشينى كه خـواجـه كـى بـدر آيـد
تـرك گـدائـى مكـن كـه گـنج بـيابى		از نـظر رهـروى كـه بـر گـذر آيـد
صـالح وطـالح مـتاع خـويش نـمودند		تـا كـه قـبول افـتد وچـه در نـظر آيـد
بـلبل عـاشق تـو عـمر خـواه كـه آخـر		باغ شود سبز وسرخ گـل بـه بـر آيـد**
غفلت **حافظ** درين سراچه عجب نيست		هر كـه بـه مـيخانه رفت بـى خـبر آيـد

يقول: «إنّي عازم على بذل كلّ ما في وسعي لأضع حدّاً للأحزان.

بيت القلب ليس مكاناً لأجتماع الغرباء والأضداد، فإذا طردتَ الشيطان من قلبك (وهو رمز الأوهام الساذجة والشهوات الباطلة) فستدخل ملائكة السكون والخير إليه لتنيرهُ بنور الحقّ.

إنّ صحبة حكّام الجور هي بحلكة ليلة يلدا (وهي أوّل وأطول ليلة من ليالي الشتاء) وبرودتها، فالتمس شمس الحقيقة حتّى تشرق هذه الشمس على كلّ العالم.

إلى متى تظلّ مُلازماً عتبة باب بيت اللئام، في حين أنّك تهجر بيت الله وهو القادر على أن يُحسِن إليك ويَمُنّ عليك.

لا تنسَ التوجّه إلى أصحاب الضمائر الحيّة، عسى أن تحظى بكنز السعادة بمعونة أحد العرفاء.

الصالح والطالح كلاهما يقدمان على البارئ عزّ وجلّ بما عندهما من عمل وسنرى لأي منهما يمنح الله تعالى رضاه ويشمله برعايته.

اطلب العمر من بلبلك العاشق فسيخضرّ البستان آخر الأمر ويورق الزهر الأحمر.

لا عجب من غفلة **حافظ** من عاقبة الأمر في هذه الدنيا، فكلّ من يدخل خمّارتها (الدنيا) ويشربُ من خمر الهوى والشهوة سيسكرُ لا محالة ويغفل». ⇐

لقد خصّص ابن سينا ، «النمط التاسع» من كتابه «الإشارات» لمقام العارفين ، ويقول في نهاية ذلك النمط :

«إشارَةٌ: جَلَّ جَنَابُ الحَقِّ عَنْ أَنْ يَكُونَ شَرِيعَةً لِكُلِّ وَارِدٍ ، أَوْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ إلَّا وَاحِداً بَعْدَ وَاحِدٍ . وَلذَلِكَ فَإنَّ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ هَذَا الفَنُّ ضُحْكَةٌ لِلْمُغَفَّلِ عِبْرَةٌ لِلْمُحَصِّلِ ؛ فَمَنْ سَمِعَهُ فَاشْمَأَزَّ عَنْهُ فَلْيَتَّهِمْ نَفْسَهُ ، لَعَلَّهَا لاَ تُنَاسِبُهُ ؛ وَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ .» [١]

وحكى الشيخ بهاء الدين العامليّ أنّه ورد في رواية أنّ إبراهيم بن أدهم كان يطوف بالكعبة فرأى شابّاً أمرد جميل الوجه وسيم الطلعة . فنظر إليه برهة ثمّ تنحّى عنه وتوارى بين المُطَّوِّفين

فلمّا اختلى بنفسه سأله بعضهم عن سبب تلك النظرة قائلين : لم نشهد لك مثل تلك النظرة إلى شابٍّ جميل فيما سبق!

فقال : هو ابني ، وقد كنتُ تركته في خراسان . فلمّا شبّ ترك مدينته

⇦ * جاء في التعليقة: (خلوت دل نيست) بدلاً من (صحبت اغيار).

** البيتان التاليان المعروفان هما في نهاية الغزليّة:

بگذرد اين روزگار تلختر از زهر ... بار دگر روزگار چون شكر آيد

صبر و ظفر هر دو دوستان قديمند ... بر اثر صبر نوبت ظفر آيد

يقول : «سينقضي هذا الدهر الأمرُّ من السمّ (القاتل)، وسيعود ثانية الزمن (الحلو) كالسكّر.

إنّ الصبر والظفر صديقان قديمان، إذ إنّ الظفر دوماً يعقب الصبر».

لكن لا يوجد هذان البيتان في النسخ القديمة. (التعليقة)

١ـ «شرح الإشارات» للخواجة نصير الدين الطوسيّ ، الطبعة الحجريّة، لسبع صفحات بقين منه، وعبارة «**كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ**» هي من حديث نبويّ يستشهد به العرفاء في كتبهم، منهم عزيز الدين النسفيّ في كتاب «الإنسان الكامل» ص ٢١٤.

وطفق يبحث عنّي ، فخفتُ أن يشغلني عن ذِكر الله ، وخشيتُ إن هو عرفني أن آنس به . ثمّ أنشد هذه الأبيات :

هَجَرْتُ الخَلْقَ طُرّاً فِي هَوَاكَا وَأَيْتَمْتُ العِيَالَ لِكَيْ أَرَاكَا
فَلَوْ قَطَّعْتَنِي فِي الحُبِّ إرْباً لَمَا حَنَّ الفُؤَادُ إلَى سِوَاكَا[1]

* * *

أُحِبُّ التُّقَى وَالنَّفْسُ تَطْلُبُ غَيْرَهُ وَإنِّي وَإيَّاهَا لَمُصْطَرِعَانِ
فَيَوْمٌ لَهَا مِنِّي وَيَوْمٌ أُذِلُّهَا كِلاَنَا عَلَى الأَيَّامِ مُعْتَرِكَانِ[2]

وبناءً على ما قيل ، فإنّ الأبيات التي مطلعها :

هَجَرْتُ الخَلْقَ طُرّاً فِي هَوَاكَا

مرويّة عن إبراهيم بن أدهم ، وأمّا نسبتها إلى سيّد الشهداء الحسين

١ـ ورد في كتاب «نفائس الفنون في عرائس العيون» ج ٢ ، ص ٢٨ ، طبعة الإسلاميّة، ذِكْر هذه القصّة بالشكل التالي:

«وعلامة أُخرى من علامات المحبّة هي الحذر من أن يكون الابن أحد الموانع التي تقف في طريق الوصول ؛ حيث ذكروا: أنّ إبراهيم أدهم رحمه الله عقد مع رفيقه، وهو في الطريق لأداء فريضة الحجّ ، اتّفاق موافقة ومصاحبة، تعهّد فيها الجانبان عدم ستر المنكر عندما يصدر من أحدهما. فلمّا وصلا إلى مكّة، شاهدا إحدى العمارات المزيّنة وقد جلس فيها فتىً وسيم. فتطلّع إبراهيم إليه، وكرّر النظر. فآخذه رفيقه على هذا العمل. فاغرورقت عينا إبراهيم بالدموع وقال: **ذاك ولدي فارقتُهُ وهو صغير ، فالآن لمّا رأيتُهُ عرفتُهُ**. فقال رفيقه: **أُخبِرهُ عنك ؟!**

فأجاب إبراهيم: **لا ! فإنّ ذلك شيءٌ تركناهُ للّه فلا نَعودُ فيه!** وأنشد هذين البيتين:

هجرتُ الخلقَ طُرّاً في هواكا وأيتَمتُ العيالَ لكي أراكا
ولو قَطّعتَ إرباً ثُمّ إرباً لما حنّ الفؤادُ إلى سواكا

٢ـ «الكشكول» ج ٥ ، ص ٤٩٦ ، العمود الأيمن ، الطبعة الحجريّة؛ وكذا في «طرائق الحقائق»، ج ٢ ، ص ١١٩ ، الطبعة الحروفيّة ، نقلاً عن الشيخ البهائيّ .

عليه السلام وذلك على المنابر الحسينيّة فإنّ هذا لسان حاله لا لسان مقاله .

لقد كان ذلك الإمام المعصوم روحي وأرواح العالمين فداه أُسوة حسنة ومثالاً يُحتَذى به في الفَناء في ذات الحقّ تعالى ، إذ لا تنتهي المسألة بيوم عاشوراء ولا تُطوى بانطواء أحداثها في ذلك اليوم ، بل إنّ نفسه الزكيّة وروحه الطاهرة كانت مجبولة على هذه الحال في سبيل الله عزّ وجلّ . إنّ يوم عاشوراء كان ساحة للتجلّي والظهور ، كان يوم مكاشفة الخلائق والعوالم بما خفي عنهم وإبداء ما لم يُبْدَ لهم .

وما أروع ما أنشد ناصر الدين شاه القاجاريّ في هذا المقام ، يقول :

عشقبازى كار هر شيّاد نيست
اين شكارِ دام هر صيّاد نيست
عشق از معشوقه اوّل سر زند
تا به عاشق جلوهٔ ديگر كند
تا به حدّى بگذرد هستى ازو
سر زند صد شورش و مستى ازو
طالب اين مُدّعَى خواهى اگر
بر حسين و كربلايش كن نظر[1]

١ـ يقول : «ليس كلّ مخاتل يخبر فنّ الغراميّات، ولا كلّ صيّاد بقادر على إيقاع هذه الفريسة في شباكه.

إنّ العشق يبدأ أوّلاً من المعشوقة فيثير في العاشق عواطفه.

ويبلغ هذا العشق درجةً يغيب فيها عن الوجود (أي العاشق)، وتتفجّر في داخله انتفاضات وهيجانات.

وإذا كنت تبحث عن مصداق هذا الكلام تجده في الحسين ومصيبته في كربلاء».

روز عـــاشورا شـــه دنـيای عشـق
کـرد رو بـه جـانب سـلطان عشـق
بـــارالهـا ايـن سـرم ايـن پـيکرم
ايـــن عـلمدار رشـيد ايـن أکـبرم
ايـن سُکـينه ايـن رقـيّه ايـن ربـاب
ايـــن تــنِ عـريان مـيان آفـتاب
اين مـن و ايـن ذکـر يـا رب يـا ربـم
ايـــن مـن و ايـن نـالههای زيـنبم
پس خطاب آمد ز حقّ کای شاه عشق
ای حســين ای يکّـهتاز راه عشــق
گــر تــو بــر مـا عـاشقی ای مـحترم
پـرده بـرچـين مـن ز تـو عـاشقترم
هــرچــه از دست دادهای در راه مـا
مـرحـبا صـد مـرحـبا خـود هـم بـيا
خــود بـيا کـه مـیکشم مـن نـاز تـو
عرش و فـرشم جـمله پـا انـداز تـو[1]

١ـ يقول : «آهٍ من يوم عاشوراء حيث توجّه العشق كلّه إلى ملك العشق. قائلاً له:
اللهمّ هذا رأسي وجسدي وحامل البيرق المغوار وعليّ الأكبر.
وسكينة ورقيّة ورباب والجسد العريان تحت لهيب الشمس.
وتراني وتسمع منّي نداء ياربِّ ياربِّ وتسمع نواح زينب.
فجاء النداء من الحقّ تعالى: ياسلطان العشق ياحسين ياوحيد درب العشق.
إذا كنت لي عاشقاً أيّها العزيز ارفع الستار وانظر فعشقي لك أكبر.
مرحباً بكلّ تضحياتك التي قدّمتها في سبيلي فأقدِم عَلَيّ أنت أيضاً.
هلمّ إليّ وتدلّل عَلَيّ، فعرشي وبساطي تحت أمرك».

خــود بــيا كــه مــن خــريدار تــوام
مشـــترى بـــر جــنس بــازار تــوام
ليک خـــود تــنها مــيا در بــزم يــار
خــود بــيا و اصــغرت را هــم بــيار
خــوش بــود در بــزم يــاران بـلبلى
خـــاصه در مـــنقار او بــاشد گــلى
خـود تـو بـلبل ، گـل عـليّ أصـغرت
زودتـــر بشـــتاب ســوى داورت[١]

يقول المؤرّخ والعالم المعاصر حجّة الإسلام الحاجّ الشيخ محمّد شريف الرازيّ أمدّ الله في عمره الشريف ، والذي تشرّف الحقير بمعرفة سماحته مدّة خمسين سنة ، حول تشرّفه مرّة بزيارة المرقد الطاهر لسيّد الشهداء عليه السلام : إنّ القصائد الشعريّة التي يردّدها أهل المنابر الحسينيّة هي من تأليفه هو وقد أنشدها ارتجالاً أثناء دخوله إلى الحائر الشريف :

گر دعوت دوست مى‌شنيدم آنـروز
مــن گــوى مـراد مـى‌ربودم آنـروز
آن روز بود كه روز هَـل مِـن نـاصر
ايكاش كه **نـاصر** تـو بـودم آنـروز[٢]

١ـ يقول : «تعال إليّ فإنّي راغب إليك، وقد تقبّلتُ قرابينك.
لكن لا تأتِ بمفردك إلى مهرجان الأحبّة، بل هاتِ معك عليّ الأصغر.
وهنيئاً لبلبلٍ يذهب إلى حفلة الأحبّة حاملاً بمنقاره زهرة.
أنت البلبل وعليّ الأصغر الزهرة، فأسرع بالمجيء إلى ربّك».
٢ـ يقول : «لو أنّي كنتُ قد سمعتُ دعوة الحبيب في ذلك اليوم.
لفزتُ بهدفي العظيم المنشود في ذلك اليوم، ذلك اليوم الذي انطلَقَتْ فيه صرخة ⇦

ثمّ شهق شهقة وأُغشيَ عليه . فلمّا عاد إلى وعيه بدأ ينشد الأبيات التالية وهو يبكي :

تو كيستى كه گرفتى به هر دلى وطنى
كه نه در انجمنى نى برون ز انجمنى
محمّدى نه، علىّ نه، حسن نه پس تو كه‌اى
كه جلوه‌ها بنمودى چو گل به هر چمنى
به خلق مثل محمّد به خوى مثل علىّ
به روى از همهٔ خلق، خلقت حسنى
همان حسين غريبى كه روز عاشورا
جهان مصالحه كردى به كهنه پيرهنى [1]

⇦ هل من ناصر، فيا ليتني كنتُ أنا الناصر الذي بحَثْتَ عنه في ذلك اليوم».

١ـ يقول : «يا من تربّعتَ في كلّ قلب، فلا أنت في الجمع ولا خارجه.

فلا أنت محمّد ولا أنت عليّ ولا الحسن، فمن أنت إذاً، يا من تجلّيت كزهرة في كلّ بستان.

أنت كمحمّد في الخلق وكعليّ في الخُلُق، وإنّك خِلقتك حسنيّة من دون جميع الخلق.

إنّك أنت الحسين الغريب الذي بعتَ الدنيا كلّها بثوب بالٍ».

«اختران فروزان رى وطهران» أو «تذكرة المقابر في أحوال المفاخر» ص ١٢٩؛ وقال كذلك:

لقد تشرّف مراراً بزيارة العتبات المقدّسة. وأنشد من أعماق فؤاده البيتين التاليين وذلك عند تشرّفه بزيارة الحرم الشريف لأمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام:

إسكندر و من ، اى شه معبود صفات — بر گرد جهان صرف نموديم اوقات
بر همّت من كجا رسد همّت او — من خاک در تو جستم او آب حيات

يقول : «أنا والإسكندر جُلنا العالم وقضّينا أوقاتاً طويلة، أيّها السلطان، يا معبود الصفات. ⇦

إلى آخر القصيدة .

لقد ابتغى هؤلاء الشعراء تبيان تلك الحالة التي اعترت سيّد الشهداء عليه السلام مصوِّراً مقولة «لِي مَعَ اللَهِ» ، تلك الحالة التي تمثّلت فيها السعادة والأوقات العصيبة ، والتي لم يكن لأيّ مَلَك مُقَرَّب أو نبيٍّ مُرْسَل قدرة الوصول إلى ذلك المقام الرفيع ، أو تحمّل تلك الرموز العرفانيّة السامية على الإطلاق .

فلننظر معاً إلى التعابير الجزلة والإشارات البديعة واللطائف المليحة لحجّة الإسلام الشيخ محمّد تقي نيّر التبريزيّ ، وهو يصف جانباً من حالات ذلك الإمام الهمام والصمصام البتّار ، والقائد الذي تنصّل عن كينونته وطلب الالتحاق بالمحبوب ، عزيزه .

يشرح الشيخ التبريزيّ حالة ذلك المقدام في ميدان الحبّ السرمديّ

⇦ أين همّته وعزمه من همّتي وعزمي فهو كان يبحث عن ماء الحياة في حين كنتُ أنا أبحث عن ترابك».

وذكر في ص ١٣٠ : «وحين تشرّفه بزيارة حرم الملك الحارس المرضيّ عليّ بن موسى عليه آلاف التحيّة والثناء أنشد هذين البيتين بإخلاص تامّ وأهداها إلى ذلك الحرم الجليل:

در طوس ، حريم كبريا مى‌بينم — بى‌پرده تجلّى خدا مى‌بينم

در كفش كَن حريم پور موسى — موساى كليم با عصا مى‌بينم

يقول : «إنّي أرى حرم الكبرياء في طوس، وأرى تجلّي الله دون حجاب.

وأرى موسى الكليم مع عصاه في منزع الأحذية في حريم موسى».

وقال في ص ١٣١ : «كان ذلك المرحوم يمتلك معلومات علميّة وثقافيّة وأدبيّة وكان يمتلك ذوقاً وقريحة شعريّة، فكانت أشعاره الغزليّة بحقّ أشعار الملوك وملوك الأشعار، على غرار ما يُقال في المثل الدارج : كلام الملوك وملوك الكلام. وله ديوان شعريّ مطبوع بخطّ فارسيّ جميل وجذّاب موشّحاً بالذهب والمِينا ومحفوظ في مكتبة الملك النفيسة وهي فرع من مكتبة الحرم الرضويّ الشريف في طهران برقم ٦٠٠٤».

وابتغائه الوصول إلى المحبوب الأزليّ ومقصوده ومراده الأبديّ قائلاً :

تــا خــبر دارم از او ، بــی‌خبر از خـویشتنم
بــا وجــودش ز مــن آواز نــیاید کــه منم
پــیرهن گــو هــمه پُــر بـاش ز پـیکان بـلا
که وجودم هـمه او گشت مـن ایـن پـیرهنم
بــاش یکــدم کــه کــنم پــیرهن شـوق قـبا
ای کمان کِش که زنی نـاوُکِ پـیکان بـه تـنم
عشـق را روزِ بـهار است کـجا شـد رضـوان
تــا بَـرَد لاله بـدامـن سـوی خُـلد از چـمنم
روز عهد است بکِش اسپرم ای عقل زپـیش
تــا تــصوّر نکـند خـصم کـه پـیمان شکـنم
مــی‌نیاید بــه کـفن راست تـنِ کشـتهٔ عشـق
خــصمِ دون بــیهده گـو بـاز نـدوزد کـفنم[1]

١ـ يقول :

«طالما كان ذكره موجوداً فلا ذِكر لي ، وطالما كان وجوده موجوداً فلا صرخة تُسمَع لي .

ثوبٌ ملأْتُهُ سهام الورى، فأصبح ذلك الثوب وجودي كلّه.

سأجعل من ذلك الثوب جُبّة الشوق، يا من تُصوّب سهامك نحو جسدي .

لقد أصبح الربيع يوم عشقي فأين رضوان ليأتي ويأخذ الزهرة من بستاني المدثّرة بالرداء إلى جنّات الخُلد.

إنّه يوم العهد فخُذ درعي أيّها العقل حتّى لا يتوهّم العدوّ أنّي نقضتُ العهد.

وليس يَليق بقتيل العشق أن يُلبَسَ الكفن، أيُّها العدوّ اللئيم لا تَقُلْ عَبثاً إنّي بحاجة إلى كفن» .

هاتفم مـی‌دهد از غـيب نـدا شـمر كـجاست
گــو شــتابی كــه بـه يـاد آمـده عـهد كُـهنم
سخت دلتـنگ شـدم ، هـمّتی ای شـهپر تـير
بشكـن ايـن دام بِكش بـاز بـه سـوی وطـنم
دايــهٔ عشــق ز بس داده مــرا خــون جگـر
مــــيدمد آبــــلهٔ زخــــم كـــنون از بــدنم
گویِ مَطلَع چه عجب گر برم از فارِس فارْس
تــا بـه مـدح تـو شـها **نـيّر** شـيرين سـخنم[1]

بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي وَنَفْسِي يَا أَبَا عَبْدِ اللَهِ ؛ أَشْهَدُ لَقَدِ اقْشَعَرَّتْ لِدِمَائِكُمْ أَظِلَّةُ العَرْشِ مَعَ أَظِلَّةِ الخَلاَئِقِ ، وَبَكَتْكُمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ وَسُكَّانُ الجِنَانِ وَالبَرِّ وَالبَحْرِ ، صَلَّى اللَهُ عَلَيْكَ عَدَدَ مَا فِي عِلْمِ اللَهِ.[2]

١ـ يقول :

«يناديني هاتفٌ من الغيب: أين الشمر، فقل له أنّ ما تفعلونه هـو مـصداق لعـهدي القديم.

لقد ضاق صدري فعجّلوا يا خيرة الرماة، حطّموا لي هذا القيد وعجّلوا برحـيلي إلى الموطن.

لقد ملأ العشق قلبي قيحاً حتّى فارت دمامل الجرح من بدني.

ما أجمل أن أبدأ كلامي أنا **نيّر** ذرب اللسان وأمدحك أيّها الملك».

ديوان «آتشكده» لحجّة الإسلام نيّر طاب ثراه، ص ١٢٣ ، الطبعة الرابعة: وهو لسـان حال الإمام أبي عبد الله عليه السلام حين استشهاده.

٢ـ «مفاتيح الجنان» ص ٤٣٩ ، طبعة الإسلاميّة ، ١٣٧٩ هـ؛ وهي جزء من جملة زيارة سيّد الشهداء عليه السلام التي تُقرأ في الأوقات الستّة : في أيّام وليـالي الأوّل مـن رجب، والنصف من رجب والنصف من شعبان (حسب ما روي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام في كتب الشيخ المفيد والسيّد ابن طاووس والشهيد).

يستفاد من هذه الفقرة من الزيارة الشريفة أنّ أشباح العرش وأشباح الخلائق لم يتحمّلوا أو يطيقوا مشهد تلك الواقعة ، فاقشعرّت أبدانهم وارتعدت فرائصهم ومفاصلهم من شدّة وَقْع تلك الحادثة ، وكذا السماوات والأرضون وسكّانها ، وأهل الجَنّة والصحارى والبحار ، بكوا لذلك المصاب الجلل . فعليك سيّدي ومولاي السلام بعدد الخلائق التي لا يعلم عددها إلّا الله وحده ، يا مَن أظهر الجميع عجزهم الكامل أمام عظمتك وصبرك وجلدك ، وتحيّروا إزاء شخصك ومنزلتك .

آسمان بار امانت نتوانست كشيد قرعهٔ فال به نام من ديوانه زدند[1]

١ـ يقول : «أزفت السماء عن حمل الأ مانة، فجاءت القرعة باسمي أنا المجنون».

البحث الخامس إلى الثامن

الله عاشق ما سواه، وما سوى الله عاشقه

وتفسير الآية المباركة

يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ

أَعُوذُ بِاللَهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمَ

بِسْـمِ اللَهِ الـرَّحْمَنِ الـرَّحيم

وَصَلَّى اللَهُ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ

وَلَعْنَةُ اللَهِ عَلَى أعْدَائِهِمْ أجْمَعِينَ مِنَ الآنَ إلَى قِيامِ يَوْمِ الدِّينِ

وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إلَّا بِاللَهِ العَلِيِّ العَظِيمِ

قَالَ اللَهُ الحَكِيمُ فِي كِتَابِهِ الكَرِيم :

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَـٰقِيهِ.

(الآية ٦ ، من السورة ٨٤ : الانشقاق)

قال أُستاذنا الأعظم آية الحقّ والعرفان العلّامة الطباطبائيّ أعلى الله مقامه في تفسير هذه الآية الكريمة :

«قال الراغب : **الكَدْحُ** السعي والعناء ـ انتهى . ففيه معنى السير ، وقيل : الكدح جهد النفس في العمل حتّى يؤثّر فيها انتهى ـ وعلى هذا فهو مُضَمّن معنى السير ، بدليل تعدّيه بإلى ، ففي الكدح معنى السير على أيّ حال .

وقوله : **فَمُلَـٰقِيهِ** عطف على **كَادِحٌ** ، وقد بيّن به أنّ غاية هذا السير والسعي والعناء هو الله سبحانه بما أن له الربوبيّة ، أي أنّ الإنسان بما أنّه عبد مربوب ومملوك مُدَبَّر ، ساعٍ إلى الله سبحانه بما أنّه ربّه ومالكه المُدَبِّر لأمره ، فإنّ العبد لا يملك لنفسه إرادة ولا عملاً ، فعليه أن لا يريد ولا يعمل إلّا ما أراده ربّه ومولاه وأمره به ، فهو مسؤول عن إرادته وعمله .

ومن هنا يظهر **أوّلاً** أنّ قوله : **إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ** يتضمّن حجّة على المعاد ، لما عرفت أنّ الربوبيّة لا تتمّ إلّا مع عبوديّة ، ولا تتمّ العبوديّة إلّا مع مسؤوليّة ، ولا تتمّ مسؤوليّة إلّا برجوع وحساب على الأعمال ، ولا يتمّ حساب إلّا بجزاء .

وثانياً : أنّ المراد بملاقاته انتهاؤه إلى حيث لا حكم إلّا حكمه ، من غير أن يحجبه عن ربّه حاجب .

وثالثاً : أنّ المخاطب في الآية هو الإنسان بما أنّه إنسان ، فالمراد به الجنس ، وذلك أنّ الربوبيّة عامّة لكلّ إنسان» .[١]

قد أثبت أعاظم حكماء الإسلام أنّ بين ربّ العزّة وبين مخلوقاته نوعاً من الجذب والانجذاب يُعَبَّر عنه **بالعشق** .

ولا جَرَمَ أنّ حبّ الله لمخلوقاته هو الذي أوجدها وألبس كلّ واحد منها (كلٌّ حسب إمكانيّته واستعداده وماهيّته المتفاوتة) لباس الوجود والبقاء ، ووصف كلّاً منها بصفاته حسب ما يتناسب معه . إنّ هذا هو الحبّ الذي أعطى العالَم كيانه وبقاءه وديمومته ، بِدءاً بالأفلاك ومروراً بالأرض والذرّة إلى الذُّرّة ، وجَعْلها كلّها موجودات تتحرّك نحوه وتشقُّ طريقها إليه .

وكذا حال حياتنا ومعيشتنا في حركتنا نحو الله ، فهي تمضي قدماً في ذلك بواسطة ذلك الحبّ والعشق الذي أوجده الله عزّ وجلّ في الخلقة والفطرة . وعلى هذا فإنّ كلّ موجود من الموجودات الإمكانيّة يجد طريقه إلى الاستمرار في حياته وبقائه على أساس وأصل ذلك الحبّ للمحبوب ، وهكذا يستمدّ قانون التجاذب (الجذب والانجذاب) استمراريّته بين جميع المخلوقات السفليّة (الدنيا) والعوالم العُلويّة .

١ـ «الميزان في تفسير القرآن» ج ٢٠ ، ص ٣٦٠.

إنّ هذا التجاذب المستقرّ في كلّ موجود وبشكل معيّن ، هو السبب في تكوين وإنشاء تلك الحركة المُتَّجِهة نحو المبدأ الأعلى عبر مدارج ومعارج متباينة ، وهو السبب في ذلك الحبّ الذي يدفع بجميع العاشقين إلى التحرُّك باتّجاه ذلك المحبوب والسير نحوه بوساطة ذلك الحبّ ، من دون حجاب أو من وراء حجاب على السواء . وكلّ ما في الأمر أنّ الموجودات الضعيفة والماهيّات السفليّة تتعرّض خلال سيرها لتأثير شديد من قِبَل قوى أشدّ منها نظراً لصفة المحدوديّة الموجودة في وجودها ، وهو ما يتسبّب في فَنائها هناك . وطبقاً للقاعدة القائلة : (الأقرب فالأقرب) ، فإنّ أيّ موجود عالٍ هو غاية السير عند الموجود والمعلول الأدنى منه ، حتّى يصل إلى ذات الحقّ والمُصَدِّر المطلق ، والذي هو الموجود الأوّل العظيم اللامتناهي في عالم العوالم ، حيث يفنى فيه وتتحقّق عند ذاك عمليّة التحابب والتعاشق بين الحقّ سبحانه وتعالى وبين ذلك الموجود .

وقد عُبِّرَ في هذه الآية الشريفة الكريمة عن تحرُّك الإنسان نحو هذا المحبوب ذي الجمال والمعشوق صاحب الجلال ، وهو الهدف النهائيّ والمقصد الرئيسيّ ، **بالكدح** .

ومعنى ذلك أنّه يتوجّب على الإنسان ـ وهو أشرف المخلوقات استعداداً ـ أن يُوصِلَ ذاته ونفسه إلى الفَناء التامّ بالفعل .

فنالك مَن حالفهم الحظّ ووصلوا ، وهنالك من أضاعوا استعدادهم وضيّعوا عدّتهم ، وفشلوا في أن يجدوا مأمناً وأمناً في حرم أمنه ، وعجزوا عن الاستقرار في ظلّه ، ولم يفلحوا في اجتياز موانع الصراط والدخول إلى حضرة جلاله ، وسيلتقي كلّ منهم به ويتلاقى معه وسيصلون إلى محبوبهم الحقيقيّ من وراء ألف حجاب ، وعندها سيوقنون بأنّه هو وحده غاية مرادهم وحبيب قلوبهم ، وكلّ ما في الأمر ، أنّهم في دنيا الشهوات الدنيّة

التي أعشت عيونهم ، لم يروا جلاله ، وها هم ، يصلون بعد الحُجب لملاقاة ربّهم عزّ وجلّ .

ذَكرَ الشيخ بهاء الدين العامليّ في كشكوله :

«للشيخ الرئيس أبي علي ابن سينا رسالة في ذكر العشق [1] تحت عنوان «رسالة العشق» ، وفيها يتوسّع في مقالته ويقول بأنّ العشق لا يختصّ بالإنسان وحده ، بل بجميع الكائنات ، من الفلكيّات والعناصر ، والمواليد الثلاثة (المعادن والنباتات والحيوانات) مجبولة عليه بالفطرة ، وهي منقوشة في ذاتها وماهيّتها» [2] . انتهى كلام الشيخ البهائيّ رحمة الله عليه .

وتبدأ الرسالة بالعبارة التالية :

بِاسْمِكَ اللَهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، سَأَلْتَ أسْعَدَكَ اللَهُ يَا عَبْدَ اللَهِ الفَقِيهَ المُعْصِرِيَّ ! أَنْ أَجْمَعَ لَكَ رِسَالَةً تَتَضَمَّنُ إيضَاحَ القَوْلِ فِي العِشْقِ عَلَى سَبِيلِ الإيجَازِ فَأَجَبْتُكَ ـإلى آخرها .

١ـ **العشق** ، بمعنى الإفراط في الحبّ ، واللفظة مأخوذة من كلمة **عَشَقَة** ، نباتٌ يلتوي على شجرة العنب ويلزمها فيمتصّ عصارتها وتذبل نتيجة ذلك. وهذا النبات الذي يدعى كذلك **اللَّبْلَابِ** أو **السِّرِيشْلَة** لا يمتلك حَبّاً حتّى ينبت على الأرض ، بل ينمو لوحده تلقائيّاً في مزارع العنب، ويلتصق جذره وساقه بشجرة العنب. ولو فُصِلَ من هذا النبات جزء وتمكّن من الوصول إلى شجرة عنب أُخرى التصق بها على الفور ونما سريعاً ويعمل على إتلاف الشجرة فتذبل وتتيبّس. وقيل إنّه يكفي زرع حَبّة واحدة من هذا النبات في مزرعة عنب لإتلافها جميعاً، فهو ينمو بسرعة ويعمل على تيبيس الشجرة. فحقّ إذاً للمزارعين أن يخافوا نموّ هذا النبات ويسارعوا إلى استئصاله فور اكتشافهم له في مزارع العنب، ثمّ يعمدون إلى حرقه لمنع تواجد أيّ أثر له على الأرض تماماً.

٢ـ قال العرفاء عن الماهيّة بأنّها العين الثابتة، وكذلك سمّوها بالتعيّن؛ وورد ذكرها في الروايات باسم الطينة.

وقد نظّم هذه الرسالة في سبعة فصول وهي:

الأوّل: في ذكر أنّ العشق يسري في كلّ ذات.

الثاني: في ذكر العشق في الجواهر البسيطة غير الحيّة، على سبيل المثال، الهيولى، والظواهر، والمعادن، وكلّ جماد.

الثالث: في ذكر العشق في الموجودات والأشياء التي تمتلك القوّة المغذّية.

الرابع: في ذكر العشق في الموجودات الحيوانيّة، لسبب أنّها تمتلك قوّة حيوانيّة.

الخامس: في ذكر العشق في الظرفاء والفتيان في قبال حسان الوجوه.

السادس: في ذكر العشق في النفوس المتألّهة.

السابع: وهو فصل يختتم به الكتاب بالمراجعة والاستنتاج.

وهذه الرسالة استدلاليّة، ومطالعتها من قبل ذوي الرأي لا تخلو من فائدة.

وقد تحدّث فصّلاً في الفصل الخامس، وهو بعنوان «**عِشْقُ الظُّرَفَاءِ وَالفِتْيَانِ**[1] **لِلأَوْجُهِ الحِسان**»، واستدلّ بالحديث الشريف للنبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: **اطْلُبُوا الحَوَائِجَ عِنْدَ حِسَانِ الوُجُوهِ**[2]، وعدّد أوجه الحلال

١ـ **ظُرَفَاء** جَمْعُ ظَرِيف. ظَرُفَ ـ ظَرْفاً وظَرَافَةً: كَانَ كَيِّساً حَسَنَ الهَيْئة، كَانَ ذَكِيّاً بَارِعاً، فَهُوَ ظَرِيفٌ؛ ج: ظُرَفَاء وَظِرَاف وَظُرُف وَظُرُوف وَظَرِيفُونَ.

وفِ**تْيَان** جَمْعُ فَتَى، وَهُوَ الشَّابُّ الحَدَث، السَّخِيُّ الكَرِيم؛ ج: فِتْيَان وَفِتْيَة وَفِتْوَة وفُتُوّ وفُتِيّ وفِتِيّ.

٢ـ جاء في «مكاتيب الرسول» ج ٢، ص ٦١٤، نقلاً عن «كنز العمال»: **كِتابُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِلَى عُمَّالِهِ: إِذَا أَبْرَدْتُمْ إِلَيَّ بَرِيداً فَأَبْرِدُوهُ فَابْعَثوهُ حَسَنَ الوَجْهِ حَسَنَ الاسْمِ.**

والحرام ، عقلاً وشرعاً ، موضّحاً بأنّ الشريعة الإسلاميّة الغرّاء قد أوصدت باب العشق المذموم ، وذلك بالاستدلال العقليّ ، وبالمقابل ، قد فتحت باب العشق الممدوح على مصراعيه[١] .

ويستطرد في بحثه عشق النفوس المتألّهة ، حتّى يصل إلى المقطع الذي يقول فيه :

«الآن ، أصبح واضحاً ، بأنّ العلّة الأُولى ، هي مصدر كلّ الخيرات ، ولا مسبّب لهذه العلّة ؛ وعليه ، فهذه العلّة (الله) هي الخير المطلق ، استناداً لمحض ذاته المقدّسة ، وكذلك ، بالقياس إلى جميع الموجودات ، وذلك ، لأنّه هو حبل بقاء المخلوقات ودوامها .

وهذه المخلوقات ، هائمة ومشتاقة إلى كمال العلّة الأُولى ، وبهذا ، يكون هو الخير المطلق ، بكلّ الاعتبارات وعلى جميع الأوجه .

١ـ يقول الملّا الروميّ («المثنوي» ج ١، ص ٧، طبعة ميرخاني) عن الحبّ المذموم ما معناه:

عشقهائی كز پی رنگی بود ... عشق نبود عاقبت ننگی بود

يقول : «إن يكن حبّاً كثير التلوّن ؛ فذاك الحبّ شؤماً ليس حبّا».

وحول الحبّ الممدوح قال:

عشقِ آن زنده گزين كو باقی است ... وز شراب جانفزايت ساقی است
عشق آن بگزين كه جمله انبياء ... يافتند از عشق وی كار و كيا
تو مگو ما را بدان شه بار نيست ... با كريمان كارها دشوار نيست

يقول : «ابحثْ عن عشق ذلك الحيّ الذي هو باقٍ على الدوام، وهو الذي يسقيك شراب الروح.

اطلبْ عشق ذلك الذي نال به جميع الأنبياء مرادهم ومطلبهم.

ولا تقلْ : أين نحن من ذلك السلطان؟ فليس التعامل مع الكرماء صعباً أو مستحيلاً».

وقد قلنا من قبل إنّ من أدرك خيراً هام فيه بلا إرادة منه، ولهذا، فالعلّة الأُولى، هي المعشوق بالنسبة إلى النفوس المتألّهة، ولأنّ كمال هذه النفوس، الإنسيّ منها والملائكي، هو تصوّر تلك النفوس للمعقولات كلٌّ حسب قدرته (من باب التشبّه بذات الخير المطلقة) حتّى تصدر عنها أفعال عادلة من قبيل الفضائل البشريّة، وعلى مثال تحريك النفوس الملائكيّة للجواهر العُلويّة السائلة. إنّ بقاء الموجودات في عالم الكون والفساد (هو من باب التشبُّه بذات الخير المطلقة) والتقرُّب له والاستفادة من كماله وفضيلته والانتفاع بها. وعلى هذا فقد بات واضحاً أنّ الخير المطلق هو معشوق هذه النفوس، ولذا سُمِّيت تلك النفوس بـ «المتألّهة» لسبب نسبتها وتشبّهها به وحبّها له؛ وهذا العشق وذلك الحبّ ثابتٌ ومتأصّل في تلك النفوس المتصفة بـ **التَّأَلُّه**، غير زائل عنها».

حتّى يصل إلى قوله:

«أصبح واضحاً بأنّ وجود الحقّ، وهو الخير المطلق، هو المعشوق الحقيقيّ للنفوس الإنسيّة والملائكيّة».

ويقول في الفصل الختاميّ:

«نريد في هذا الفصل، الخروج بعدّة استنتاجات:

أوّلاً: كما ذكرنا سابقاً، أنّ جميع الموجودات في هذا الكون، هي في الحقيقة، عاشقة وتوّاقة إلى الخير المطلق، بفعل العشق[1] الغريزيّ، وهذا

١ـ ذكر معلّق ومترجم الرسالة في هذا الخصوص: «يصنّف الأُدباء وأهل الذوق المحبّة إلى مراتب هي:

المرتبة الأُولى مرتبة **الهَوَى**؛ الثانية مرتبة **العلاقة**؛ ثمّ مرتبة **الكَلَف**؛ ثمّ مرتبة **العِشق**؛ ثمّ مرتبة **الشَّعَف** (بالعين المهملة)؛ ثمّ مرتبة **الشَّغَف** (بالغين المعجمة)؛ ثمّ مرتبة ⇐

الخير المطلق متجلٍّ لعشّاقه ، ولكنّ هذا التجلّي مختلف بحسب درجات هذه الموجودات ، حيث إنّهم كلّما ازدادوا تقرّباً من الخير المطلق ، عظم تجلّيه لهم ، والعكس بالعكس .

ثانياً : أنّ الخير المطلق والعلّة الأُولى ، يميل انسجاماً مع كرمه ورحمته الذاتيّتين إلى أن يشمل بلطفه جميع الكائنات .

ثالثاً : وجود كلّ الموجودات هو انعكاس لهذا اللطف من لدن الخير المطلق .

أما وقد تمّ توضيح هذه المسألة بشكل إجماليّ ، الآن نقول : بأنّ في تركيب آحاد هذه الموجودات عشق غريزيّ لأجل استحصال كمالها الذاتيّ ، وكمالها هو نفسه الخير الذي أشرنا إليه .

إذاً ، فسبب وقوع كلّ الخيرات ، هو ذلك المعشوق الحقيقيّ لكلّ الموجودات ، والذي عبّرنا عنه بالعلّة الأُولى ، فهي معشوق كلّ الموجودات ، وإذا كان هناك من حُرِم معرفته ، وجهل وجوده ، فهذا الجهل لا ينفي العشق الغريزيّ في الموجودات ، لأنّ كلّاً وراء كماله الذاتيّ ، وحقيقة الكمال ـ الذي هو الخير المطلق ـ تلك العلّة الأُولى ، والتي تتجلّى لكلّ الموجودات ، بحسب ذاتها ، إلّا أن يكون محجوباً بذاته عن التجلّي ،

⇦ **الجَوَى** ؛ ثمّ مرتبة **التَّيْم** ؛ ثمّ مرتبة **التَّبْل** (بفتح التاء وسكون الباء)؛ ثمّ مرتبة **التَّدْلِيَة** ؛ ثمّ مرتبة **الهُيوم** ، وهي آخر المراتب التي يمكن للعاشق الفاني في معشوقه أن يصل إليها، وفي هذه المرتبة ينشد الشاعر قائلاً:

در هر چه نظر كردم 				سيماى تو مى‌بينم

يقول : «فما نظرت إلى شيءٍ من حولي ؛ إلّا وفي ذاك الشيء رسمك».

أو كما قال بايزيد: **لَيسَ فِي جُبَّتِي إلَّا اللَهُ .**

وقال أمير المؤمنين عليٌّ عليه السلام: **مَا رَأَيْتُ شَيْئاً إلَّا وَقَدْ رَأَيْتُ اللهَ فِيهِ أَوْ مَعَهُ .**

فيلزم أن يستتر ، فلا ينعم أيّ من الموجودات من فيض وجوده .

إذا كان تجلّي الخير الأوّل هو بتأثير الغير ، فيجب إذاً أن تكون الذات المتعالية ، والمنزّهة عن كل النقائص ، واقعة تحت تأثير الغير أيضاً ، وهذا محال ، بل الخير الأوّل يتجلّى بحسب الذات ، وحجب تجلّيه عن بعض الذوات ، هو لقصور وضعف في هذه الذوات ليس إلّا .

وبعبارة أُخرى : كلّ نقص وعيب ، يكون من جانب القابل ، وليس من جانب الفاعل ، وإلّا فذاته المقدّسة متجلّية بحسب الذوات» .

ويستطرد في قوله حتّى يصل إلى :

«الثاني : أنّ الموجود المتهيّئ لأن ينعم باللطف الإلهيّ ، هو موجود ذو نفس إلهيّة ، على الرغم من أنّه في البدء ، ومصداقاً للآية الكريمة **عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ** وجد بتأثير الفعل الفعّال ، ومن موقع القوّة ، وأمدّته من موقع التصوّرات ورتبة التعقّلات ، ولكن ، ما أن يصل إلى حدود الفعليّة ، وينعم بنعمة القرب من الحقّ تعالى ، حتّى يعلو ويسمو إلى مراتب أعلى من ذلك . حيث يقول الملك المقرّب من الله في هذا المقام : **لَوْ دَنَوْتُ أَنْمُلَةً لَاحْتَرَقْتُ** .

ويتابع قائلاً :

«لذا ، فقد أصبح واضحاً بأنّ اللطف الإلهيّ والخير المطلق ، هو سبب نشأ كلّ الموجودات ، وعلّة وجودها ، فلولا هذا اللطف الإلهيّ ، ما لبس مخلوق لباس الوجود ، وأنّ الحقّ تعالى بوجوده ، عاشق لوجود جميع المعلولات ، لأنّ جميع المعلولات كما أسلفنا ، انعكاس لنور لطفه ، ولأنّ عشق العلّة الأُولى ، هو أطهر العشق ، فيكون مَن فاز بلطفه هو المعشوق الحقيقيّ ، وهذا اللطف ، هو مراد النفوس المتألّهة ، وهي نفسها ، معشوقات العلّة الأُولى ، ونستشف من كلمات الأئمّة المعصومين

صلوات الله عليهم أجمعين ما يلي :

قال الله تعالى : أيّاً من عبادي كانت له الأوصاف الفلانيّة ، وعشقني ، عشقته أنا أيضاً ، لأنّ الحكمة الإلهيّة تقتضي أن لا يهمل أو يعطّل شيء يحوي جملة فضائل ، وهذه الفضائل ، متأصّلة في ذاته ، وإن لم يصل بفضيلته إلى حدّها الأقصى ، وعليه ، فالخير المطلق ، بمقتضى حكمته الذاتيّة ، هو عاشق ؛ عاشق لمن لبس الكمال ، وإن لم يكن أقصى الكمال ... **وَإذَا بَلَغْنا هَذَا المَبْلَغَ فَلْنَخْتِمِ الرِّسَالَةَ ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ.**[1]

وقد بسط المرحوم صدر المتألّهين قدّس الله نفسه الزكيّة الكلام في بحث العشق على نحو أعمق وأجمل ممّا فعل الشيخ الرئيس ، حيث برهن تحت عنوان : «**الفَصْلُ ١٥ : فِي إثْبَاتِ أَنَّ جَمِيعَ المَوْجُودَاتِ عَاشِقَةٌ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ مُشْتَاقَةٌ إلَى لِقائِهِ وَالوُصُولِ إلَى دَارِ كَرَامَتِهِ**» ، على أنّ الله سبحانه وتعالى ، قدّر لكلّ موجود من الموجودات : العقليّة والنفسيّة والحسّيّة والطبيعيّة ، بصيصاً من الكمال ، ولأجل بلوغ هذا الكمال والتحرّك نحو إتمامه ، ركّز فيهم العشق والشوق . أمّا العشق بلا شوق ، فهو من اختصاص المفارقات العقليّة ، التي تمتلك الفعليّة في جميع جهاتها ، وأمّا في غير المفارقات العقليّة من الموجودات التي تفتقر إلى الكمال ولكنّها

١ـ قامت منشورات بيدار بطبع «رسالهٔ عشق» (= رسالة العشق) مع اثنتين وعشرين رسالة أُخرى في بلدة قم الطيّبة تحت عنوان «رسائل الشيخ الرئيس أبي عليّ الحسين بن عبدالله بن سينا» (ج ١)، وقد احتلّت «رسالهٔ عشق» الصفحات ٣٧٣ إلى ٣٩٧. وقام الخطيب الشهير السيّد ضياء الدين الدرّيّ بترجمتها مع ثلاث رسائل أُخرى للشيخ باسم «الفوائد الدرّيّة»، وتولّت المكتبة المركزيّة طبعها سنة ١٩٣٩م، وبلغ مجموع الصفحات التي استوعبتها «رسالهٔ عشق» من هذه الطبعة الثلاثين.

تمتلك القوّة والاستعداد ، فقد أودع فيها العشق والشوق الإراديّين بمقدار ، وهكذا العشق والشوق الطبيعيّين بمقدار ، بحسب تفاوت درجاتها في كلّ من هذين الصنفين» .

ويتابع الحديث ، إلى أن يصل في كلامه إلى :

«وأنت تعلم أنّ إثبات العشق في شيء بدون الحياة والشعور فيه كان مجرّد التسمية ، ونحن قد بيّنا ـ في السفر الأوّل في مباحث العلّة والمعلول ـ عشق الهيولى إلى الصورة بوجه قياسيّ حِكَمِيّ لا مزيد عليه .

وقد مرّ أيضاً إثبات الحياة والشعور في جميع الموجودات وهو العمدة في هذا الباب ولم يتيسّر للشيخ الرئيس تحقيقه ، ولا لأحد ممّن تأخّر عنه إلى يومنا هذا إلّا لأهل الكشف من الصوفيّة ، فإنّه لاح لهم ـ بضرب من الوجدان وتتبّع أنوار الكتاب والسنّة ـ أنّ كلّ شيءٍ **حَيٌّ وَنَاطِقٌ وَذَاكِرٌ لِلَّهِ** ، **مُسَبِّحٌ سَاجِدٌ لَهُ** كما نطق به القرآن في قوله :

وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ.[1]

وقوله : **وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ**.[2]

ونحن بحمد الله عرفنا ذلك بالبرهان والإيمان جميعاً ، وهذا أمر قد اختصّ بنا بفضل الله وحسن توفيقه .

فإنّ الذي بلغ إليه نظر «الشيخ» وهو من أعظم الفلاسفة في هذه الدورة الإسلاميّة في إثبات العشق في البسائط غير الحيّة ما ذكره في تلك الرسالة بقوله : «إنّ البسائط غير الحيّة ثلاثة : أحدها الهيولى الحقيقيّة ، والثاني

١ـ مقطع من الآية ٤٤ ، من السورة ١٧ : الإسراء.

٢ـ صدر الآية ١٥ ، من السورة ١٣ : الرعد.

الصورة التي لا يمكن لها القوام بانفراد ذاتها ، الثالث الأعراض» .[١]

وهنا يذكر صدر المتألّهين نصّ عبارة الشيخ ، وهي تقع في صفحة ونصف الصفحة تقريباً ، مستنتجاً بأنّ الشيخ قد عبّر عن تلازم الهيولى والصورة بالعشق ، ثمّ يقول : «إنّ كلّ واحد من البسائط غير الحيّة قرين عشق غريزيّ ، فإذاً الذي ذكره الشيخ ليس بشيء .

ونحن نثبت وجود العشق في الموجودات غير الحيّة ، عن طريق إثبات وجود الحياة والشعور لديها ، وما ذكره الشيخ ، هو في غاية الضعف ، حيث إنّه لا يخفى على أيّ ذكيّ بأنّ قوله في إثبات معنى العشق في هذه الموجودات لم يتحقّق إلاّ اللهمّ بطريق التشبيه» .[٢]

ويتابع صاحب «الأسفار الأربعة» الكلام حتّى يصل إلى هذا المقطع :

الفَصْلُ ١٦ : فِي بَيَانِ طَرِيقٍ آخَرَ فِي سَرَيَانِ مَعْنَى العِشْقِ فِي كُلِّ الأَشْيَاءِ .[٣]

وبعد إتمام هذا البحث ، يصل إلى :

الفَصْلُ ١٧ : فِي بَيَانِ أَنَّ المَعْشُوقَ الحَقِيقِيَّ لِجَمِيعِ المَوْجُودَاتِ وَإِنْ كَانَ شَيْئاً وَاحِداً فِي المَآلِ وَهُوَ نَيْلُ الخَيْرِ المُطْلَقِ وَالجَمَالِ الأَكْمَلِ ، إلَّا أَنَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ أَصْنَافِ المَوْجُودَاتِ مَعْشوقاً خَاصَّاً قَرِيباً يَتَوَسَّلُ بِعِشْقِهِ إلَى ذَلِكَ المَعْشُوقِ العَامِّ .[٤]

في هذا البحث أيضاً ، يقوم صدر المتألّهين ببسط القول وتقديم بيانٍ

١ـ «الأسفار الأربعة» ج ٧ ، ص ١٥٢ إلى ١٥٤ .

٢ـ «الأسفار الأربعة» ج ٧ ، ص ١٤٨ إلى ١٥٥ .

٣ـ «الأسفار الأربعة» ج ٧ ، ص ١٥٨ و ١٦٠ .

٤ـ «الأسفار الأربعة» ج ٧ ، ص ١٦٠ .

شافٍ ومفصّل ، وبعد بيان الفصل (١٨) ، يصل بالموضوع إلى :

الفَصْلُ ١٩ : فِي ذِكْرِ عِشْقِ الظُّرَفَاءِ وَالفِتْيَانِ لِلأَوْجُهِ الحِسَانِ، حيث مبتغانا في بيان العشق العامّ في الموجودات للذات القـدسيّة للـحقّ تـعالى ، هذه الفقرة من هذا العشق للذات القدسيّة للبارئ جلّ وعلا سبحانه وتـعالى شأنه .

وبعد سرد تعريفات مختلفة للعشق ، يقوم صدر المتألّهين بـالبرهنة على أنّ العشق ليس عشقاً للجسم أو الصورة أو للشكل أو الشمائل ، بل هو عشق للنفس وحدها ، ولا يمكن أن يكون مراد العشق مادّة أو أمراً مادّيّاً محسوساً . بل المراد ، هو أمر معنويّ وحسب ، ولهذا فإنّ العاشق حتّى وإن أدرك جسم المعشوق ، أو وجهه ، أوكلّ أعضائه ، فإنّ عشـقه لن يسكـن ولن يهدأ إلّا بعد أن تتّصل روحه بروح المعشوق ، وتذوب وتتلاشى فيها .

قال : «ومنهم من قال أنّ العشق هو إفراط الشوق إلى الاتّحاد ، وهـذا القول وإن كان حسناً إلّا أنّـه كـلام مـجمل يـحتاج إلى تـفصيل ، لأنّ هـذا الاتّحاد من أيّ ضروب الاتّحاد ، فإنّ الاتّحاد قـد يكـون بـين الجسـمَينِ ، وذلك بالامتزاج والاختلاط ، وليس ذلك يتصوّر في حـقّ النـفوس ، ثـمّ لو فرض وقوع الاتّصال بين بدنَي العاشق والمعشوق في حالة الغفلة والذهول[1] أو النوم فعُلِم يقيناً أنّ بذلك لم يحصل المقصود ، لأنّ العشق كـما مـرّ مـن صفات النفوس لا من صفات الأجرام السماويّة ، بل الذي يـتصوّر ويـصحّ من معنى الاتّحاد هو الذي بيّناه ـ في مباحث العقل والمعقول ـ مـن اتّـحاد النــفس العـاقلة بـصورة العـقل بـالفعل واتّـحاد النـفس الحسّـاسة بـصورة

١ـ قال الحكيم السبزواريّ ، إنّما قيّد به إذ في حالة انفكاك الاتّصال الجسـمانيّ عـن الاتّصال الروحانيّ ينكشف جليّة الحال من أنّه أيّهما المقصود.

المحسوس بالفعل .

فعلى هذا المعنى يصحّ صيرورة النفس العاشقة لشخص متّحدة بصورة معشوقها وذلك بعد تكرّر المشاهدات[1] وتوارد الأنظار وشدّة الفكر والذِّكر في أشكاله وشمائله حتّى يصير متمثّلاً صورته حاضرة متدرّعة في ذات العاشق . وهذا ممّا أوضحنا سبيله وحقّقنا طريقه بحيث لم يبق لأحد من الأزكياء مجال الإنكار فيه .

وقد وقع في حكايات العشّاق ما يدلّ على ذلك ،كما روى أنّ مجنون العامريّ كان في بعض الأحايين مستغرقاً في العشق بحيث جاءت حبيبته ونادته : **يَا مَجْنونُ ! أَنَا لَيْلَى** . فما التفت إليها ، وقال :

لِي عَنْكِ غِنىً بِعِشْقِكِ ![2]

فإنّ العشق بالحقيقة هو الصورة الحاصلة ، وهي المعشوقة بالذات لا الأمر الخارجيّ وهو ذو الصورة إلّا بالعرض ،كما أنّ المعلوم بالذات هو نفس الصورة العلميّة لا ما خرج عن التصوّر .

وإذا تبيّن وصحّ اتّحاد العاقل بصورة المعقول واتّحاد الجوهر الحاسّ بصورة المحسوس ـ كلّ ذلك عند الاستحضار الشديد والمشاهدة القويّة كما سبق ـ فقد صحّ اتّحاد نفس العاشق بصورة معشوقه بحيث لم يفتقر بعد ذلك إلى حضور جسمه والاستفادة من شخصه ،كما قال الشاعر :

أَنَا مَنْ أَهْوَى وَمَنْ أَهْوَى أَنَا   نَحْنُ رُوحَانِ حَلَلْنَا بَدَنَا

١ـ قال الحكيم السبزواريّ : يعني أنّ الاتّحاد ، وإن حصل بمشاهدة مرّة، إلّا أنّه يستدعي مَلَكة الاتّحاد ، لأنّه أثر هذه الصور على جميع مدركاته.

٢ـ قال سماحة الحاجّ السيّد هاشم الحدّاد روحي فداه : إنّ مجنون ليلى كان يقول لليلى: **دَعِي نَفْسَكِ عَنِّي ! فَإنَّ فِيكِ غِنىً عَنْكِ !**

فَـــإذَا أَبْـــصَرْتَنِي أَبْـــصَرْتَهُ وَإذَا أَبْـــصَرْتَهُ أَبْـــصَرْتَنَا[١]

ثمّ لا يخفى أنّ الاتّحاد بين الشيئين لا يتصوّر إلّا كما حقّقنا ، وذلك من خاصّيّة الأُمور الروحانيّة والأحوال النفسانيّة . وأمّا الأجسام والجسمانيّات فلا يمكن فيها الاتّحاد بوجه ، بل المجاورة والممازجة والمماسّة لا غير ، بل التحقيق أن لا يوجد وصال في هذا العالم ولا تصل ذات إلى ذات في هذه النشأة أبداً وذلك من جهتين :

الجهة الأُولى : أنّ الجسم الواحد المتّصل إذا حقّق أمره عُلِمَ أنّه مشوب بالغيبة والفقد ، لأنّ كلّ جزء منه مفقود عن صاحبه مفارق عنه ، فهذا الاتّصال بين أجزائه عين الانفصال ، إلّا أنّه لمّا لم يدخل بين تلك الأجزاء جسم مبائن ولا فضاء خال ولا حدث سطح في خلالها ، قيل إنّها متّصلة واحدة وليس وحدتها وحدة خالصة عن الكثرة ، فإذا كان حال

١ـ قال الحكيم السبزواريّ قدّس الله نفسه في تعليقه على هذا البيت ما معناه:

«قد يتوهّم البعض من أنّه كان من الأفضل أن يقال **نحن روح واحد حلّ بدنَيْن** ، والجواب هو أنّ الشاعر أراد: أنّنا في الحقيقة شخصان من حيث إنّنا متّحدان، فلو تحقّق وجود أحد البدنَينِ تحقّق وجود الثاني كذلك، فلا تتوهّموا وتقولوا إنّ روحي فقط هي التي حلّتْ في بدني ، بل إنّ روحه أيضاً حلّتْ فيه، ذلك أنّ روحي هي روحه. وكذا الحال مع بدنه وروحه هو»ـانتهى كلام الحكيم السبزواريّ).

وجاء في كتاب «نفائس الفنون» ج ٢ ، ص ٢٦ و٢٧ ، طبعة الدار الإسلاميّة:

«قال الجُنيد: **المحبّةُ دخولُ صفاتِ المُحَبِّ على البدنِ من المُحِبِّ**. ويتبيّن سرّ «**فَإذا أحْبَبْتُهُ كُنْتُ لَهُ سَمْعاً وَبَصَراً**» من حقيقة البيتَينِ المذكورَينِ :

أنا من أهوَى ومن أهوَى أنا نحن روحان حللنا بدنا
فإذا أبصرتَني أبصرتَه وإذا أبصرتَه أبصرتَنا

إلّا أنّه ليس للمحبّة ثمّة سبب واضح.

إنّ المحبَّةَ أمرُها عجبٌ تُلقَى عليك وما لها سببٌ

الجسم في حدّ ذاته كذلك من عدم الحضور والوحدة ، فكيف يتّحد له شيء آخر أو يقع الوصال بينه وبين شيء .

الجهة الثانية : أنّه مع قطع النظر ـ كما ذكرنا ـ لا يمكن الوصلة بين الجسمين إلّا بنحو تلاقي السطحين منهما ، والسطح خارج عن حقيقة الجسم وذاته ، فإذاً لا يمكن وصول شيء من المحبّ إلى ذات الجسم الذي للمعشوق ، لأنّ ذلك الشيء إمّا نفسه أو جسمه أوعرض من عوارض نفسه أو بدنه ، والثالث محال لاستحالة انتقال العرض ، وكذا الثاني لاستحالة التداخل بين الجسمين . والتلاقي بالأطراف والنهايات لا يشفي عليلاً طالب الوصال ، ولا يروي غليله .

وأمّا الأوّل فهو أيضاً محال ، لأنّ نفساً من النفوس لو فرض اتّصالها في ذاتها ببدن لكانت نفساً لها ، فيلزم حينئذٍ أن يصير بدن واحد ذا نفسين وهو ممتنع .

ولأجل ذلك أنّ العاشق إذا اتّفق له ما كانت غاية متمنّاه ، وهو الدنوّ من معشوقه والحضور في مجلس صحبته معه ، فإذا حصل له هذا المتمنّى يدعى فوق ذلك ، وهو تمنّي الخلوة والمجالسة معه من غير حضور أحد ، فإذا سهل ذلك وخلى المجلس عن الأغيار تمنّى المعانقة والتقبيل ، فإن تيسّر ذلك تمنّى الدخول في لحاف واحد والالتزام بجميع الجوارح أكثر ما ينبغي . ومع ذلك كله الشوق ؛ بحاله ، وحرقة النفس كما كانت ، بل ازداد الشوق والاضطراب كما قال قائلهم :

أُعَانِقُهَا وَالنَّفْسُ بَعْدُ مَشوقَةٌ   إلَيْهَا وَهَلْ بَعْدَ العِنَاقِ تَدَانِي
وَأَلْثَمُ فَاهَا كَيْ تَزُولَ حَرَارَتِي   فَيَزْدَادُ مَا أَلْقَى مِنَ الهَيَجانِ
كَأَنَّ فُؤَادِي لَيْسَ يُشْفَي غَلِيلُهُ   سِوَى أَنْ يُرَى الرُّوحَانِ يَتَّحِدَانِ

والسبب اللمّيّ في ذلك أنّ المحبوب في الحقيقة ليس هو العظم

ولا اللحم ولا شيء من البدن ، بل ولا يوجد في عالم الأجسام ما تشتاقه النفس وتهواه ، بل صورة روحانيّة موجودة في غير هذا العالم» .[١]

نعم ، هذه المسائل ذكرت ، لنتبيّن عظمة الروح والنفس الإنسانيّة ، وإنّ كلّ ما هو موجود فهو منه ، وإليه ينتهي كلّ مقام ورتبة . فالبدن جسد مسخّر لتنفيذ أوامر ونواهي النفس ليس إلّا .

إنّ العشق يولّد روحاً ، والعاشق يتحوّل إلى روح للمعشوق الحقيقيّ ، والمصدر الأوّل ، المجرّد المنزّه ، والصرف الخالص . وللروح قوّة هيوليّة ، وقابليّة بسيطة غير متناهية ، ليحظى بشرف لقاء الله ونعمة التكلّم إليه ، فيصبح عندها كليم الله .

إنّ على الإنسان أن يعرف قدر نفسه ، وأن لا يحكم على هذه الجوهرة النفيسة أن تكون أسيرة البدن ورغباته وشهواته المادّيّة ، ولا يحبس القوّة الناطقة في حدود القوّة الحيوانيّة والبهيميّة ، ولا يبدّل عشقه للأوجه الحسان في عالم التجرّد ، بعشقه للأشقياء والعاصين في عالم الطبيعة ، فتكون عاقبته الخسران العظيم .

يقول صدر المتألّهين ، في بحث العظمة والتجرّد والنورانيّة :

«اعلم أنّ هذه المسألة دقيقة المسلك بعيدة الغور ولذلك وقع الاختلاف بين الفلاسفة السابقين في بابها ، ووجه ذلك إنّ النفس الإنسانيّة ليس لها مقام معلوم في الهويّة ، ولا لها درجة معيّنة في الوجود كسائر الموجودات الطبيعيّة والنفسيّة والعقليّة التي كلٌّ له مقام معلوم ، بل النفس الإنسانيّة ذات مقامات ودرجات متفاوتة ، ولها نشآت سابقة ولاحقة ، ولها في كلّ مقام وعالم صورة أُخرى ، كما قيل في البيت الشعريّ التالي :

١ـ «الأسفار الأربعة» ج ٧ ، ص ١٧١ إلى ١٧٩ .

لَقَدْ صَارَ قَلْبِي قَابِلاً كُلَّ صُورَةٍ فَمَرْعىً لِغَزْلَانٍ وَدَيْراً لِرُهْبانِ[1]

وما هذا شأنه صعب إدراك حقيقته وعسر فهم هويّته ، والذي أدركه القوم من حقيقة النفس ليس إلّا ما لزم وجودها من جهة البدن وعوارضه الإدراكيّة والتحريكيّة ، ولم يتفطّنوا من أحوالها إلّا من جهة ما يلحقها من الإدراك والتحريك ، وهذان الأمران ممّا اشترك فيهما جميع الحيوانات .

وأمّا ما أدرك منها أزيد من ذلك وهو تجرّدها وبقاؤها بعد انقطاع تصرّفها عن هذا البدن فإنّما عُرِفَ ذلك من كونها محلّ العلوم ، وأنّ العلم لا ينقسم ومحلّ غير المنقسم غير منقسم ، فالنفس بسيطة الذات ، وكلّ بسيطة الذات غير قابل للفناء وإلّا لزم تركّبه من قوّة الوجود والعدم وفعليّة

١ـ قال الحكيم السبزواريّ في تعليقه على هذا البيت ما يلي :

«يعني بسبب اللطافة والبساطة في ألوانه صار قابلاً للتحوّل إلى كلّ صورة؛ سواء كانت من جنس تلك الصور المترتّبة والطوليّة الحاصلة له بواسطة الحركة الجوهريّة والعرضيّة، أم من الصور الذهنيّة غير المترتّبة بالترتيب الطبيعيّ المعهود لها.

وبناءً على هذا فإنّ **مَرْعىً لِغِزْلَانِ** هو باعتبار النشأة الحيوانيّة السابقة، **وَدَيْراً لِرُهْبانِ** باعتبار النشأة العقليّة اللاحقة. أو أنّ خياله كان في السابق مصروفاً إلى أمتعة الدنيا من أنعام وزرع وغيرهما، ثمّ كان قد تذكّر الله تعالى بعد ذلك والملائكة المقرّبين والأطهار المنتجبين لساحته تعالى.

وأمّا التعبير بالغزال وذلك من جهة توحّشه، فهو إشارة إلى أنّ شهواته تشبه الحيوانات الوحشيّة غير المعلَّمة طالما أنّها لم تكبح، إلّا أنّه يمكن لقلب الإنسان أن يكون مرعى للحيوانات الإنسيّة بكونها مسخّرة ومقهورة تحت إشارة العقل وإيماءته للتوجّه إلى الله تعالى، بل ويمكن أن يكمن خلاصه ونجاته بذبح حيوانيّته بتقديم الهَدْي والقربان في سبيل الله: **إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ** . ولعلّ كذلك المراد بهذا هو أنّ قلب الإنسان قد يتحوّل إلى مرعى للمحبوبة التي تمتلك عيوناً تشبه عيون الغزلان الجميلة الطلعة».

الوجود والعدم هذا خلف .

هذا غاية عرفانهم بالنفس أو ما يقرب من هذا . ومن ظنّ أنّه بهذا القدر عرف حقيقة النفس فقد استسمن ذا ورم» .[١]

وهنا يجهد صاحب «الأسفار» بطرق مختلفة في تعريف النفس وبيانها ، وبما أنّنا لسنا بصدد إثبات تجرّد النفس ، فسنعزف عن ذكره هنا .

وعلى العموم ، يجب تطهير العين من النظر لغير ليلى ، وغسل الأُذن من الاستماع ، إلّا لصوتها ، حتّى تأذن بالنظر إلى طلعتها ، والإنصات لحديثها .

إلهي ، ما العمل ؟ وما الحيلة ؟ وإجمالاً ، هل من بارقة أمل ، أم علينا أن نلقي بأنفسنا في أحضان اليأس ؟

لقد قالت نساء الحيّ من قبيلة ليلى : اذهبْ وطهّر عينيك وأُذنيك . تطهير العين هو بالبكاء على فراق المحبوب الأزليّ في الليالي الحالكة ؛ وتطهير الأُذن بغلقها عن سماع حديث السوء الذي يغضب المعشوق ؛ تطهير العين **عَنْ كُلِّ مَا لَا يُحِلُّ اللَهُ النَّظَرَ إلَيْهِ** وتطهير الأُذن **عَنْ كُلِّ مَا لَا يُحِلُّ اللَهُ الاسْتِمَاعَ إلَيْهِ** .

أليس قد ورد في الروايات أن الله العليّ القدير يحبّ العين الباكية من بين سائر العيون ؟ وأنّ كلّ عين يوم القيامة ستبكي ، إلّا التي سهرت الليالي باكية من خوف الله .

ولكن لِمَ هذا البكاء ؟ هذا البكاء للنظرات التي كانت لغير الله ، وهو غُسل لدَنَس وأوساخ البصر والبصيرة ؛ لأنّ النظر إلى ليلى بدون هذا الغسل والتطهير غير ممكن . فالتطهير ـ إذاً ـ هو طريق وسبيل يوصل إلى

١ـ «الأسفار الأربعة» ج ٨ ، ص ٣٤٣ و ٣٤٤ ، باب ٧ ، فصل ٣.

الهدف ، وبعد طي هذه الطريق ، يسمو الإنسان أعلى وأعلى حتّى يتعرّف إلى الله ، وهناك حيث لا أحد غير الله . فكل المراحل قد طويت ، وهذا المسكين قد بكى حتّى طهر ناظِرَيه ، ونساء الحيّ قد كففن عن ملامته ، ويمضي ويمضي حتّى يصل إلى ليلى إذ لَم يَعُد عشقه مجازيّاً ولا مادّيّاً ، كما لم تعد ليلى بدناً ، بل هي روح ونفس مجرّدة ؛ وفي هذه الحال إذا أمست في المشرق وقيس في المغرب ، فهناك ارتباط بينهما . فهو يعيش صحوها ونومها ، ومرضها وعافيتها .

كان كثير من أصحاب الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله وأصحاب الأئمّة المعصومين صلوات الله عليهم على هذه الحال . هكذا كان أُوَيس اليمانيّ القرنيّ وكانوا يحسّون بالوجدان نوايا أسيادهم وقادتهم ، وكانت ضمائرهم تُدرك الصالح والفاسد في الأُمور على خطى ضمائر أسيادهم ومواليهم . فهذا أُويس يكسر له ضرس في اليمن ، في نفس اليوم وفي نفس الساعة التي كُسِرَ فيها ضرس النبيّ في يوم أُحد .

قيل لمّا فُصِدَ قيس ، تعالى صياحه ، وفسّر ذلك بأنّه يخاف على ليلى من الألم ، وخشيَ أن ـ حين فَصدوا يَده ـ قد فصدوا يدها وهي في ديارها .

گفت مجنون من نمى‌ترسم ز نيش
صبر من از كوه سنگين است بيش
منبلم بى زخم ناسايد تنم
عاشقم بر زخمها بر مى‌تنم [١]

١ـ يقول : «قال ـ مجنون ليلى ـ : أنا لا أخاف المِبضَع ، لأنّ صبري أقوى من الجبل الشامخ.

ولأنّني عاشق فإنّ جسمي لا يهدأ بعيداً عن الجروح التي أستطيع مقاومتها والصبر على آلامها».

ليک از ليــلى وجـود مـن پُـر است
اين صدف پر از صفات آن دُر است
تــرسم اى فـصّاد اگـر فـصدم كـنى
نــيش را نــاگــاه بــر ليــلى زنــى
داند آن عقلى كه او دل روشنى است
در مــيان ليـلى و مـن فـرق نـيست
مـن كـيم ليـلىّ و ليـلى كـيست مـن
مــا يكــى روحــيم انـدر دو بـدن[1]

الله سبحانه وتعالى شأنه نور ، وهو ظاهر ، وهو الذي أظـهر جـميع المخلوقات ؛ والإنسان يريد أن يصل إلى الله ، فكيف له إدراك الظاهر وهو المخلوق الذي يمثّل ظهوراً ؟ فـعندما يكـفّ عـن الظـهور ، فـإنّه سـيلتحم بالشعاع ويرجع إلى أصل النور . يرجع إلى الشمس ويخترق ذاتها ، وهناك لن يكون ثمّة شعاع ، فالشمس هي الشمس ولا يمكن لأحد أن يعرف ذاتاً للشمس غير الشمس نفسها .

ومهما تكـلّمنا عـن الشـمس وتـحدّثنا عـن عـظمتها و خـصائصها وصفاتها ، فمن أين لنا أن نـعرف كـنه حـقيقتها لنـتحدث عـنها ؟ وأيـن سنراها ؟ أنّى سندرك حرارتها ؟ بل كـيف سـنلمّ كـمّها وكـيفها ؟ مـلايين الفراسخ تفصلنا عنها ، وما يصلنا من حرارتها هو نزر يسير ليس إلّا ، ومتى

١ـ يقول : «وإنّ وجودي مليءٌ بالحيويّة بسبب وجود ليلى، فهذه الصَّدَفَة (التي هي أنا) تعكس كلّ صفات تلك الجوهرة التي هي ليلى.
وإنّي ـ أيّها الحجّام ـ لأخاف أن تشتبه يدك فتجرح ليلى بينما تريد فصد عرقي.
ذلك أنّ كلّ من له عقل وهو لبيب لا يمكنه التفريق بيني وبين ليلى.
فأنا في الحقيقة ليلى وليلى هي أنا، إذ نحن روح واحدة تسكن بدنَيْن».

ما أردنا رؤيتها وضعنا زجاجة سوداء على أعيننا ومن وراء حجاب أسود ومظلم نستطيع فقط رؤية قرصها .

هذا مبلغ علمنا عن الشمس ، فمن ذا الذي عرف الشمس كما هي ؟

الذي عرف كُنه الشمس وحقيقتها ، هو الذي انطلق من الأرض ودخل في أعماقها ، وذاب وانمحى في ذراتها ، ولم يبق له أيّ أثر ، وللأسف عندها لن يكون هو موجوداً فيها ، بل إنّ كلمة (هو) لن تجد لها مكانا في بطن الشمس .

مدح تو حيف است با زندانيان
گويم اندر مجمع روحانيان
مدح ، تعريف است و تخريق حجاب
فارغ است از مدح و تعريف آفتاب
مادح خورشيد مدّاح خود است
كه دو چشمم روشن و نامُرمَد[1] است
ذمّ خورشيد جهان ذمّ خود است
كه دو چشمم كور و تاريک و بد است[2]

١ـ أي غير المصابة بالرمد ، والرمد مرض يصيب العين فيجعلها ترى القمر محاطاً بهالة دائميّة.

٢ـ يقول : «إنّ مدحي لك مع السجناء مدعاة للأسف، إذ يجب مدحك ضمن جماعة الروحانيّين.

إنّ المدح تعريف وخرق للحجاب، والشمس غنيّة عن المدح والتعريف.

إنّ مدّاح الشمس في الواقع يمدح نفسه، وكأنّه يقول: إنّ عينيَّ مفتوحتان وسالمتان، غير مُرمدتين.

وإنّ من يذمّ الشمس إنّما يذمّ نفسه، فهو كمن يقول: عيناي لا تبصران شيئاً، ⇦

وقال في مكان آخر :

عـــــاشقى پـــيداست از زاريّ دل

نـيست بـيمارى چـو بـيماريّ دل

عـلّت عـاشق ز عـلّتها جـداست

عشق ، اُصطرلاب اسرار خـداست[١]

* * *

آفـــــتاب آمـــد دليـــل آفـــتاب[٢]

گـــر دليـــلت بـايد از وى رو مـتاب

از وى ار ســـــايه نشـــانى مـــى‌دهد

شـــمس هـــر دم نـــور جـانى مـــى‌دهد

ســايه خــواب آرد تــرا هـمچون سـمر

چـــون بـــزايـد شـــمس ، انشـقّ القَـمر[٣]

⇐ ولاأرى سوى الظلمة والشرّ».

ديوان «المثنوي» ص ٤٢٩ ، السطر ٤ و٥ ، بداية (الكتاب الأوّل) ، طبعة آقا ميرزا المحموديّ .

١ـ يقول : «إنّ العشق ظاهر من خلال شكاوى القلب والفؤاد، ولا داء كالعشق أبداً.
إنّ علّة العاشق لا تشبه العلل الأُخرى، فمثل العشق كمثل إسطرلاب أسرار الله».

٢ـ إشارة إلى الحديث **عَرَفْتُ رَبِّي بِـرَبِّي** ، وكـذلك **يَـا مَـنْ دَلَّ عَـلَى ذَاتِـهِ بِـذَاتِـهِ** . (التعليقة).

٣ـ يقول : «إذا كانت الشمس لكَ دليلاً للشمس فلا تُشِحْ بوجهك عنها.
إنّها وإن كانت تُظهر الظلّ إلّا أنّها تشعّ على العالم بالنور والضياء.
إنّ الظلّ يغريك على النوم كالقصّة (التي تقال عند رأس من يريد النوم)، فلو ولدت الشمس، انشقّ القمر».

خود غريبى در جهان چون شمس نيست

شـــمس جـان بـاقئى كش أمس نـيست[1]

يقول الشيخ مصلح الدين سعدي الشيرازيّ :

«الطوّافـون حـول كـعبة جـلاله قـد اعـترفوا بـتقصيرهم فـي عـبادته وينادون : **مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبادَتِك** ، وتحيّر العـارفون فـي وصـف جـماله قائلين : **مَا عَرَفْنَاكَ حَقَّ مَعْرِفَتِك !**[2]

١ـ يقول : «لا غريب كالشمس في هذا العالم، فـمع انـقضاء يـوم أمس يـبدو وكأنّ الشمس لم يكُن لها وجود إلّا اليوم».

ديوان «المثنوي» ج ١ ، ص ٤ ، سطر ١٢ و١٦ و١٧ ، طبعة ميرزا المحموديّ.

٢ـ يقول السمعانيّ في كتاب «روح الأرواح في شرح أسماء الملك الفتّاح» ص ٥٤ :

«فتأتي ملائكة الملوك إلى صوامع العبادة وتشعل ناراً فيها، وتبعثر أكداس التقديس والتسبيح قائلةً : **مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ**. ثمّ يأتي العـرفاء والمـوحّدون نـاشرين أيـديهم قائلين : **مَا عَرَفْنَاكَ حَقَّ مَعْرِفَتِكَ**».

وقال في ص ٥٩٦ : «إنّ قول الملائكة : **مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ** ، إنّما هو إضاعة وتبديد للجهد؛ وقول الإنس : **مَا عَرَفْنَاكَ حَقَّ مَعْرِفَتِكَ** ، معناه إشعال النار في الأكداس وإحراقها».

وكتب نجيب مائل الهرويّ في تعليقه في ص ٦٩٧ :

مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ».

كتب علاء الدولة السمنانيّ يقول: إنّ إحدى مسائل الأُصول موضع الخلاف بين الإمام أبي حنيفة والإمام الشافعيّ هي أنّ أبا حنيفة يقول: **مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ وَلَكِنْ عَرَفْنَاكَ حَقَّ مَعْرِفَتِكَ** ، في حين يقول الشافعيّ : **مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ أَي مَا عَرَفْنَاكَ حَقَّ مَعْرِفَتِكَ**. (المجلس الأربعون، ص ١٥٦ إلى ١٥٧)».

ويقول علاء الدولة السمنانيّ في كتابه «العروة» ص ٨٣ و٨٤: «وكذلك قـال جـميع العرفاء. أمّا ما قاله الإمام الأعظم أبو حنيفة الكوفيّ فهو: **سُبْحَانَكَ مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ وَمَا شَكَرْنَاكَ حَقَّ شُكْرِكَ ، وَلَكِنْ عَرَفْنَاكَ حَقَّ مَعْرِفَتِكَ** ؛ يحمل هذا المعنى».

گر کسی وصف او ز من پرسد — بی‌دل از بی‌نشان چه گوید باز
عـاشقان ، کشـتگان مـعشوقند — بــــرنیاید ز کشــتگان آواز[١]

نكّسَ أحد العارفين رأسه في مراقبته واستغرق في بحر المكـاشفة ، وعندما أفاق سأله بعض الأصحاب : ماذا هيّأت لنا من البستان إيّاه ؟

فأجاب العارف : شغفني زهر هذا البسـتان ، فـوقفت عـنده أقـطف لأصحابي بعضها ، فأسكرني عطره وغيّبني سحره .

ای مرغ سحر عشق ز پروانه بیاموز
کان سوخته را جان شد و آواز نیامد
این مدّعیان در طـلبش بـی‌خبرانـند
کآنرا که خبر شد خبری بـاز نـیامد[٢]

* * *

ای برتر از خیال و قیاس و گمان و وهم
و ز هرچه گفته‌اند و شنیدیم و خوانده‌ایم
مجلس تمام گشت و به آخر رسید عـمر
ما همچنان در اوّل وصف تو مـانده‌ایـم[٣]

١ـ يقول :
«أيّها السائل عن وصف الحبيب — ما يقول الواله ما عسى أن يجيب
إنّــما العشّــاق قــتلى للـحبيب — كيف للـموتى بـقول أو نـحيب»

٢ـ يقول : «يا طائر فجر العشق ! تعلّم من الفراشة كيف تحترق بصمت.
إنّ هؤلاء الباحثين عنه غافلون عن أنّ مَن صار خبراً لم يأت منه خبر».

٣ـ يقول : «يا من هو أسمى من الخيال والقياس والظنّ والوهم ، وأعلى من كلّ ما قلنا وسمعنا وقرأنا.
لقد انقضى المجلس وتصرّم العمر ، ونحن حائرون في أوّل صفتك». ⇦

وَكُلٌّ يَدَّعِي وَصْلاً بِلَيْلَى وَلَيْلَى لَا تُقِرُّ لَهُمْ بِذَاكَا
إذَا جَرَتِ الدُّمُوعُ عَلَى الخُدُودِ تَبَيَّنَ مَنْ بَكَى مِمَّنْ تَبَاكَا

ذُكرت الرباعيّة التالية بالمناسبة في «مفاتيح الإعجاز» :

رخ دلدار را نقاب توئى چهرهٔ يار را حجاب توئى
به تو پوشيده است مهر رخش ابر بر روى آفتاب توئى [1]

وعلى العموم ، فهذا النوع من معرفة الله ، الذي هو عبارة عن اقتفاء الأثر للوصول إلى المؤثّر ، وبحث سرّ الخلق للوصول إلى الخالق هي معرفة إجماليّة وليست مفصّلة . معرفة عن بعد ومن وراء حجاب ، وليست عن قرب وبدون حجاب ، وهي معرفة الضعفاء والعاجزين لا معرفة الرجال قويّي الإرادة وعالي الهمة .

هذه المعرفة ، معرفة البعرة التي تدلّ على البعير ، والروثة تدلّ على الحمير . أين هذا من المعرفة بعد مجاهدة طويلة وعذاب مرير طوال عمر مديد ؟

⇐ نقلاً عن نسختين، الأُولى نسخة قديمة مطبوعة كُتبت مع «بوستان» بخطّ علي أكبر التفرشيّ في شهر شعبان المعظّم ١٢٦٠هـ في عهد محمّد شاه القاجاريّ. وصفحات هذه النسخة غير مرقّمة. الثانية: عن «كلّيّات سعدي ـ ديوان سعدي» والتي جمعت تحت إشراف محمّدعلي فروغي ومن جملتها ديوان «گلستان». وقد ذكرنا هنا هذا الكلام نقلاً عن ص ٣ منها.

١ـ يقول :

«أنت حجاب وجه المحبوب أنت ستار طلعة المحبوب
بك مستور مُحيّاه ووجهه أنتَ غَيمٌ بك ضوء الشمس محجوب»

«مفاتيح الإعجاز» في شرح «گلشن راز» (= بستان الأسرار) للشيخ محمّد اللاهيجيّ ، ص ١١٠.

يروي المجلسيّ رضوان الله تعالى عليه عن «جامع الأخبار» :

سُئِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ إثْبَاتِ الصَّانِعِ ، فَقَالَ: البَعْرَةُ تَدُلُّ عَلَى البَعِيرِ ، وَالرَّوْثَةُ تَدُلُّ عَلَى الحَمِيرِ ، وَآثَارُ القَدَم تَدُلُّ عَلَى المَسِيرِ. (بهذا الاتّجاه أو ذاك) **فَهَيْكَلٌ عِلْوِيٌّ بِهَذِهِ اللَّطَافَةِ وَمَرْكَزٌ سِفْلِيٌّ بِهَذِهِ الكَثَافَةِ كَيْفَ لَا يَدُلَّانِ عَلَى اللَّطِيفِ الخَبِيرِ ؟!**[1]

وكذلك روى عن «جامع الأخبار» :

سُئِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتُ اللَهِ عَلَيْهِ : مَا الدَّلِيلُ عَلَى إثْبَاتِ الصَّانِعِ ؟!

قَالَ : ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ : تَحْوِيلُ الحَالِ ، وَضَعْفُ الأَرْكَانِ ، وَنَقْضُ الهِمَّةِ[2].

وفي «التوحيد» للصدوق عن ابن إدريس ، عن أبيه ، عن ابن هاشم ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن سالم قال : **سُئِلَ أَبُو عَبْدِ اللَهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقِيلَ لَهُ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ ؟!**

قَالَ : بِفَسْخِ العَزْمِ وَنَقْضِ الهَمِّ ؛ عَزَمْتُ فَفَسَخَ عَزْمِي وَهَمَمْتُ فَنَقَضَ هَمِّي ![3]

ومثل هذه المعرفة ، وهي التي يطلق عليها فى المنطق البرهان «**الإنّيّ**» ؛ معرفة من المعلول إلى العلّة ، من المخلوق إلى الخالق ، ومن المصنوع إلى الصانع .

١ـ «بحار الأنوار» للعلّامة شيخ الإسلام: الملّا محمّد باقر المجلسيّ رضوان‌الله عليه، ج ٣، ص ٥٥، كتاب التوحيد، الرواية ٢٧ ، طبعة المطبعة الحيدريّة.

٢ـ «بحار الأنوار» ج ٣ ، ص ٥٥ ، كتاب التوحيد ، الرواية ٢٩ ، طبعة المطبعة الحيدريّة..

٣ـ «بحار الأنوار» ج ٣ ، ص ٤٩ ، باب ٣ : «إثبات الصانع والاستدلال بعجائب صنعه على وجوده وعلمه وقدرته وسائر صفاته» ، الحديث ٢١ ، طبعة مطبعة الحيدريّ.

سُئِلَتْ عجوز : كيف عرفتِ الله ؟ أجابت : من آلة النسيج هذه ، فعندما أمسك مقبضها وأدوّره بهذا الدوران ينسج الحبل ، وحيث أرفعُ يدي وأتوقف عن التدوير تتوقّف ويبقى الصوف والقطن على حاله ، عندها لا نسيج ينسج ، ولا ليف يبرم .

من هنا أيقنت أنّ للأفلاك والنجوم والكواكب السيّارة والشمس والقمر والأرض ونظام الخلق بأجمعه خالقاً مقتدراً ، متى شاء عطّل الوجود ورماه في هوّة العدم . وإن شاء أمدّه بأسباب الحياة وأدار عجلة استمراره .

خبر داری كه سيّاحان افلاک
چرا گردند گرد مركز خاک
در اين محرابگه معبودشان كيست
وزين آمد شدن مقصودشان چيست
چه می‌خواهند از اين محمل كشيدن
چه می‌جويند ازين منزل بريدن
چرا اين ثابت است آن منقلب نام
كه گفت اين را بجُنب آن را بيارام
مرا بر سرّ گردون رهبری نيست
جز آن كاين نقش دانم سرسری نيست[1]

١ـ يقول : «هل تعلم لماذا تسبح الكواكب والأجرام في الأفلاك حول مركز التراب.
مَن هو معبودهم في هذا المحراب ؟ وما مرادهم من هذا الدوران ؟
ماذا يبغون من حملهم هذا الهودج ؟ وما هو هدفهم من ترك هذا المنزل ؟
لِمَ نسمّي هذا ثابتاً منقلباً ؟ ولِمَ يُقال لهذا متحرّكاً ولذاك ساكناً ؟
أنا لا أملك دليلاً على سرّ هذا الدوران لكنّي أعلم أنّ هذا النظام ليس عبثاً».

از ایــن گــردنده گــنبدهای پــر نــور
بـجز گـردش چـه شـاید دیـدن از دور
بـــلی در طــبع هــر دانــندهای هست
کــه بــا گــردنده گــردانـندهای هست
از آن چــرخــه کــه گــردانــد زن پـیر
قـــیاس چــرخ گــردنده از آن گــیر [1]

ولهذا قيل : **وَعَلَيْكُمْ بِدِينِ العَجائِزِ !** ولكن مهما يكن من أمر ، عليك أن لا تنسى بأ نّك رجل ، بل رجل يافع تملك إرادة ، فإذا اقتصرت على دين العجائز كان مصيرك الحزن والندامة في الحياة الدنيا ، والحسـرة والخـذلان في الآخرة .

يقول فخر الشيعة الاثني عشـريّة العـالم الجـليل الشـيخ مـحمود بـن عبد الكريم نجم الدين الشبستريّ ، وهو من علماء القرن السـابع الهـجريّ تغمده الله بأعلى درجات رضوانه ، في هذا الشأن :

تــو از عــالم هـمين لفـظى شـنيدى
بيا بر گو که از عـالم چـه ديـدى ؟ [2]

١ـ يقول : «ماذا يمكن أن يُرى من محرِّك هذه الأجسام المنيرة الدائرة سوى الدوران؟
نعم فكلّ لبيب يفهم أنّ لكلّ دائر مُدوّر.
فقس الفلك الدائر بمغزل العجوز وخذ عبرة منه».

«كلّيّات حكيم نظامى گـنجوى» (= الديـوان الكـامل للـحكيم النـظاميّ الكـنجويّ) ص ١٢٣ و ١٢٤ ، طبعة منشورات أمير كبير ، القسم الخاصّ بـ(خسرو و شيرين) تحت عنوان «استدلال نظر وتوفيق شناخت» (= استدلال الرأي والتوفيق للمعرفة)، وهي قصيدة مفصّلة انتخبنا منها الأبيات المذكورة.

٢ـ يقول : «أنت لا تعرف من هذا العالم إلّا اسمه، وإذا كنت قد رأيت شيئاً مـنه، ⇦

چه دانستی ز صـورت یـا ز مـعنی ؟
چه باشد آخـرت چـونست دُنـیی ؟
بگــو سـیمرغ و کـوه قـاف چـبود ؟
بــهشت و دوزخ و أعـراف چـبود ؟
کدام است آن جهان کو نـیست پـیدا
که یک روزش بود یک سال اینجا ؟
هـمین نـبود جـهان آخـر کـه دیـدی
نــه مـا لا تُـبْصِرونْ آخـر شـنیدی ؟
بــیا بــنما کــه جــابُلقا کــدام است
جــهان شــهر جــابُلسا کــدام است
مشــارق بــا مــغارب هـم بـیندیش
چه این عالم ندارد جـز یکـی بـیش
بـــیان مِـــثْلَهُنَّ ز ابـــن عـــبّاس
شنو پس خویشتن را نیک بشـناس[1]

⇦ فقلْ إذن ماذا رأيتَ ؟».

١ـ يقول : «ماذا عرفت عن الصورة أو المعنى؟ أم ما هي الآخرة وما هي الدنيا؟
قل ما هي العنقاء أو جبل قاف؟ أم ما هي الجنّة والنار والأعراف؟
أين ذلك العالَم، لِمَ لا يَبين؟ أين ذلك العالَم الخفيّ الذي يعادل يومه سنة من هـذا العالم؟
لم يكن هذا العالَم الذي رأيتَه هو العالم الآخر، أما سمعت عن (ما لا تُبصرون)؟
تعال وقل أيّ المـدن هـي جـابُلقا وأيّـها هـي حـابُلسا؟ :وتَـفَكَّرْ كـذلك بـالمشارق والمغارب، لأنّ هذا العالَم لا يملك إلّا مشرقاً واحداً ومغرباً واحداً.
اسمع بيان (مِثْلَهُنَّ) من ابن عبّاس، ثمّ اعرِفْ نفسكَ جيّداً».

تو در خوابیّ و این دیدن خیال است
هر آنچه دیده‌ای از وی مثال است
به صبح حشر چون گردی تو بیدار
بدانی کآن همه وهم است و پندار
چه برخیزد خیال چشم أحوَل
زمین و آسمان گردد مبدّل
چه خورشید جهان بنمایدت چهر
نماند نور ناهید و مه و مهر
فتد یک تاب از آن بر سنگ خاره
شود چون پشم رنگین پاره پاره
بدان اکنون که کردن می‌توانی
چه نتوانی چه سود آنگه که دانی
چه می‌گویم حدیث عالم دل
ترا سر در نشیب و پای در گل[١]

١ـ يقول: «أنت غاطّ في النوم ونظرك خيال، وكلّ ما رأيته ليس إلّا مثالاً.
لكن عندما تصحو يوم الحشر وتنتبه ستعلم حينئذٍ أنّ ذلك لَم يكن إلّا وهماً وظنّاً.
إذا فتح الأحول عينيه بدت السماء والأرض في عينيه على غير ما هما عليه وخلافاً لحقيقتهما.
لو ظهرت لك شمس العالم وطلعت ما أبقتْ للزُّهرة نوراً ولا للقمر ضياءً.
ولو سقط شعاع منها على حجر الصوَّان لأحاله إلى عِهنٍ منفوش.
اعلم مادمتَ قادراً على عمل شيء ما الآن، فلا فائدة من علمكَ إن كنت عاجزاً عن فعل شيء.
ماذا أقول عن حديث عالَم القلب، فرأسُكَ مُنَكَّسٌ في غور وقدماك في الوحل».

جــهان آنِ تــو و تــو مـانده عـاجز
ز تو مـحروم تـر کس دیـد هـرگز ؟
چو محبوسان بـه یک مـنزل نشسـته
بـدست عـجز ، پـای خـویش بسـته
نشستی چـون زنـان در کـوی ادبـار
نـمیداری ز جــهل خــویشتن عـار
دلیـــران جــهان آغشــته در خــون
تـو سـر پـوشیده نـنهی پـای بـیرون
چه کردی فهم از این «دین العجایز»
که بر خود جهل میداری تو جـایز؟
زنان چـون نـاقصات عـقل و دیـنند
چـــرا مــردان ره ایشــان گــزینند؟
اگــر مــردی بـرون آی و نـظر کـن
هر آنچ آید به پیشت زان گـذر کـن[١]

١ـ يقول : «العالم بيدك وأنت حائر عاجز، فلا أظنّ أنّ أحداً حرم تلك النعمة كما هو الحال معك.

فأنت جالس كالسجين في البيت، مقيّداً قدميك بالعجز.

جلستَ كالنساء مُدبراً وحيداً، جاهلاً أنّ ذلك إنّما هو عارٌ.

فالأشاوس في العالم مخضّبون بدمائهم، في حين أنّك متخفٍّ لا تجرؤ على الخطو خارج منزلك.

ماذا فهمتَ من «دين العجائز» هذا، حتّى أجزت الجهل على نفسك؟

النساء ناقصات عقل ودين، فكيف يتّبعهم الرجال؟

فلو كنت رجلاً اخرج وألقِ نظرة، وتجاوز عمّا يقف في طريقك».

مـياسا يک زمـان انـدر مـراحـل
مشـــو مـــوقوف هـمراه رواحـل
خـليل آسا بـرو حـقّ را طـلب كـن
شبی را روز و روزی را به شب كـن
سـتاره بـا مـه و خـورشيد اكـبر
بـود حسّ و خـيال و عـقل انـور
بگـردان زان هـمه ای راهـرو روی
هـميشه لا اُحِبُّ الْأَفِـلينْ گـوی
و يا چون موسی عـمران در ايـن راه
بـــرو تـا بشـنوی إنّـی أنَـا اللَـهْ
ترا تا كـوه هسـتی پـيش بـاقی است
جواب لفظ أرْنی ، لَـنْ تَـرانـی است
حـقيقت كـهربا ، ذات تـو كـاه است
اگر كوه توئیّ نبود چـه راه است ؟ [1]

١ـ يقول : «لا تتوقّف في أيّة مرحلة من المراحل في أيّ وقت كان، ولا تحطّ رحلك متى حطّت الرواحل رحلها.

اتّكلْ على الخليل وابحثْ عن الحقّ ، وصل من أجل ذلك الليل بالنهار.

إنّ النجم بالاشتراك مع القمر والشمس،كلّها تُمثّل الحسَّ والخيال والعقل الأنور.

ملْ عن كلّ ذلك يا عابر السبيل، وردّد دوماً عبارة «لا أُحبُّ الآفِلينَ».

أوكن في مسيرك هذا كموسى بن عمران حتّى تسمع نداء «إنّي أنا الله».

ما بقيَ أمامك للوصول إلى جبل الوجود إلّا سماعك نداء «لَن تَراني» جواباً لـ«أرِني».

إنّ الكهرباء هي الحقيقة وما ذاتك إلّا تبناً، ولو لَم يكن جبل الـ«أنت» موجوداً، لما بقي أمامك من طريق تطويه».

تــجلّى گــر رســد بـر كـوه هسـتى
شود چون خاک ره ، هستى ز پستى
گـدائـى گـردد از يک جـذبه شـاهى
به يک لحظه دهـد كـوهى بـه كـاهى
بــرو انـدر پـى خـواجـه بـه أسْـرَى
تـــفرّج كــن هــمه آيــات كُــبرى
بــــرون آى از ســــراى أُمّ هــــانى
بگــو مــطلق حــديث مَــن رَءانــى
گــذارى كــن ز كــاف كُـنج كـونين
نشين بـر قـاف قـرب قـابَ قـوسَين
دهد حـقّ مـر تـرا از آنـچه خـواهـى
نــمايندت هــمه أشــيا كَــما هــىْ[1]

لقد أغلق الشيخ رحمه الله ، في الأبيات المختصرة التي مرّت آنفاً ،

١ـ يقول : «لو طال التجلّي جبل الوجود لأحال الوجود إلى كومة تراب لتفاهته وصغره.

قد يتحوّل المسكين إلى سلطان بجذبة واحدة ولاستبدل جبلاً بكومة من تِبن.

رافق الخواجة في رحلة الإسراء (المعراج) وتَطلّعْ إلى جميع الآيات الكبرى.

اخرُجْ من قصر أُمّ هانئ ، واتل حديث «منْ رآني» كاملاً.

اجتزْ الـ«كاف» في الـ«كَونَيْن» واعبُر إلى الـ«قافَ» في «قاب قَوْسَيْن».

سيُعطيك الحقّ حينها كلّ ما تَرغبْ وتتمنّى وسيُريكَ جميع الأشياء كما هي على حقيقتها».

«گلشن راز» ص ١٦ إلى ١٩ ، بخطّ النستعليق ، للعماد الأردبيليّ ، منشورات مكتبة الأحمديّ ، شيراز.

كلّ أبواب عبادة النفس ودلّ على الطريق إلى الله ، وبما أنّ كتابنا هو في (معرفة الله) فقد رأينا من المناسب ذكرها هنا .

بَيدَ أنّ بعض هذه الأبيات تحتاج إلى شرح وتوضيح ، ومنذ عصر الشيخ وحتّى الآن ، لم يظهر شرح أحسن ولا أوضح ولا أقرب إلى القلب من شرح العالم الجليل : الشيخ محمّد بن يحيى بن عليّ الجيلانيّ اللاهيجيّ ، وعلى الرغم من مضي خمسمائة وثمانية وثلاثين عاماً منذ ذلك الوقت وحتّى هذه السنة ، وهي سنة (١٤١٥ هـ)[1] على هذا الشرح ، فهو لا يزال مرجعاً لأعلام الفنّ ، وارتأى أن تورَد نفس عباراته لتوضيح مفاهيم الشيخ . كما أن متانة الكلام وقوّة البرهان وسلاسة الإنشاء وعذوبته ورقّة الشِّعْر

١ـ كما علمنا فإنّ المرحوم الشيخ قام بنظم «گلشن راز» سنة ٧١٧هـ وقد شرحه المرحوم اللاهيجيّ كما في «مفاتيح الإعجاز» المطبوع مع مقدّمة السيّد كيوان سميعي ، منشورات المحموديّ ، ص ٢ ، وكان قد بدأ بشرحه سنة (٨٧٧) ، وعلى هذا تكون قد مضت (٦٩٨) سنة على نظم «گلشن راز» و(٥٣٨) سنة على شرحه.

وجاء في «الذريعة إلى تصانيف الشيعة» ج ٢١ ، ص ٣٠١:

«إنّ «مفاتيح الإعجاز في شرح گلشن راز» هو كتاب من تأليف شمس الدين محمّد المعروف بـ(أسيري) اللاهيجيّ النوربخشيّ وهو حائز على إجازة من السيّد محمّد نوربخش (المذكور في ج ٩، ص ٧٦). وقد أشرنا إلى بعض الشرح من «گلشن راز» في ج ١٣ ، ص ٢٦٨ إلى ٢٧١ . بدأ اللاهيجيّ بتأليف هذا الكتاب في يوم الاثنين ١٩ ذي الحجّة من سنة ٨٧٧، وقد طُبِعَ الكتاب المذكور مراراً وتكراراً، ومن ضمن تلك الطبعات طبعة بومباي سنة ١٣٠١، وتبدأ هذه الطبعة بالعبارات التالية : «**باسمِك الأعظم الشّاملِ فيضُه المُقدّسُ لكُلّ موجودٍ ...** اى محمود به هر شأنى و اى معبود به هر مكانى» . والنسخ الخطّيّة لهذا الكتاب متوفّرة ومنتشرة. وأقدم تلك النسخ، حسب علمي ، هي النسخة الموجودة في القاهرة (دار الكتب ٧م تصوّف فارسي) كُتبتْ في سنة ٨٨٥، والأُخرى موجودة في طهران (المجلس ١١١٧) كُتبت في سنة ٩٠٠، ونسخة أُخرى عند سلطان القرائيّ في طهران وهي مكتوبة سنة ٩٠١».

وسحره جعلته يتربّع على عرش البيان .

وها نحن نشرع بالشرح ، وحيثما كانت الحاجة إلى الملاحظات الضروريّة قمنا بتسجيلها ، **بِحَوْلِ اللهِ وَقُوَّتِهِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إلَّا بِاللهِ العَليِّ العَظِيم**.

يقول الشيخ محمّد اللاهيجيّ :

«لأنّ الحقّ تعالى متجلٍّ بجميع الأشياء والأعيان ، وأنّ العلم والحياة لازمتا الذات الإلهيّة ، وبالطبع أينماكان الملزوم ،كان اللازم ، فلهذا ، أينما وُجِد الوجود ، وُجِد العِلم والحياة .

وغاية ما في هذا الباب ، أنّه إذاكان مكان ظهور التجلّي لا يحوي الاعتدال الموجب لظهور الحياة والعلم ، عندئذٍ ستبقى تلك الصفات كامنة فيه ،كالشخص المغمى عليه .

إذاً جميع الأشياء هي ذات علم وحياة ، وكلّ شيء له حياة ، فبالقطع له نفس أيضاً ، وكلّ نفس موجودة ـ بالقوّة أو بالفعل ـ تكون بالضرورة مدركة لوجودها . وحريّاً بها أن تدرك الوجود المطلق ، حيث العامّ يكون أوضح من الخاصّ ، أي أنّ كلّ ما في الكون يدرك ذاته ـ بالقوّة أو بالفعل ـ وهذا الإدراك يفتح الطريق إلى ساحة الله تعالى ، لأنّ ذات الحقّ تعالى متجلّية وظاهرة في جميع الأشياء .

نطق آب و نطق خاک و نطق گل هست محسوس حواس اهل دل
فلسفى كآن منكر حَنّانه است از حواس اوليا بيگانه است[1]

فكلّ موجود مظهر لوجه الله تعالى ومرآة له ، وهو متجلٍّ بجميع

١ـ يقول : «إنّ أهل العشق هم الذين يفهمون منطق الماء والتراب والطين.
إنّ الفيلسوف الذي لا يؤمن بالحنّانة فهو بعيد كلّ البعد عن الأولياء وأحاسيسهم».

الأشياء ، ولكنّه تواری في حجاب التعيّنات . ويقول أيضاً :

به زير پردهٔ هر ذرّه پنهان جمال جانفزای روی جانان[١]

وأمّا من عجائب السرّ الإلهيّ ، أنّه جلّت قدرته في أوج ظهوره محتجب ، وفي أوج احتجابه ظاهر ، وعلى الرغم من أنّه لا موجود كائن بدونه ، وأنّه عين كلّ شيء ، وأضحى التعيّن والتشخّص حلّة جماله ، فإنّ جمال ذلك المحبوب الحقيقيّ الأخّاذ قد كمن وفي ضمير كلّ ذرّة من ذرّات العالمين ، بدا بكلّ صورة ولون .

بَدَتْ بِاحْتِجَابٍ وَاخْتَفَتْ بِمَظَاهِرٍ
عَلَى صِبَغِ التَّلْوِينِ فِي كُلِّ بَرْزَةٍ[٢]

خورشید به ذرّه چون نهان است چون ذرّه به نور خود عیان است
حیف است که مهر روی جانان مستور به پردهٔ جهان است
از بهر چه نور عالم آرا در ظلمت این و آن نهان است
خورشید رُخش به جلوه آمد ذرّات جهان نمودِ آن است[٣]

١ـ يقول : «إنّ في كلّ ذرّة جمال مخفيّ يشعّ على الأرواح».

٢ـ هذا هو البيت السادس والأربعون بعد المائتين من تائيّة ابن الفارض الكبرى والتي يبلغ مجموع أبياتها (٧٦١) بيتاً وتعرف بـ«نظم السلوك»، وهذه الأبيات توجد في ص ٧٠ من مجموعة «ديوان ابن الفارض الكامل» طبعة دار صادر، دار بيروت ، سنة ١٣٨٢ هـ. وأمّا البيتان اللذان يسبقان هذا البيت فهما:

فكلُّ صَبا منهم إلى وصف لبسِها بصورةِ حُسنٍ لاحَ في حُسْنِ صورةٍ
ومـا ذاك إلّا أن بَدتْ بمظاهرٍ فظنّوا سواها وهي فيها تجلّت

٣ـ يقول : «ليست الشمس إلّا كذرّة، لكنّ هذه الذرّة تشعّ بنورها.
أسفاً أن تكون هذه الشمس الساطعة على الخلائق محجوبة بحجاب الدنيا.
لِمَ يُحْبَس هذا النور المشرق على هذا العالم في ظلمة هذا وذاك. ⇦

فَسُبْحانَهُ وَتَعالَى ؛ مَا ظَهَرَ فِي مَظْهَرٍ إلَّا وَاحْتَجَبَ بِهِ.

قاعِدَةٌ فِي أَنَّ مَرَاتِبَ ظُهُورِ الحَقِّ غَيْرُ مُتَناهِيَةٍ:

وبعد أن أشار ضمن تفكّره في الآلاء والنِّعَم إلى بيان صدور الكثرة من الوحدة ، وظهور الوحدة في الكثرة ، تطرّق إلى ترتيب مقدّمة من جهة تنبيه الغافلين وترغيب الطالبين ، حيث تحدّثت تلك المقدّمة عمّا تتوقّف عليه المعرفة التامّة ، وقال تحت عنوان **قاعدة** :

إنّ هذه القاعدة تشير إلى أنّ مراتب الظهور الإلهيّ لا متناهية ، وإنّما نحصل على المعرفة الحقيقيّة ، عند حصولنا على الاطّلاع الكشفيّ على هذه المراتب الكلّيّة .

واعلم أنّ العالم لا يقتصر على عالم الشهادة هذا ، وأنّ هذا العالم ، إنّما هو انعكاس بالقياس إلى العوالم الغيبيّة المعنويّة ، وأنّ للحقّ تعالى ظهوراً مختلفاً في كلٍّ من عوالم التجلّي والظهور ، وعلى هذا قال :

تو از عالم همين لفظى شنيدى   بيا بر گو كه از عالم چه ديدى ؟![1]

حيث يقول : إنّك من هذا العالم الذي تعرفه إنّما سمعت لفظاً ، وما دريت أنّ العالم أكبر من ذلك . لأنّه قيل : إنّ العالَم ، هو ذلك الذي يُتَوَصَّل به إلى معرفة شيءٍ ما ، وبهذا المعنى ، يكون اشتقاق كلمة العالم أظهر من كلمة العلم . لذا ، فإنّ تسمية الموجودات بالعالم ، هي بواسطة أنّه وسيلة وآلة لإدراك الحقّ تعالى . مثله كمثل الخاتم ، الذي يدلّ على الشيء الذي يختم به .

⇦ لقد تجلّى وجه الشمس ومحيّاها وأضحت ذرّات العالم مظاهر لها».

١ـ يقول : «أنتَ لا تعرف من هذا العالَم إلّا اسمه ، وإذا كنتَ قد رأيت شيئاً منه، فقل إذن ماذا رأيت ؟».

وعلى هذا المعنى أمكن إطلاق كلمة العالم على مجموع الأشياء الموجودة ، وكذا أمكن إطلاقه على كلّ مرتبة بل وكلّ فرد ، ولهذا فهو يقول ، هلمّ وأخبرني عمّا رأيت من هذا العالم ؟ وإلى أيٍّ من هذه العوالم وصلت ؟ ذلك أنّ العوالم غير المحسوسة كثيرة ، وقد ورد في الأخبار ، أنّ العوالم كثيرة ، وقد أشار بالتفصيل إلى ذلك :

چه دانستى ز صورت يا ز معنى ؟

چه باشد آخرت چونست دنيا؟![1]

يقول ماذا علمت عمّا قيل من عالم الصورة والمعنى ؟ اعلم ، أنّ ما يمكن إدراكه بالحواسّ الظاهرة ، إنّما هو الصورة ، وأنّ ما لا تدركه الحواسّ الظاهرة ، هو المعنى أو ما يسمّى بالغيب والشهادة .

وأمّا الدنيا ، فهي عبارة عن هذا العالم ، الذي تتعلّق فيه النفس الإنسانيّة بالبدن ، وبواسطة الآلات البدنيّة ، يمكنها اكتساب الأخلاق والأعمال من سيّئات وحسنات . ويعبّر عن ذلك ، بالنشأة الأُولى ؛ وأمّا الآخرة ، فهي العالم الذي تُقاضى فيه النفس بعد مفارقتها البدن ، وتجزى على أخلاقها وأعمالها ، **إنْ خَيْراً فَخَيْرٌ وَإنْ شَرَّاً فَشَرٌّ** .[2]

١ـ يقول :

«ما الذي علمتَهُ من صورة أو معنى ؟ وما هي الآخرة ، كيف حال الدنيا ؟»

٢ـ قال ابن مالك في ألفيّته في باب **كان** :

ويَحذِفونها ويبقون الخبر وبعدَ إنْ ولَو كثيراً ذا اشتهر

ويقول الملّا جلال السيوطيّ ، شارح الألفيّة ،: ومثله قول: «**المَرْءُ مَجْزِيٌّ بِعَمَلِهِ ، إنْ خَيْراً فَخَيْرٌ**» . **أَيْ : إنْ كَانَ عَمَلُهُ خَيْراً** .

ويقول أبو طالب في حاشيته: «وورد في بعض الكتب «**النَّاسُ مَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ**» ، وقيل إنّ هذا القول هو حديث» . («البهجة المرضيّة» بخطّ عبد الرحيم، ص ٥٥).

وسوف نشير إلى حقيقة معنى **كَلِّمُوا النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ**[١] باختصار أثناء شرحنا للأبيات إن شاء الله تعالى .

ولمّا كان الهدف وهو معرفة الطالب لما لا يُدرك بالحسّ والعقل حقّ إدراكه ، ليس بسهل ، وإنّما يستند على تنقية الفؤاد : فقد قال :

بگو سيمرغ و كوه قاف چبود ؟

بهشت و دوزخ و أعراف چبود ؟[٢]

واعلم أنّه قد رويت وقيلت الكثير من الحكايات حول طائر العنقاء كلٌّ حسب تأويله ، وأمّا ما يخطر ببال الحقير الفقير فهو أنّ العنقاء رمز للذات الواحدة المطلقة ، وأنّ القاف ، وهو مقرّها ، يرمز إلى الحقيقة الإنسانيّة التي هي مظهر تامّ لتلك الحقيقة ، وأنّ الحقّ بكامل أسمائه

١ـ لم يرد حديث بهذا الشكل في كتب الشيعة، وأمّا ما ورد فهو بالشكل التالي :
نَحْنُ ـ إنَّا ـ مَعَاشِرَ الأَنْبِيَاءِ أُمِرْنَا أَنْ نُكَلِّمَ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ . («المحجّة البيضاء» ج ١ ، ص ١٢٢ ؛ «تحف العقول» ص ٣٧ ؛ «بحار الأنوار» الروضة، ج ١٧ ، ص ٤١ ، طبعة الكمبانيّ ؛ وقد وردت الرواية كاملة في «أُصول الكافي» ج ١ ، ص ٢٣).

نعم، قد وردت أحاديث نبويّة مرسلة عن طريق العامّة في كتاب «مرصاد العباد» ص ١٥ ، طبعة بُنگاه ترجمه ونشر كتاب. ووردت كذلك في كتاب «أحاديث مثنوي» (=أحاديث المثنويّ) في موضعَيْن: الأوّل في ص ٣٧ ، رقم ٩٣ :

پست مى‌گويم به اندازهٔ عقول عيب نبود اين بود كار رسول

يقول : «أتكلّم كلاماً بسيطاً تطيقه العقول ، وليس هذا عيباً ، لأنّه كان فعل الرسول».

والثاني في ص ١٢٩ ، رقم ٣٩٣ :

رنگ و بو در پيش ما بس كاسد است ليک تو پستى ، سخن كرديم پست

يقول : «إنّ اللون والرائحة كاسدان لدينا ، ولكنّك بسيط فتكلّمنا كلاماً بسيطاً».

٢ـ يقول :

«أتعرف ما العنقاء أو طود قاف ؟ أو الجنّة وجهنّم والأعراف ؟»

وصفاته ، متجلٍّ وظاهر بها .

وأمّا ما قيل من أنّ جبل قاف محيط بالعالم من كلّ جوانبه لعظمته ، فإنّ هذا المعنى ظاهر في الحقيقة الإنسانيّة ، لأنّ تلك الحقيقة كما مرّ بيانها ، تشتمل على جميع حقائق العالم ، ولأنّ الإنسان يمثّل أحديّة الجمع ظاهراً وباطناً ، وهو منتخب كلّ العالم وخلاصته .

وكلّ من وصل إلى معرفة الحقيقة الإنسانيّة ، اعتماداً على قاعدة أنّ **مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ** ،[1] تيسّرت له رؤية الحقّ تعالى ومعرفته ، حيث إنّ : **مَنْ رَآنِي فَقَدْ رَأَى الحَقَّ** ؛[2] وعلى هذا ، فإنّ من وصل إلى جبل

١ـ جاء في تفسير «الميزان» ج ٦ ، ص ١٨٢ ، في (بحث روائيّ) في ذيل الآية الشريفة **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ** ، نقلاً عن «الغرر والدُّرر» للآمديّ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: **مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ** . وروى كلّ من الشيعة والسنّة ذلك أيضاً، وهو حديث مشهور. وقال بعض العلماء: هذا الحديث يُشير إلى التعليق بالمحال ومفاده استحالة معرفة النفس باستحالة الإحاطة العِلميّة بالله سبحانه؛ وهذا القول مرفوض أوّلاً لقول النبيّ صلّى الله عليه وآله في رواية أُخرى: **أَعْرَفُكُمْ بِنَفْسِهِ أَعْرَفُكُمْ بِرَبِّهِ** . وثانياً أنّ هذا الحديث مُناقضٌ لقول الله تعالى: **وَلَا تَكُونُوا كَٱلَّذِينَ نَسُوا ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ** .

وقد أفاض العلّامة في بحث مفصّل حول هذا الحديث واستشهد بكثير من الروايات حول ذلك في ص ١٨٦ .

هذا وقد ورد الحديث المذكور كذلك في «مرصاد العباد» ص: ٣ ، ١٧٤ ، ١٨٥ ، ٤١٣ ، و ٥٣٥ ، طبعة بنگاه ترجمه ونشر كتاب.

٢ـ جاء في كتاب «أحاديث المثنويّ» ص ٦٢ ، و٦٣ ، الطبعة الثانية:

چون مرا ديدى خدا را ديده‌يى   گرد كعبهٔ صدق بر گرديده‌يى

مقتبساً معناه من الحديث القائل: **مَنْ رَآنِي فَقَدْ رَأَى الحَقَّ** . («البخاريّ» ج ٤ ، ص ١٣٥ ؛ «صحيح مسلم» ج ٧ ، ص ٥٤ ؛ «كنوز الحقائق» ص ١٢٥ ؛ **مَنْ رَآنِي فَقَدْ رَأَى الحَقَّ ، فَإِنَّ الشَّيْطانَ يُتَرَاءَى بِي** . («الجامع الصغير» ج ٢ ، ص ١٧٠).

قاف ، فقد وصل إلى العنقاء . شعر :

گـــرنه آن حســـن در تـجلّى بـود
آن أنـا الحـقّ كـه گـفت : سُبحانى[١]
كـــه تـــوانـــد بـه غـير او گـفتن
لَـيْسَ فـى جُـبَّتى[٢] كـه مى‌خوانـى[٣]

١ـ قال السمعانيّ في كتاب «رَوح الأرواح في شرح أسماء الملك الفتّاح» ص ١٢٩ و ١٣٢ : «كان بايزيد يصيح: **سُبحاني ما أعظمَ شأني** . وهو القائل: **سُبحاني سُبحاني**».

وقال علاء الدولة السمنانيّ في «العروة لأهل الخلوة والجلوة» ص ٩٤ : «لكن اعلم أنّه إذا انتهى التجلّي الصوريّ والذي لا يرى بعده تجلٍّ آخر، فإنّه سيرى ختامه على صورته وسيكون مصدراً للفناء لاهجاً بلسانه عبارة: **أنا الحقّ** ، و **سبحاني** دون إرادته».

ويقول الشيخ نجم الدين الرازيّ في كتاب «العشق والعقل» ص ٨٩: «وإذا خرج الجسم من بيضة الوجود، صرخ قائلاً: **سبحاني ما أعظم شأني** ؛ بينما لا تزال قدمه داخل البيضة».

٢ـ قال سعيد الدين الفرغانيّ في كتاب «مشارق الدراريّ» ص ٦٣٤ : «إلّا إذا كان كالشخص الذي يصل بكمال التخلّق والتحقّق بالأسماء الإلهيّة إلى مقام الجمع الوجوديّ ويغرق في بحره اللجّيّ.

حينئذٍ سيصرخ بلسان الجمع الإلهيّ قائلين: **أنا الحقّ** و **سبحاني** و **ليس في الجنّة سوى الله.**

وقال في «السيرة الحلبيّة» ج ١ ، ص ٢٩٠ : **«ومن ثمّ ذكر القاضي عياض في «الشفاء»: أنّ مَن ادّعى حلول الباري في أحد الأشخاص كان كافراً بإجماع المسلمين. وقول بعض العارفين وهو أبو يزيد البسطاميّ : سبحاني ما أعظم شأني ، وقوله: إنّي أنا الله لا إله إلّا أنا فاعبدني ، وقوله: وأنا ربيّ الأعلى ، وقوله: أنا الحقّ وهو أنا وأنا هو؛ ليس من دعوى الحلول في شيء».**

٣ـ يقول : «لولا وجود ذلك الجمال المتجلّي ، لما قال من قال أنا الحقّ ، أو سبحاني .

من يجرؤ غيره على قول (العبارة التي تردّدها): ليس في جبّتي ؟».

هر چه هستى است در تو موجود است
خـــويشتن را مگـــر نـــمى‌دانـى[1]

واعلم ، أنّ الجنّة والنار ، إنّما هي مظاهر في جميع العوالم الإلهيّة ، ولا ريب في كونها من الأعيان التي هي صور علميّة في العلم الإلهيّ ، ويكثر وجودها في العالم الروحانيّ أكثر منه في الوجود الجسمانيّ كذلك . وأنّ إخراج آدم و حواء من الجنّة ، إنّما هو إشارة إلى ذلك ، وللنار كذلك وجود في هذا العالم الروحانيّ ، ذلك أنّ العالم الروحانيّ مثال لما هو موجود في علمه ، والأحاديث التي تدلّ على وجودهما كثيرة ، وقد أشار الرسول عليه الصلاة والسلام إلى مسألة إثبات وجودهما في عالم الدنيا بقوله ، **الدُّنْيَا سِجْنُ المُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الكَافِرِ**.[2] وكذا في الآية الشريفة : **وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِٱلْكَـٰفِرِينَ**.[3]

وفي مكان آخر ، أشار كذلك إلى إثبات وجودهما في البرزخ المثاليّ قائلاً : **القَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النِّيرَانِ**.[4] وهو

١ـ يقول : «إنّ كلّ ما هو موجود من وجود يكمن فيك أنت؛ عجباً، ألا تعرف نفسك؟».

٢ـ أورد صاحب «مرصاد العباد» الجزء الأوّل من هذه الرواية في ص ١٢٦؛ وقال في ص ٥٩٨ في معرض توضيحه: «ورد هذا الحديث في «تَرْك الإطناب» ص ٧٦؛ وورد في شرح «الشهاب» بالفارسيّة ص ٧٥؛ و«أحاديث مثنوي» ص ١١.

٣ـ الآية ٤٩ ، من السورة ٩ : التوبة.

٤ـ ذكر الملّا صدرا هذه الرواية في تفسيره لسورة الطارق، ص ٣٢، طبعة انتشارات بيدار، قائلاً: **وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى البَرْزَخِ قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : القَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النِّيرانِ**. وقد أورد المعلّق في تعليقته المصادر التالية: «الترمذيّ» ج ٤، ص ٦٤٠»، الباب ٢٦، كتاب صفة القيامة. ⇦

....

⇦ وكذا في «بحار الأنوار» ج ٦ ، ص ٢٠٥ ، الطبعة الحروفيّة؛ و«سفينة البحار» ج ٢، ص ٣٩٥، الطبعة الحجريّة؛ وكذلك في نفس مُجلّد «البحار» هذا في باب أحوال البرزخ والقبر، ص ٢١٨ ، حديث ١٣ ، نقلاً عن «الأمالي» فيما كتب أمير المؤمنين عليه السلام لمحمّدبن أبي بكر: **يَا عِبادَ اللهِ !** ـ ثمّ يقول بعد سطرين أو ثلاث ـ: **وَالقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النَّارِ.**

وجاء في «أحاديث المثنويّ» ص ١٤٠ ، برقم ٤٣٣ البيت التالي على لسان مولانا (محمّد الروميّ):

گورها يكسان به پيش چشم ما		روضه وحفره به پيش انبيا

يقول : «إنّ القبور كلّها تبدو لنا (نحن البشر العاديّون) واحدة ومتشابهة ولا فرق بينها، لكنّها بنظر الأنبياء إمّا أن تكون روضة غنّاء أو حفرة دهماء».

وقيل: «إنّ هذا إشارة إلى الحديث القائل:

إِنَّمَا القَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النَّارِ. («الجامع الصغير» ج ١، ص ٦٢»).

وأيضاً قال الملّا صدرا في «تفسير سورة السجدة» ص ٨٩، منشورات بيدار:

وقد انتهى الكلام إلى ما عجز عن دركه جمهور الأنام ؛ اللهمّ اجْعَل هذه الكلمات محروسة عن ملاحظة الناقصينَ ، واسْتُرها عن أعين المغرورين ، واجْعَل لأصحاب القلوب الصافية نصيباً وافراً من دركها ، ورغبة تامّة في حفظها ثمّ في صونها عن الأغيار، ليكون مستقرُّ هذه المعاني صدور الأحرار التي هي قبور الأسرار لتكون في روضة من رياض الجِنان، ولا تجْعَلها في بطون الأشرار كَيْلا يكون في حفرة من حُفر النيران، وهم الظاهريّون الذين زيّنوا ظواهرهم بالنقوش المزخرفة والأقوال المزيّنة المليحة الحلوة كالأطعمة والحلاوات، وأهملوا بواطنهم بل أحشَوها بالنفاق والجهل والاستكبار عن الحقّ والحقائق كبطون الفجّار وقبور الكفّار.

همچو گور كافران ، بيرون حُلَل		و اندرون قهر خدا عزّ و جلّ

يقول : «كقبور الكفّار التي تزيّنها الحلل والبرد من الخارج، إلّا أنّ داخلها مليء ⇦

موجود كذلك في العالم الإنسانيّ ، الذي هو منتخب الجميع ، ذلك أنّ مرتبة الروح والقلب والكمالات الخاصّة بهما ، هي النعيم عينه . وأمّا مقام النفس والهدى ومتعلّقاتهما ، فهي الجحيم عينه . وآخر مراتب مظاهرهما هي الدار الآخرة ، التي هي عالم الجزاء ، وقد تطرّقت الأحاديث والقرآن الكريم إلى الكلام عن هذا العالم في مواضع كثيرة .

ويقول الإمام محمّد الغزّاليّ في «**المظنّون به على غير أهله**»[١] : قال أبو عليّ وهو من عظماء الفلاسفة : يمكن القول إنّ الحقّ جلّ شأنه قد أعطى هذه القوّة للنفس الفلكيّة ، بحيث إنّ ما موجود في عالم المواليد السفليّة من أشخاص وأقوال وأعمال وأخلاق وحركات وسكنات ، والصور المناسبة لكلٍّ من تلك الرموز وأسمائها الواردة في الشريعة السمحاء ، موجودة بأجمعها في تلك النفس الفلكيّة ، إذ إنّ النفس الإنسانيّة بعد قطع اتّصالها بالبدن العنصريّ تتّصل ببدن آخر يليق بذلك العالم ، وتُشاهَد عياناً صور الأعمال والأخلاق والأوصاف والأقوال التي صدرت منها في هذا العالم .[٢]

⇦ بغضب الله وسخطه عزّ وجلّ».

اللهمّ اجْعَل قبرَنا روضة من رياض الجِنان ولا تجْعَلها حُفرة من حفر النيران». ـ انتهى كلام الملّا صدرا.

وأورد هذا الحديث كذلك الغزّاليّ في كتاب «المضنون به على غير أهله» ص ٧٩، في هامش ج ٢ من «الإنسان الكامل» للجيليّ ، الطبعة الأُولى.

١ـ لم نعثر في كلتا الطبعتَيْن اللتين طُبِعَتَا على ما جاء في هامش «الإنسان الكامل» للجيليّ.

٢ـ لقد اعتبرنا مثل هذا الاحتمال ضعيفاً كما ذكرنا في «معرفة المعاد» من سلسلة العلوم والمعارف الإسلاميّة وأثبتنا المعاد الجسمانيّ العنصريّ على أحسن وجه.

ذلك ما أخبر به المخبر الصادق ، وهو الرسول الأمين صلّى الله عليه وآله وسلّم ، من حور وقصور ورضوان وأثمار وأنهار ، وأخبر في مقابل ذلك عن الأفاعي والعقارب والنار ومالك ، ولمّا كان ذلك لا يخالف العقل ، وقد كان المخبر به هو المخبر الصادق ، فلا ريب أنّ ذلك هو ما هو كائن حقّاً . وهذا لِمَن يُرِيد إدراك هذا المعنى بطريق العقل ، وإلّا فإنّ أصحاب الصفاء والنقاء وأهل القلوب يشاهدون بعين البصيرة كلّما قاله وأخبر عنه النبيّ ، وعلى هذا ، فإنّ قاعدة : **مُوتُوا قَبْلَ أَنْ تَمُوتُوا**[1] ، تدلّ على أنّ ما يكون بعد الموت الطبيعيّ ، يمكن مشاهدته بالموت الاختياريّ بعين اليقين ، وإزالة ما في داخلهم من شكّ .

زينهار اى جان من صد زينهار
نيک کن پيوسته دست از بد بدار
زانکه هر چه اينجا کنى از نيک و بد
مونست خواهد شدن اندر لحد[2]

١ـ «مرصاد العباد» ص ٣٥٩ و ٣٦٤ و ٣٨٦ ؛ و«العروة» للسمنانيّ ص ٨٧ ؛ وقال في «أحاديث المثنويّ» ص ١١٦ :

اى خنک آنرا که پيش از مرگ مُرد — يعنى او از اصل اين رَز بوى برد

يقول : «طوبى لمن مات قبل الموت ، فهو الذي عرف بحقّ أصل ذلك السرّ المكنون» .

إشارة إلى الحديث القائل : **مُوتُوا قَبْلَ أَنْ تَمُوتُوا** ، والذي تناقلته الصوفيّة .

ولم يعدّه مؤلّف «اللؤلؤ المرصوع» حديثاً ، نقلاً عن ابن حجر . وجاء في «حدائق الحقائق» ص ٤٧٩ ، الطبعة الثالثة : بمقتضى **مُوتُوا قَبْلَ أَنْ تَمُوتُوا** .

٢ـ يقول :

«حذار يا نفسي كوني على حذر — اعملي المعروف واجتنبي الشرر
إنّ ما تصنعي من خير هنا — سيكون أنيساً لك داخل القبر»

حيث إنّ **القَبْرُ صَنْدُوقُ العَمَلِ**.[١]

وأمّا **الأعراف**، فهي جمع عُرف، يطلق على المكان المرتفع الذي يُشرف على جوانبه. وتلك هي مرتبة السابقين، حيث يقول تعالى:

ٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلسَّـٰبِقُونَ * أُولَـٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ.[٢]

وهم الكاملون الذين وصلوا إلى مقام جمع الجمع، وهو مقام البقاء بالله، حيث يرون الحقّ تعالى متجلّياً في كلّ شيء والصفة التي يعدّ ذلك الشيء مظهراً لها، وهذا المقام هو الإشراف على الجوانب. إذ يمكنه رؤية كلّ شيء كما هو، ويعلمون أنّ:

وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَٰهُمْ.[٣]

ما طبيبانيم و شاگردان حقّ بحر قُلزم ديد ما را فانفلَقْ[٤]

١ـ «الديوان المنسوب إلى أمير المؤمنين عليه السلام» الطبعة الحجريّة:

يَا مَنْ بِدُنْيَاهُ اشْتَغَلْ قَدْ غَرَّهُ طُولُ الأَمَلْ
المَوْتُ يَأْتِي بَغْتَةً وَالقَبْرُ صَنْدُوقُ العَمَلْ

وقد ورد ذلك أيضاً في الطبعة المنقّحة والمصحّحة لعبد العزيز الكرم في ص ١٠٥.

وأورد عبدالعزيز سيّد الأهل الأبيات التالية في «ديوان الشعر المنسوب إلى أمير المؤمنين عليه السلام»، ص ١١٣:

غَرَّ جَهُولاً أَمَلُهْ يَموتُ مَنْ جَا أَجَلُهْ
وَمَنْ دَنَا مِنْ حَتْفِهِ لَمْ تُغْنِ عَنْهُ حِيَلُهْ
وَمَا بَقَاءُ آخِرٍ قَدْ غَابَ عَنْهُ أَوَّلُهْ ؟
وَالمَرْءُ لَا يَصْحَبُهُ فِي القَبْرِ إلَّا عَمَلُهْ

٢ـ الآيتان ١٠ و ١١، من السورة ٥٦: الواقعة.

٣ـ بعض من الآية ٤٦، من السورة ٧: الأعراف.

٤ـ يقول: «ألا نحن الأطبّاء وللحقّ تلاميذ؛ لمّا رآنا البحر ماج وانفلقْ».

آن طـــبيبانِ طـبيعت ديگــرند كـه بـه دل از راه نـبضى بـنگرند
ما به دل بى‌واسطه خوش بنگريم كز فراست ما به عـالى مـنظريم[1]

وبعد أن أشار إلى بعض من العوالم الغيبيّة ، ذكر في مكان آخر :

كدام است آن جهان كـو نـيست پـيدا
كه يک روزش بود يک سال اينجا ؟[2]

واعلم أنّ العوالم الكلّيّة هي خمسة :

الأوّل : **عالم الذات** ، وهو ما يطلقون عليه باللاهوت والهويّة الغيبيّة ، والغيب المجهول ، وغيب الغيوب ، وعين الجمع ، وحقيقة الحقائق ، ومقام أو أدنى ، وغاية الغايات ، ونهاية النهايات ، والأحديّة .

الثاني : **عالم الصفات** ، وهو ما يطلقون عـليه بـالجبروت ، وبـرزخ البرازخ ، والبرزخيّة الأُولى ، ومجمع البحرين ، وقـاب قـوسين ، ومـحيط الأعيان ، والوحدانيّة ، والعماء .

الثالث : **عالم المـلكوت** ، ويسـمّونه كـذلك عـالم الأرواح ، وعـالم الأفعال ، وعالم الأمر ، وعالم الربوبيّة ، وعالم الغيب والباطن .

الرابع : **عالم المُلك** ، ويطلقون عليه كـذلك عـالم الشـهادة ، والعـالم الظاهر ، وعالم الآثار ، والخلق ، والمحسوس .

الخامس : **عالم الناسوت** ، ويـطلقون عـليه كـذلك الكـون الجـامع ، والعلّة الغائيّة ، وآخر التنزّلات ، ومَجْلَى الكلّ .

١ـ يقول : «فطبيب يفحص القلب بجسّ للنبض ؛ ذاك طبٌّ يتعامل بالأَهَق
إنّما نحن أطبّاء بغير واسطة ؛ طبّنا ليس كطبّ من سَبَق».

٢ـ يقول :
«أين ذاك العالم يا صاح قـل لي أتزعم أنّ يوماً فيه قدِّر بسنة ؟»

فالعوالم الثلاثة من هذه العوالم الخمسة هي ضمن عالم الغيب ، لأنّها خارجة عن عالم الإدراك والحواسّ . وأمّا العالمان الآخران فهما ضمن عالم الشهادة ، لأنّهما محسوسان بالحواسّ .

يقول الشيخ : أين هو ذلك العالم غير المحسوس ؟ أي أنّه غير محسوس وغائب عن الحواسّ ، حيث إنّ يوماً في ذلك العالم ، يعادل سنة من هذا العالم .

وهذا العالم إشارة إلى البرزخ المثاليّ ، وهو الحدّ الفاصل بين الغيب والشهادة ، وهو جامع لأحكام العالمَين ، الظاهر والباطن ، بحسب البرزخيّة . وأمّا مسألة الزمان والمكان والطول ، والقصر في الشهر والسنة في هذا العالم الجسمانيّ ، فهي مقيّدة بالكثافة ، وكلمّا قلّت الكثافة ، قلّ في مقابل ذلك التقيّد واعتبار البعد بين المبدأ والمعاد ، والأزل والأبد ، وأضحت مسألة ظهور العلم وانكشاف المعلومات والحقائق هامشيّة قليلة الأهمّيّة .

ولهذا صار يوم واحد في عالم البرزخ يعادل عاماً واحداً في عالمنا هذا ، ويوم واحد في عالم الربوبيّة ، هو بألف عامّ في هذا العالم **إِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ**. وأمّا اليوم الواحد في عالم الأُلوهيّة ، فهو مساوٍ لخمسين ألف سنة في هذا العالم **تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ**.[1] شعر :

پيش ما صد سال و يک ساعت يکی است
که دراز و کوته از ما منفکی است[2]

١ـ الآية ٤ ، من السورة ٧٠ : المعارج.

٢ـ يقول : «إنّ مائة سنة وساعة واحدة سواء لدينا ، لأنّ الطول والقصر منفكّان عنّا».

آن دراز و كـــوتهى در جســـمها است
آن دراز و كــوته انــدر جــان كــجاست
از ره و مــــــنزل ز كـــــوتاه و دراز
دل چــه دانــد كــوست مست و دلنــواز
آن دراز و كـــوته اوصـــاف تـــن است
رفـــتن ارواح ، ديگـــر رفـــتن است[١]

بما أنّ في ذات الأحديّة لا وجود للتعيّن والتقيّد ـ لأنّ الكثرات الاعتباريّة عنده معدومة ـ فإنّ تقدّم الذات الأحديّة على الذات الوحدانيّة التي هي منشأ التعيّنات والنسب ، يُعبّر عنه بالسنة **السرمديّة** ، وجاء في بعض النسخ «كان يوماً منه بخمسين يوماً من هذا العالم» .

وذلك العالم هو إشارة إلى عالم الأُلوهيّة ، والمراد بالخمسين ، هي خمسون ألف عام ، **فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ**.[٢]

وقد أشار إلى عوالم غير مدركة بالحواسّ ، وليس كلّ شخص هو سابح في هذه الأجواء ، ولأجل التأكيد على تصديق المستمع يقول :

همين نبود جهان آخر كه ديـدى   نه ما لَا تُبْصِرونْ آخر شنيدى ؟[٣]

أي أنّ عالم الشهادة والمحسوس الذي أمامك ليس هو كلّ شيء ، بل هنالك عوالم أُخرى كثيرة لا تدركها الحواسّ ، على الرغم من أنّه ، أي عالم الشهادة والمحسوس ، ينحصر عموماً في العوالم الثلاثة التي مرّ ذكرها ،

١ـ يقول : «إن كان الطول والعرض في الأجسام ؛ فأين هما في الأرواح ؟
أسير عن الدنيا وما أنا ذاكرٌ لها بسلام إنّ أحداثها حُمسُ .
إنّما الأطوال والأعراض من جنس البدن ، فإذا ما وَلّت الأرواح كانت في دَمس» .

٢ـ قسم من الآية ٤ ، من السورة ٧٠ : المعارج .

٣ـ يقول : «لم يك ما رأيت بعالم الآخرة ، أما سمعتَ نداء ما لا تُبصرون؟» .

فهو يقول: ألم تسمع كلام الخالق: **وَمَا لَا تُبْصِرُونَ**؟ أي تلك العوالم التي لا ترى بالباصرة. وفي كلام البارئ جاء القسم بهذين العالمين بقوله **فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ * وَمَا لَا تُبْصِرُونَ**،[١] وهما عالم الظاهر، وعالم الباطن، أو الغيب والشهادة، واللذان يشتملان على العوالم الخمسة المذكورة، التي تمّ شرحها آنفاً. وعالم اللاهوت هو أصل كلّ تلك العوالم، ونسبة هذا العالم إلى تلك العوالم، كحَبّة الرمل إلى الصحراء، أو قطرة الماء إلى البحر.

ولأنّ النشأة الإنسانيّة، وشأن جامعيّة كمالها، يقتضيان العلم بكلّ مراتب الموجودات، والاطّلاع على كلّ المسمّيات بحكم **وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا**[٢] يقول:

بيا بنما كه جابُلقا كدام است   جهان شهر جابُلسا كدام است[٣]

جاء في القصص والروايات التأريخيّة، أنّ جابلقا، هي مدينة كبيرة جدّاً في الشرق، وجابلسا أيضاً، كبيرة جدّاً وتقع في الغرب، وبالمقابل من جابلقا، وقد علّق أهل التأويل في هذه المسألة بما يكفي، ولكن خطر ببالي معنيين على سبيل الإشارة وهما:

الأوّل: جابلقا هي العالم المثاليّ، والتي تقع في الجانب الشرقيّ للأرواح، وهي البرزخ بين الغيب والشهادة، وتشتمل على صور العالم، فهي بلا شكّ، مدينة كبيرة، وواسعة جدّاً. وأمّا جابلسا، فهي عالم المثال

١ـ الآيتان ٣٨ و٣٩، من السورة ٦٩: الحاقّة.

٢ـ صدر الآية ٣١، من السورة ٢: البقرة.

٣ـ يقول:

«خبّر بجابلقا لعلّك ناطق   وأرني حاضرة جابلسا لعلّك صادق»

وعالم البرزخ ، وهي مستقرّ الأرواح بعد مفارقتها دار الدنيا ، ومكان صور كلّ ما ارتُكِبَ من الأعمال ، والأفعال ، والأخلاق ، الحسن منها والسيّئ المكتسبة في الحياة الدنيا ـ كما هو وارد في الأحاديث والآيات ـ ، ويقع هذا البرزخ في الجانب الغربيّ من الأجسام ، وهي مدينة عظيمة السعة ، وتقع قبالة جابلقا .

وهنا يكون أهل مدينة جابلقا ، أكثر لطافةً ونقاءً ، ذلك لأنّ أهل مدينة جابلقا ، وبسبب أعمالهم وأخلاقهم الرديئة التي اكتسبوها في الدنيا ، قد صُوّروا بصور مظلمة .

ومعظم الخلق على هذا التصوّر ، بأنّ هذين البرزخين هما شيء واحد ، ولكن يجب العلم ، بأنّ البرزخ الذي يستقبل الأرواح بعد مفارقتها للحياة الدنيا ، هو غير البرزخ الكائن بين الأرواح المجرّدة والأجسام ؛ هذا لأنّ مراتب تنزّلات الوجود ومعارجه دوريّة ، على اعتبار أنّ اتّصال النقطة الأُولى بالنقطة الأخيرة غير ممكن ، إلاّ في حالة الحركة الدورانيّة ؛ والبرزخ الذي هو كائن قبل النشأة الدنيويّة ، هو في مراتب تنزّلاتها ، ويشكّل النقطة الأُولى بالنسبة إلى هذه النشأة ، وأمّا البرزخ الذي يأتي بعد النشأة الدنيويّة ، فهو من مراتب الأوج ، وعليه ، فهو يعتبر النقطة الأخيرة بالنسبة إلى النشأة الدنيويّة .

والمسألة الأُخرى هي أن الصور التي تلحق بالأرواح ، هي صور الأعمال ونتائج الأفعال والأخلاق والملكات التي حصلت في النشأة الدنيويّة ، على عكس صور البرزخ الأوّل .

فكلّ واحد منهما ، هو غير الآخر ، ولكنّهما يشتركان في كونهما عالمين روحانيّين ، ولكلّ منهما جوهر نورانيّ غير مادّيّ ، ويحويان على مثال صور العالم .

ويروي الشيخ داود القيصريّ بقوله : قال الشيخ محيي الدين الأعرابيّ قدّس سرّه في «الفتوحات» ، أنّ البرزخ الأخير ، هو غير البرزخ الأوّل . وقد أطلق على الأوّل اسم (الغيب لا إمكانيّ) ، وعلى الأخير بـ (الغيب المحاليّ) ، وذلك لأنّ كلّ صورة في البرزخ الأوّل ، يمكن لها أن تظهر في الشهادة أيضاً ، وأمّا الصور في البرزخ الأخير ، فهي ممتنعة عن الرجوع للشهادة ، اللهمّ إلّا في الآخرة .

وكثير هم أهل المكاشفة الذين ظهرت لهم صور البرزخ الأوّل ، والذين كانوا على دراية بآت الزمان ، ولكن بالمقابل ، يندر أن يطّلع أحد منهم على أحوال الموتى .

وأمّا **المعنى الثاني** ، فهو : أنّ مدينة جابلقا ، هي مرتبة إلهيّة ، وهي مجمع البحرين بالنسبة للوجوب والإمكان ، حيث تكمن فيها صور أعيان جميع الأشياء ، ابتداءً من المراتب الكلّيّة والجزئيّة ؛ واللطائف والقبائح والأعمال والأفعال والحركات والسكنات ، ومحيطة **بما كانَ وما يكونُ** ، وهي بالمشرق ، حيث **تَلِي مرتبة الذات** ولا توجد فاصلة بينهما ، وكلّ شموس الأسماء والصفات والأعيان وأقمارها ونجومها قد بزغت وتلألأ نورها من المشرق .

وأمّا مدينة (جابلسا) ، فهي لسان حال النشأة الإنسانيّة ، وهي مجلى جميع حقائق الأسماء الإلهيّة ، والحقائق الكونيّة . فما يطلع من مشرق الذات ، يغرب في مغرب التعيُّن الإنسانيّ ويختفي في صورته . شعر :

با مغربى مغارب اسرار گشته‌ايم   بى مغربى مشارق انوار گشته‌ايم[1]

وهذان السوادان الأعظمان في موازاة بعضهما ، وخلقهما مع بعض

١ـ يقول : «طويت مغارب الأسرار مع المغربيّ ، وبدونه طوينا مشارق الأنوار».

لا يعني النهاية ، لأنّ كلّ عالم يحوي المشرق والمغرب معاً ، بل إنّ كلّ مرتبة وكلّ فرد من الموجودات ، يمتلك هذه الميزة ، وهو يقول :

مشارق با مغارب هم بينديش چو اين عالم ندارد از يكى بيش[1]

واعلم أنّ عالم الأُلوهيّة بالقياس إلى عالم الربوبيّة ، هو المشرق الذي يفيض من نوره على عالم الربوبيّة ، وهكذا ، عالم الربوبيّة بالقياس إلى البرزخ المثاليّ ، والبرزخ المثاليّ بالقياس إلى عالم الشهادة ، كلٌّ يفيض من نوره على من هو دونه ، وكذلك فإنّ كلّ عالم من العوالم ، وكلّ مرتبة من المراتب ، وكلّ فرد من الأفراد هو مشرق ، قد سطعت منه شمس من الأسماء الإلهيّة ، ومن جهة أُخرى ، فهو مغرب كَمَنَ في تعيّنه نور ذلك الاسم . وأنّ القلب الإنسانيّ ، وبحسب كمال المظهريّة ، له مائة مشرق ، بل مئات الآلاف من المشارق التي تسطع منها نجوم الأسماء الإلهيّة ، وهكذا ، وفي إزاء ذلك ، فإنّ كلاًّ منها هو مغرب . وإنّ عجائب وغرائب القلب الإنسانيّ لا تظهر إلّا لعيان أهل الصفاء والسالكين إلى الله .

شعر :

عالم دل را نشانى ديگر است

برّ و بحر و كار و شأنى ديگر است

صد هزاران آسمان و آفتاب

مشتريّ و تير و زهره ماهتاب[2]

١ـ يقول : «طالع المشارق والمغارب ، إذ ليس لهذا العالم أكثر من مشرق واحد ومغرب واحد».

٢ـ يقول : «إنّ للقلب لدنياً وفكر ؛ غير ما نعهد من برّ وبحر.

ألف علياء ومثلها من سماء ؛ من عطارد وزحل ومن قمر».

هـــــر يكـــى تـــابنده‌تر از ديگـــرى
نـــور هـــر يک در گـــذشته از ثَـرى
هر يكى را بـرج ديگـر مـنزل است
اين كسى داند كه از اهـل دل است[١]

ويحثّ الشيخ على التأمّل والتفكّر في المشارق والمغارب ،كما ورد في القرآن الكريم : **فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ**،[٢] فالمشارق والمغارب جمع ، وفي هذا العالم المحسوس ، ليس إلّا مشرق واحد ، ومغرب واحد ، وكلّ منهما في جهة معاكسة .

وأصبح واضحاً الآن ، بأنّ العالم لا ينحصر في عالم الظاهر هذا ، فهناك عوالم أُخرى لطيفة وغير محسوسة ، بل تلك العوالم والسماء والكواكب هي أصل العوالم ، لأنّها المؤثّرة وهذه المتأثّرة .

آسمانها است در ولايت جان		كار فرماى آسمان جهان[٣]

فأكثر الخلائق عن هذه الحقيقة غافلون ومحرومون من معرفة الأسرار والتجلّيات الإلهيّة ، وبحكم انعدام الاستعداد الفطريّ لديهم ، فلا حظّ لهم في الإصغاء والفهم ، وهو يقول :

بـــيان مِـــثْلَهُنَّ ز ابـــن عـــبّاس
شنو پس خويشتن را نيک بشناس[٤]

١ـ يقول : «كلّ جرم أنور من صاحبه ؛ ذاك نورٌ صادر عن ثرى البرّ .
قد يكون الأمر صعباً بعض شيء ؛ إنّما يعقل ذاك الأمر حرّ» .

٢ـ صدر الآية ٤٠ ، من السورة ٧٠ : المعارج .

٣ـ يقول : «السماوات خاضعة لولاية الروح ؛ فهو الآمر الناهي في سماء العالم» .

٤ـ يقول :
«اسمع من ابن عبّاس بيان (مثْلهنّ)		واعرف الأنفس جيّداً دون بطر أو وَهن»

يقول سلطان المفسّرين عبد الله بن عبّاس رضي الله عنهما :

لَوْ ذَكَرْتُ تَفْسيرَ قَوْلِ اللهِ تَعالَى : «ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ»،[1] لَرَجَمُونِي أَوْ قَالُوا : إنَّهُ كَافِرٌ.

لأنّ الشيخ قد قال : بأنّك لم تسمع بغير كلمة عالم ، ولا علم لك عن هذه العوالم التي مرّ ذكرها ، وبأنّ العالم غير منحصر بالمحسوسات ، وأنّ هناك عوالم لطيفة كثيرة غير هذه ، استشهاداً على ذلك يقول شعره «بيان مثلهنّ» أي استمع جيّداً إلى ما قاله ابن عبّاس في شرح الآية **مِثْلَهُنَّ** بأنّه لو فسّر هذه الآية لقُتل ، وأعرف نفسك جيّداً ، فإنّك لم تعرف حقيقة الأمر بعد ، وإذا كشف عارف ومحقّق ملهم الحجاب عن بعض أسرار الوجود ، لهبّ الخلائق إلى الطعن والمجابهة ، بل قد يغالي بعضهم إلى حد تكفيره ، واستباحة دمه ، بحجّة الدفاع عن حرمة الدين بزعمهم .

يروى أنّ السلطان بايزيد البسطاميّ قدّس سرّه قد أُخرج من بسطام بتهمة الإلحاد والزندقة اثنتي عشرة مرّة ، وكان في كلّ مرّة يبعّد عن بسطام يقول : هنيئاً لمدينة ملحدها بايزيد . وأمّا الآن ، فالجميع متيّم وعاشق لقبر ذلك الجليل ، وعندما كان على قيد الحياة الظاهريّة ، لم يكن الناس على وفاقٍ وعلاقة معه ، ولكن عندما التحقت روحه بالعالم العُلويّ ، وأصبح قبره كومة تراب وحجر فإنّ الناس من جهة أوساخ غفلتهم وجهلهم لهم ما يربطهم مع الحجر والحَمأ المسنون فقد ولِهوا بقبره .

إذا كنت منصفاً ، تمعّن في هذه الآية الكريمة التي يقول فيها ذو الجلال والعزّة جلّ شأنه وعظم سلطانه :

١ـ صدر الآية ١٢ ، من السورة ٦٥ : الطلاق.

يَـٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ.[١]

شعر :

ديده اين شاهان ز عامه خوف جان
كين گُرُه كورند و شاهان بی‌نشان
انبيا را گفته قومِ راه گم
از سَفَه : **إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ**[٢]
زرّ خالص را و زرگر را خطر
باشد از قلّاب خاين بيشتر[٣]

لأنّ وجود العالم هو ظلٌّ للوجود الحقيقيّ ، وأنّ توهّم الغيريّة الحقيقيّة لوجود عالم الخيال ، توهّم باطل ، وكلّ من خامرته فكرة الغيريّة ، كان ضحيّة الغفلة ، يقول :

تو در خوابیّ و اين ديدن خيال است
هر آنچه ديده‌ای از وی مثال است[٤]

أي كما أنّ الفرد تتراءى له في النوم صور ليس لها وجود في أرض الواقع ، ولكنّه يعتقد بوجودها ، ولا يدرك بأنّها صور خياليّة ليس إلّا ،

١ـ الآية ٣٠ ، من السورة ٣٦ : يس.

٢ـ مقطع من الآية ١٨ ، من السورة ٣٦ : يس.

٣ـ يقول : «لقد عهد هؤلاء الملوك في عامّة الناس الخوف والحرص على أنفسهم؛ إنّ هؤلاء الناس عمي والملوك ضائعون لا عنوان لهم.

وقال الضالّون للأنبياء سفهاً : إنّا تطيّرنا بكم.

فالخوف كلّ الخوف على الذهب والصائغ من الخونة ومصائدهم لا من شئ آخر».

٤ـ يقول : «أنت غاطّ في النوم وهذه الرؤية خيال، وكلّ ما رأيته ليس إلّا مثالاً من الحقيقة».

وأنّها غير موجودة بالحقيقة ، وأنت الذي تتوهّم بأنّ العالم هو وجود حقيقيّ ، ولا تدري بأنّ العالم غير الذي ترى ، فإنّك في غفلة ، ووهم باطل . وبالحقيقة ، فكلّ ما ترى هو صورة ومثال لوجود الحقّ تعالى ، تيسّرت من خلال مرآة العيان ، وأن لا وجود لغير الحقّ تعالى . شعر :

اين نقشها كه هست ، سراسر نمايش است
اندر نظر چو صورت بسيار آمده
عالم ، مثال ذات و ظلال صفات اوست
نقش دوئى چو صورت پندار آمده[1]

يوم القيامة ، يظهر كلّ شيء مخفيّ على حقيقته بحكم الآية الشريفة **يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ**،[2] ويقول :

به صبح حشر چون گردى تو بيدار
بدانى كآن همه وهم است و پندار[3]

وبحكم أنّ **النَّاسُ نِيَامٌ**[4] يقول : إنّما يقظتك هي نوم ، والصحو في نوم

١ـ يقول : «إنّ هذه النقوش والرسوم ما هي إلاّ تمثيل وهو يبدو في النظر صوراً كثيرة. وإنّ العالَم مثال ذاته وظلال صفاته، وما الثنائيّة إلّا كالصورة المتخيَّلة».

٢ـ الآية ٩ ، من السورة ٨٦ : الطارق.

٣ـ يقول :

«إذا ما استيقظ المرء من القبر وجال　　　سيعلم أنّما ما قد مضى كان خيال»

٤ـ «شرح منازل السائرين» ص ٣٤ ، باب اليقظة ، انتشارات بيدار: **كَمَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: النَّاسُ نِيَامٌ**؛ و«مرصاد العباد» ص ٤٦٨ ، التعليقة ٧: **النَّاسُ نِيَامٌ فَإِذَا مَاتُوا انْتَبَهُوا.** وفي ص ٦٦٠ ، يقول في توضيحه «وهي الرواية المذكورة في«زهر الآداب» والمنسوبة إلى الرسول الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم، والمذكورة كذلك في«شرح التعريف» للإمام عليّ عليه السلام. راجع: «أحاديث مثنوي» ص ٨١. ⇦

الغفلة هذا يكون بالموت **فَإِذَا مَاتُوا انْتَبَهُوا** ، والحشر هو بمعنى الجمع ، (**حشَرَتُهُمْ أَي: جَمَعْتُهُمْ**) ، والمراد بهذا الحشر هو الموت الإراديّ ، حيث إنّ **مَنْ مَاتَ فَقَدْ قَامَتْ قِيَامَتُهُ** ؛[1] أي أنّك ستستيقظ من غفلتك عند صباح

⇦ وقد ذُكر في موضعين، في كتاب «الإنسان الكامل» لعزيز الدين النسفيّ: في ص ٤٢٦ و ٢٧١؛ وكذلك في «أحاديث مثنوي» في موضعين: الأوّل في ص ٨١، رقم ٢٢٢:

اين جهان وهم است ، اندر ظنّ مايست   گر رود در خواب دستی باک نيست

يقول: «إنّما عالمنا وهم ، خيال   كلّ ما فيه مباد وزوال»

وهو ما يناسب مضمون هذه الرواية: **النَّاسُ نِيَامٌ فَإِذَا مَاتُوا انْتَبَهُوا.** والتي وردت في «زهر الآداب» ج ١، ص ٦٠، طبعة مصر ، منسوبةً إلى الرسول الكريم صلّى الله عليه وآله؛ وفي «شرح التعريف» ج ٣، ص ٩٨ منسوبةً إلى مولى المتّقين عليّ عليه السلام.

والثاني في ص ١٤١ ، رقم ٤٣٨:

تا برآيد ناگهان صبح اجل   وا رهد از ظلمت ظنّ ودغل

يقول: «فإذا ما جاءكم صبح الأجل   زالت الظُّلمة عنكم والضلل»

وهي أيضاً، تناسب فحوى الرواية **النَّاسُ نِيَامٌ فَإِذَا مَاتُوا انْتَبَهُوا** ، حيث ورد شرحها في ذيل الرقم ٢٢٢».

١ـ يقول صدر المتألّهين في «تفسير سورة السجدة» ص ٨٧ و٨٨ ،انتشارات بيدار، في تفسير عبارة: **لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ** (الآية ١ ، من السورة ٧٥: القيامة):

«كما أنّ الافتراق بين روح الإنسان وجسده هو عبارة عن موت هذا العالم الصغير وقيامته الصغرى؛ طبقاً للحديث الشريف للرسول صلّى الله عليه وآله: **من مات فقد قامت قيامته**».

وفي«إحياء العلوم» ج ٤ ، ص ٤٢٣ ، طبعة دار الكتب العربيّة، عن أنس عن رسول الله صلّى الله عليه وآله حيث قال: **مَنْ مَاتَ فَقَدْ قَامَتْ قِيَامَتُهُ**».

وكذلك رواه حجّة الإسلام الغزّاليّ في كتابه «المضنون على غير أهله» في ص ٧٩، وعلى هامش الجزء الثاني من كتاب «الإنسان الكامل» للشيخ عبدالكريم الجيليّ (الطبعة الأُولى للمطبعة الأزهريّة المصريّة، عام ١٣١٦ هـ).

المحشر ، وهو الموت الإراديّ ، وتزول التعيّنات والكثرة وتجتمع أسباب الفرقة والتشتّت التي تورث الغفلة والتخيّلات الفاسدة كلّها ، ويظهر التوحيد . ولكن اعلم أنّ الوجود كلٌّ واحد ، ولكن بسبب كثرة المظاهر تعدّد ، وتصوّرك الغيريّة ، واعتبارك إيّاها حقيقة أكيدة ، ما هو إلّا وهم وسراب ، وأن لا وجود إلّا للحقّ تعالى .

وباعتبار أنّ التعيّنات والكثرة ، يعبّر عنها بالليل ، من جهة ظلمة عدميّتها ، فقد جرى إطلاق تعبير الصبح على الموت ، باعتباره فناء التعيّن ، وذلك لأنّ البرزخ قد توسّط ليل الكثرة ونهار الوحدة .

وحسب تعبير المتصوّفة ، أنّ الولوج في الحياة الطيّبة القلبيّة بعد الموت الإراديّ ، هو ما يعبّر عنه بالقيامة الوسطى ، كما جاء في الآية الكريمة :

أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ[1] ، أي **مَيْتًا** بِالجَهْلِ ، **فَأَحْيَيْناهُ** بِالعِلْمِ وَالمَعارِفِ .

ولأنّ الحشر ، هو اجتماع المتفرقات الذي يظهر بعد محو الكثرات ، ويقول :

چو برخيزد خيال چشم أحول　　زمين و آسمان گردد مبدّل[2]

وفي صبح الحشر ، الذي يمثّل وصول السالك إلى مقام التوحيد ، وحيث يذوب الكونان في نظره بنور الوحدانيّة ، **وَلَا يَبْقَىٰ إِلَّا ٱلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ** ، فإنّ أوهام الأحول التي تصوّر له وجوداً مع وجود الحقّ تعالى ستزول مع زوال وهم الغيريّة ، فيعلم يقيناً أنّ كلّ الوجود هو الحقّ تعالى ،

١ـ الآية ١٢٢ ، من السورة ٦ : الأنعام.

٢ـ يقول : «فلمّا أن توارى عن العين الحَوَل　　علمتْ أنّه حقّ ما هو بالهَزَل»

وأنّ وجود الموجودات ما هو إلّا وجود أجوف ، وخيال ووهم وظنّ ، **يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ**.[1]

يومئذ ستكون هناك أرض وسماوات ، ولكن غير هاتين اللتين نرى الآن ، لأنّ الحلم الذي رآه في نوم الغفلة ، وفي ليل العمر ، وظنّ أنّه الغير ، طلع عليه صبح الحشر ، وتبيّن أنّه وهم وخيال أحول ليس إلّا . شعر :

بوديم يكى ، دو مى‌نموديم نابود شد آن نمود در بود
چون سايه به آفتاب پيوست از ظلمت بودِ خود بياسود
چون سوخته شد تمام هيزم پيدا نشود از آن سپس دود[2]

إنّ في ظهور نور تجلّي الوحدة ، تواري ظلمة الكثرة ، ويقول بهذا الصدد :

چو خورشيد جهان بنمايدت چهر
نماند نور ناهيد و مه و مهر[3]

إنّ تجلّي نور شمس الذات الإلهيّة في مرآة قلب السالك إلى الله ، اللاهث وراء الحقّ ، هذا النور قد طرد أنوار الزُّهرة والقمر والشمس ، ورمى بهنّ في هوّة العدم الحالكة . حيث يمّحي كلّ وجود ونور ؛ كما في قوله تعالى : **إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ**.[4] ولأنّ هذه

١ـ الآية ٤٨ ، من السورة ١٤ : إبراهيم.

٢ـ يقول : «كنّا واحداً، لكنّا كُنّا نبدو اثنين، فتلاشى وانمحى ذلك البَداء الكينونة والتكوّن.

ولمّا التحق الظلُّ بالشمس تخلَّص وارتاح من ظُلمة كينونته.

وإذا احترق الحطبُ جميعه لن تَرى له بعد ذلك دخان متصاعد».

٣ـ يقول : «لو ظَهرت لكَ الشمس وطلعت ما أبقتْ للزُّهرة نوراً ولا للقمر ضياءً».

٤ـ الآيتان ١ و٢ ، من السورة ٨١: التكوير.

القيامة عند السالك إلى الله ، هي واقعة ، لا محالة ، وهي صورة للقيامة الكبرى ، فإنّه إذا ظهرت علاماتها ساطعة ، تلاشت أنوار الوجود الخياليّ المجازيّ للكائنات ، وذابت في وهج إشعاع نور ذات الله المطلقة ، وبالظهور المطلق للحقّ تعالى ، تقوم القيامة ، ويفنى كلّ وجود غير وجوده المقدّس ، وماكان آجلاً عند غيره ، أصبح عاجلاً عنده . شعر :

هـــركه گـويد كـو قـيامت اى صـنم
خـــويشتن بـــنما قـــيامت نک مـنم
ايـن قـيامت زان قيامت كى كـم است
آن قيامت زخم و اين چون مرهم است[١]

كما أنّ قيام الساعة ، التي هي مصداق لاسم القهّار والمعيد ، هي ظهور الفناء في الوجود، إذ : **كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ** ؛[٢] يقول :

فتد يک تاب از آن بر سنگ خاره   شود چون پشم رنگين پاره پاره[٣]

أي أنّ الحجر قد تفتّت من وميض نور الذات الإلهيّة المتجلّية ، وقد ركع أمام هيبة النور الإلهيّ وإشعاع التجلّي القدسيّ حجر الصوّان حتّى أضحى كالعهن المنفوش والمتلاشي : **وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ**.[٤]

١ـ يقول : «وإذا سأل أحدهم: أيّان يوم القيامة يا صنم؟ انظُرْ إلى نفسك وتأمّلها فها أنا ذا القيامة.

فهذه القيامة لا تقلّ عن تلك شيئاً، وإذاكانت تلك القيامة جرح فهذه القيامة هي البلسم والدواء الناجع».

٢ـ الآية ٢٦ ، من السورة ٥٥ : الرحمن.

٣ـ يقول : «إن يسقط النور على العروش   تكن جميعها عهناً منفوش»

٤ـ الآية ٥ ، من السورة ١٠١ : القارعة.

صارَ دَكّاً مِنْهُ وَانْشَقَّ الجَبَلْ
هَلْ رَأَيْتُمْ مِنْ جَبَلْ رَقْصَ الجَمَلْ ؟!

وذلك أن تحصيل الكمالات الحقيقيّة ، والمعارف اليقينيّة ، وهي هدف الوجود ، غير متيسّر إلّا في هذه النشأة ، يقول :

بدان اكنون كه كردن مى توانى
چو نتوانى چه سود آنگه كه دانى[1]

إنّ الشيخ في هذه الأبيات ، يحثّ على السموّ إلى المراتب القلبيّة ، والمكاشفات ، والمشاهدات ، والتجلّيات ، والفناء ، والتحليق ، والعروج إلى الأفلاك ، والعوالم اللطيفة . فقد ذكر هنا مقدّمة يمكنها أن تكون وسيلة للطالب الصادق الذي يودّ الحصول على تلك المعاني ، وتزيد في فهمه وإدراكه لما هو واقع ، وهي :

اعلم أنّ الإنسان ، وبسبب الشموليّة التي تشكّل أصل الفطرة فيه ، يمكن لحقائق الأُمور بعد التنقية والتجلية أن تنكشف له ، وأن يتوصّل إلى العروج والسير والطيران في الأفلاك والعوالم الملكوتيّة والجبروتيّة اللطيفة ، وأن يسبح في بحر تجلّيات الآثار والأفعال والأسماء والصفات والذات ، ليرى بعين البصيرة ، ويمتّع ناظريه بجمال ذي الجلال الوهّاج ، فيفنى الوجود المجازيّ والتعيّن للسالك في فيض نور تجلّيات الذات الأحديّة ، وبعد أن يفنى في الله تعالى ويذوب فيه ، يعود ويخلد به جلّ جلاله ، يرى الحقّ ويعرفه حقّ معرفته ، ويتمّ المراد من خلق الكون ، وهو المعرفة . شعر :

١ـ يقول : «فاسْعَ ما استطعتَ ولا تكُ لاهياً ، إذ ما الفائدة من العلم حين تفقد الاستطاعة ؟».

اگــر دمـی بگُـذاری هـوای نـا اهـلی

ببینی آنچه نبیّ دید و آنچه دید ولیّ [1]

والحصول على هذه المعاني متوقّف على عدة أسباب ، هي :

الأوّل : طلب الإرشاد في سلوك طريق الحقّ ،كما هو واجب أرباب الطريقة ، والوصول إلى الكمالات المعنويّة ، والتي ذُكرت بصورة إجماليّة ، يمكن لهذا الكامل ، وبإذنٍ إلهيّ ، إرشاد طلّاب الحقّ ، وهذا الكامل بدوره ، يكون مأذوناً من قبل كاملٍ آخر ، وهكذا ، [2] حتّى تنتهي بخاتم الأنبياء

١ـ يقول : «إذا تركتَ الانحراف وهَجرتَ سبيل الجَنف زمناً، لتمكّنتَ من رؤية ما قد رآه أيّ نبيّ ووليّ».

٢ـ هناك من الأدلّة والشواهد على وجوب اتّباع المرشد الكامل في السير إلى العوالم الربّانيّة، بحيث لا يسع المجال هنا لذكرها. ولكن مسألة مراعاة التسلسل في اتّباع هذا المرشد مُعنعناً (الواحد تلو الآخر حتّى نصل إلى رسول الله)، لا دليل عليها، لا ثبوتاً ولا إثباتاً، على الرغم من أهمّيّة هذه المسألة عند المتصوّفة، إذ يعتبرونها من أساسيّات السلوك، ومع هذا، فلا يستند قولهم إلى أساس رصين، أو قاعدة متينة. وخير نموذج وشاهد، هو العرفان والسلوك لآية الحقّ والحقيقة، وسند القرآن والسنّة: آية الله الآخوند الملّا حسين قلي الدَّرْجَزينيّ الشَّونديّ الهَمَدانيّ ، أعلى الله درجاته السامية، والذي أخذ العرفان عن أُستاذه آية الله السيّد علي الشوشتريّ ، وهذا عن النسّاج، والله أعلم عمّن أخذ هذا الأخير العرفان.

ينقل الفاضل جناب الحاجّ السيّد محمّد حسن الطباطبائيّ القاضي أدام الله ظلّه، عن والده المرحوم آية الله القاضي الكبير ما يلي : سألت أبي ذات يوم: عمّن أخذت العرفان؟ فأجاب: عن المرحوم السيّد أحمد الكربلائيّ الطهرانيّ . فقلت: وهو، عمّن أخذه؟ فقال: عن المرحوم الآخوند الملّا حسين قلي الهمدانيّ . فقلت: وهذا، عمّن أخذه؟ فقال: عن السيّد علي الشوشتريّ . فقلت: وهذا، عمّن أخذه؟ فقال: عن النسّاج. فتابعت: وهذا، عمّن؟ فأجابني بغضب: وما أدراني ؟! أتريد أن تسطّر لي سلسلة؟!

صلوات الله وسلامه عليه وآله .

شعر :

راه دور است و پـــر آفت ای پســـر
راهــــــــرو را مـــی‌بباید راهـــبر
گــر تــو بـی‌رهبر فـرود آیـی بـه راه
گر همه شیری ، فرو افـتی بـه چـاه
کور هرگز کی توانـد رفت راست ؟
بی عصاکش کور را رفتن خـطاست
گر تو گـوئی نـیست پـیری آشکـار
تـو طـلب کـن تـا بـیابی صـد هـزار
زانکـه گـر پـیری نـباشد در جـهان
نـه زمـین در جـای مـاند نـه مکـان
گـــر نـباشد در جـهان قـطب زمـان
کی توانـد گشت بـی‌قطب آسـمان[1]

١ـ يقول : «إنّ الطريق طويل ومليء بالمهالك أيّها الصبي ، فاتّخِذ لكَ دليلاً.

ولو سِرتَ في ظُلمة ذلك الطريق دون دليل، فإنّكَ لا محالة ستقع في الحفرة وإن كنت أسداً هصوراً.

أنّى للأعمى أن يسير بدقّة واستقامة؟ إنّ سير الأعمى دون أحد يمسك عصاه ويهديه لهو الهلاك المبين والاشتباه المهلك.

فإن زعمت أن ليس هناك من شيخ ومرشد، فابحثْ وستجد مائة ألف شيخ ومرشد.

ولولا الدليل في هذا العالَم لما كانت هناك أرضٌ مَدحيّة ولا مكان مُقام.

ولولا وجود قطب للزمان في الكون وعالمنا هذا لما تمكّنت السماء أو الأفلاك من التحرّك والدوران».

گـــر تـــرا درد است پـير آيـد پـديد

قـفل در دست را پـديد آيـد كـليد[1]

وكما أنّنا فوّضنا أمرنا إلى شيخ كـهذا ، فـعلينا أن نـدفن إرادتـنا فـي إرادته ، ونكون له **كَالمَيِّتِ فِي يَدَيِ الغَسَّالِ** ، وأن نتوجّه إلى الحقّ تـعالى كما يأمرنا هذا الشيخ ، وأن نعوّد أنفسنا صدق الأقوال والأفعال ، والإعراض عن الأهواء واللذّات النفسانيّة ، وأن نُزَكِّي النـفس مـن رذائـل الأخـلاق ، ونقائص الأعمال ، وترويض البدن على الطاعات والعبادات على حسب ما تأمرنا به السنّة المطهّرة لخاتم الرسل صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله ، وأن نتجنّب الإفراط والتفريط ، وأن نولّي الوجـه عـمّا يشـغلنا عـن الحـقّ تعالى ، وأن نجعل شعارنا قلّة الكلام والمنام ، والانشغال بالذكر على الدوام ، والاقتصاد بالطعام ، وأن لا نحيد قيد أنملة عن أمر الشيخ .

وبتهيئة هذه الأسباب ، تضيء مرآة قلب السالك ، التي هـي البـلّورة المسحورة بنور القدس والطهارة ، وتُصَفَّى من أدران الطبيعة .

وأنّه بقطع رابطته بهذا العالم السفليّ الحالك المظلم ، تحلّق روحه في العالم العُلويّ ، وتعرج فوق السماوات ، وفوق العرش ، وترتبط مع الملائكة والروحانيّات ، وتتوهّج الأنوار الإلهيّة فـي قـلبه الطـاهر ، فـيحظى بـرؤية السرّ ، سرّ **لقاء الله** ، الذي هو غاية المقاصد ، ونهاية المرام .

شعر :

چـــون تـــو ديـــدى پـــرتو آن آفـــتاب

تـــو نـــماندى بـــاز شـــد آبـى بـه آب[2]

١ـ يقول : «إن طرأ عليك الألم بسبب المرشد ، فاعلم أنّ مفتاح قفل ألَمِكَ قد وُجِد» .

٢ـ يقول : «وما أن رأيتَ ضوء الشمس حتّى تزلزلتْ أركانكَ واختلطت أعضاءك».

قــطره بــودى گــم شـدى در بـحر راز
مــى نــيابى ايــن زمــان آن قـطره بـاز
گرچه گم گشتن نه كار هر كسى است
در فنا گم گشتگان چون من بسى است [١]

يقول الشيخ : اعلم حيث إنّك الآن تقدر على الفعل ، أي اليـوم وقـد تهيّأت لك أسباب السير والسلوك والعمر الثمين ، اعلم بأنّ الإنسان يمكنه أن يستحصل هذه الكمالات ، بل إنّه مخلوق لهذه الغاية .

إذاً ، هيّئ هذه الأسـباب التـي يـتوقّف عـليها حـصول الكـمالات ، وتحرّك نحو الهدف الذي من أجله خلق الكون ، فعندما يـدبّ الوهـن فـي البدن بعد القوّة ، هذه القوّة التي هي وسيلة نيل هذا المطلوب ، فستتقاعس عن السلوك والتريّض ، وتضيع منك هذه الفرصة ، وعـندها ، فـانّ عـلمك بيُسر تحصيل هذه الكمالات التي لم تكتسب منها شيئاً لن يعود عـليك إلّا بالحسرة والندامة . شعر :

بــود در اوّل هــمه بــى حــاصلى
كــــودكىّ و بــــى دلىّ و غــــافلى
بــــاز در اوســـط هــمه بــيگانگى
وز جـــوانــى شــعبۀ ديــوانگــى [٢]

١ـ يقول : «كنت قطرة فتُهتَ في بحر الأسرار، ولن تعثر على تلك القـطرة فـي هـذا الزمان أبداً.

إنّ الضياع والفَناء وإن لم يكن دَيدن كلّ أحد، لكنّ هناك في عالم الفناء الكـثير مـن أمثالي».

٢ـ يقول : «في البدء كان العَبَثُ هو كلّ شيء: الطفولة والطيش والغفلة.

وفي وسط الأمر كانت الغُربة والضياع، وكان الجنون الذي هو من صفات الشباب.

بـــاز در آخـــر کـــه پـیری بـود کـار

تن خرف درمانده و جان گشـته زار

چـون ز اوّل تـا بـه آخـر غـافلیست

حاصل ما لاجرم بـی‌حاصلی است[١]

ويمكن لهذه المقولة «إذاكنت لا تقدر فما فائدة أن تعلم» أن تحمل هذا المعنى ، وهو أنّ الروح الإنسانيّة لمّا تفارق البدن ، فلا تعد هناك وسيلة لتحصيل الكمال ، وتتيقّن أنّ ماكان مطلوباً منها ، لم يحصل ، وراح يستغرق في التمنّي : **فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ** ،[٢] عندها لا تنفع هذه المعرفة ، بل تزيد من ندمه ، وهو عذاب مضاعف .

وبما أنّ منشأ هذه المشاهدات والمكاشفات التي مرّ ذكرها ، هي القلب الإنسانيّ ، يقول في هذا الشأن :

چه مـی‌گویم حـدیث عـالم دل ترا ای سر نشیب و پای در گل[٣]

ما الذي أقوله لك عن حديث عالَم القلب ، وهو العروج إلى العوالم اللطيفة ، ومشاهدة الأنوار والتجلّيات الإلهيّة ، وأنت تنزل إلى قعر الهاوية ، من أعالى مراتب الكمالات القلبيّة والروحيّة ، إلى **أسفل السافلين** ، وقد غاصت قدما السير والسلوك في وحْل اللذّات الجسمانيّة ، والشهوات

١ـ يقول : «وفي النهاية، لما لاح الشيبُ وبَدت الشيخوخة، صار البدن خَرِفاً ومخبولاً، فتألّمت الروح.

ولأنّ الغفلة والإهمال كانتا الصفتَيْن البارزتَيْن من أوّل العُمر إلى آخره، فإنّنا لم نحصد إلّا العبث والضياع».

٢ـ الآية ١٢ ، من السورة ٣٢ : السجدة.

٣ـ يقول «فأين أنت وحديث القلب يا مسكين ، يا مَن شمخت برأسك لكنّ رجليك في الطين».

النفسانيّة ، وأضحى الهارب مطلوباً ، والمطلوب هارباً ، وتحمّل النفس عناء الركض وراء المال والجاه ، وتبقى محروماً عن إدراك الكمالات المعنويّة ، التي هي اللذّة الحقيقيّة الباقية . شعر :

اهـل دل شـو يـا كـه بـندهٔ اهـل دل
ورنه هـمچون خـر فـرومانى بـه گـل
هـركه را دل نـيست او بـى‌بهره است
در جـهان از بـينوائـى شـهره است
رو به اسفل دارد او چون گـاو و خـر
نيستش كارى بجز از خـواب و خـور
حقّ همى گويد كه ايشـان فـى المـثل
همچو گاوند و چو خر بل هُم أضَلّ [١]

ولأنّ الهدف من إيجاد العالم ، هو المعرفة ، ولا يقدر على تـحصيل المعرفة الحقيقيّة إلّا الإنسان الكامل ، فإنّ العالم مخلوق للإنسان . ولهذا قال الشاعر :

جهان آنِ تـو و تـو مـانده عـاجز ز تو محروم تر كس ديد هرگز؟ [٢]

١ـ يقول : «كُنْ من أصحاب القلوب العاشقة أو كـن عـبداً لهـم، وإلّا فـإنّكَ سـتبقى كالحمار المُتوغّل في الوحل.

إنّ من لا يتعامل بالحبّ والعشق فلا خَلاق له (مِن الحياة) وسيكون أشهر من نار على عَلَم في البؤس والشقاء.

إنّ شخصاً كهذا ينكّس رأسه دوماً إلى الأسفل كالبقر والحمير، ولا عمل يُلهيه أو شغل يشغله إلّا النوم والأكل.

فالحقّ تعالى قد شَبَّهَ أمثال هؤلاء قائلاً: أُولئكَ كالأنعامِ بَلْ هُم أضَلّ».

٢ـ يقول : «لك الدنيا وأنت فيها عاجز فهل رأى الدهر مثلك خسرانا؟»

فالعالم هو لك ، ومن أجلك وجد ، والوجود كلّه أداة طيّعة في يدك ، وأنت بدورك خلقت من أجل المعرفة ، ففي الحديث القدسيّ **يَا ابْـنَ آدَمَ ! خَلَقْتُ الأَشْيَاءَ كُلَّهَا لِأَجْلِكَ وَخَلَقْتُكَ لِأَجْلِي.**[١] أمّا أنت فغارق في ملذّات

١ـ «الجواهر السنيّة في الأحاديث القدسية» للشيخ الحرّ العامليّ، ص ٣٦١، طبعة النجف الأشرف: قال [أي الحافظ رجب البرسيّ]:

وجاء في الأحاديث القدسيّات : أَنَّ اللَهَ يَقُولُ : عَبْدِي ! خَلَقْتُ الأَشْيَاءَ لِأَجْلِكَ وَخَلَقْتُكَ لِأَجْلِي ؛ وَهَبْتُكَ الدُّنْيَا بِالإحْسَانِ وَالآخِرَةَ بِالإيمَانِ.

وجاء في تفسير «حدائق الحقائق» تأليف معين الدين الفَراهيّ الهَرويّ المشهور بالمَولى مسكين، ص ٣٧٨ و ٣٧٩، الطبعة الثالثة، ما يلي:

«**لطيفة جليلة** : لمّا غَلَّقت زُليخا الأبواب، لاحظ يوسف أنّها قد زيّنت نفسها وتبرّجت على أفضل ما يكون. فسلمّ عليها ثمّ دار بوجهه نحو الحائط فرأى صورته وصورة زُليخا مُنعكسة على ذلك الحائط. فرفع رأسه ودار ببصره نحو السقف. فرأى صورتيهما منقوشة على السقف كذلك. فنكّس رأسه إلى الأرض فلاحت له الصورة نفسها على الأرض! فتحيّر في الأمر. فكذلك، أيّها الدرويش! فإنّ مجموع أطباق السماوات والأرضين من سقف فلك الأطلس إلى سطح الأرض المسدّسة الشكل مبنيّة على محبّة جلاله الأقدس جلّ وعلا. وكان غرض زليخا من تصميم البناء على تلك الشاكلة وتصوير القصر على تلك الهيئة، أن لا يرى يوسف عند دخوله عليها إلّا صورتها مُنعكسة في أطراف القصر وجوانبه، ولا يشاهد إلّا جمالها هي وحدها فتدخل سلسلة العشق والمحبّة في دائرة وحلقة مسدودة. وكذا الهدف من خَلق كلّ تلك الأجرام العُلويّة والأجسام السفليّة، وهو توجّه هذه الحفنة من التراب إلى جناب الأقدس تعالى؛ **يَا ابْنَ آدَمَ ! خَلَقْتُ الأَشْيَاءَ كُلَّهَا لَكَ وَخَلَقْتُكَ لِأَجْلي.** ومهما أخفوا وجوده بالحُلل والخِلَع فإنّهم جميعاً شربوا من كأس شهوده وأصبحوا مرآة جمال مظهر ذاته وصفاته، حتّى لا يجد العارف غير حُسن محبوبه وجماله، أنّى نظر وإلى أيّ جانب أبصر؛ كما يقول الفقير إليك:

گــر گشـائى ديـدۀ دل ، حســن او بـينى هـمه

ور بــبندى ديــدۀ بــدبين ، نكــو بـينى هـمه ⇦

⇦ آفـــتابی را کـــه انـــدر روزن دل تـــافته است
بـــا هـــمه ذرّات عـــالم روبـــرو بـــینی هـــمه
نـــاظر حـــقّ بـــاش در مـــرآت ذرّات وجـــود
تـــا در ایـــن آئـــینه‌ها دیـــدار او بـــینی هـــمه
عکس روی است آنکه می‌تابد ز آئینه نـه روی
آیـــنه بـــردار تـــا خـــود جـمله رو بـینی هـمه
یک سر مـو گـر شـود از عـالم وحـدت پـدید
هر دو عـالم کـمتر از یک تـار مـو بـینی هـمه
از گـــلستان مـــعانی یک گـــلت نآمـــد بـدست
بس که در گلزار صورت رنگ و بو بـینی هـمه
بادهٔ وحـدت بـه هـر ظـرفی نـمی‌گنجد مـعین
نیست این زان می که در خمّ و سبو بینی همه»

يقول : «لو فتحتَ بصيرتك لرأيتَ في كلّ شيء حُسنه وجـماله، ولو أغـلقتَ عـين التشاؤم لرأيت الأشياء كلّها جميلة وحسنة.

وسترى أنّ ضوء الشمس المُتألّق في أعماق القلب لا يختلف عن باقي الذرّات فـي العالَم.

كُن ناظراً للحقّ في مرآة ذرّات الوجود، حتّى يتسنّى لك رؤية صورته ومُحيّاه في هذه المرايا.

إنّ ما تراه في المرآة إنّما هي صورة مُنعكسة وليس الوجه نفسه، فأزِل المـرآة لتـرى وجهه في كلّ شيء.

إن ظهرَ لكَ عالَم الوحـدة ولو بـقدر شـعرة واحـدة، لرأيت كِـلا العـالمَيْن وكأنّـهما لايتجاوزان شعرة واحدة.

ما حصلتَ إلى الآن حتّى على زَهرة واحدة من بسـتان المـعاني، وذلك لأنّك تـرى الجميع في بستان الصورة ذاك على هيئة لون ورائحة. ⇦

الطبيعة ، مشغول عن تحصيل المعرفة التي من أجلها خُلقت ، مُـتّبع هـوى النفس الأمّارة بالسوء ، أفلا تستطيع أن تترك اللـذّات الفـانية أيّـاماً قـلائل وتغنم الكمالات الأزليّة من فـيض المـعرفة الإلهـيّة ، وتـنجو بـنفسك مـن الحرمان الأبديّ ؟

فبسبب دناءة الهمّة ، وعدم الانقياد ، جعلت من نفسك الأكثر شقاءً ، والأتعس حظّاً من بين كلّ الموجودات . إنّ بقيّة المـخلوقات ، لا يسـمون لأعلى ممّا خلقوا لأجله ، فهم لا يرون كمالاً غير الذي هـم فـيه ، وبسـبب عدم الأهليّة ، فليس عليهم بلوغ الكمال كما هو مطلوب من الإنسـان ، أمّـا أنت ، فتعرف كلّ هذا ، ولأجل هذا كانت خلقتك ، فلا تكن عـبداً للـذات البهيميّة ، والشهوات النفسانيّة ، وتتخلّف عن مقصود العالمين .

شعر :

این چه نادانی است یک دم با خود آی

سود می‌خواهـی از ایـن سـودا بـرآی[1]

⇦ إنّ صهباء الوحدة لا يحويها كلّ ظرف ولا يسعها كلّ إناء، إذ إنّ هذه الصهباء ليست كالتي عهدتَ محفوظة في الأزوار والدِّنان».

وافتتح الشيخ محيي الدين بن عربي في «الفتوحات المكّيّة» ص ١٢٣ ، الباب ٣٣٣، القسم الثالث، الطبعة القديمة، بما يلي:

فِي مَعْرِفَةِ مَنْزِلِ «خَلَقْتُ الأَشْيَاءَ مِنْ أَجْلِكَ وَخَلَقْتُكَ مِنْ أَجْلِي ؛ فَلَا تَهْتِكْ مَا خَلَقْتُ مِنْ أَجْلِي فِيمَا خَلَقْتُ مِنْ أَجْلِكَ».

وقال في طبعة ١٣٩٥ هـ، الجزء السابع والعشرون، باب الستّون، ص ٣٥٨: **وَأَنْزَلَ فِي التَّوْرَاة: «يَابْنَ آدَمَ ! خَلَقْتُ الأَشْيَاءَ مِنْ أَجْلِكَ وَخَلَقْتُكَ مِنْ أَجْلي».**

١ـ يقول :

«ما هـذا الجَـهل اصحَ وتـدبّر أتُريد منفعة ؟ خذ من ذا وأدبِرْ»

گـــنج عـــالم داری و کَـدّ مـی‌کنی
خود که کرد آنچه تو با خود مـی‌کنی ؟
پـادشاهی ، از چـه مـی‌گردی گـدا ؟
گـــنجها داری ، چـــرائـی بـینوا ؟ [1]

ولأنّه لا راحة من اللذّات الشهوانيّة ، والأطماع النفسانيّة ، يقول :

چو محبوسان به یک مـنزل نشسـته
بدست عجز ، پـای خـویش بسـته [2]

فهو كالسجين المكبّل الرِّجلَينِ ، جالس ، لا يقوى على الخروج ، وقد حُصِر في منزل التقليد والطبيعة والأهواء النفسانيّة لا يتجاوزه ، وقد قيّد بِيَدِ العجز قَدَمي السير والسلوك عنده ، ولا مهرب له للخلاص من هذه القيود ، من شدّة الكآبة ، وبسبب برودة التقليد وهوى النفس التـي تـركت أثـرها فيه ، وأصبح كالميّت ، لا يمتلك حرارة الشوق ولا ذوق العشق . شعر :

زنده شو این مردگی از خود ببر　　گرم شو افسردگی از خـود بـبر
آتشی از عشـق او در دل فـروز　　خرمن تـقلید را یکسـر بسـوز [3]

ولأنّ برودة الطبع والهوى غالبة على أمزجة النساء ، فهو يقول :

١ـ يقول :

«تـملك الدنـيا وتُـجهد نـفسك　　من ذا قد فعل الذي عليه تـصرّ
أنت سـلطان، لمـاذا تكـتدي ؟　　تـملك الكـنز ، عـلامَ تسـهرْ ؟»

٢ـ يقول : «كما المسجون الذي جلس في منزل من المنازل وقد قيّد بالعجز قدميه».

٣ـ يقول : «إحيَ وأزِلْ عنكَ هذا اليأس والتهالُك، وانشَط وتـفاعل، واهـجُر الكآبـة والهَمّ.

اشعلْ في قلبك شعلة من نيران حبّه، واحرِق أكداس ورُكام التقليد برمتها».

نشستی چون زنان در کوی إدبار نمی‌داری ز جهل خویشتن عار[١]

فكنت كالنساء ، أدرت ظهرك للمعرفة ، واتجهت لمقتضيات الطبيعة وهوى النفس ، وسلكتَ سبيل الشقاء والإدبار ، واغتررت بمباهج الدنيا وظاهرها البرّاق ، ولم ترفع قَدَماً في طريق نيل الكمال المعنويّ ، ولم تخجل من جهلك . شعر :

تا به کی همچون زنان این راه و رسم و رنگ و بو ؟

راه مردان گیر و با صاحبدلان دمساز شو

چون زغن تا چند باشی بستهٔ مردار تن

در هوای سیر جان یک لحظه در پرواز شو[٢]

وحيث إنّ حصول الكمالات ، مقرون بمخالفة النفس وهواها ، يقول :

دلیران جهان آغشته در خون تو سر پوشیده ننهی پای بیرون[٣]

أي أنّ طالبي قرب المولى عزّ وجلّ ، وهم سالكو الدرب بما يملكون من شجاعة خارقة ، في صراع دائم مع النفس الأمّارة بالسوء ، حيث يقول الحديث الشريف : **أَعْدَى عَدُوِّكَ نَفْسُكَ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْكَ** ،[٤]

١ـ يقول : «جلستَ ـ كفعل النساء ـ في درب الإدبار ، وما أدراك أنّ في ذلك عارٌ».

٢ـ يقول :

«حتّى مَ كالنسوة تبغي السُّبلا خُذ سبيلاً للرجال الكُمّلا

كالحَدَأة لا تبرح المُستَنقَعا طِرْ لحظة واطلب لنفسكَ النفعا»

٣ـ يقول : «فالأشاوس في العالم مخضّبون بدمائهم، في حين أنّك متخفٍّ لا تجرؤ على الخطو خارج منزلك».

٤ـ نُقِلَ هذا الحديث في «بحار الأنوار» ج ١٥ ، ص ٤٠ ، في الجزء الثاني المتعلّق بالأخلاق، طبعة الكمبانيّ ، نقلاً عن «عُدّة الداعي». وأوردها كذلك المرحوم آية‌الله ⇦

التي هي عدوّة الدين ، فهم لا يكفّون عن محاربتها باستمرار ، يقول الحديث القدسيّ : **أَوْحَى اللهُ تَعَالَى إلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : إنْ أَرَدْتَ رِضَائِي فَخَالِفْ نَفْسَكَ ؛ إنِّي لَمْ أَخْلُقْ خَلْقاً يُنَازِعُنِي غَيْرَهَا** ، هؤلاء هم راسخو الأقدام ، انبروا إلى مخالفتها ومجادلتها ، ولم يركنوا إلى مكرها لحظة واحدة ، فقلوبهم كلمى من غضبها وقهرها ، أمّا أنت ، فقد وضعت حجاب التقليد على وجهك ، وأقمت في دار الطبع والهوى كالحريم ، ولم تتقدّم في طريق الطلب ، ولم تنج بنفسك من مستنقع الطبيعة هذا . شعر :

نفس دون را زيردستى تا به كى ؟
شو مسلمان ، بت پرستى تا به كى ؟
همچو يوسف خوش برآ از قعر چاه
تا شوى در مصر عزّت پادشاه[1]

ولأنّ التقليد في طريق معرفة الله ، الذي هو أساس جميع العقائد الدينيّة ، غير مستحسن ، فهو يقول :

چه كردى فهم از اين دين العجايز
كه برخود جهل مى‌دارى تو جايز ؟[2]

⇦ بحرالعلوم في الرسالة المنسوبة إليه، ص ٩٤. وذكرتها أنا الحقير في رسالة «لبّ اللباب» وهي مجموعة دروس وتقريرات الأُستاذ العلّامة، ص ٧٣. وجاء ذكره أيضاً في «حدائق الحقائق» ص ٧١١.

١ـ يقول : «إلى متى ترزح نفسك في الحضيض ؟ كُن مسلماً، فحتّىمَ عبادتك الأصنام؟
كُن كيوسف؛ أخرج بنفسكَ من غيابة الجبّ ، حتّى تصبح العزيز في مصر».

٢ـ يقول : «ما الذي استوعبتَ من دين العجائز فقبلتَ الجهل حكماً ما بجائز ؟»

ويشير إلى الحديث الشريف : **وَعَلَيْكُمْ بِدِينِ العَجَائِزِ** ،[١] أي ماذا

١ـ قال صاحب ديوان «أحاديث مثنوي» ص ٢٢٥ و ٢٢٦ برقم ٧٤٢، الطبعة الثانية:

هم در اوّل عجز خود را او بديد — مرده شد دين عجائز برگزيد

يقول : «لقد رأى عَجزه في البداية فمات وسار على دين العجائز».

وهو إشارة إلى الحديث المذكور : **عليكم بدين العجائز** . («إحياء العلوم» ج ٣، ص ٥٧ ؛ واعتبره مؤلّف «اللؤلؤ المرصوع» ص ٥١ موضوعاً مستقلاً. راجع «اتحاف السادة المتّقين» ج ٧، ص ٣٧٦، ففيه بحث مفيد حول هذا الحديث وشواهد على صحّته)».

وذكر آية الله الحاجّ الشيخ محمّد حسين آل كاشف الغطاء رحمه الله في كتاب «الفردوس الأعلى» ص ٢٢٤، الطبعة الثالثة ، ما يلي : **ولعلّ هذا المراد من الكلمة المأثورة: «عليكم بدين العجائز»**. وقال آية الله السيّد محمّد علي القاضي الشهيد رحمه الله معلّقاً على ذلك بقوله:

«مُراد شيخنا الإمام دام ظلّه من كون تلك الكلمة مأثورة، هو كونها مأثورة عن بعض السلف، لا أنّها مأثورة بهذه العبارة عن أحد المعصومين عليهم السلام؛ لأنّها ليست من المأثورات عن النبيّ أو أهل بيته عليهم الصلاة والسلام، ولم يروها أحد من المحدّثين بطرق أصحابنا الإماميّة أو بطرق أهل السنّة في الجوامع الحديثيّة عنهم صلوات الله عليهم كما حقّقنا ذلك تفصيلاً في بعض مجاميعنا.

وقال الحافظ أبو الفضل محمّد بن طاهر بن أحمد المقدسيّ في كتابه: «تذكرة الموضوعات» ص ٤٠، ط ٢، مصر، سنة ١٣٥٤ هـ: **عليكم بدين العجائز**. ليس له أصل من رواية صحيحة ولاسقيمة إلّا لمحمّدبن عبدالرحمن البيلمانيّ بغير هذه العبارة له نسخة، كان يُتَّهم».

وذهب جماعة من العلماء كالشيخ البهائيّ وتلميذه الفاضل الجواد والفاضل المازندرانيّ إلى أنّ تلك الكلمة من كلام سفيان الثوريّ من متصوّفة العامّة.

وقال القوشجيّ في «شرح التجريد» : إنّ عمرو بن عبيدة لمّا أثبت منزلة بين الكفر والإيمان، فقالت عجوزة: قال الله تعالى: **هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ** ، فلم يجعل الله من عباده إلّا الكافر والمؤمن؛ فقال سفيان: **عليكم بدين العجائز!**. ⇦

استنبطت من هذا الحديث حتّى تبيح لنفسك الجهل ، ولا تسعى وتجتهد وتكدح في طريق المعرفة الإلهيّة ؟ إلّا اللهمّ ، إذا اعتقدت بأنّ التفكّر في معرفة الله ممنوعة ، وأنّ هدف النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله من هذا الحديث هو كما أن لا قدرة للعجائز على التفكّر والاستدلال ، فكونوا أنتم أيضاً كذلك . أي أن لا تسعوا في طلب المعرفة اليقينيّة ، واكتفوا بمجرّد التقليد ، وبهذا الاستنباط العقيم ، قد سرى الخذلان والجهل إلى نفسك ، ولم تسع في طريق الطلب ؟

واعلم ، أنّ حقيقة مضمون هذا الحديث الشريف ، هو أنّه يجب علينا وفي جميع الأحكام الشرعيّة ، بدءاً من الأوامر ، حتّى النواهي التي تشكّل هيكل الدين ، أن نتقيّد بتنفيذها ، كما تفعل العجائز ، وأن لا نشرك العقل أو هوى النفس فيها . وأن لا نفسّر الأُمور على خلاف ظاهرها ، إلّا إذا دعت الضرورة إلى ذلك ، لأنّ تأويل الأحكام الشرعيّة ليس مرجعها العقل وحده ، وليس معنى ذلك ترك التفكّر في معرفة الله ، والكفّ عن الطلب ، والقبوع في بيت التقليد المحض مثلما تفعل العجائز . شعر :

⇦ وقال المحقّق القمّيّ قدّس سرّه صاحب «القوانين» : المذكور في الألسنة والمستفاد من كلام المحقّق البهائيّ قدّس سرّه في حاشية «الزبدة» أنّ هذا هو حكاية دولابها وكفّ اليد عن تحريكها لإظهار اعتقادها بوجود الصانع المحرِّك للأفلاك، المدبِّر للعالم.

وحكى سيّد الحكماء السيد الداماد قدّس سرّه في «الرواشح السماويّة» ص ٢٠٢ ، ط طهران، عن بعض العلماء أنّ **عليكم بدين العجائز** من الموضوعات. وعن كتاب «البدر المنير»: أنّه لا أصل له بهذا اللفظ.

ولكن روى الديلميّ مرفوعاً : إذا كان في آخر الزمان واختلفت الأهواء، **فَعَلَيْكُمْ بِدِينِ أَهْلِ البَادِيَةِ وَالنِّسَاءِ ! قِفُوا عَلَى ظَوَاهِرِ الشَّرِيعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالتَّعَمُّقَ إلَى المَعانِي الدَّقِيقَةِ ! أَي فَإنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ مَنْ يَفْهَمَهَا** ـ انتهى.

آن دلى كـــو هست خــالى از طــلب
دائـــماً بـــادا پــر از رنــج و تــعب
آن سـرى كـو را هـواى دوست نـيست
زو مجو مغزى كه او جز پوست نيست
جــان كـه جـويايت نـباشد كـو بـه كـو
مـــردۀ بـــى‌جان بــود جــانش مگــو
جان ندارد هـر كـه جـوياى تـو نـيست
دل ندارد هـر كـه شـيداى تـو نـيست[١]

فالمراد من الحديث ، هو ليس الاقتصار على التقليد ، ويقول هنا :

زنان چون ناقصات عقل و دينند چرا مـردان ره ايشـان گـزينند؟[٢]

ففي الحديث الشريف للرسول الأكـرم صـلّى اللـه عـليه وآله : **هُـنَّ نَاقِصَاتُ العَقْلِ وَالدِّينِ**.[٣]

١ـ يقول : «إنّ القلب الفارغ من الطلب والبحث مليء دائماً بالمتاعب واللغوب.

ولا تبحث عن المخّ في الرأس الذي لا يشغله هوى الصـديق والرفـيق، فـليس ذلك الرأس سوى قشراً وحسب.

إنّ النفس التي لا تقطع الجبال والوديان بحثاً عنك، ليست نـفساً بـل مـجرّد جسـد بلاروح.

إنّ مَن لا يبحث عنك ولا يطلبك لا يملك روحاً على الإطلاق، ولا قلب لِمَن لا يُتَيَّمُ بك».

٢ـ يقول : «إنَّ النساء ناقصات العقل والدين ، فَلِمَ يختار الرجال طريقهنّ ونهجهنّ ؟».

٣ـ وجاء في «نهج البلاغة» في الرسالة ١٤، من باب الرسائل، وطبعة مصر، مطبعة عيس البابيّ الحلبيّ ، شرح الشيخ محمّد عبده، ج ٢ ، ص ١٥:

وَلَا تَهِيجُوا النِّسَاءَ بِأَذىً وَإنْ شَتَمْنَ أَعْرَاضَكُمْ وَسَبَبْنَ أُمَرَاءَكُمْ ! فَإنَّهُنَّ ضَعِيفَاتُ ⇦

كما أنّ المقصود بـ **عَلَيْكُمْ بِدِينِ العَجَائِزِ** ، ليس أن تكونوا في الدين

⇦ **القُوَى وَالأَنْفُسِ وَالعُقُولِ . إنْ كُنَّا لَنُؤْمَرُ بِالكَفِّ عَنْهُنَّ وَإنَّهُنَّ لَمُشْرِكَاتٌ .**

وذُكر في «فروع الكافي» ج ١ ، ص ٣٣٨ ، في كتاب الجهاد، الطبعة الحجريّة، بلفظ **فَإنَّهُنَّ ضِعَافُ القُوَى وَالأَنْفُسِ وَالعُقُولِ** ، في رواية مفصّلة والتي ذكر السيّد الرضيّ موجزاً لها في «نهج البلاغة»، عن حديث مالك بن أعين أنّه قال: **حَرَّضَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ صَلَواتُ اللهِ عَلَيْهِ النَّاسَ بِصِفِّينَ فَقَالَ : إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ دَلَّكُمْ عَلَى تِجارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذابٍ أَلِيمٍ** ـ إلى آخر وصيّته وتحريضه على الجهاد.

وجاء في «شرح نهج البلاغة» للخوئيّ ، ج ١٨ ، ص ١٦٦ ، أنّه جاء لفظ : **فَإنَّهُنَّ ضِعَافُ القُوَى وَالأَنْفُسِ وَالعُقُولِ** في كلتا الروايتين لـ«الكافي» ونصر بن مزاحم، إلّا أنّ تلك اللفظة وردت في رواية الطبريّ بشكل : **فَإنَّهُنَّ ضِعَافُ القُوَى وَالأَنْفُسِ** دون ذكر كلمة **وَالعُقُولِ** .

وجاء في الخطبة (٧٨) من «نهج البلاغة»: ومن خطبة له عليه السلام بعد حرب الجمل في ذمّ النساء:

مَعَاشِرَ النَّاسِ ! إنَّ النِّسَاءَ نَوَاقِصُ الإيمَانِ ، نَوَاقِصُ الحُظُوظِ ، نَوَاقِصُ العُقُولِ ؛ فَأَمَّا نُقْصَانُ إيمَانِهِنَّ فَقُعُودُهُنَّ عَنِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ فِي أَيَّامِ حَيْضِهِنَّ ، وَأَمَّا نُقْصَانُ حُظُوظِهِنَّ فَمَوارِيثِهِنَّ عَلَى الأَنْصَافِ مِنْ مَوَارِيثِ الرِّجَالِ ، وَأَمَّا نُقْصَانُ عُقُولِهِنَّ فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ كَشَهَادَةِ الرَّجُلِ الوَاحِدِ ؛ فَاتَّقُوا شِرَارَ النِّسَاءِ وَكُونُوا مِنْ خِيَارِهِنَّ عَلَى حَذَرٍ ، وَلَا تُطِيعُوهُنَّ فِي المَعْرُوفِ حَتَّى لَا يَطْمَعْنَ فِي المُنْكَرِ .

وأورد هذه الخطبة في «نهج البلاغة» ج ١ ، ص ١٢٩ ، طبعة مصر بتعليق الشيخ محمّد عبده؛ وكذا في «سفينة البحار» ج ٢ ، ص ٥٨٧ ، مادة **نَسَأَ** ، في (كج نط ٥٣) ج ٢٣ ، طبعة الكمبانيّ ، الباب ٥٩ ، ص ٥٣ . وذكر ذلك أيضاً الآقا جمال الدين الخونساريّ في شرح «غرر الحكم ودرر الكلم» للآمديّ ، ج ٦ ، ص ٢٨١١ و ٢٨١٢ برقم ٩٨٧٧.

وقال الملّا مسكين في «حدائق الحقائق» ص ٤٣٨ ، الطبعة الثالثة: «وقد اعتبر كيد النساء عظيماً لأنّ المرأة من مصائد الشيطان وحَبائِله: **النِّسَاءُ حَبَائِلُ الشَّيْطَانِ**. وناقصات العقول **نَاقِصَاتُ العُقُولِ وَالدِّينِ** ، ومع هذا نجد كثيراً من الرجال مع كمال عقولهم وتمام نباهتهم يقعون أسرى في شِراك النساء وكيدهنّ ومكرهنّ».

تابعي العجائز ، بسبب أنّهن ناقصات دين ، كما أخبر الرسول صلّى الله عليه وآله عنهنّ ، فلهذا يكون المراد منه ، الانقياد للأوامر ، وترك النواهي ، وعدم التأويل على حسب الأهواء النفسانيّة ، تماماً كما تفعل العجائز .

وكلّ ما لا يدركه عقلك ، دع حقيقة تأويله ، واعترف بقصورك ، فإنّ كمال النبوّة أعلى من أن يبلغ أيّ فرد حقائق أحكامها الشامخة . شعر :

چشم تو ادراک غیب آموخته
چشمهای دیگران بر دوخته
آن یکی ماهی همی بیند عیان
و آن یکی تاریک می‌بیند جهان
سالها گر ظنّ دوَد با پای خویش
نگذرد زاشکاف بینی‌های خویش[١]

كما ذُكر آنفاً ، فإنّ النساء ناقصات دين ، ومن غير المناسب ، تقليد الرجال لطريقتهن ، ولا أن يضربوا حولهم حجاب التقليد ، وهو الآن يقول :

اگر مردی برون آی و نظر کن
هر آنچ آید به پیشت زان گذر کن[٢]

أي إذا كنت رجلاً ، فاعلم أنّ التواري وراء جدار التقليد والطبع هو من صفات النساء وطباعهنّ ، وليس من طباعك ، فتهيّأ للسفر إلى عالم

١ـ يقول : «أُغشيت عين الرجال وأنت وحدك من بينهم باصرٌ وحَصيف.
فعينٌ ترى البدر كلّ حين، وأُخرى لا ترى العالَم إلّا ظلاماً وعُتمة.
ولو سعى الظنُّ سنين راكضاً على قدمَيه، لم يُبصر أبعد من أنفه».

٢ـ يقول : «إن كنت رجلاً فاخرج وانظر ، وتجاوز كلّ ما يعترضك».

المعنى والقرب من المولى جلّ وعلا ، وأخرج نفسك من حالة التقليد والطبع وهوى النفس الّتي تولّد السكون واليأس ، وتقدّم في طريق طلب منازل الدنيا والعقبى ، واطلب من الحقّ تعالى أن يشغلك ، وتخلّ عن كلّ شيء ، ولا تتوقّف عند مرتبة أو منزلة من المنازل ، حيث يقول متجرّدو النهج ، وعشّاق الحقيقة : إنّ همّة السالك ، في طريق الطلب ، من العلوّ بحيث إذا عرضت عليه كلّ المقامات والمراتب ، نظر إليها بازدراء ، ووجّه جلّ اهتمامه إلى المطلوب الحقيقيّ . شعر :

زانكه گر جائى نظر خواهى فكند
در كنار خويش سر خواهى فكند
چيست زو بهتر ، بگو اى هيچ كس
تا بر او دلشاد باشى يک نفس؟
من نه شاهى خواهم و نه خسروى
آنچه مى‌خواهم من از تو هم توئى
مرگ جان بادا دل درويش را
گر گزيند بر تو هرگز خويش را[1]

١ـ يقول : «إذا التَفَتَّ أو نَظرتَ هنا وهناك (وأنت في طريقك نحو الحقّ)، فإنّك ستظلّ مكانك وتركد في محلّك دون حراك.

مَن ذا أفضل وأغلى منه حتّى تسرَّ قلبك به وتبحث عنه باستمرار؟ قل ! بالتأكيد لايوجد أحد (أفضل وأغلى منه).

أنا لا أطلب أن أكون مَلكاً أو سلطاناً، أبداً، إنّ ما أُريده منك هو أنت نفسك.

إنّ الدرويش (والسالك إلى الله) يتمنّى موت نفسه على أن يفضّلها عليك أو يرجّحها في مقابلك».

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ.[١]

لأنّ الانشغال بالأسباب ، والالتفات لغير المطلوب ، يورث البعد والحرمان ، يقول هنا :

میاسا یک زمان اندر مراحل مشو موقوف همراه رواحل[٢]

فالشوق والعشق للسالك الطالب والصادق ، يجب أن يكون من السمو بحيث لا يتوقّف العبد عند أيّة منزلة من المنازل في مسيره الذي يقطعه إلى الحقّ تعالى ، وأن لا يريح النفس عند أيّة منزلة من هذه المنازل ، ولا يتوقّف مع من توقّف من القوافل ، إلّا مع مربّيه ، وهو الشيخ الكامل ، الذي لا يتيسّر بدونه سلوك الطريق ، وأن يهيم ويحنّ للقاء المحبوب ، فلا قرار له ولا راحة ، ولا في قافلة يرغب ولا رفيق ، ولا عن وداع يبحث ولا دليل . شعر :

پابرهنه می‌روم در خار و سنگ
زانکه من حیرانم و بی‌خویش و دنگ
تو مبین این گامها را بر زمین
زانکه بر دل می‌رود عاشق یقین
یک دمِ هجران برِ عاشق چو سال
وصلِ سالی متّصل ، پیشش خیال[٣]

١ـ صدر الآية ٤٨ ، من السورة ٤ : النساء.

٢ـ يقول : «لاتقفنّ في منزل دونه منازلُ ، ولا تكن موقوفاً في صفّ الرواحل».

٣ـ يقول :«أسير فوق الحصى والأشواك ، أنا حَيران بدونك تائه دون مُعين.
أنتَ المُبين لخَطونا فوق التراب ، كلّ مَن يعشق وجهك واثقٌ غير ظَنين.
كلّ لحظة هَجر تعدل لدى العاشق سنيناً ، ووصال لعامٍ عنده كالخيال».

وكطالب الحقّ الذي يمضي على خُطى النبيّ ، يقول :

خـليل آسـا بـرو حـقّ را طـلب كـن

شبى را روز و روزى را به شب كن [١]

فكن كإبراهيم الخليل عليه السلام ، الذي حرّر نفسه من **إِنَّـا وَجَـدْنَآ ءَابَآءَنَا** ، [٢] وفي سبيل طلب الحقّ وذكره صل الليل بالنهار ، والنهار بالليل . أي لا تغفل ، ولا ترقد جفونك عن طلب الحقّ لحظة واحدة . شعر :

مــرد بـايد كـز طـلب وز انـتظار هر زمان صد جان كند بر وى نثار

نى زمانى از طلب سـاكـن شـود نى دمى آسـودنش مـمكن شـود

گـر فـرو اسـتد زمـانى از طـلب مرتدى باشد در اين ره بى‌ادب [٣]

فإنّ حجاب النور كحجاب الظلمة ، مانع من الوصول ، فيقول :

ستاره بـا مـه و خـورشيد اكـبر بود حسّ و خيال و عقل انور [٤]

لأنّ الترغيب والتشويق ، جعل الطالب السالك صادقاً ، يقول ، يجب أن نخطو خطوات أكبر من التقليد ، ونمضي إلى مـصاحبة الأنـبياء عـليهم السلام ، في سلوك الطـريق إلى اللـه ، ليـنال كـلٌّ حـظّه ـ وحسب اسـتعداده الفطريّ ـ من مكاشفات الأنبياء ، وذلك بحسن المصاحبة .

وبفضل العناية الإلهيّة التي تحيط بالأنبياء عليهم السلام ، والأنـفاس

١ـ يقول : «كن كالخليل وابتغ الحقّ ، وصِلْ في بحثك الليل بالنهار».

٢ـ مقطع من الآية ٢٣ ، من السورة ٤٣ : الزخرف.

٣ـ يقول : «على المرء أن يُضحّيَ نفسه مائة مرّة من أجل الوصول إلى طَـلبه ونـيل مراده.

وعليه أن لا يستكنّ لحظة واحدة عن الطلب ولا يستقرّ عن الهدف.

وإن توقّفَ لحظة عن ذلك صار أشبه ما يكون بالمُرتَدّ وقليل الأدب».

٤ـ يقول : «كانت الشمس والقمر والنجم لا محال ، عقلاً منيراً وحسّاً وخيال».

القدسيّة التي يحوون ، فقد جُعِل ظاهرهم عين باطنهم ، ففي حين يبذل الأولياء أقصى سعيهم واجتهادهم ، ليروا فيض الولاية بعين البصيرة ، يرى الأنبياء هذا الفيض جليّاً وبأُمّ أعينهم ، وبيان حالاتهم ومكاشفتهم هو فوق فهمنا وإدراكنا . وفي بيان مقامات ومكاشفات وتجلّيات السالكين والمكاشفين ، وهم أولياء الله ، في متابعتهم الأنبياء عليهم السلام ، التي تحصل عن طريق الرياضة والسلوك ، فإنّه يورد مقدمة ، لتيسير فهم المعاني التي يشير إليها الشيخ في هذه الأبيات حول طريقة كلّ نبيّ ، ويقول :

اعلم ، أنّ الولاية الخاصّة هي كمال القرب إلى الحقّ تعالى ، لدرجة أن تمّحي الثنائيّة بينهما ، ويذوب الوليّ في الحقّ تعالى بعد فناء الـ «أنا» فيه ، وهذا لا يتمّ بغير التصفية ، وذلك عن طريق ترويض النفس على المجاهدات ، والتجرّد من العلائق والكدورات البشريّة والعوائق الجسمانيّة ، والتوجّه نحو الحقّ تعالى ، والتزام الخلوة ، والمواظبة على الذِّكر والطاعة والعزيمة والانقطاع والتبتّل عن الخلق .

والأنبياء عليهم السلام بحكم قدسيّتهم ونزاهتهم ، وفائق العناية الإلهيّة التي تحيط بهم ، فإنّهم في مسألة الإرشاد ، لا يحتاجون أحداً غير الحقّ تعالى ، إن استثنينا توسّط الملائكة في بعض الأحيان . وأمّا اتّفاق أصحاب الطريقة ، فهو أنّ باقي أصناف الأولياء ، عدا المجذوبين منهم لا يمكنهم الوصول للهدف الحقيقيّ ، وهو مقام الولاية ، بدون إرشاد صاحب الكمال الذي يتولّى إرشادهم . شعر :

پير ، ما لابدّ به راه آمد ترا
در همه كارى پناه آمد ترا[1]

١ـ يقول : «أيّها الشيخ ! لقد جاءك ما لابدّ منه ولا مفرّ ، وهو ملاقيك في كلّ أعمالك» .

اى خنک آن مرده کز خود رسته شد
در وجـود زنـده‌اى پـيوسته شـد
هرکه شـد در ظـلّ صـاحب دولتـى
نَـبوَدش در راه ، هـرگز حـاجتى[١]

الإنسان هو عصارة جميع المراتب ، فإذا عمل بطريقة التصفية كما ينبغي ونوّر قلبه ـ الذي هو بالحقيقة البرزخ الجامع للوجوب والإمكان ـ بالذِّكر والتوجّه الكلّيّ للمبدأ ، ورفع الموانع عن الطريق إلى نور القدس ، فإنّه سيحصل على الصفاء التامّ ، وينعكس كلّ موجود فيه ، وتنكشف صور كلّ الأشياء ، من مادّيّات ومجرّدات ، في قلبه ، وبهذا الصفاء والانسجام الذي ابتدع مع عالم المعاني ، تتجسّم المجرّدات له ، وهي التي ليس لها صور حسّيّة في العالم الجسمانيّ ، وتتشكّل بأشكال محسوسة ، على حسب النسبة الموجودة بينها وبين تلك الصورة ، فعلى سبيل المثال ،كان جبرئيل عليه السلام يظهر بصورة دحيّة ، وغير ذلك من الصور ، للرسول الأمين صلّى الله عليه وآله وسلّم وحتّى البارئ جلّ وعلا ، أحياناً ، يظهر له في عالم المثال ، متلبّساً بلباس المظاهر الحسّيّة ، وهو ما يطلق عليه اصطلاحاً ، **التأنيس** ، وهو عبارة عن تجلّي الحقّ تعالى على صورة المظاهر الحسّيّة ، لغرض تأنيس المريد المؤيّد ، بالتزكية والتصفية ، وهو بداية تجلّيات القلوب .

١ـ يقول : «فيا أيّها السعيد ! إنّ ذلك الميّت الذي تحرّر من (قيود) نفسه، قد التحقَ بالوجود الحيّ .

فمَن استظلَّ بظلّ صاحب الحكومة والسلطان لم يَحْتَجْ إلى شيء خلال سيره في ذلك الطريق».

والآن اعلم ، أنّ **التجلّي** ، وهو ظهور الحقّ تعالى في بصيرة قلب السالك الطاهر ، بشكل عامّ على أربعة أنواع وهي : الآثاريّ ، الأفعاليّ ، الصفاتيّ ، والذاتيّ .

التجلّي **الآثاريّ** : وهو أن يرى الحقّ تعالى على صورة الجسمانيّات ، الذي هو عالم الشهادة ، من البسائط العلويّة والسفليّة ، والمركّبات ، على أيّة صورة كانت ، وحين الرؤية ، يتيقّن بأ نّه الحقّ ، والتجلّي الآثاريّ ، والتجلّي الآثاريّ الصوريّ (أي المشاهدة على صورة إنسان) ، هما أتمّ وأعلى من باقي التجلّيات .

التجلّي **الأفعاليّ** : هو أن يتجلّى الحقّ تعالى على صفة من الصفات الفعليّة ، وهي الصفات الربوبيّة . وتجلّيات الأفعال ، غالباً ما تتمثّل بالأنوار المتلوّنة ، أي أنّ الحقّ تعالى يُرى على هيئة نورٍ أخضر ، أو أزرق ، أو أحمر ، أو أصفر ، أو أبيض .

التجلّي **الصفاتيّ** : وهو تجلّي الحقّ تعالى على هيئة الصفات السبع الذاتيّة وهي الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام ، وأحياناً ، في هذا النوع ، يكون التجلّي على هيئة نور أسود ، أي يتمثّل الحقّ تعالى بصورة نور أسود .

التجلّي **الذاتيّ** : وذلك بأن يفنى السالك فناءً مطلقاً ، ولا يعد للعلم أو الشعور أو الإدراك وجود قطعاً . والتجلّيات المذكورة تتفاوت بحسب صفاء وأوقات المتجلّى عليه .

فإذا رأى الحقّ تعالى مظهراً له ، فهو التجلّي الكامل ، وأمّا إذا أصبح هو انعكاساً للحقّ تعالى ، أي يرى الحقّ في نفسه ، فهذا أتمّ وأكمل ، لأنّ التحقيق يثبت هذا . وفي جميع مراتب التجلّيات المذكورة للحقّ تعالى ، فإنّ رؤية الحقّ جلّ وعلا أو تجسّد الحقّ فيه ، هو طريق التصفية الحقيقيّ .

وسماع موسى عليه السلام لنداء **إِنِّيَ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ** ،[١] وكذلك الحديثان الشريفان **رَأَيْتُ رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ** ،[٢] ومَنْ **رَآنِي فَقَدْ رَأَى الحَقَّ**[٣] شواهد قاطعة على جواز حدوث التجلّيات .

وحالة **البقاء بالله** تكون على حسب الكاملين الواصلين ، وذلك بعد فناء السالك في التجلّي الذاتيّ ، يخلد ببقاء الحقّ وخلوده ، حيث يرى نفسه مطلقاً ، بلا تعيّن جسمانيّ أو روحانيّ ، وقد أحاط علمه بكلّ ذرّة من الكائنات ، واتّصف بكلّ الصفات الإلهيّة ، وإنّه القائم المدبّر لهذا العالم ، ولا يرى شيئاً غير نفسه ، وهذا هو المقصود من كمال التوحيد العيانيّ .

آن كه سُبحانى همى گفت آن زمان
ايـن معانى گشته بود او را عيان
هم ازين رو گفت آن بحر صفا
نيست اندر جُبّه‌ام الّا خدا
آن أنا الحقّ گفت اين معنى نمود
گر به صورت پيش تو دعوى نمود[٤]

١ـ ذيل الآية ٣٠ ، من السورة ٢٨ : القصص.

٢ـ وورد في هامش «الإنسان الكامل» لعبد الكريم الجيليّ ، ج ٢ ، ص ٦١ ، ط ١٣١٦ ، المطبعة الأزهريّة المصريّة، على «المضنون به على غير أهله» تصنيف الغزّاليّ أنّه: **قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : رَأَيْتُ رَبِّي فِي أَحْسَنِ صورَةٍ**.

٣ـ قد مرّ ذكر مصدر هذا الحديث في هذا الكتاب.

٤ـ يقول : «إنّ الذي قال كلمة «سُبحاني» في ما قبل، إنّما كانت هذه المعاني قد تجلّت له في الحقيقة بالكامل.

وكذا قوله «ليس في جُبّتي إلّا الله سبحانه».

وهو الذي أشار إلى هذا المعنى بقوله: أنا الحقّ ، وإن بدا لك في الظاهر غير ذلك».

لیسَ فی الدّارَین آن کـو گـفته است
دُرّ این معنی چـه نـیکو سـفته است
چــون نــماند از تــوئی بـا تـو اثـر
بی گمان یـابی از ایـن مـعنی خـبر[١]

وماكتبه سلطانا العالم ، والواصلان الموقنان ، الشيخ أبو محمّد روزبهان ، والشيخ شمس الدين محمّد الديلميّ قدّس سرّهما عن الوقائع التي عاشاها حكايات عن هذه المراتب التي مرّ ذكرها .

وكذلك في مراحل التصفية ، يعرج السالكون معراجاً روحانيّاً بالبدن المثاليّ أو بدونه ، حيث يرى السالك في كلّ سماء وعلى حسب الحالة ، أرواح الأنبياء والأولياء والملائكة ، ويحلّق في السماء ، إلى العرش وإلى ما

١ـ يقول : «وما أروعَ ما نظّمَ دُرَر هذا المعنى، ذاك الذي قال «ليس في الدارَيْن...».
فإذا لم يَبقَ للـ(أنا) فيكَ أيّ أثر أو بقيّة، فإنّكَ لا جَرَمَ ستحصل على هذا المعنى وستصل إليه».

سبق أن ذكرنا في هذا الكتاب أنّ بايزيد البسطاميّ هو قائل عبارة **سُبحاني ما أعظمَ شأني**. وهنا نكرّر أنّ: الشيخ نجم الدين الرازيّ قال في كتاب «العشق والعقل» ص ٨٩: «وإذا خرج الجسم من بيضة الوجود، صرخ قائلاً: **سُبحاني ما أعظمَ شأني**؛ بينما لا تزال قدَمه داخل البيضة».

وقال مصحّح الكتاب في تعليقه ص ١١٣: «هذه العبارة قالها بايزيد البسطاميّ («كشف المحجوب» ص ٣٢٧، طبعة جوكوفسكي، لينينغراد، سنة ١٩٢٦م).

وقد مازج العراقيّ في «اللمعات» بين عبارة بايزيد البسطاميّ وكلامه هو قائلاً: «فتارةً يُلبَس العاشقُ حُلّة البهاء والكمال ويُزَيَّنُ بأنواع زينة الحُسن والجمال، حتّى إذا نظر إلى نفسه رأى المعشوق بالألوان المختلفة؛ بل يرى في نفسه المعشوق بكماله وتمامه؛ حينها سيقول: **سُبحاني ما أعظمَ شأني؛ مَن مِثلي وهل في الدَّارَيْن غيري؟**» («أشعّة اللمعات» للجامي، ص ٥٤ و٥٥، الطبعة الحجريّة)».

فوق العرش ، وكيفيّة وكمّيّة مكشوفات الأولياء كما ينبغي ، هي فوق البيان ، وبعيدة عن إدراك العقول وإحاطتها .

فَثَمَّ وَرَاءُ العَقْلِ عِلْمٌ يَدِقُّ عَنْ مَدَارِكِ غَايَاتِ العُقُولِ السَّلِيمَةِ[1]

عقل اينجا ساكت آمد يا مضلّ
زانكه دل با اوست با خود نيست دل[2]

بعد تمهيد المقدّمة نشرع في شرح البيت ، ونقول : «ستاره با مه وخورشيد اكبر» أي لأنّ السالك المسافر ، انطلق نحو الله ، فيجب أن يرجّح ذلك على جميع مراتب التنزّلات لكي يصل إلى المرحلة المطلقة ، وليصل النقطة الأخيرة من الدائرة بالأُولى . وبما أنّ رحلته إلى عالم المثال المتجسّد بالملكوت والربوبيّة ، فهناك يشاهد القوى الروحانيّة المتمثّلة بصور المُثُل وعلى حسب صفاء السالك . وحيث قال عن إبراهيم الخليل عليه السلام : «خليل آسا برو حقّ را طلب كن»[3] تعبيراً عما جاء في الآية الكريمة :

وَكَذَٰلِكَ نُرِىَ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ

١ـ البيت ٦٧٥ من تائيّة ابن الفارض الكبرى. وأمّا في النسختَيْن المطبوعتَين لدى الحقير، الأُولى في ١٣٧٢ هـ ، دار العلم، والثانية في ١٣٨٢ ، دار صادر بيروت، فقد وردَتْ لفظة «النقل» بدل «العقل»: **فثَمّ وراء النَّقل** . وهذا أنسب مضموناً، خلافاً للبيت الذي وردَتْ فيه لفظة «العقل»، ذلك أنّ الشيخ ابن الفارض يقول في البيت الذي يسبق هذا البيت:

وَلَا تَكُ مِمَّن طَيَّشَتْهُ دُرُوسُهُ بِحَيثُ اسْتَقَلَّتْ عَقْلَهُ وَاسْتَقَرَّتِ

أي ، بحيث صارت العلوم المنقولة هدفهم الأساس ففقدوا بذلك عقولهم وقضوا باقي عمرهم بالترّهات والقيل والقال ولم يرجعوا إلى ألبابهم فيجدوا لأنفسهم مخرجاً.

٢ـ يقول : «لقد سكت العقل هنا، يا مُضلّ ، وتوقّف ، لأنّ القلب معه هو (أي مع المعشوق) وليس مع صاحب القلب».

٣ـ يقول : «اذهبْ واطلب الحقّ كما فعل الخليل».

ٱلْمُوقِنِينَ * فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ـ إلى آخر الآية .[١]

يقول الشيخ : إذا شوهِدَتْ شمس أكبر من النجم والقمر والشمس الكبيرة ، فاعلم أنّ هذه الكواكب هي الصورة المتمثّلة للحسّ المشترك ، وهو القوّة الأُولى من القوى الباطنة ، والقمر الذي هو قوّة الخيال ، وهي القوّة الثانية من القوى الباطنة ، واستفاضة النور من العقل هي بمثابة القمر نسبة إلى الشمس ، فالشمس هي الصورة المتمثّلة بالعقل ، والنسبة بينهما واضحة . فالقوّة العاقلة هي سبب تنوّر ظلمة الجهل في الوجود الإنسانيّ بنور العلم .

وللسالك عند مشاهدته هذه الصور المثاليّة حالتان : الأُولى ، هي أنّه أثناء المشاهدة ، يدرك أنّها الشمس والقمر والنجم ، وهي تحتاج إلى تفسير ، أي أنّ رسمها السابق يتمثّل في خياله ، فيدرك المعنى الذي يتمثّل في هذه الصورة .

والحالة الثانية ، هي أنّه حين المشاهدة يدرك بأنّ هذا النجم أو الشمس أو القمر هو الحقّ تعالى ، وهو في هذه الحالة يكون واقعاً تحت تأثير التجلّيات الآثاريّة .

ولمّا كانت الآيات الكريمة تشير إلى المعنى الأوّل فقد عبّر عنه بالبيت التالي :

بگردان زان همه اى راهرو روى همیشه لا أُحبُّ الأَفلين گوى[٢]

ومعنى ذلك أنّه يجب غضّ النظر عن كلّ ما نراه من مراتب الحجاب

١ـ الآيتان ٧٥ و٧٦ ، من السورة ٦ : الأنعام.

٢ـ يقول : «اجتنب أيّها السالك عن كلّ شيء ، فليكن «لا أُحبّ الآفلين» لك قولاً تردّده».

النورانيّ وذلك في السير إلى الله ،كما غضضنا النظر عن الحجب المظلمة . ولمتابعة سيّدنا إبراهيم عليه السلام ، يجب أن لا نلتفت إلى صور الحواسّ والعقل ، وأن نتوجّه إلى الواحد المطلق ، ولا يجب علينا التقيّد بأيّة مرتبة من مراتب التعيّنات ، لأنّ كلّ ما هو قيد التعيّن هو وجه من وجوه الكفر الذي يواجهه السالك في طريقه ، ويجب الإعراض عن كلّ شيء ، وذلك طبقا للآية **لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ** ، لأنّ صورة الظواهر للأسماء الإلهيّة تؤول للأُفول والانقراض ، وإذا لم تخرج عن نطاق المحسوس والمعقول كما في حالة إبراهيم عليه السلام ، فلا يمكن الحصول على مشاهدة نور الأنوار ، والتي انمحت فيها كلّ الأنوار المحسوسة والمعقولة وذابت ، ولن تخرج عن شرك الأغيار وتتخلّص منه ما لم تصل إلى مرتبة الإطلاق والوحدة الحقيقيّة . ولن تحصل المعرفة التامّة والمطلوبة وستبقى محجوبة عن الحقّ . شعر :

بت پرستى چون بمانى در صور
بگذر از صورت برو معنى نگر
هركه او در ره به چيزى ماند باز
شد بتش آن چيز ، گو با بت بساز[١]

ولأنّ مشاهدة الذات المطلقة في مراتب تجلّيات الأسماء والصفات ، هي أسهل ، فقد قال :

١ـ يقول : «إن تُؤمِن بالصور دون المعاني فأنتَ وثنيّ ؛ اترك الصور والتماثيل والتَزِم المعنى.

ومَن باتَ يتأمّل شيئاً في طريقه ولم يبرحه فإنّ ذلك الشيء بالتأكيد سيؤول إلى صنم له ومعبود يُقدّسه؛ فقُل لشخص كهذا: ابقَ إذن مع صنمك واعتنق مذهبه».

و يا چون موسى عمران در ايـن راه

بـرو تـا بشـنوى إنّـى أنـا اللـه[١]

ومعنى ذلك أن عليك السير والسلوك في طريق الله كما فعل إبراهـيم الخليل عليه السلام ، وعليك اجتياز المظاهر والتوجّه إلى عالم الإطلاق ، أو كما قالت الحكمة : **الطُّرُقُ إلَى اللهِ بِعَدَدِ أَنْفَاسِ الخَلَائِقِ** ،[٢] وسِرْ كما سار موسى بن عمران عليه السلام في طريق الحقّ حتّى ترى وتُشاهد تجلّي الحقّ في الصور الحيّة إذ **نُودِىَ مِن شَـٰطِىِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَـٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ** .[٣]

وبناءً على المقدّمة التي ذكرت لبيان التجلّي ، تبيّن أنّ هـذا التـجلّي الذي تأثّر به موسى عليه السلام هو من نوع التجلّيات الآثاريّة . شعر :

بشنود إنّى أنا اللـه چـون كـليم از هـر درخت

هر كه او بر طور دل از بـهر مـيقات آمـدست

آيت حسن تـو خـوانـد جـان مـا از هـر ورق

حال عارف برتر از كشف و كرامات آمدست[٤]

ولأنّ مشاهدة الذات المطلقة محال ، على الرغم من وجـود الوجـود المجازيّ ، وتعيّن السالك ، فقد قال :

١ـ يقول : «فكن كموسى واسلك طريقه ، وامضِ قُدُماً حتّى تسمع إنّي أنا الله».

٢ـ وعلى أيّة حال فإنّ هذا ليس بحديث ، بل حكمة لبعض الحكماء.

٣ـ مقطع من الآية ٣٠ ، من السورة ٢٨ : القصص.

٤ـ يقول : «سيسمع كلّ مَن اعتلى طور الفؤاد من أجل الميقات نداء : إنّي أنا الله، كما سمعها موسى كليم الله.

إنّ أرواحنا تقرأ آية حُسنك وجمالك في كلّ ورق ، وإنّ حالَ العارف وحالته هي أكرم من جميع الكرامات».

ترا تا كوه هستی پیش باقی است
جواب لفظ أرنی ، لَنْ تَرانی است[١]

فلأنّ الوجود الوهميّ للسالك هو الحجاب الوحيد الموجود بين الحقّ والسالك ، فهو تعالى يقول : مادام جبل وجودك باقياً وكنت ناظراً إلى نفسك ، فإنّ الحقّ تعالى محتجب بستار الأسماء والصفات ، ومع وجود هذه الحجب النورانيّة ، فلا يمكن رؤيته حقيقةً . وطبيعيّ أنّ الرائيّ والمرئيّ ملحوظان في الرؤية ، ولا وجود للغير أصلاً في الانكشاف الذاتيّ ، إذ **وَلَا يَرَى اللَهَ إلَّا اللَهُ** .

ولأنّ موسى عليه السلام رأى جلالة الحقّ في ملابس الأسماء والصفات ، فلا جرم أنّه دُعِي بالكليم ، ولا ريب في وجود الغيريّة في المكالمة وكان شوق موسى عليه السلام أكبر من أن يقنع بالتجلّيات الأسمائيّة ، فقال : **رَبِّ أَرِنِىَ أَنظُرْ إِلَيْكَ** ،[٢] أي أنا محتجب عنك بحجاب (الأنا) مادامت (الأنا) عندك باقية .

گفتم به هوای مهر رويت شد جان و دلم چو ذرّه شيدا
بردار ز رخ نقاب عزّت بی پرده به ما جمال بنما[٣]

١ـ يقول : «مادام جبل وجودك باقياً ، فسيكون جواب **أرني** : **لن تراني**» .

٢ـ مقطع من الآية ١٤٣ ، من السورة ٧ : الأعراف : **وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ** .

٣ـ يقول : «قلتُ : لقد أصبحت روحي وقلبي يعشقانك من أجل الجمال المُستَقرّ على محيّاك .

فارفَعْ عن محيّاك خِمار العزّة ، واظهَر لنا دون حجاب أو خِمار» .

گــفتند اگــر تــو مـرد عشـقى — بشــــنو ســخن درست از مــا
هســتىّ تــو پــردهٔ رخ مـاست — از پردهٔ خود بـه كـلّ بـرون آى
از هستى خود چو نيست گشتى — از جــمله حــجابها گــذشتى[١]

وقد ورد في بعض النسخ ، «**صَداى لفظ أرني ، لن تراني است**» وقد ذُكرت كلمة «صدا» (= الصوت) لتناسب كلمة «كوه» (= الجبل) ، فيكون المعنى ، هو لأنّ الصوت هو صدى نداء صاحب الصوت ، واقترن صوت كلمة «**أَرِنِى**» في الرؤية بوجود موسى عليه السلام ، فوقع الصدى دون الرؤية ، وهو «**لَن تَرَىٰنِى**» .

وَجانِبْ جَنابَ الوَصْلِ هَيْهاتَ لَمْ يَكُنْ
وَهَا أَنْتَ حَيٌّ ، إنْ تَكُـنْ صَـادِقاً مُتِ
هُوَ الحُبُّ إنْ لَمْ تَقْضِ لَمْ تَقْضِ مَأْرَباً
مِنَ الحُبِّ فَاخْتَرْ ذَاكَ أَوْ خَلِّ خُـلَّتي[٢]

وذلك لأنّ حجابك من الحقّ هو وجودك هـذا ، وإلّا فـبحكم **وَنَـحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ** ،[٣] فإنّ الحقّ أقرب إليك منك ، فقد قال الشاعر :

حقيقت كـهربا ، ذات تـو كـاه است
اگر كوه توئى نبود چـه راه است ؟[٤]

١ـ يقول : «قالوا : إن كنتَ عاشقاً حقّاً فاستمع إلى حديث الحقّ من أفواهنا.
إنّ وجودك هو خِمار محيّانا، فانسلخْ تماماً من ذلك الحجاب.
فإذا انسلختَ من وجودك فاعلم أنّك قد اجتزتَ كلّ الحُجُب».

٢ـ هذان هما البيتان ١٠١ و١٠٢ من «نظم السلوك» لابن الفارض، ص ٩٣، طبعة دار العلم، سنة ١٣٧٢؛ وطبعة صادر ، سنة ١٣٨٢، ص ٥٦.

٣ـ صدر الآية ٨٥، من السورة ٥٦ : الواقعة.

٤ـ يقول : «إنّ الكهرباء هي الحقيقة وما ذاتُك إلّا تِبناً، ولو لم يكن جبل الـ(أنتَ) ⇦

أي أنّ الحقيقة ، وهي عين المراد ، مثل المغناطيس ، وذاتك ووجودك هو المجذوب ، والجذب يكون من قبل الحقّ تعالى ، أمّا انجذابك إليه فهو أمر في غاية البساطة ، ولكن تعيّنك هو المانع والسدّ في طريق وصولك إلى المطلق ، وإذا لم يكن للـ (الأنا) وجود ، فلا حواجز في الطريق إلى الله .

شعر :

قرب ، نى بالا و پستى رفتن است
قرب حقّ از هستى خود رستن است
خويش را بگذار و بى‌خود شو درآ
اندرون بزم وصل جانفزا
نيستى از خويش عين وصل اوست
بگذر از هستى ، دلت گر وصل جوست [1]

ولأنّ اندراس واندثار وجود السالك عياناً وشهوداً ، لا يتيسّر إلّا بالتجلّي الإلهيّ ، فهو يقول :

تجلّى گر رسد بر كوه هستى
شود چون خاک ره ، هستى ز پستى [2]

⇐ موجوداً ، لما كان أمامك من طريق».

١ـ يقول : «إنّ قرب الحقّ هو في تحرّرك من وجودك والقرب ليس في نزولك وصعودك.

ولن ترى الله بجسمك ما حييت ، فاهجرْ إذن الجسم وهاجر فذاكم هو وجودك.

إنّ انسلاخك من الذات هو عين وصالك به ، فاجتز الوجود إن كان قلبك يخفق للوصال».

٢ـ يقول : «لو تجلّى الله لجبل الوجود لصار من ضحالته هباءً منثوراً».

أي إذا أشرقتْ شمس التجلّي بنورها على جبل وجود السالك ، أضحت ظلمة وجوده بحقارة التراب وصارت المحو المطلق ، لأنّ بتجلّي ذات الحقّ فَناء المظاهر والكثرات .

(شعر) :

هـــركه شـــد جــوياى ديــدار خــدا
چـــون خـــدا آمــد شــود جــوينده لا
گــرچـه آن وصـلت بـقا انـدر بـقاست
ليک اوّل آن بــــقا انــــدر فــــناست
ســـايهاى كُـــه بــود جــوياى نــور
نيست گردد چـون كـند نـورش ظـهور
هالک آمد پيش وجهش هست و نيست
هستى اندر نـيستى خـود طـرفهايست[١]

ويشير معنى هذا البيت إلى تتمّة تلك الآية الكريمة التي تقول : **قَالَ رَبِّ أَرِنِيَ أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْـجَبَلِ فَـإِنِ ٱسْـتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَـعَلَهُۥ دَكًّـا وَخَـرَّ مُـوسَىٰ صَعِقًا** .

وهذا هو التجلّي الذاتيّ الذي ذكرناه آنفاً في المقدّمة .

١ـ يقول : «مَن أراد البحث عن الله سبحانه، سيكون لا شيء بمجرّد مجيء الله تعالى وظهوره.

فمع أنّ وصالك ذاك هو البقاء بعينه، إلّا أنّ ذلك البقاء كان فَناءً أوّل الأمر.

إنّ الظّلال تبحث عن النور، وعند ظهور النور ، فإنّها ستتلاشى.

لقد هلك أمام وجهه الوجود والعدم، وإنّه لمن الطريف أن يوجد الوجود داخل العدم».

وحقيقة الكلام : أنّ أُمنية موسى عليه السلام كانت تكمن في مشاهدة الذات الأحديّة ، وذلك في عالم المعنى ، وأمّا الجبل الذي بدا لموسى عليه السلام وتجلّى الحقّ تعالى له ، فقد كان في الحقيقة وجود موسى عليه السلام الذي تمثّل في هيئة ذلك الجبل ، وأمّا رؤية موسى عليه السلام للجبل فكان من نتيجة ذلك ، أن خرّ صعقاً بعد أن دكّ الجبل ، لأنّ التجلّي الذاتيّ ، يقتضي فَناء وانعدام المظاهر .

وعلى هذا ، يجب القول إنّه لم يتيسّر لموسى عليه السلام والذين معه رؤية ذات الحقّ ، فيكون حكم **لَن تَرَىٰنِى** مطلقاً ، وتتيسّر مشاهدة الحقّ عند تنزّل الذات إلى مراتب الأسماء والصفات ، حيث تجلّى لموسى على هيئة شجرة في الوادي الأيمن ، وتكلّم معه من وراء ستار الأسماء والصفات :

وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ.[1]

تبيّن لنا من هذا الكلام ، بأنّ الذين قالوا لا يمكن رؤية الله كانوا مصيبين من جهة ، وذلك باعتبار الذات .

وأمّا الذين قالوا بإمكان رؤيته تعالى فهم مصيبون كذلك ، وذلك باعتبار الأسماء والصفات .

من چو او را دیده و نادیده‌ام   در میان این و آن شوریده‌ام[2]

لَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ.[3]

فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ

١ـ صدر الآية ١٤٣ ، من السورة ٧ : الأعراف.

٢ـ يقول : «لقد تُهتُ بين هذا الأمر وذاك لأنّني أراهُ ولا أراه في الوقت نفسه».

٣ـ صدر الآية ١٠٣ ، من السورة ٦ : الأنعام.

رَبِّهِ أَحَدًا.[١]

وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّها نَاظِرَةٌ.[٢]

واعلم أنّ السلوك والرياضة والتصفية ، إنّما تكون باستعداد الأفراد للانجذاب الإلهيّ ، وليس لأحد أن يصل إلى الله بعملٍ ما .

ولهذا فقد قال :

گدایی گردد از یک جذبه شاهی
به یک لحظه دهد کوهی به کاهی[٣]

أي أنّ **جَذْبَةٌ مِنْ جَذَبَاتِ الحَقِّ تُوَازِي عَمَلَ الثَّقَلَيْنِ**[٤] فيُمسي الدليل

١ـ ذيل الآية ١١٠ ، من السورة ١٨ : الكهف.

٢ـ الآيتان ٢٢ و٢٣ ، من السورة ٧٥ : القيامة.

٣ـ يقول : «بجذبة مليك صار المسكين سلطانا فاستبدل الجبل العظيم تِبْنا»

٤ـ وذكر الشيخ نجم الدين الرازيّ هذه العبارة في «مرصاد العباد» مستشهداً بها في أربعة مواضع. ثلاثة منها في ص ٢١٢ و ٢٢٥ و ٥١١ دون أن ينسبها إلى أحد، وفي الموضع الرابع ص ٣٦٩، نسبها إلى النبيّ ، حيث قال : **وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ** [**وَآلِهِ**] **وَسَلَّمَ: جَذْبَةٌ مِنْ جَذَبَاتِ الحَقِّ تُوَازِي عَمَلَ الثَّقَلَيْنِ.**

وأورد الشيخ نفسه هذا الكلام في رسالة «العشق والعقل» ص ٦٤ دون أن ينسبه لأحد، وقال المُعلّق على هذا الكتاب في ص ١٠٩:

«إنّ هذا الكلام هو من حديث أبي القاسم إبراهيم بن محمّد النصرآباديّ وهو من كبار الصوفيّة في القرن الرابع (والمتوفّى سنة ٣٧٢ هـ).

وقد أورد الجاميّ هذه العبارة مع اختلاف طفيف، في ترجمة حال إبراهيم أدهم، حيث قال: **جَذْبَةٌ مِنْ جَذَبَاتِ الحَقِّ تُرْبِي عَمَلَ الثَّقَلَيْنِ**. وذكر أبو سعيد أبو الخير هذه العبارة مع ذكره لـ«كما قال الشيخ». («أسرار التوحيد» ص ٢٤٧ ، طبعة طهران). وقال مولانا جلال الدين الأبيات التالية في «المثنوي»:

این چنین سیری است مستثنی ز جنس کآن فزود از اجتهاد جنّ و انس ⇦

سالكاً ، وفقيراً إلى الله ، ويصبح بتقيّده ومحجوبيّته ببركة هذه الجذبة ، سلطان العزّ ، وهو الوصول الحقيقيّ الّذي يندرج ضمن الفَناء في التجلّي الذاتيّ ، فيستبدل القشّة بالجبل في لحظة واحدة ، غير آبه لوزن الجبل . ويرتقي مرتبة المحبوب ، بعد أن كان محبّاً ، دون منازعة الغير ، ويسعد برؤية المطلوب الحقيقيّ ، بعين **فَبِي يُبْصِرُ** .

وَفِي سَكْـرَةٍ مِـنْهَا وَلَـوْ عُـمْرَ سَـاعَةٍ
تَرَى الدَّهْرَ عَبْداً طَائِعاً وَلَكَ الحُكْمُ[١]

شعر :

در اين دريا فكن خود را مگر درّى به دست آرى
كزين درياى بى‌پايان گهر بسيار برخيزد
و گر موجيت بربايد چه دولت مر ترا زان به
كه عالم پيش حكم تو چه خدمتكار برخيزد[٢]

⇦ اين چنين جذبى است نى هر جذب عامّ كه نهادش فضل أحمد و السّلام

يقول : «إنّ هذا سير مُستثناً من الجنس ، وهو سير يفوق اجتهاد الجنّ والإنس. وهذا الجذب ليس جذباً عامّاً ، إذ أساسه فقضل أحمد والسلام». (نقلاً عن كتاب «فيه ما فيه» تصحيح فروزانفر)».

١ـ «ديوان ابن الفارض» ص ١٤٠ إلى ١٤٣ ، طبعة بيروت ، ١٣٨٢ هـ ، القصيدة الميميّة والتي مطلعها:

شَرِبْنَا عَلَى ذِكْـرِ الحَـبِيبِ مُـدَامَـةً سَكِرْنَا بِهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُخْلَقَ الكَرْمُ

والبيت المذكور في المتن هو البيت التاسع والثلاثون من تلك القصيدة.

٢ـ يقول : «اقذفْ بنفسك في هذا البحر لعلّك تحصل على دُرّة، فهذا البحر الواسع واللامحدود يحوي الكثير من الجواهر والدرر.

وإذا صادفتكَ موجة فأيّ سلطان ودولة لك أعظم من ذلك، لأنّ العالَم كلّه سيكون خادماً لك ومطيعاً لأمرك».

ولأنّ الحصول على مراتب الكمالات في العالَمينِ ، والوصول إلى أعلى مقامات اليقين ، لا يتمّ إلّا بالسير على خطى خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام ، فقد قال :

برو اندر پی خواجه به أسری — تفرّج كن همه آيات كبری[1]

يقول : إذهب واتبع «الخواجة» وهو سيّد المرسلين صلّى الله عليه وآله ـ فهو السيّد الحقيقيّ ، والآخرون عبيده والمتبرّكون بذاته الشريفة ـ يقول : اذهب إلى الإسراء ، والإسراء هو السير في الليل .

وهي إشارة للآية الكريمة التي تتحدّث عن المعراج :

سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ.[2]

وقصّة معراج المصطفى صلّى الله عليه وآله مشهورة ، وعروجه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثابتة في هذه الآية ، ومن هناك عروجه إلى السماوات كما في الحديث **لَمَّا عُرِجَ بِي إلَى السَّمَاءِ** ، ومنها إلى باقي الأفلاك وإلى الجنّة والعرش وما فوق العرش .

فالمعنى هو ، أن تتخلّص أنت أيضاً من كلّ القيود الصوريّة والمعنويّة حتّى تنال شرف وبركة متابعة سيّد الأنام صلّى الله عليه وآله في عروجه إلى الأفلاك والعرش وما فوق العرش ، وترى بأُمّ عينيك الظهور الإلهيّ والتجلّيات الجماليّة والجلاليّة والفَناء في الله والبقاء فيه ، وتحقّق علم اليقين وعين اليقين ، لا بل حقّ اليقين .

١ـ يقول : «قم واتبع الخواجة (السيّد) في إسرائه وانظر هناك إلى جميع الآيات الكبرى».

٢ـ الآية ١ ، من السورة ١٧ : الإسراء.

ومن الأبيات السابقة واللاحقة التي ذكرها الشيخ ، يتوضّح بأنّ مراتب ولاية الأنبياء عليهم السلام لا ينالها إلّا الأولياء ، وذلك بحسن متابعة الأولياء للأنبياء .

اعلم ، أنّ للمعراج أسباباً : بعضها من جانب الحقّ تعالى ، وهي عنايته وجذبته ؛ وأُخرى من جانب الخلق ، وهي التوجّه التامّ نحو الحقّ تعالى . وبما أنّ الإنسان مدنيّ الطبع ، ومركّب القوى ، له اختلاط بالبشر نهاراً ، وليس له أن ينقطع الانقطاع الذي يهيّئ له العروج المطلوب ، إلّا أن يعتزل الناس اعتزالاً كلّيّاً .

وفي الحديث الشريف : «**إنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي ؛ وَإنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَهَ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً** ـ وفي روايةٍ أُخرى : **مِائَةَ مَرَّةٍ**»[1] مصداق لقولنا بأنّ

١ـ «منازل السائرين» ص ١٠٥ ، منشورات بيدار : **وَلِهَذَا قَالَ** [**رَسُولُ اللهِ**] **صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: إنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي ؛ وَإنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَهَ فِي اليَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً**. وجاء في التعليق على ذلك ما يلي:

«روى حسين بن سعيد في كتاب «الزهد» باب التوبة، ص ٧٣ عن الإمام أبي عبدالله جعفر الصادق أنّه قال: ...**وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَتُوبُ إلَى اللهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ**. وأخرج الترمذيّ حديثاً عن الرسول الكريم صلّى الله عليه وآله في كتاب «التفسير» ج ٥، ص ٢٨٣ الباب ٤٨، أنّه قال: **إنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ فِي اليَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً**. كما أخرج ابن ماجة في كتاب «الأدب» باب الإستغفار، ج ٢، ص ١٢٥٤ ، أنّه قال: **إنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إلَيْهِ فِي اليَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً**.

وأخرج البخاريّ كذلك في كتاب «الدعوات» ج ٨، ص ٨٣، أنّه قال: **وَإنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ** [**إلَيْهِ** ـ**خ**] **فِي اليَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً**. وروى ذلك أحمد أيضاً في «المسند» ج ٢، ص ٢٨٢ ، وأخرجه مسلم في كتاب «الذِّكر» باب الاستغفار، ج ٤، ص ٢٠٧٥ بلفظ: **إنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي ؛ وَإنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ فِي اليَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ**.

ويقول صاحب «مرصاد العباد» ص ٢٥٧: كما أنّ الخواجة (ويقصد النبيّ عليه ⇦

الخلاص التامّ لابن آدم من الحجب البشريّة متعذّر . ولأنّ هذه الحجب والموانع الصوريّة ، مرفوعة في الليل ، فتظهر هذه الحالات والمشاهدات أكثر ما تظهر للكاملين في الليل ،كما جاء في الآية الكريمة :

سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا . وفي قصّة إبراهيم عليه السلام **فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ** إشارة لهذا المعنى .

شعر :

⇐ الصلاة) كان لا يزال يستغفر ويتوب وهو في مقام الكمال والعزّ **لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ** ، قائلاً: **إنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي ؛ وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَهَ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً** . وذكر ذلك أيضاً في ص ٣٢٦ و ٦٢٤ يقول في تعليق له : هذا الحديث موجود في كتاب «كشف المحجوب» للهجويريّ ، و«صحيح مسلم» و«صحيح البخاريّ».

وذكر السمعانيّ الحديث أعلاه في «روح الأرواح» ص ٤١٢ بلفظ عبارة : **إنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي** ، وقال نجيب مائل الهرويّ ، ص ٦٧٩ ، معلّقاً على ذلك بقوله: «حديث نبويّ. واستشهد ابن الأثير بهذا الحديث في «النهاية» ٤٠٣/٣ ذيل مادّة (غين) ، حيث قال: **الغين: الغيم. أراد ما يَغشاهُ مِن السهو الذى لا يخْلو منه البشر . لأنّ قلبَه أبداً كان مشغولاً بالله تعالى ، فإنْ عَرض له وقتاً ما عارضٌ بشريٌّ يَشغلُه من أُمور الأُمّة والملّة ومَصالِحها ، عَدَّ ذلك ذنباً وتقصيراً فيَفزَع إلى الاستغفار**. وورد ذلك أيضاً في «مختار الصحاح» ذيل مادّة (غين)؛ وفي «الأُصول العشرة» ص ٨٨ ؛ و«اللوائح» المنسوب إلى عين القضاة، ص ١٢٦. ونظّم الشاعر مولانا المولويّ في «أحاديث مثنوي» برقم ٤٢٥ البيت التالي :

همچو پيغمبر ز گفتن وز نثار　　　　توبه آرم روز من هفتاد بار

يقول : «سأتوب وأستغفر (ربّي) سبعين مرّة في اليوم وأسلك مسلك النبيّ صلّى الله عليه وآله قولاً ونثراً».

وقال: يشير هذا البيت إلى الحديث: **وَاللَهِ إنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَهَ وَأَتُوبُ إلَيهِ فِي اليَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً**، وهو مذكور في «البخاريّ» و«مسند أحمد» و«الجامع الصغير» مع اختلاف طفيف».

می‌رهند ارواح هر شب زين قفس
فارغان ، نى حاكم و محكوم كس
رفته در صحراى بى‌چون جانشان
روحشان آسوده و ابدانشان
فارغان از حرص و از آز و هوس
مرغ وار از دام جسته در قفس[١]

إنّ المتعلّقات الجسمانيّة ، والكدورات الطبيعيّة ، تمنع عروج السالك ووصوله . شعر :

برون آى از سراى أُمّ هانى   بگو مطلق حديث مَنْ رَءَانِى[٢]

أُمّ هانئ هي بنت أبي طالب ، وابنة عمّ الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام ، واسمها فاختة وأُمّ هانئ كنيتها ، وهانئ بالهمزة بعد النون ، وقد عُرج به صلوات الله عليه وآله ليلة المعراج من بيتها الملاصق للمسجد الحرام ، والمشهور أنّ المعراج كان من بيت عائشة ، ولكن المفسّرين يروون معراجين لسيّد المرسلين عليه السلام ، الأوّل جسمانيّ ، والآخر روحانيّ ، فلعلّ المعراج الجسمانيّ كان من بيت عائشة ، والروحانيّ ، من فِناء بيت أُمّ هانئ .

١ـ يقول : «تسرح الأرواح حُرّة كلّ ليلة وتنطلق من هذا القفص، فلا حاكِم فيها ولا محكوم.

تذهب الأنفس وتسيح في الصحراء دون اعتراض، فأرواحها هادئة ومرتاحة وكذا أبدانها.

فهي خالية من (غريزة) الجشع والطمع والأهواء، ومثلها في ذلك كمثل الطيور الهاربة من القفص والشرَك».

٢ـ يقول : «تعال اخرجْ من قصر أُمّ هانئ ، واسرد حديث منْ رآني».

إنّ عروج أولياء الله ، مرتبط بالروحانيّة والبدن المثاليّ ، فهو متناسب مع المعراج الروحانيّ من فِناء بيت أُمّ هانئ ، وهذا المسرى بالنسبة للسالكين والأولياء هو بيت الطبيعة . فاخرجْ من مسرى الطبع والهوى ، وتحرّر من قيود الشهوة والميول ، وحلّق فوق المتعلّقات الجسمانيّة والروحانيّة ، وذب في مشاهدة الجمال المطلق ، واستورث الكمال المعنويّ للنبيّ وتحقّق ببقاء الحقّ المطلق ، وأمّا قوله : **مَنْ رَآنِي فَقَدْ رَأَى الحَقَّ** فمعناه أنّ من رآنا فقد رأى الله ، وهذه إشارة إلى معنى «البقاء في الله» والتي كانت قد ذكرت في المقدّمة التي تمّ فيها بيان التجلّيات والسير والتحليق . شعر :

آنان كه گوى عشق ز ميدان ربودهاند
بنگر كه وقت كار چه جولان نمودهاند
هر لحظه ديدهاند عيان حسن روى دوست
آئينهٔ دل از قِبَل آن زدودهاند
آن دم كه گفتهاند أنا الحقّ ز بيخودى
زيشان مدان كه آن نَفَس ايشان نبودهاند[١]

ولأنّ السالك لطريق الحقّ ، لا يمكنه الوصول والعبور إلى عالم الإطلاق ، ولا يتيسّر له ذلك ، مادام مقيّداً بالتعيّن الجسمانيّ والروحانيّ ،

١ـ يقول : «انظرْ إلى أُولئك الذين حازوا على العشق وفازوا به، كيف كان فعلهم وعملهم ساعة الجدّ .

فهم في كلّ لحظة يرون جمال وجه الحبيب عياناً، وسلبوا مرآة القلب والفؤاد منه من قَبْلُ .

إنّ قولهم حينها: أنا الحقّ ، لم يكن عبثاً أو اعتباطاً، فهم في تلك الحالة لم يعوا ما يقولون».

فهو يقول :

گذاری کن ز کـاف کُـنج کـونین   نشین بر قاف قرب قابَ قَوسَین [١]

أي اجتز عالم الصورة والمعنى ، والغيب والشـهادة ، والمـراد بـهما الكونين ، طبقاً لـ **فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ** ، [٢] ولا تتوقّف عند أيّة مرتبة مـن مـراتب العالمين ، واستقرّ في مقام قاب قوسين ، وهو مقام الوحدانـيّة والاُلوهـيّة ، ومحيط قاب قوسين ، هو محيط الوجوب والإمكان ، وهو المقام المحمّديّ ، وانظر إلى الموجودات في العالَمينِ مظهرَي الذات والصفات الإلهيّة ، كأ نّها محكومة بحكمك وتحت أمرك ، وارقب توجّه الجميع نحوك . شعر :

آدمـــی چـــون نـــور گـــیرد از خـدا
هست مســـــجود مـلایک زاجـتبا
نیست مسجود کسی کو چون مَـلَک
رسته باشد جانش از طغیان و شکّ [٣]

فإذا تحقّق للسـالك الحـصول عـلى مـقام الوحـدانـيّة ، صـارت ذاتـه وصفاته الجـزئيّة ضـمن الذات والصـفات الكـلّيّة للـحقّ ، وأضـحت إرادة

١ـ يقول : «فارق العالَمَينِ (عالمي الصورة والمعنى) ، واستوِ فـوق الاُفـق أو قـاب قوسينِ».

٢ـ الآيتان ١١ و١٢ ، من السورة ٢٠ : طه : **فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَـٰمُوسَىٰٓ * إِنِّىٓ أَنَا رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى**.

٣ـ يقول :

«إن تكـن تـقتبس النـور مـن ربّ العُـلى
فأنت مسـجود المـلائك وأنت المـجتبى
لا مَـلِكَ ولا سـلطانَ يُـناظره أو يُـدانيه
تعالَتْ ذاته وتنزّهت عن الشكّ وما طـغى»

السالك وعلمه هي عينها علم الحقّ تعالى وإرادته ، ولهذا ، فقد قال :

دهد حقّ مر ترا هر چه كه خـواهـی

نـمايندت هــمه اشــيا كَــما هــی [١]

أي أنّه إذا تـوصّل السـالك إلى مـقام التـحقّق والاتّـصاف بـالصفات الإلهيّة ، فسيحصل على مطلوبه ومقصوده مهماكان ، وسيشاهد آثار جميع الأسماء والصفات الإلهيّة في نفسه ، وسيكون بالإمكان والوجوب تـحقّق مجلى الكلّ ، ومجمع البحرين ، وسـيطّلع عـليه الجـميع ، وسـيكون وارثاً للـقائل **اللَهُمَّ أَرِنَا الأَشْيَاءَ كَمَا هِيَ** ، [٢] وسـيراهـا عـلى حـقيقتهاكـما هـي ،

١ـ يقول : «سيُعطك الحقّ سؤالك ومهما شئت ، وترى الأشياء في الدنيا كما هي».

٢ـ من جملة الأدعية التي تذكر في القنوت في الصلوات الواجبة والنوافل، وأوّلها: **اللَهُمَّ ارْزُقْنِي حُبَّكَ وَحُبَّ مَا تُحِبُّهُ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ وَالعَمَلَ الَّذي يُبَلِّغُنِي إلَى حُبِّكَ وَاجْعَلْ حُبَّكَ أَحَبَّ الأَشْيَاءِ إلَيَّ** . جاء كامل هذا الدعاء في «بحر المعارف» ص ٣٠٩، حيث نُسِبَ جزء منه إلى الرسول ونُسِبَ الجزء الآخر إلى أمير المؤمنين عليهما السلام. وورد قسم من الدعاء كذلك في المجموعة المطبوعة الصغيرة للحاجّ ملّا محمّد جعفر كبودرآهنكي . وكان آية عظماء الحقّ المرحوم الحاجّ ميرزا السيّد علي آقا القاضي تغمّده الله برضوانه يـوصي تلاميذه بقراءة هذا الدعاء في قنوت صلواتهم.

وحكى الشيخ نجم الدين الرازيّ في «مرصاد العباد» عين هذه الفقرة عن رسول الله، في ص ٣٠٩. وجاء في تعليقاته في ص ٦٣١ قوله : «إنّه حديث ورد ذكره في تعليقات «فيه ما فيه» ص ٢١٤».

واستند كذلك الرازيّ في رسالة «العشق والعقل» ص ٧٤ على هـذا الحـديث، وقـال المعلّق على ذلك في ص ١٠٣ و١٠٤ : «مأخوذ عن حديث: **اللَهُمَّ أَرِنَـا الأَشْـيَاءَ كَـمَا هِـيَ** المنسوب إلى الرسول الكريم. لم نعثر عليه في كتب الحديث و«المعجم المُفَهْرَس». وقد نَظَمَ مولانا جلال‌الدين في «المثنوي» شعراً بهذا المعنى.

اى مــيسّر كــرده بــر مـا در جـهان — ســــخره و بــيكار مــا را وارهــان ⇦

وسيصبح عارفاً حقيقيّاً حاصلاً على علّة الخلق . شعر :

⇦ طعمه بنموده به ما و آن بوده شست — آن چنان بنما بـه مـا آنـرا کـه هست

يقول : «يا مَن سَهّلَ لنا (كلّ شيء) في هذا العالَم، شاغلنا وعاطلنا.

يا مَن وهبَ لنا الطعام والمأكل من باطن مواجدهما ومواطنهما، أظهِرْ لنا الأشياء كما هي».

* * *

ای خدای راز دان خوش سـخن — عیب کار بد ز مـا پـنهان مکـن

يقول : «يا عالِمَ الأسرار ويا جميل الحديث ! لا تُخفِ عنّا عيوب الأعمال السيّئة أبداً».

* * *

راست بینی گر بُدی آسـان و زبّ — مصطفی کی خواستی آنـرا ز ربّ

يقول : «إنْ كنتَ مِطواعاً وسهل الانقياد فإنّك سترى (الأشياء) بصورة صحيحة (وعلى حقيقتها)، فقد كان هذا طلب المصطفى من ربّه».

* * *

گفت بنما جزو جزو از فوق و پست — آنـچنانکه پـیش تـو آن چـیز هست

يقول : «قال : أظهِر (لنا الأشياء) واحدة واحدة (وبـالترتيب) مـن مـا مـوجود فـوق وتحت، أظهرها (لنا) كما تبدو لك أنت».

* * *

وأشار الشيخ العطّار إلى هذا الحديث أيضاً.

اگر اشيا همين بودی که پيداست — کلام مصطفی کـی آمـدی راست

که با حقّ سرور دين گفت : الهی — به مـن بـنمای اشـيا را کَـما هِـی

يقول : «ولو أنّ الأشياء كانت كما تبدو لنا، ما كان لكلام المصطفى صحّة أو حقيقة.

حيث قال (مخاطباً) الحقّ وسيّد الدِّين: إلهي ! أرني الأشياء كما هي».

(نقلاً عن كتاب «فيه مافيه»).

وصرّح الشيخ عزيز الدين النسفيّ في كتاب «الإنسـان الكـامل» فـي ثـلاثة مـواضـع (ص ١٦١ و ٣٥٥ و ٤٤٧) أنّ هذه العبارة هي للنبيّ .

يار چـون بـا يـار خـوش بـنشسته شـد

صــد هــزاران لوح ســرّ دانســته شـد

لوح مـــحفوظ است پـــيشانىّ يـــار

راز كــــــونينش نــــمايد آشكـــار

گـر بـه عـقل ادراک ايـن مـمكن بُـدى

قهر نـفس از بـهر چـه واجب شـدى ؟

بـا چـنان رحـمى كـه دارد شـاه ، هش

بى‌ضرورت چون بگويد نفس كُش ؟»[١]

* * *

وأمّا محصّل كلام هذا العارف الربّانيّ ونتيجته فهو : يمكن معرفة الله بصفاته ، إلّا أنّه لا يمكن معرفة ذاته . وهنا يتبادر لنا سؤال ، وهو : لِمَ لا يمكن التعرّف على ذات الله ؟ لابدّ أنّ جواب هذا السؤال هو : لمّا كان الله تعالى لا متناهٍ ، لذا ، فقد كانت الإحاطة اللازمة للمعرفة والتعرّف من

١ـ يقول : «لمّا أنِسَ الحبيب إلى حبيبه ، صار عالِماً وواعياً لمئات الآلاف من ألواح الأسرار.

إنّ جبين الحبيب هو اللوح المحفوظ، وعليه بدا سرّ الكونينِ واضحاً.

ولو كان بإمكانك إدراك هذا الممكن بالعقل، فلماذا إذن أصبح من الواجب قهر النفس وكَبح جموحها؟

وهل يأمر السلطان بقتل النفس دون ضرورة أو داعٍ مع كلّ ما يملك من الرأفة والرحمة؟».

«مفاتيح الإعجاز في شرح گلشن راز» طبعة باسمه‌اى الحجريّة ، سنة ١٣٠١): ص ٩٢ إلى ص ١١٤؛ والطبعة الحروفيّة مع مقدّمة كيوان السميعيّ ، منشورات المحموديّ: ص ١٢٧ إلى ١٦١.

المقيّد المحدود المتناهي إلى الذات اللامتناهية محالة . ثمّة سؤال آخر : لمّا كانت الإحاطة بالذات اللامتناهية محالة ، والإحاطة بالصفات غير المتناهية محالة كذلك ، وجب أن تكون معرفة الله بالصفات محالة أيضاً .

فإذا كانت الإجابة على السؤال كما يلي : أنّ معرفة الله تحصل بالصفات والآثار المتناهية التي له ، لا الصفات الكلّيّة العامّة اللازمة للذات غير المتناهية ، فسوف يكون هناك سؤال آخر هو : أنّ الأمر سيّان من جهة الذات كذلك ، فهم يسيرون وراء الوجود الجزئيّ والذات الجزئيّة المترشّحة عن ذاته هو ، لا وراء الذات الكلّيّة والوجود المجرّد البسيط اللامتناهي له . إذن فما وجه الاستحالة في ذلك ؟

فإذا كان الجواب : نعم ، فمحال كذلك معرفة الله بصفاته غير المتناهية ، كما هي الحال في استحالة معرفة ذاته ، إلّا أنّه يمكن معرفة الله بالصفات ، وذلك بواسطة الفَناء في الصفات ، ولا معنى للحدّ والقيود والتناهي في حالة الفَناء . إنّ السالك والسائر في طريق الله لا أثر ولا وجود له في صفاته غير المتناهية ، فهو يفنى فيها . يكون الجواب إذن : أنّ الأمر هو كذلك في الذات ، فإنّ معرفة ذات الله تتحقّق بالفَناء في تلك الذات . لذا فليس هناك خيار غير السلوك في الذات ، حتّى تتمّ له معرفة الله ، فذلكم هو الله الذي يعرف الله . كذلك الحال في الصفات ، ذلك أنّه لن يبقى للسالك عنوان ولا اسم في مقام الفَناء المحض في الصفات الكلّيّة للحقّ تعالى ، حتّى يتمّ له التعرّف الكامل على صفاته ، وهنا لا أحد يمكنه معرفة صفات الله إلّا الله وحده . ولكن لا إشكال في العلم والمعرفة في ما يتعلّق بالصفات الجزئيّة والذات الجزئيّة أيضاً . فإذا قيل : إنّ الله لا يمتلك ذاتاً جزئيّة ، وإنّ الموجودات تعبّر عن طلوع وظهور وجوده . قلنا : إنّ الله لا يملك صفات جزئيّة ، بل إنّ صفات الموجودات تعبّر عن طلوع صفاته وظهورها .

وعموماً فإن كان المقصود بقولنا بإمكان معرفة الله تعالى بواسطة الصفات وليس الذات الصفات الكلّيّة ، فهو أيضاً غير ممكن ، وأمّا إذا كان المراد هو الصفات الجزئيّة ، فلا فرق بين الذات والصفات ، فكما أنّ الفَناء والاستحالة في صفاته جلّ وعلا ممكنان ، فإنّهما في ذاته ممكنان أيضاً .

يقول الشيخ بهاء الدين العامليّ قدّس سرّه : «**وَقالَ لِلْمَلِكِ لَمَّا أَرَادَ قَتْلَهُ : إنَّ سُقْرَاطَ فِي حُبٍّ ، وَالمَلِكُ لَا يَقْدِرُ إلَّا عَلَى كَسْرِ الحُبِّ . فَالحُبُّ يُكْسَرُ وَيَرْجِعُ المَاءُ إلَى البَحْرِ !**»[1]

وروى أيضاً عن كتاب «التلويحات» ، أنّ أفلاطون الربّانيّ قال :

«في أحيان كثيرة ، وحين التريّض كنت أختلي بنفسي ، وأتأمّل في أحوال الموجودات المجرّدة المادّيّة ، وكنت أستلقي وكأنّي قد تعرّيت من لباس الطبيعة ، أتفكّر في كلّ ذرّة من ذرّاتي ، وقد خرجت من كلّ شيء ، ولا أرى غير ذاتي .

وكان يغمرني في تلك الحال إحساس نورانيّ عجيب وأخّاذ ، وأُحلّق في عالم من المحاسن الغريبة التي تأسر القلب ، وأُمسي مبهوتاً وحائراً ، وأُوقن بأنّي جزء عظيم وشريف في العالم العلويّ الروحانيّ ، وأتمتّع بحياة نشطة وفعّالة ، وأشرع بعد ذلك بالسموّ الفكريّ ، وأُحلّق نحو العوالم الإلهيّة سابحاً في الجلال الربّانيّ ، وبهذه الطريقة ، كنت أرتقي ، وأستقرّ في ذلك العالم النورانيّ وأتعلّق به وأرتبط . وأجد نفسي شاهداً هذا الموقف الشريف ، وهذا الموقف من الجلال والبهاء والنورانيّة ، بحيث يعجز أيّ لسان عن وصفه ، وأيّ ذهن عن تصوّر رسمه .

١ـ «كشكول البهائيّ» الطبعة الحجريّة : ص ٣٦١؛ وطبعة مصر ، دار إحياء الكتب العربيّة: ج ٢ ، ص ٢٦٥.

ولأنّ هذا العالم يسحرني ببهائه ونوره ، وأغرق في بحر روحانيّته ، ولا أقوى على الصبر والمقاومة ، فعندها أفتح باب الفكر والتأمّل ، وأغوص في أعماقه ، فيحجب هذا الفكر ذلك النور عنّي وهو ما يدخل الحيرة في نفسي ، فكيف خرجت من ذلك العالم ، مفعماً بالنور الذي رأيت ، وكلّ هذا يحصل وبدني ونفسي على هيئتهما لم يتغيّرا .

في تلك اللحظات النورانيّة ،كنت أستذكر قول **مطريوس** الذي كان يحثّني على الطلب والبحث عن جوهر النفس الشريفة ، والارتقاء والسمو إلى ذلك العالم العقليّ» .[١] وقد شرح الشيخ مصلح الدين سعدي أيضاً كلّ هذه الحالات والمقامات في باب التوحيد ، وأشار إلى أنّ في الفَناء والعدم في الذات الأحديّة ، تتيسّر معرفة الله سبحانه وتعالى ، ولا طريق غير ذلك ،[٢] حيث يقول :

١ـ «الكشكول» للشيخ البهائيّ ، ص ٢٧١ ، الطبعة الحجريّة : وطبعة مصر: ج ٢ ، ص ٥٥ و٥٦ ؛ ونقل أفلوطين ما يشبه هذه الحادثة في كتاب «أثولوجيا» ص ٣٢ منسوباً إليه.

وقال جورج جرداق في مقدّمة كتابه «عليّ وحقوق البشر» وهو الجزء الأوّل من كتاب «صوت العدالة الإنسانيّة» في ص ١٨ و١٩ ما مفهومه: «إنّ تأريخنا من وجهة النظر تلك والتي تُشكّل فصلاً من التأريخ بأكمله يُدرك إلى حدّ ما مثل هذه المَظالِم. فعلى سبيل المثال، كان ديونوس [ديونيسوس] حاكم سيراكوس والدكتاتور الخسيس والدنيء قد أمر ببيع أفلاطون في سوق النخاسة كأيّ عبد آخر. حتّى أتاح له القدَر أحد أصدقائه فاشتراه وحرّره ثانية. فلمّا تسلّم ديونوس الصغير الحكم بعد أبيه عمد هو الآخر إلى إيذاء أفلاطون والإساءة إليه، لكن في كلّ مرّة كان الحكيم يتخلّص من مكائده وينجو منها. ففكّر أخيراً في قتله، وعاد القَدَر لينقذه من هذه التهلكة أيضاً وذلك بمساعدة أحد تلاميذه».

٢ـ «كلّيّات سعدي» الطبعة الحجريّة، بقلم علي أكبر التفرشيّ ، شعبان المعظّم سنة ١٢٦٠ هـ، صفحاته غير مرقّمة، مقتطفات من أوّل قصيدة للشيخ في كتاب «بوستان» (=البستان)؛ وفي طبعة فروغي: ص ٣ و٤ من «بوستان».

جـــهان مـــتّفق بـــر الهـيّتش فـــرو مـــانده از کُـنه مـاهيّتش
بشـر مـاورای جـلالش نـيافت بَـصَر مـنتهای جـمالش نـيافت
نه بـر اوج ذاتش پَـرد مـرغ وهـم نه در ذيل وصفش رسد دست فهم
در اين ورطه کشتی فرو شد هزار کـه پـيدا نشـد تـختهای بـر کـنار
چه شبها نشستم در اين سيرِ گُـم که دهشت گرفت آستينم کـه قُـم
محيط است علم مَـلِک بـر بسـيط قـياس تـو بـر وی نگـردد مـحيط
نـه ادراک در کـنه ذاتش رسـيد نه فکرت به غور صـفاتش رسـيد
که خاصان درين ره فرس راندهاند بلا اُحصِی[1] از تک فرو مـاندهانـد[2]

١ـ إشارة إلى الحديث الشريف : **لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ ؛ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ .** وقد أسهبنا في البحث حول هذا الحديث في هذه السلسلة «معرفة الله» ج ٢ ، بداية البحث ١٦ و١٨ ، بسند عن «مرصاد العباد» لنجم الدين الرازيّ ، و«رَوح الأرواح في شرح أسماء الملك الفتّاح» للسمعانيّ ، وقد أوردنا في التعليقة مصادر كثيرة لهذه الرواية.

٢ـ يقول : «لقد اتّفق العالم كلّه على أُلوهيّته، لكنّه عجز عن فهم كنهه.

لم يتمكّن للبشر سبر أغوار ما وراء جلاله، ولم تستطع الأبصار الإحاطة بمنتهى جماله.

فلا طائر الوهم قادر على التحليق في فضاء أوج ذاته، ولا بإمكان الفهم الوصول (حتّى) إلى هامش وصفه.

لقد رست السُّفُن في خضمّ هذه المسألة وغرقت ألف مرّة، ولم تَظهر من حطامها حتّى خشبة واحدة.

وما أطول الليالي التي جلستُ فيها أُحاور نفسي في هذا الأمر، فدُهشتُ لما علمتُ وكانت نفسي تأمرني بالكفّ والقيام.

إنّ عِلم المَلِك مُحيط بكلّ بسيط، ولا يمكن لقياسك أنت الإحاطة به.

فلم يصل الإدراك إلى كنه ذاته، ولا الفكرة توصّلت إلى الخوض في صفاته.

وكم من فارسٍ ركب جواده وخاض غمار ذلك، لكنّ جيادهم جميعاً كَبَت وعجزت».

نه هر جای مرکب توان تاختن　　که جاها سپر باید انداختن
و گر سالکی محرم راز گشت　　ببندند بر وی درِ بازگشت
کسی را درین بزم ساغر دهند　　که داروی بیهوشیش در دهند
کسی ره سوی گنج قارون نبرد　　وگر برد ، ره باز بیرون نبرد
بمردم در این موج دریای خون　　کزو کس نبردست کشتی برون
اگر طالبی کاین زمین طیّ کنی　　نخست اسب باز آمدن پی کنی[١]

ويسرد الشيخ بهاء الدين العامليّ قدّس سرّه في قصائده الجميلة ، حالاته ومكاشفاته الخاصّة به ، ومن جملتها قصيدة يشرح فيها تشرّفه بزيارة الحقّ سبحانه وتعالى ، حيث بدأها بالأبيات التالية :

أَيُّهَا اللَّاهِي عَنِ العَهْدِ القَدِيمْ　　أَيُّهَا السَّاهِي عَنِ النَّهْجِ القَوِيمْ

١ـ يقول : «فليس كلّ أحد بإمكانه الخوض في ذلك الميدان، إذ إنّ هناك ميادين تقهر الفارس وتُرغمه على رمي جوشنه قبل الدخول إليها.

فإذا أضحى سالكٌ ما عيبة الأسرار، أُغلق عليه باب العودة والرجوع (إلى ما كان عليه في السابق).

أليس في هذا المحفل من أحد يسقي هذا العطشان كأساً، فيُزيل عنه العِقار الذي تسبّب في إغمائه؟

إنّ أحداً لم يهتدِ إلى كنوز قارون، ولو أنّ أحداً ما فعل ذلك إذن ما اهتدى طريق العودة والرجوع.

لقد مِتُّ في عُباب أمواج بحر الدم هذا، وما استطاع أحد إخراج سفينته من ذلك اليَمّ (سالمة).

إذا كنتَ تروم أن تطوي هذه الأرض، فهيّئ قبل ذلك، جواداً للعودة».

ديوان «كلّيّات سعدي» الطبعة الحجريّة، بخطّ علي أكبر التفرشيّ ، شعبان المعظّم سنة ١٢٦٠ هـ، ولا توجد أرقام صفحات في هذه الطبعة، منتخبات من القصيدة الأُولى للشيخ من كتاب «بوستان»؛ وطبعة فروغي : ص ٣ و ٤ ، من «بوستان» كذلك.

اسْــتَمِعْ مَـاذَا يَـقُولُ العَـنْدَلِيبْ   حَيْثُ يَرْوِي مِنْ أَحَادِيثِ الحَبِيبْ

مــرحــبا ای بــلبل دستان حـیّ   کآمــده از جـانب بسـتان حـیّ[1]

مَــا يُـرِيدُ الحَـيُّ أَخْـبِرْنِي بِـمَا   قَــالَهُ فِــي حَـقِّنَا أَهْـلُ الحِـمَى

هَــلْ رَضُـوا عَـنَّا وَقَـالُوا لِـلْوَفَا   أَمْ عَلَى الهِجْرِ اسْـتَمَرُّوا وَالجَـفَا

مــرحــبا ای پـیک فـرّخ فـال مـا   مـــرحــبا ای مــایهٔ اقــبال مــا[2]

١ـ يقول : «مرحباً أيّها البلبل المغرِّد بقصّة الحيّ ، الذي جاءنا من بستان الحيّ».

٢ـ يقول : «مرحباً ياطائر سَعْدنا، مرحباً يا سَبَب بهجتنا وسعادتنا».

وأمّا بقيّة الأبيات فهي :

مـرحـبا ای طـوطی شکّـر شکـن   قُل فقَدْ أذهَبتَ عن قـلبی الحَـزَن

مـرحـبا ای عـندلیب خـوش نـوا   فـــارقم کــردی ز قــید مــاسوا

ای نــواهــای تــو نــارٌ مؤصده   زد بــه هــر بـندم هـزار آتشکـده

مــرحــبا ای هــدهد شــهر سبا   مـرحـبا ای پـیک جـانان مـرحـبا

بــازگو از نــجد و از یـاران نـجد   تـا در و دیـوار را آری بـه وجـد

بــازگو از زمـزم و خَـیف و مـنی   وارهان دل از غـم و جـان از عـنا

بـــازگو از مسکــن و مأوای مــا   بــازگو از یــار بــی پــروای مـا

آنکه از ما بی سبب افشاند دست   عهد را ببرید و پیمان را شکست

از زبـــانِ آن نگـــار تــند خــو   از پــی تسکـین دل حـرفی بگـو

يقول : «مرحباً أيّها الببغاء المعسول الكلام، قُل فقد أذهَبتَ عن قلبي الحَزَن.

مرحباً أيّها العندليب العَذب الغناء، لقد حرّرتني من القيود جميعاً.

يا مَن صوته وغناؤه نارٌ مُؤصَدة، يا مَن أشعلَ في كلّ قيد من قيودي ناراً حاميّة.

مرحباً يا هُدهُدَ مدينة سَبَأ، مرحباً يا سفير النفوس، مرحباً.

حدّثني عن نَجْد وأصحابي في نجد، حتّى يَهيمَ الباب والجدران من حديثك.

حدّثني عن زَمزَمَ والخَيفَ ومِنى، حتّى تُزيل الغمّ عن القلوب والعناء عن الأنفس.

حدّثنا عن مساكننا ومُقامنا، وحدّثنا عن حبيبنا الذي لم يُبالِ بنا.

ذلك الحبيب الذي هجرنا وابتعدَ عنّا دونما سبب أو عِلّة، ذلك الذي نَقَضَ العهد ⇦

ويستمرّ على هذا المنوال حتّى يصل إلى قوله :

يـــاد ايّـــامى كــه بــا مــا داشــتى
گــاه خشــم از نــاز و گــاهى آشـتى
اى خوش آن دوران كه گاهى از كـرم
در ره مـــهر و وفـــا مـــيزد قــدم
شب كــه بـودم بـا هـزاران گـونه درد
ســر بــه زانـوى غـمش بـنهاده فـرد
جــان بــه لب از حســرت گـفتار او
دل پـــــر از نـــوميدى ديـــدار او
فـــتنهٔ ايّـــام و آشـــوب زمـــان
خانه سوز صد چـو مـن بـى خـانمان
از درم نـــاگــه درآمــد بــى‌حجاب
لب گــزان از رخ بــرافكــنده نـقاب[1]

⇦ والميثاق.

تكلَّم، قُلْ شيئاً عن لسان ذلك المحبوب الغضوب، حتّى تُسكن هذا الفُؤاد».

١ـ يقول : «اذكُرْ الأيّام التي كنّا فيها معاً، فتارةً كنتَ تضغب بدلال وأُخرى تُصالحنا.

ما أحلى ذلك العهد الذي كان الحبيب يفيض فيه علينا ويُغرقنا من كَرَمه وحبّه ووفائه.

وكم سَهَرتُ الليالي مع آلامي وأوجاعي، واضعاً رأسي على ركبتي حزيناً كئيباً.

وكانت روحي تروم الخروج من جسدي مُتمنّيةً سماع حديثه وكلامه، وتملأ القلب حسرات ويأس لرؤيته وملاقاته.

لقد أشعلت فتنة ذلك الزمان النار في مئات المنازل وأحرقتها ومنها منزلي فظللتُ مُشرّداً دون دار للسكنى.

وطلعَ عَلَيَّ يوماً من وراء الباب دون حجاب، عاضّاً شفته لعدم وضع النقاب».

کــاکُــل مُشکـین بـه دوش انـداخـته
وز نگـــاهی کـــار عـــالم ســاخته
گــفت : ای شــیدا دل مــحزون مـن
وی بــلاکش ، عــاشق مــفتون مــن
کَیْفَ حـالُ الْـقَلْبِ فـی نَـارِ الْـفِراقْ ؟
کـــفتمش : وَاللـهِ حــالی لا یُـطاقْ
یک زمــان بــنشست بــر بـالین مـن
رفت و با خود برد عـقل و دیـن مـن
گفتمش : کی بینمت ای خوش خرام؟
گفت : نِصْفَ اللَيْلِ لَکِنْ فـی الْـمَنامْ[١]

في الأبيات السابقة ، يشرح الشيخ أعـلى اللـه مـقامه ، لقـاءه بـالحقّ تعالى في اليقظة ، وحالة المكاشفة الروحانيّة التي تنتابه ، وعن هـذا اللـقاء

١ـ يقول : «وقد أرسل ضفائره السوداء على منكبيه، وقد أبلتْ نظراته العالَمَ بـالبلاء الحَسن.

فقال : يا عاشقي ! أيّها المحزون الفؤاد ! ويا مَن تجرع البلاء (لأجلي)، أيّها العـاشق المفتون!

كيف حالُ القلب في نار الفراق ؟ قلتُ : والله حالي لا يطاقْ !

فجلسَ معي هُنيهة ثمّ رحل ، وأخذ معه عقلي وديني !

فقلتُ (له) : متى أراك يا مغناج ؟ قال : نِصفَ الليل لكن في المنام!».

كتاب «نان وحلوا» (= الخبز والحلوى) ، ص ٢ و٣ ، والذي طُبع مع كتاب «نان وخرما» (=الخبز والتمر) و«نان و پنیر» (= الخبز والجبن) و«شیر و شکر» (=اللبن والسكّر) للشيخ البهائيّ في مجموعة واحدة من قبل بنگاه کتابفروشي نوبهار (وكالة نوبهار لبيع الكـتب)، إصفهان.

يقول : ودخل عَلَيّ بمحيّاه بلا حجاب أو غطاء ، مُسدلاً شعره على كتفيه ، وحيث إنّ ذكر اصطلاح كلمة المحيّا عند أهل اللاهوت ، هو تعبير عن تجلّي نور الوحدة وجمال الحقّ ، واصطلاح إسدال الشعر ،كناية عن تجلّي الكثرات والمخلوقات ذات الهويّة . فإنّ ظهور الحقّ تعالى بمحيّاه المجرّد عن الحجاب ، وشعره المسدل ، هو تشبيه عن حالة الوحدة في الكثرة . وهذا هو الحقّ تعالى بوحدانيّته حين يُشاهد بالكثرة الناشئة عن وجوده معاً وسوية .

وبتعبير آخر ، فإنّ رؤية وحدة الحقّ ، بكلّ ما في الكلمة من معنى ، ممكنة ، في تجلّي الحقّ تعالى في اسم وحدانيّته ، وتعبير وحدة الوجود على ألسنة أهل العرفان ، هو مشتقّ من هذا المعنى .

تشرّف العبد الحقير يوماً بزيارة أُستاذنا الأكرم الحاجّ السيّد هاشم الحدّاد روحي فداه ، وقلت له : هؤلاء الذين يرون الله عزّ وجلّ متلبّساً لباس الأسماء والصفات ، أنّى لهم التكلّم معه أو طلب الحاجات منه ، في حين أنّ الذي يرون ، بالحقيقة ، ليس ذاته أو وجوده ؟ وكذلك الذين يذوبون ويفنون في ذاته المقدّسة ، حيث لا يبقى لهم أيّ وجود ، حتّى يكون هناك سائل أو مسؤول أو سؤال .

فأجاب : «نعم ، هو كذلك ، ولكن يروى : أنّه كان هناك غلام يعشق ملكه ، وسلبت عقله حركات وسكنات هذا الملك ، فبلغ عشقه الحدّ الذي كان بمجرّد أن يقع بصره على الملك ، يسقط على الأرض ويغمى عليه ، حتّى ينصرف الملك ، ويبتعد عنه .

وكان الناس على علم بحظوته لدى الملك ، فكان كلٌّ يكتب حوائجه في رسالة ، ويضعها في ظرف خاصّ ، ويسلّمها إلى العبد ، ليعرضها على الملك ، فيأخذ العبد الرسائل ، ويضعها في إناء خاصّ ، لكي يسلّمها إلى

الملك متى حان موعد اللقاء .

وعندما يأخذ الإناء الحاوي على الرسائل ، وفي لحظة مشاهدة الملك ، يُغشى عليه ، فكان الملك يجلس بقربه ، ويأمر الغلمان بفتح الرسائل التي في الإناء وقراءتها ، وبعدها يأمر بقضائها ويختم عليها بختمه .

ومن ثمّ توضع الرسائل في الظروف ، وتُرجع إلى الإناء ، ويوضع الغطاء كما كان .

وعندها يغادر الملك ، ثمّ يستعيد الغلام وعيه ، فيرى الإناء كما هو ، فيعتقد بأنّه لم يمسّ من قبل الملك ، وأنّ حوائج الناس لم يبتّ فيها ، فيحمل الإناء راجعاً إلى أصحاب الحوائج قائلاً لهم : أعتذر إليكم من عدم تمكّني من إيصال حوائجكم إلى الملك . فيستعيد الناس ، بخيبة أمل ، رسائلهم ، ثمّ فجأة ، يدبّ فيهم الفرح والسرور ، عندما يرون رسائلهم مختومة بختم الملك ، وأنّ حوائجهم قد قُضِيَتْ» .

نعم ، وفي هذا المعنى ، يقول العالم العارف الجليل ابن الفارض المصريّ :

وَفِي سَكْرَةٍ مِنْهَا وَلَوْ عُمْرَ سَاعَةٍ
تَرَى الدَّهْرَ عَبْداً طَائِعاً وَلَكَ الحُكْمُ[١]

١ـ مرَّ ذكره.

البحثان التاسع والعاشر

إمكانية رؤية الله تعالى ولقائه من قبل المؤمنين الصالحين

وتفسير الآية المباركة

﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا
وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا﴾

أَعُوذُ بِاللَهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمَ

بِسْمِ اللَهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم

وَصَلَّى اللَهُ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ

وَلَعْنَةُ اللَهِ عَلَى أعْدَائِهِمْ أجْمَعِينَ مِنَ الآنَ إلَى قِيامِ يَوْمِ الدِّينِ

وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إلَّا بِاللَهِ العَلِيِّ العَظِيمِ

قَالَ اللَهُ الحَكِيمُ فِي كِتَابِهِ الكَرِيم :

قُلْ إِنَّمَآ أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا.

(الآية ١١٠ ، من السورة ١٨: الكهف) .

قال حضرة أُستاذنا الأكرم آية الحقّ والعرفان وسند العلم والإيقان : آية الله العلّامة الطباطبائيّ تغمده الله بأعلى رضوانه ، ورفع درجته بما لا يدرك به عقل بشر ولا مَلَك ولا جنّ ولا أحد سوى ذاته الأقدس ، في تفسيره لهذه الآية الكريمة :

«الآية خاتمة السورة وتلخّص غرض البيان فيها وقد جمعت أُصول الدين الثلاثة وهي **التوحيد والنبوّة والمعاد** فالتوحيد ما في قوله : **أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ** . والنبوّة ما في قوله : **إِنَّمَآ أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٓ إِلَيَّ** ، وقوله : **فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا** ـ إلى آخره . والمعاد ما في قوله : **فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ رَبِّهِ**.

قوله تعالى : **قُلْ إِنَّمَآ أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ**

وَٰحِدٌ . القصر الأوّل قصره صلّى الله عليه وآله في البشريّة المماثلة لبشريّة الناس لا يزيد عليهم بشيء ولا يدّعيه لنفسه قبال ماكانوا يزعمون أنّه إذا ادّعى النبوّة فقد ادّعى كينونة إلهيّة وقدرة غيبيّة ، ولذاكانوا يقترحون عليه بما لا يعلمه إلّا الله ولا يقدر عليه إلّا الله ، لكنّه صلّى الله عليه وآله نفى ذلك كلّه بأمر الله عن نفسه ولم يثبت لنفسه إلّا أنّه يوحى إليه .

والقصر الثاني قصر الإله الذي هو إلههم في إله واحد وهو التوحيد الناطق بأنّ إله الكلّ إله واحد .

وقوله : **فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ** ـ إلى آخره ، مشتمل على إجمال الدعوة الدينيّة وهو العمل الصالح لوجه الله وحده لا شريك له وقد فرّعه على رجاء لقاء الربّ تعالى وهو الرجوع إليه إذ لولا الحساب والجزاء لم يكن للأخذ بالدين والتلبّس بالاعتقاد والعمل موجب يدعو إليه ، كما قال تعالى : **إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ ٱلْحِسَابِ**.[١]

وقد رتّب على الاعتقاد بالمعاد العمل الصالح وعدم الإشراك بعبادة الربّ ، لأنّ الاعتقاد بالوحدانيّة مع الاشتراك في العمل متناقضان لا يجتمعان فالإله تعالى لو كان واحداً فهو واحد في جميع صفاته ومنها المعبوديّة لا شريك له فيها .

وقد رتّب الأخذ بالدين على رجاء المعاد دون القطع به، لأنّ احتماله كاف في وجوب التحذّر منه لوجوب دفع الضرر المحتمل ، وربّما قيل : إنّ المراد باللقاء لقاء الكرامة وهو مرجو لا مقطوع به .

وقد فرّع رجاء لقاء الله على قوله : **أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ** ، لأنّ

١ـ ذيل الآية ٢٦ ، من السورة ٣٨ : ص.

رجوع العباد إلى الله سبحانه من تمام معنى الأُلوهيّة ، فله تعالى كلّ كمال مطلوب وكلّ وصف جميل ومنها فعل الحقّ والحكم بالعدل وهما يقتضيان رجوع عباده إليه والقضاء بينهم ، قال تعالى :

وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَـٰطِلًا ذَ ٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ ٱلنَّارِ * أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ. [١]

في «الدرّ المنثور» أخرج ابن مندة وأبو نعيم في الصحابة وابن عساكر من طريق السديّ الصغير عن الكلبيّ ، عن أبي صالح ، عن ابن عبّاس قال : كان جندب بن زهير إذا صلّى أو صام أو تصدّق فذكر بخير ارتاح له فزاد في ذلك لمقالة الناس فلامه الله فنزل في ذلك : **فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**»

وورد نحو منه في عدّة روايات أُخر من غير ذكر الاسم وينبغي أن يحمل على انطباق الآية على المورد ، فمن المستبعد أن يُنزل خاتمة سورة من السور لسبب خاصّ بنفسها .

وفيه عن أبي حاتم ، عن سعيد بن جبير في الآية قال النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم : **إنَّ رَبَّكُمْ يَقُولُ : أَنَا خَيْرُ شَرِيكٍ ؛ فَمَنْ أَشْرَكَ مَعِي فِي عَمَلِهِ أَحَداً مِنْ خَلْقِي تَرَكْتُ العَمَلَ كُلَّهُ لَهُ ، وَلَمْ أَقْبَلْ إلَّا مَا كَانَ لِي خَالِصاً . ثُمَّ قَرَأَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ : «فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا»** .

وفي «تفسير العيّاشيّ» عن عليّ بن سالم ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال الله تبارك وتعالى : **أَنَا خَيْرُ شَرِيكٍ ؛ مَنْ أَشْرَكَ بِي فِي عَمَلِهِ**

١ـ الآيتان ٢٧ و ٢٨ ، من السورة ٣٨ : ص .

لَمْ أَقْبَلْهُ، إلّا مَا كَانَ لِي خَالِصاً!

قال العيّاشيّ: وفي رواية أُخرى عنه عليه السلام قال: **إنَّ اللهَ يَقُولُ: أَنَا خَيْرُ شَرِيكٍ؛ مَنْ عَمِلَ لِي وَلِغَيْرِي فَهُوَ لِمَنْ عَمِلَ لَهُ دُونِي.**

وفي «الدرّ المنثور» أخرج أحمد وابن أبي الدنيا وابن مردويه والحاكم وصحّحه، والبيهقيّ عن شدّاد بن أوس قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم يقول:

مَنْ صَلَّى يُرَائِي فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ صَامَ يُرَائِي فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ تَصَدَّقَ يُرَائِي فَقَدْ أَشْرَكَ؛ ثُمَّ قَرَأَ: «فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ رَبِّهِ» ـ الآية.

وفي «تفسير العيّاشيّ» عن زرارة وحمران، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام قالا:

لَوْ أَنَّ عَبْداً عَمِلَ عَمَلاً يَطْلُبُ بِهِ رَحْمَةَ اللهِ وَالدَّارَ الآخِرَةَ، ثُمَّ أَدْخَلَ فِيهِ رِضَا أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ كَانَ مُشْرِكاً.

والروايات في هذا الباب من طرق الشيعة وأهل السنّة فوق حدّ الإحصاء، والمراد بالشرك فيها الشرك الخفيّ غير المنافي لأصل الإيمان، بل لكماله، قال تعالى: **وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ.**[1] فالآية تشمله بباطنها لا بتنزيلها.

وفي «الدرّ المنثور» أخرج الطبرانيّ وابن مردويه عن أبي حكيم قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله:

لَوْ لَمْ يَنْزِلْ عَلَى أُمَّتِي إلَّا خَاتِمَةُ سُورَةِ الكَهْفِ لَكَفَتْهُمْ.

أقول: تقدّم وجهه في البيان السابق. **تَمَّ وَالحَمْدُ للهِ**».[2]

١ـ الآية ١٠٦، من السورة ١٢: يوسف.

٢ـ «الميزان في تفسير القرآن» ج ١٣، ص ٤٠٥ إلى ٤٠٧.

ومحصّل الكلام ، أنّ هذه الآية الكريمة والروايات الواردة في تفسيرها تُفهمنا أنّ لقاء الله وزيارته تكون ممكنة فقط ، للذين آمنوا بالله ولم يُشركوا به أحداً بأيّ وجه من الوجوه ، سواء أكان ذلك ظاهراً أم باطناً ، ولا في مقام الوجود والذات ، ولا في مقام الاسم والصفة ، ولا في مقام الفعل والعمل ، بل أن يُؤْثِروا الله وحده ، ويعتبرونه المؤثّر الوحيد ، إذ : **لا مُؤَثِّرَ في الوُجودِ إلّا اللّهُ**[1] ، لا في منهاج الشرك الظاهر ، ولا الباطن .

ومعنى **الشرك** ، إعطاء صفة التدخّل لعمل الغير في عمل الله . فمثلاً ، اعتبار الذهاب إلى الطبيب واستعمال الدواء والتعافي ، يعتبر شركاً ، إذا لوحظ ذلك من منظار التأثير الاستقلاليّ ، وإن كان ذلك بمعيّة الله . وإذا لوحظ ذلك من منظار أنّ الطبيب محكوم بأمر وإرادة الله ، وأنّ الدواء أيضاً محكوم بتأثير وأمر الله ، وأنّ الحصول على الشفاء ، هو بأمر الله ومشيئته ، فإنّ ذلك هو ما يسمّى بالتوحيد ، إذ لا توجد فيه شائبة شرك أبداً .

وعلى المؤمن أن ينفي جميع المؤثّرات الاستقلاليّة التي كان يعتبرها من قبل فاعلة ، ويطرد ذلك عن نفسه وداخله في سبيل الوصول إلى الله ، حتّى يتسنّى له زيارة الله كما ينبغي له ، وإلّا فإنّ ذلك ليس الله حتّى وإن رآه من وراء حجاب الخيال والوهم .

والآن ، فهل كانت تلك العجوز تعلم حقّاً ، أنّ الله موجود أم لا ؟ نعم ، كانت تعلم ومن خلال مغزلها ، بل كانت على يقين من ذلك ، ولكن من وراء ألف حجاب . إنّ دين العجائز ذلك ، ينفع العجائز أنفسهنّ ، لا السالكين ، فرُبّ شخص جالس وراء بوّابة المدينة العالي وسورها ، وهو

١ـ لا تُشير هذه العبارة إلى رواية ما ، ولكنّها كلام لبعض الحكماء مشتقّ من الآيات والروايات والأدلّة البرهانيّة العقليّة المتقنة.

يعلم أنّ ما يصدر من المدينة من أصوات وضوضاء، دليل على وجود سكنة فيها، إلّا أنّ ذلك يختلف كثيراً عمّن تسوّر ذلك الجدار ونظر إلى المدينة بمنظار قويّ، وأفضل من هذا وذاك، من فتح بوّابة المدينة، وسار في شوارعها وأزقّتها وأسواقها ومساجدها، ثمّ دخل المساجد والمدارس، وتعرّف على أفرادها، واستعلم من العلماء والمدرّسين والطلّاب عن مناهجهم الدراسيّة، وتعرّف على معابدها ومدارسها والمستوى العلميّ لعلماء العرفان فيها، ومساحة مصلّاهم، وهل يتبع سكنتها النصائح الإسلاميّة في الطبّ، أم أنّهم بحاجة إلى مستشفى ومستوصف وطبيب ودواء؟

فما الفرق إذاً بين الشخص الواقف وراء الجدار، وذلك الذي دخل المدينة وتعرّف على أهلها واستأنس إلى أصحابها؟ الحقّ، إنّ الفرق بينهما، كالبعد بين المشرق والمغرب، وإن كان هذان الشخصان أخوين جلسا في مكان واحد، وكانا يعيشان في زمان واحد، وينحدران من أصل واحد، ونسب وسبب مشتركين.

فلنخرج الآن من دين العجائز ومن التعرّف على البعير بالبعرة وبها كذلك على الحيوان الحيّ، وعلينا الاستزادة من المعلومات، وذلك أنّ هذا النوع من المعارف، خاصّ بالضعفاء، وبالمعرفة الإجماليّة دون التفصيليّة. فعلينا الحصول على المعرفة التفصيليّة، وأن نتأسّى بأمير المؤمنين عليه السلام، وعلينا البحث في «نهج البلاغة» و«التوحيد» للصدوق.

علينا أن ننهج منهج أُمّهات التفاسير للقرآن الكريم، والبحث عن حلّ جدّي، وأن نرجع إلى «الصحيفة العلويّة» و«الصحيفة السجادية»، ولِنَستعين بهما في طريق معرفة الله. علينا أن نفهم جيّداً معنى:

«يَا مَنْ دَلَّ عَلَى ذَاتِهِ بِذَاتِهِ، وَتَنَزَّهَ عَنْ مُجَانَسَةِ مَخْلُوقَاتِهِ، وَجَلَّ عَنْ

مُلاءَمَةِ كَيْفِيَّاتِهِ. يَا مَنْ قَرُبَ مِنْ خَطَرَاتِ الظُّنُونِ، وَبَعُدَ عَنْ لَحَظَاتِ الْعُيُونِ، وَعَلِمَ بِمَا كَانَ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ»

لَا إلَهَ إلَّا أَنتَ ، سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ! مَنْ ذَا يَعْرِفُ قَدْرَكَ فَلَا يَخَافُكَ ؟! وَمَنْ ذَا يَعْلَمُ مَا أَنْتَ فَلَا يَهَابُكَ ؟!

فَيَا مَنْ تَوَحَّدَ بِالعِزِّ وَالبَقَاءِ ، وَقَهَرَ العِبَادَ بِالمَوْتِ وَالفَنَاءِ ! [1]

١ـ فقرات مأخوذة من الدعاء العظيم الشأن المعروف **بدعاء الصباح** . ذكره المجلسيّ رضوان الله عليه في «بحار الأنوار» طبعة الكمبانيّ : ج ١٩، ص ١٣٥ و ١٣٦، وطبعة الإسلاميّة: ج ٩٤، ص ٢٤٢ إلى ٢٤٦. وقال : هذا الدعاء هو ممّا انتخبه السيّد ابن باقي والذي رواه عن أمير المؤمنين عليه السلام. وقال في آخره:

«**بيان** :

هذا الدعاء من الأدعية المشهورة، ولم أجده في الكتب المعتبرة إلّا في «مصباح السيّد ابن الباقي» رحمه الله، ووجدتُ منه نسخة قرأه المولى الفاضل مولانا درويش محمّد الإصبهانيّ جَدّ والدي من قِبل أُمّه على العلّامة مروِّج المَذهب نور الدين عليّ بن عبدالعالي الكركيّ قدّس الله روحه فأجازه».

ثمّ أورد المجلسيّ صورة إجازة المحقّق الكركيّ المؤرّخة سنة تسع وثلاثين وتسعمائة، وقال: «ووجدتُ في بعض الكتب سنداً له هكذا: قال الشريف يحيى بن قاسم العلويّ: ظفرتُ بسفينة طويلة مكتوب فيها بخطّ سيّدي وجَدّي أمير المؤمنين وقائد الغرّ المحجّلين ليث بني غالب عليّ بن أبي طالب عليه أفضل التحيّات ما هذه صورته:

«بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا دعاء علّمني رسول الله صلّى الله عليه وآله وكان يدعو به في كلّ صباح وهو: **اللَّهُمَّ يا مَنْ دَلَعَ لِسانَ الصَّباحِ** ـ إلى آخره، وكتبَ في آخره: كتبه عليّ بن أبي طالب في آخر نهار الخميس حادي عشر شهر ذي الحجّة سنة خمس وعشرين من الهجرة.

وقال الشريف : نقلته من خطّه المبارك ، وكان مكتوباً بالقلم الكوفيّ على الرقّ في السابع والعشرين من ذي القعدة سنة أربع وثلاثين وسبعمائة».

وذكر المجلسيّ هنا بياناً مفصّلاً في شرح هذا الدعاء وتفسيره، من طبعة الكمبانيّ ، ⇦

ومعنى : **بِكَ عَرَفْتُكَ ، وَأَنْتَ دَلَلْتَنِي عَلَيْكَ وَدَعَوْتَنِي إلَيْكَ ، وَلَوْلَا أَنْتَ لَمْ أَدْرِ مَا أَنْتَ !**

وهذه فقرات من دعاء سيّد الساجدين الأمام عليّ بن الحسين عليهما السلام وأفضل الصلوات ، التي تبدأ بـ :

إلَهِي ! لَا تُؤَدِّبْنِي بِعُقُوبَتِكَ ، وَلَا تَمْكُرْ بِي فِي حِيلَتِكَ ! مِنْ أَيْنَ لِيَ الخَيْرُ يَا رَبِّ وَلَا يُوجَدُ إلَّا مِنْ عِنْدِكَ ، وَمِنْ أَيْنَ لِيَ النَّجَاةُ وَلَا تُسْتَطَاعُ إلَّا بِكَ ! لَا الَّذِي أَحْسَنَ اسْتَغْنَى عَنْ عَوْنِكَ وَرَحْمَتِكَ ؛ وَلَا الَّذِي أَسَاءَ وَاجْتَرَأَ عَلَيْكَ وَلَمْ يُرْضِكَ خَرَجَ عَنْ قُدْرَتِكَ ، يَا رَبِّ يَا رَبِّ يَا رَبِّ !

وقد كرّر الإمام عليه السلام كلمة «**يَا رَبِّ**» حتّى انقطع نفسه ، ثمّ قال : **بِكَ عَرَفْتُكَ** ... إلى آخر الدعاء الشريف والعالي المضامين ، الذي يدلّ على

⇐ ص ١٣٦ إلى ١٤١، ومن طبعة الإسلاميّة، ص ٢٤٧ إلى ٢٦٣. وقال في آخره: «واعلَمْ أنّا قد أوردنا هذا الدعاء الشريف مع شرحه في كتاب الصلاة في أبواب أدعية الصباح والمساء، وإنّما كرّرناه للفاصلة الكثيرة، ولشدّة مناسبته بهذا المقام أيضاً».

نعم ، وقد ذكر الشيخ عبد الله السماهيجيّ في «الصحيفة العَلويّة» وقد طبعها كاتب النسخة المطبوعة في (باسمهاى) باسم فخر الأشراف سنة ١٣٢٠ه‍، وكتب الصفحات من ١٨١ إلى ٢١٨ والخاصّة بدعاء الصباح بالخطّ الكوفيّ وخطّ النسخ.

وقال المحدّث العظيم العلّامة الحاجّ الشيخ آقا بزرك الطهرانيّ قدّس سرّه في «الذريعة» ج ١٥، ص ٢٢: «الصحيفة العَلويّة والتحفة المرتضويّة» : من جَمْع المولى الأجلّ الشيخ عبد الله بن صالح بن جمعة بن عليّ بن أحمد بن ناصر بن محمّد بن عبد الله البحرانيّ السماهيجيّ مولداً الماحوزيّ تحصيلاً، المُتوفّى ليلة الأربعاء ٩ جمادى الآخرة ١١٣٥، جمعها من كُتب الأصحاب مرسلاً من دون ذِكر سند، ومجموع أدعيتها ١٥٦ دعاء».

وقال أيضاً في ص ٢٣ من ذلك الكتاب ما مفاده : «الصحيفة العَلويّة الثانية جمعها شيخنا النوريّ الحاجّ ميرزا حسين (المتوفّى سنة ١٣٢٠ ه‍)، وتشتمل على ١٠٣ دعاء من أدعية أمير المؤمنين عليه السلام نظّمها كتتمّة واستدراك للصحيفة الأُولى».

أنّ الإمام ينادي من أقصى نقاط التوحيد في حرم معبوده المحبوب ومحرابه، ويناجي في حرم الذات أن **لَا يَسَعُنِي فِيهِ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ**.[١]

فإذا أمعنّا النظر في العبارات «**يَا مَنْ دَلَّ عَلَى ذَاتِهِ بِذَاتِهِ**»، و«**بِكَ عَرَفْتُكَ وَأَنْتَ دَلَلْتَنِي عَلَيْكَ وَدَعَوْتَنِي إلَيْكَ، وَ لَوْلَا أَنْتَ لَمْ أَدْرِ مَا أَنْتَ**» فسنخلص أوّلاً إلى أنّ طريق لقاء ذات الله وزيارتها مفتوح؛ وثانياً، لا يمكن أن يكون معرّف تلك الذات المقدّسة، إلاّ الذات المقدّسة نفسها؛ وثالثاً، أنّ جميع الموجودات الآفاقيّة والأنفسيّة والملكيّة والملكوتيّة، لا يمكنها أن تدلّ على ذات الله، فعليه هو أن يعرّف نفسه ويدلّ عليها.

إلَهِي! كَيْفَ يُسْتَدَلُّ عَلَيْكَ بِما هُوَ في وُجودِهِ مُفْتَقِرٌ إلَيْكَ؟! أيَكونُ لِغَيْرِكَ مِنَ الظُّهورِ ما لَيْسَ لَكَ حَتَّى يَكونَ هُوَ المُظْهِرَ لَكَ؟!

مَتَى غِبْتَ حَتَّى تَحْتاجَ إلَى دَلِيلٍ يَدُلُّ عَلَيْكَ؟! وَمَتَى بَعُدْتَ حَتَّى تَكُونَ الآثَارُ هِيَ الَّتِي تُوصِلُ إلَيْكَ؟!

إلَهِي! عَمِيَتْ عَيْنٌ لَا تَرَاكَ عَلَيْهَا رَقِيباً، وَخَسِرَتْ صَفْقَةُ عَبْدٍ لَمْ تَجْعَلْ لَهُ مِنْ حُبِّكَ نَصِيباً!

١ـ روى العلّامة المجلسيّ رضوان الله عليه هذا الدعاء في «بحار الأنوار» طبعة الكمبانيّ: ج ٢٠، ص ٢٤٥ إلى ٢٥٠، والإسلاميّة: ج ٩٨، ص ٨٢ إلى ٩٣، عن كتاب «الإقبال» (ص ٦٧ إلى ٧٥ ـ التعليقة) برواية السيّد ابن طاووس وسنده إلى محمّد بن هارون بن موسى التلعُكبرى بسنده عن حسن بن محبوب، عن أبي حمزة الثماليّ أنّه قال: كان عليّ بن الحسين صلوات الله عليهما يصلّي عامّة ليلته في شهر رمضان، فإذا كان السَّحَر دعا بهذا الدعاء.

وروى كذلك الشيخ الطوسيّ في «مصباح المتهجّد» ص ٤٠١ إلى ٤١٣، الطبعة الحجريّة، بنصّه كما نُقِل عن كتاب «الإقبال»، عن أبي حمزة الثماليّ.

وما أروعَ القصيدة الغزليّة التالية للفروغي البسطاميّ والتي ضمّت في جَنَباتها هذه الحقيقة ، حيث قال فيها :

کی رفته‌ای ز دل که تمنّا کنم ترا
کی بوده‌ای نهفته که پیدا کنم ترا

غائب نگشته‌ای که شوم طالب حضور
پنهان نگشته‌ای که هویدا کنم ترا

با صد هزار جلوه برون آمدی که من
با صد هزار دیده تماشا کنم ترا

چشمم به صد مجاهده آئینه ساز شد
تا با یکی مشاهده شیدا کنم ترا

بالای خود در آینهٔ چشم من ببین
تا باخبر ز عالم بالا کنم ترا

مستانه کاش بر حرم و دیر بگذری
تا قبله‌گاه مؤمن و ترسا کنم ترا

خواهم شبی نقاب ز رویت برافکنم
خورشید کعبه ، ماه کلیسا کنم ترا[١]

١ـ يقول : «متى غِبتَ عن القلب حتّى أتمنّاكَ ، أو كنتَ خفيّاً فأبحثُ عنك.
لم تَغِبْ عنّي حتّى أطلبُ حُضورَكَ ، ولم تختفِ حتّى أكشفُ عنكَ النقاب.
لقد خرجتَ (عَلَيَّ) بمائة ألف مَظهر ، فتطلّعتُ إليكَ بمائة ألف باصرة.
أصبحت عيناي ـ بجهد مائة مرّة ـ تصنع المرايا ، حتّى أجعلك تعشق بنظرة واحدة.
أنظر إلى قامتك في مرآة عيني حتّى أُخبرَكَ عن العالَم العُلويّ وأُطلِعُكَ على أنبائه.
ليتكَ تمرّ نشواناً بدلال على الحَرَم والدير ، حتّى أجعلَ منكَ قِبلةً للمؤمن والراهب.
أتمنّى أن أزيحَ عنكَ اللثام ليلةً ، فأُصيغَ منكَ شمساً للكعبة وقمراً للكنيسة».

گر افتد آن دو زلف چليپا به چنگ من
چندين هزار سلسله در پا كنم ترا
طوبى و سدره گر به قيامت به من دهند
يكجا فداى قامت رعنا كنم ترا
زيبا شود به كارگهِ عشق كار من
هرگه نظر به صورت زيبا كنم ترا
رسواى عالمى شدم از شور عاشقى
ترسم خدا نخواسته رسوا كنم ترا
با خيل غمزه گر به وثاقم گذر كنى
مير سپاه ، شاهِ صف آرا كنم ترا[1]

نعم ، إنّ هذين الدعاءين الأخيرين «**إلَهِي ! كَيْفَ يُسْتَدَلُّ عَلَيْكَ**» ، و«**إلَهِي ! عَمِيَتْ عَيْنٌ**» ، هما الفقرتان ١٩ و ٢٠ من المجموعة الخامسة والثلاثين من مناجاة الشيخ تاج الدين أحمد بن محمّد بن عبد الكريم بن عطاء الله الإسكندريّ المتوفّى سنة ٧٠٩ ه.[2]

١ـ يقول : «لو وقعتْ بقبضتي ذؤابتا شعرك اللتان على شكل صليب، لجعلتُ منهما آلاف السلاسل لقدمي.
ولو أُعطيتُ يوم القيامة السدرة وطوبى، لقدّمتُهما كلتيهما قرباناً لقامتكَ الساحرة في آن واحد.
يزداد عملي في مصنع العشق جمالاً ورقّةً، كلّما ألقيتُ نظرةً على وجهكَ الوضّاح.
لقد ذاعَ سِرّي وفُضِحتُ في العالمين من فرط حبّي (لكَ)، وأخافُ، لا سمح الله، أن (أُجبَرَ فـ) أفضحَ سرّكَ.
لو مررتَ على وثاقي ورميتني بنظرة واحدة، لجعلتُ منكَ أميراً للجيش».

٢ـ جاء في «كشف الظنون» ج ١ ، ص ٦٧٥ : «الحِكَم العطائيّة» للشيخ تاج الدين ⇦

وأمّا البقيّة، فهي كما يلي:

١ ـ إلٰهي! أنَا الفَقِيرُ فِي غِنَايَ، فَكَيْفَ لَا أَكُونُ فَقِيراً فِي فَقْرِي؟!

⇐ أبي الفضل أحمد بن محمّد بن عبد الكريم، المعروف بابن عطاء الله الإسكندرانيّ الشاذليّ المالكيّ، المتوفّى بالقاهرة سنة تسع وسبعمائة (٧٠٩)، أوّلها: **مِن علامةِ الاعتمادِ على العملِ، نقصانُ الرجاءِ عند وجود الزلَلِ** ـإلى آخره. وهي حِكَم منثورة على لسان أهل الطريقة.

ولمّا صنّفها عرضها على شيخه أبي العبّاس المُرسيّ فتأمّلها وقال له: لقد أتيتَ يا بنيّ في هذه الكرّاسة بمقاصد الأحياء وزيادة، ولذلك تَعشّقها أرباب الذوق لما رقّ لهم من معانيها وراقَ، وبسطوا القول فيها وشرحوها كثيراً. فمن المؤلّفات عليها شرح شهاب الدين أحمد بن محمّد البرلسيّ [البُرنسيّ] المعروف بـ(زرّوق) وهو شرح ممزوج أوّله: **الحمدُ للّهِ الذي شَرَّفَ عبادَه** ـإلى آخره. وذكر في بعض شروحه أنّ الحِكَم مرتّب بعضها على بعض فكلّ كلمة منها توطئة لما بعدها وشرح لما قبلها.

وأنّه درسَ الحِكَم خمسة عشر درساً وكتبَ كلّ مرّة شرحاً من ظهر القلب كلّه بعبارة أُخرى، وقيل إنّ للشيخ زرّوق ثلاثة شروح على الحِكَم، لكنّ الأصحّ ما كتبه نفسه». وهنا يشير صاحب «كشف الظنون» ضمن بحث تفصيليّ إلى عدد الشروح التى كُتِبَتْ على كتاب «الحِكَم العطائيّة».

نعم، وأمّا أشهر ما هو معروف من الشروح على ذلك الكتاب هو شرح الشيخ أحمد زرّوق المطبوع من قِبَل مكتبة النجاح في طرابلس الغرب بتحقيق اثنين من العلماء. وقد جاء في مقدّمة هذين العالِمَيْن ما مَفاده: كان (الشيخ تاج الدين أبو الفضل أحمد بن محمّد بن عبد الكريم، المعروف بابن عطاء الله الإسكندرانيّ الشاذليّ المالكيّ) تلميذ المُرسيّ أبي العبّاس المعروف، وقد كتب الشيخ زرّوق ثلاثين شرحاً على هذا الكتاب، وهذا هو الشرح السابع عشر منها. وقال في «شذرات الذهب»: وكتب أكثر من ثلاثين شرحاً على «الحكم العطائيّة». وُلِدَ الشيخ أحمد زرّوق في يوم الخميس الثامن عشر من شهر ذي الحجّة الحرام سنة ثمانمائة وستّة وأربعين (للهجرة) وكانت وفاته في سنة ثمانمائة وتسعة وتسعين.

وهذا الغِنى هو عين الحاجة والعوز لأنّه منك أنتَ ! فكيف إذن لا أكونُ فقيراً إليك ومُحتاجاً لك في عين فقري وحاجتي اللتين كانتا حالة عدمي ؛ وكان أصل وجودي وأساسه ومنشأه هما الفقدان والعدم ؛ والفناء وكَتْم العدم كانتا المادّة الأوّليّة لحدوثي وتحقُّقي في المرحلة الماهويّة ؟!) .

٢ـ إلَهِي ! أَنَا الجَاهِلُ فِي عِلْمِي ، فَكَيْفَ لَا أَكُونُ جَهُولاً فِي جَهْلِي ؟!

(وهذا العِلم هو عين الجهل لأنّه منك . فكيف إذن لا أكون ثابتاً على الجهل في نفس الوقت الذي تغمرني فيه جهالتي وجهلي واللتان كانتا لي حالة العدم الأصليّ والفقدان الماهويّ والعدم الذاتيّ ؟!) .

٣ـ إلَهِي ! إنَّ اخْتِلَافَ تَدْبِيرِكَ وَسُرْعَةَ حُلُولِ مَقَادِيرِكَ ، مَنَعَا عِبَادَكَ العَارِفِينَ بِكَ عَنِ السُّكُونِ إلَى عَطَاءٍ وَاليَأْسِ مِنْكَ فِي بَلَاءٍ !

(وذلك لأنّ سرعة حلول البلايا في عقب النِّعَم والآلاء ، وسرعة حلول النِّعَم والآلاء في عقب البلايا شديدة جدّاً ومستمرّة بالتناوب والتعاقب كالدولاب والعجلة اللتان تدوران باستمرار ، وهي لا تهب أحداً سكوناً أو هدوءاً في مقابل النِّعَم والآلاء أو اضطراباً أو قلقاً في مقابل النِّقَم والبلايا ، إلّا الجاهلين بمقام عزّة الربوبيّة والخاوية جعبهم من أسرار حَرَمه وحَريمه ؛ وهي لا تطرأ على العارفين بك وبجلالك الأقدس وجمالك المُقدّس ، والمؤمنين بإرادتك القاهرة ومشيّتك الظاهرة !) .

٤ـ إلَهِي ! مِنِّي مَا يَلِيقُ بِلُؤْمِي ؛ وَمِنْكَ مَا يَلِيقُ بِكَرَمِكَ !

(لأنّي لا شيء ، وفقير وحادث وعاجز وجاهل ؛ كلّ تلك العلامات السوداء والبقع الداكنة الناشئة ماهيّتي البائسة هي ممّا يناسبني تماماً ويليق بي ؛ وأمّا أنت ، فأنت الوجود المطلق والغنيّ بالذات والقديم بالأصالة والقادر والعالِم ؛ ولا تَدلّ هذه الصفات إلّا ازدياد مرتبة الشرف والفضيلة والكرامة والمجد والعظمة) .

٥ـ **إلَهِي ! وَصَفْتَ نَفْسَكَ بِاللُّطْفِ وَالرَّأْفَةِ بِي قَبْلَ وُجُودِ ضَعْفِي ؛ أفَتَمْنَعُنِي مِنْهُمَا بَعْدَ وُجُودِ ضَعْفِي ؟!**

(وذلك لأنّ الصفتين اللتين ذكرتهما أنت في القرآن الكريم : اللُّطف والرأفة ، ليستا مختصّتين بالضعف أو غيره في عبادك) .

٦ـ **إلَهِي ! إنْ ظَهَرَتِ المَحَاسِنُ مِنِّي ، فَبِفَضْلِكَ وَلَكَ المِنَّةُ عَلَيَّ ؛ وَإنْ ظَهَرَتِ المَسَاوِئُ مِنِّي ، فَبِعَدْلِكَ وَلَكَ الحُجَّةُ عَلَيَّ !**

(وذلك لأنّ حسناتي وفضائلي إنّما هي جميعاً موهوبة لي لا عن استحقاق ذاتيّ ، بل بفضل منك ورحمة ، بعيداً عن المادّة الأوّليّة . وأمّا سيّئاتي ومساوئي فلم تكن من عندك ، لأنّ النقص والعيب لا يعتريانك (أبداً) ، ولا يصدر عنك ظُلم أو جور ؛ **وَالشَّرُّ لَيْسَ إلَيْك** ! لأنّك المَلِكُ والمالك ؛ تأتي بما تشاء في حوزة ملكك وسلطانك ؛ **وَلَكَ الحُجَّةُ عَلَيَّ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ** ! فلو بَدرتْ منّي المساوئ أو ظهر شيء منها فهي منّي ، واستناداً إلى قانون العقوبات الخاصّ بالعبوديّة فإنّ تعزيرك وتأديبك لي ومعاقبتي لا يكون إلّا من جهة عدلك ؛ ولو ظهرت منّي محاسن أو فضائل فهي لم تكن لتظهر لولا فضلك عَلَيَّ ومشيئتك في زيادة خيري والمَنّ عَلَيّ برحمتك وفضلك . وعلى هذا ، ففضلك قائم وتفضّلك سابق !) .

٧ـ **إلَهِي ! كَيْفَ تَكِلُنِي وَقَدْ تَوَكَّلْتَ بِي ؟!** (بإيصال المنافع إلَيّ ودفع المضارّ عنّي والتحرّك في مراحل الاستعداد في كلّ حال) **وَكَيْفَ أُضَامُ وَأَنْتَ النَّصِيرُ لِي ؟! أَمْ كَيْفَ أَخِيبُ وَأَنْتَ الحَفِيُّ بِي ؟!**

هَا أَنَا أَتَوَسَّلُ إلَيْكَ بِفَقْرِي إلَيْكَ ! وَكَيْفَ أَتَوَسَّلُ إلَيْكَ بِمَا هُوَ مُحَالٌ أنْ يَصِلَ إلَيْكَ ؟! (لأنّ كلّ ما هو موجود من مُلك وملكوت يرزح تحت أمرك ؛ لا فوق أمرك ولا مساوياً له) **أَمْ كَيْفَ أَشْكُوا إلَيْكَ حَالِي وَهِيَ لَا تَخْفَى عَلَيْكَ ؟! أَمْ كَيْفَ أُتَرْجِمُ لَكَ بِمَقَالِي وَهُوَ مِنْكَ بَرَزَ إلَيْكَ ؟! أَمْ**

كَيْفَ تَخِيبُ آمَالِي وَهِيَ قَدْ وَفَدَتْ إِلَيْكَ ؟! أَمْ كَيْفَ لَا تَحْسُنُ أَحْوَالِي وَبِكَ قَامَتْ وَإِلَيْكَ ؟!

٨ـ إِلَهِي ! مَا أَلْطَفَكَ بِي مَعَ عَظِيمِ جَهْلِي ! وَمَا أَرْحَمَكَ بِي مَعَ قَبِيحِ فِعْلِي !

(إنّ لطفك بدأ من لحظة جهلي بقيمتك وقَدْرك ، فأرشدتني ، ومن ظُلمات الجهل والفِتَن حرّرتني ! وإنّ رحمتك بدأتْ ساعة اجتراحي للسيّئات والمعاصي ، فكنتَ حليماً وكريماً «معي» في حين لا يبدر منّي إلّا التقصير في أداء واجباتي !) .

٩ـ إِلَهِي ! مَا أَقْرَبَكَ مِنِّي ، وَمَا أَبْعَدَنِي عَنْكَ !

(إنّ تَقرّبك إليّ ناجم عن أصل وجودك وذاتك المقدّسة وقدرتك وعِلمك ومشيّتك وإرادتك وسيطرتك وهيمنتك ، التي لا تُوصَف ؛ وما ابتعادي منك وبُعدي عنك إلّا نتيجة ظُلمة ماهيّة الإمكان والبون الشاسع بين عبوديّتي وربوبيّتك !) .

١٠ـ إِلَهِي ! مَا أَرْأَفَكَ بِي ! فَمَا الَّذِي يَحْجُبُنِي عَنْكَ ؟!

(إنّ مظاهر عالَم الكون جميعاً هي دلائل وشواهد على رأفتك ؛ ويتوجّب عَلَيَّ أن أراك وأُشاهدك في جميع تلك المظاهر ! فما السبب إذن وراء احتجاب قلبي (وبصيرتي) عن شرف التقرّب إليك ، والكرامة والفضيلة في رؤيتك ومشاهدتك ؟!) .

١١ـ إِلَهِي ! قَدْ عَلِمْتُ بِاخْتِلَافِ الآثَارِ وَتَنَقُّلَاتِ الأَطْوَارِ أَنَّ مُرَادَكَ مِنِّي أَنْ تَتَعَرَّفَ إِلَيَّ فِي كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى لَا أَجْهَلَكَ فِي شَيْءٍ !

نعم ، لأنّ جميع موجودات العالم سوى الله ، مرتبطة بظهوره ، فهو ظاهر فيها بالذات أوّلاً ، وبالعرض وظهور الإنّيّة والماهيّة عندها ثانياً .

در هر چه بنگرم تـو پـديدار بـودهای
ای نانموده رخ تو چه بسيار بودهای[١]

* * *

يـــار بــیپرده از در و ديـــوار
در تـجلّی است يـا اولی الأبـصار
شـــمع جـــوئیّ و آفـتابْ بـلند
روز بس روشـــن و تـو در شبتـار
گــر ز ظـلمات خـود رهـی ، بـينی
هـــمه عـــالم مشـــارق الأنـوار
كـــور وَش قـائد و عـصا طـلبی
بـــهر ايـن راه روشـن و هـموار
چشـم بگشـا بـه گـلستان و ببين
جـلوهٔ آب صـاف در گـل و خـار[٢]

١ـ يقول : «ما نظرتُ إلى شيء إلّا وصورتك فيه ، يا ساتراً وجهك ، كم كنتَ تبدو كثيراً».

٢ـ يقول : «إنّ الحبيب مُتجلٍّ من وراء الباب والجدار، (فافهموا) يا أُولي الأبصار.
أتَبحثُ عن الشمعة وهذي الشمس مشرقة (في كبد السماء)؟، وهو ذا النهار مُضيء وأنتَ تَرزح في ليل مُدلَهِمّ.
إذا أنتَ تخلّصت من ظُلمات نفسك، سترى العالَم كلّه مشارق للأنوار.
أتطلبُ من أعمى أن يقودك وتطلب عصا تعتمد عليها في هذا الطريق الواضح والمُمَهَّد؟
افتح عينيكَ وانظُر إلى البستان، وإلى الماء الرقراق وهو يتخلّل الطين والأشواك».

زآب بـــی‌رنگ صـــد هـــزاران رنگ
لاله و گـــل نگـــر در آن گـــلزار
پـا بـه راه طـلب نِـه از ره عشق
بـــهر ایـــن راه تـوشه‌ای بـردار
شـــود آســـان ز عشق کاری چند
کـه بـود نـزد عـقل بس دشـوار
یـــار گـــو بـــالغُدُوّ و الآصـــال
یـــار جـــو بـــالعَشيِّ و الإبکـــار
صـد رهت لَـنْ تَـرانـی ار گـوید
بـــاز مـــی‌دار دیـده بـر دیـدار
تـا بـه جائی رسی کـه مـی‌نرسد
پـــای اوهـــام و پـــایهٔ افکـــار[1]

١ـ يقول:

«انظر إلى الآلاف المؤلّفة من الألوان الزاهية للزهور والورود في (هذه) الروضة (الغَنّاء) فكلّها من صنع ذلك الماء العديم اللون.

ابدأ في طَلَبِ المدينة عن طريق العشق، واحمِلْ معك زاداً ومؤونة للسير في هـذا الطريق.

وربّتَ أعمالٍ كثيرة تَسهُل بالعشق، ويصعب على العقل فهمها أو إدراكها.

الهَج باسم الحبيب بالغدوّ والآصال، وابحَثْ عنه بالعشيّ والإبكار.

ولو قال لك (الحبيب) لن تراني، مائة مرّة، (فلا تيأس) واستمرّ بمسيرك نحوه (ولا تُضيّع هدفك) وارتَقِبْ اللقاء (والوصال).

حتّى تصِلَ إلى مكانٍ حيث لا وجود للأوهام أو الأفكار.

بـــار يـــابی بــه مــحفلی كآنـجا
جـــبرئيل امـــين نـــدارد بـــار
ايــــن ره ، آن زادِ راه ، آن مـــــنزل
مـــــرد راهـــــی اگـــر بـيا و بـيار
ورنـــــه‌ای مــرد راه چــون دگـران
يـــار مـی‌گوی و پشت سـر مـی‌خار
هـــاتف اربـــاب مـعرفت كـه گـهی
مست خـــوانـــندشان و گـــه هشـيار
از مـــی و بـــزم و ســـاقی و مـطرب
وز مُـــغ و ديـــر و شـــاهد و زُنّـــار
قـــصد ايشـان نـهفته اسـراری است
كـــه بـــه ايـــما كـــنند گـــاه اظـــهار[1]

١ـ يقول : «فستحصل في محفل هناك على زادٍ لم يُقدَّر لجبرئيل الحصول عليه.
فهو ذا الطريق ، وهو ذا زاد الطريق ، وذلك هو المنزل (والمُقام)، فلو كنت رجلاً تُريد خوض الغمار تعال إذن وهات ما عندك.
وإذا لم تكن رجلاً كما هو مع الرجال (الذين عجزوا عن ذلك) ، فردِّد إذن عبارة «يا حبيب يا حبيب!» وحُكَّ خلف أُذنك (بَطراً).
يا «هاتف !» إنّ أرباب المعرفة وأساطينها الذين تحسبهم أحياناً سُكارى وأحياناً أُخرى تظنّهم صحاة.
إنّما ذلك بفعل الخمر وسُقاتها والمجون والمطربين والرهبان والدير والشاهد والزنّار.
إنّ في ثنايا عملهم هذا تكتم أسرارٌ، يُظهرونها أحياناً من خلال الإيماءات (والإشارات)».

پـی بـری گـر بـه رازشـان دانـی
کـه هـمین است سـرّ آن اسـرار
که یکی هست و هیچ نیست جز او
وَحْـــدَهُ لا إلَـــهَ إلّا هُـــو[١]

١٢ـ إلَهِي ! كُلَّمَا أَخْرَسَنِي لُؤْمِي ، أَنْطَقَنِي كَرَمُكَ ! وَكُلَّمَا أَيْأَسَتْنِي أَوْصَافِي ، أَطْمَعَتْنِي مِنَنُكَ !

١٣ـ إلَهِي ! مَنْ كَانَتْ مَحَاسِنُهُ مَسَاوِئَ ، فَكَيْفَ لَا تَكُونُ مَسَاوِؤُهُ مَسَاوِئَ ؟! وَمَنْ كَانَتْ حَقَائِقُهُ دَعَاوِيَ ، فَكَيْفَ لَا تَكُونُ دَعَاوِيهِ دَعَاوِيَ ؟!

(لأنّ العيوب والنقصان والزلّل وغير ذلك تتخلّل محاسنه ، ولهذا فإنّ مَعاد تلك المساوئ إنّما يكون إلى القبح ؛ فكيف إذا ما تطرّقنا إلى قبائحه ومساوئه التي يكون فيها القبح أصلاً لها ومادّة تتكوّن منها ؟! وإذا ما تأمّلتَ حقائق كلامه وسلوكه لرأيت أنّ محاسنه قد امتزجتْ مع ادّعاءاته الكاذبة والباطلة ؛ فكيف إذا تطرّقنا إلى ادّعاءاته التي هي باطلة وكاذبة من الأساس ؟!) .

١٤ـ إلَهِي ! حُكْمُكَ النَّافِذُ ، وَمَشِيَّتُكَ القَاهِرَةُ، لَمْ يَتْرُكَا لِذِي مَقَالٍ مَقَالاً، وَلاَ لِذِي حَالٍ حَالاً !

(لأنّ كلّ صاحب حديث وكلام مهما كان حديثه جميلاً وكلامه ممتعاً ، وكلّ صاحب حال مهما كان في يُسر ورخاء ، قد يتحوّل كلّ ما لديه فجأةً إلى عدم وخراب وذلك على أساس الحكم النافذ للحقّ تعالى ومشيّته

١ـ يقول : «ستعلمُ إن أنت كشفت سرّهم ، أنّ هذا هو سرّ الأسرار.
وجود واحد ولا شيء غيره ، وَحْدَهُ لَا إلَهَ إلّا هُو».
ديوان «السيّد أحمد هاتف الإصفهانيّ» البند الأخير من ترجيع بنده.

الغالبة).

١٥ـ إِلَهِي ! كَمْ مِنْ طَاعَةٍ بَنَيْتُهَا، وَحَالَةٍ شَيَّدْتُهَا، هَدَمَ اعْتِمَادِي عَلَيْهَا عَدْلُكَ ! بَلْ أَقَالَنِي مِنْهَا فَضْلُكَ !

(وذلك لأنّ صفة العدل (التي تمتلكها) لم تترك لي طاعةً أو حالةً يمكنني الاتّكاء والاعتماد عليها، لكنّ اتّصافك بالفضل هو أملي وكلّ ما بقي لي؛ وها هي ذي يدي فارغة إلّا من النظر إلى فضلك الزائد ورحمتك الواسعة، إذ لم يبقَ لي شيء غيرهما).

١٦ـ إِلَهِي ! إِنَّكَ تَعْلَمُ: وَإِنْ لَمْ تَدُمِ الطَّاعَةُ مِنِّي فِعْلاً جَزْماً، فَقَدْ دَامَتْ مَحَبَّةً وَعَزْماً !

١٧ـ إِلَهِي ! كَيْفَ أَعْزِمُ وَأَنْتَ القَاهِرُ؟! وَكَيْفَ لَا أَعْزِمُ وَأَنْتَ الآمِرُ؟!

(لأنّي **عَرَفْتُ اللهَ بِنَقْضِ العَزَائِمِ**. وأنّ ما يعتري الحالات من تبديل وتبدّل إنّما هما من الأُمور العجيبة والمدهشة ومن الأسرار الغامضة الرائعة التي لا يمكن لأحد غير الذات المقدّسة للحقّ تعالى الوصول إليها والعلم بها).

١٨ـ إِلَهِي ! تَرَدُّدِي إِلَيْكَ فِي الآثَارِ، يُوجِبُ بُعْدَ المَزَارِ؛ فَاجْمَعْنِي عَلَيْكَ بِخِدْمَةٍ تُوصِلُنِي إِلَيْكَ !

١٩ـ إِلَهِي ! كَيْفَ يُسْتَدَلُّ عَلَيْكَ بِمَا هُوَ فِي وُجُودِهِ مُفْتَقِرٌ إِلَيْكَ ـ إلى آخره.

٢٠ـ إِلَهِي ! عَمِيَتْ عَيْنٌ لَا تَرَاكَ عَلَيْهَا قَرِيباً رَقِيباً ـ إلى آخره.

(وقد مرّ تفسير هاتين الفقرتَيْن).

٢١ـ إِلَهِي ! أَمَرْتَ بِالرُّجُوعِ إِلَى الآثَارِ، فَارْجِعْنِي إِلَيْهَا بِكِسْوَةِ الأَنْوَارِ وَهِدَايَةِ الِاسْتِبْصَارِ، حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْكَ مِنْهَا كَمَا دَخَلْتُ إِلَيْكَ مِنْهَا مَصُونَ السِّرِّ عَنِ النَّظَرِ إِلَيْهَا، وَمَرْفُوعَ الهِمَّةِ عَنِ الِاعْتِمَادِ عَلَيْهَا؛ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ

شَيْءٍ فَقِيرٌ !

٢٢ـ إِلَهِي ! هَذَا ذُلِّي ظَاهِرٌ بَيْنَ يَدَيْك ! وَهَذَا حَالِي لَا يَخْفَى عَلَيْك ! مِنْكَ أَطْلُبُ الوُصُولَ إِلَيْك ! وَبِكَ أَسْتَدِلُّ عَلَيْك ! فَاهْدِنِي بِنُورِكَ إِلَـيْك ! وَأَقِمْنِي بِصِدْقِ العُبُودِيَّةِ بَيْنَ يَدَيْك !

(لأنّه ثبت لديَّ وأصبح مشهوداً أن لا مُؤثِّرَ غير (على الإطلاق) ، وأنّ جميع الأسباب محكومة بحكمك وتابعة لاختيارك وانتخابك ومشيّتك . ولذا ، فأنت وحدك يمكنك أن تفتح لي طريق الوصول إلى حرم عزّتك (وحريم قدسك) ! وهذه الآثار هي ظهوراتك ، وأنت الظاهر من خلالها ، فأطلبُ منكَ يا مَن تُمثّل تلك الظهورات أن توصلني إلى الظهورات التي هي وجودك المقدّس ! وخَلّصني من دعاواي بقَدم الصدق النافية للدعاوى الباطلة ، وأقِمني في عالَم التحقّق والواقعيّة بكلّ معنى الكلمة) .

٢٣ـ إِلَهِي ! عَلِّمْنِي مِنْ عِلْمِكَ المَخْزُونِ ، وَصُنِّي بِسِرِّ اسْمِكَ المَصُونِ !

(فقد خصصتَ بذلك العِلم المخزون أولياءك الموثوق بهم من قِبَلِك المُتوكّلين عليك . وحفِظتَ بذلك الاسم الخاصّ كلّ محبّ صادق وحبيب مخلص وصُنتَه من كيد الأعداء كالشيطان والنفس الأمّارة بالسوء ، وأكتَنَفتَه بقدرتك وعزّتك ! أسألك (إلهي) أن تُلحِقَني بهم) .

٢٤ـ إِلَهِي ! حَقِّقْنِي بِحَقَائِقِ أَهْلِ القُرْبِ ، وَاسْلُكْ بِي مَسَالِكَ أَهْلِ الجَذْبِ !

(إنّ الذين وقفوا على بساط الاضطرار لمواجهة الافتقار ، يتوسّلون بك على الدوام وهم بك متمسّكون وبحبلك معتصمون ، لأنّهم وجدوا طريقهم إلى معرفتك !) .

٢٥ـ إِلَهِي ! أَغْنِنِي بِتَدْبِيرِكَ عَنْ تَدْبِيرِي ! وَبِاخْتِيَارِكَ عَنِ اخْتِيَارِي !

وَأَوْقِفْنِي عَلَى مَرَاكِزِ اضْطِرَارِي !

(حتّى لا أشكو حالي ! ولا أكشف سِرّي بكلامي ! وأجعلُ منك شاهداً عَلَيَّ (في كلّ الأحوال) ورقيباً (على أعمالي وأورادي) ، وصاحب الإرادة والاختيار . وأن أكون يقظاً في مواقع الضعف والحاجة حتّى لا أجرؤ ، لا سمح الله ، على نسبة الصفات الربوبيّة ، التي هي من حقّك أنت ، إلى نفسي وأنا عبدك المحتاج من رأسي إلى أخمص قدمَيّ !) .

٢٦ـ إلَهِي ! أَخْرِجْنِي مِنْ ذُلِّ نَفْسِي ! وَطَهِّرْنِي مِنْ شَكِّي وَشِرْكِي قَبْلَ حُلُولِ رَمْسِي ! بِكَ أَسْتَنْصِرُ فَانْصُرْنِي ، وَعَلَيْكَ أَتَوَكَّلُ فَلَا تَكِلْنِي ، وَلِجَنابِكَ أَنْتَسِبُ فَلَا تُبْعِدْنِي عَنْكَ ، وَبِبَابِكَ أَقِفُ فَلَا تَطْرُدْنِي ، وَإيَّاكَ أَسْأَلُ فَلَا تُخَيِّبْنِي !

٢٧ـ إلَهِي ! تَقَدَّسَ رِضَاكَ أَنْ تَكُونَ لَهُ عِلَّةٌ مِنْكَ ، فَكَيْفَ تَكُونُ لَهُ عِلَّةٌ مِنِّي ! أَنْتَ الغَنِيُّ بِذَاتِكَ عَنْ أَنْ يَصِلَ إلَيْكَ النَّفْعُ مِنْكَ ، فَكَيْفَ لَا تَكُونُ غَنِيَّاً عَنِّي ؟!

٢٨ـ إلَهِي ! إنَّ القَضَاءَ وَالقَدَرَ غَلَبَنِي ! وَإنَّ الهَوَى بِوَثَاقِ الشَّهْوَةِ أَسَرَنِي ! فَكُنْ أَنْتَ النَّصِيرَ لِي حَتَّى تَنْصُرَنِي فِي نَفْسِي وَتَنْصُرَ بِي ! وَأَغْنِنِي بِجُودِكَ حَتَّى أَسْتَغْنِيَ بِكَ عَنْ طَلَبِي !

أَنْتَ الَّذِي أَشْرَقْتَ الأَنْوَارَ فِي قُلُوبِ أَوْلِيَائِكَ ! وَأَنْتَ الَّذِي أَزَلْتَ الأَغْيَارَ مِنْ قُلُوبِ أَحْبَابِكَ !

أَنْتَ المُونِسُ لَهُمْ حَيْثُ أَوْحَشَتْهُمُ العَوالِمُ ؛ وَأَنْتَ الَّذِي هَدَيْتَهُمْ حَيْثُ اسْتَبانَتْ لَهُمُ المَعَالِمُ !

مَاذَا وَجَدَ مَنْ فَقَدَكَ ؟! وَمَا الَّذِي فَقَدَ مَنْ وَجَدَكَ ؟!

لَقَدْ خَابَ مَنْ رَضِيَ دُونَكَ بَدَلاً ! وَلَقَدْ خَسِرَ مَنْ بَغَى عَنْكَ مُتَحَوَّلاً !

٢٩ـ إلَهِي ! كَيْفَ يُرْجَى سِوَاكَ وَأَنْتَ الَّذِي مَا قَطَعْتَ الإحْسَانَ ؟!

وَكَيْفَ يُطْلَبُ مِنْ غَيْرِكَ وَأَنْتَ مَا بَدَّلْتَ عَادَةَ الامْتِنَانِ ؟!

يَا مَنْ أَذَاقَ أَحْبَابَهُ حَلَاوَةَ مُؤَانَسَتِهِ ، فَقَامُوا بَيْنَ يَدَيْهِ مُتَمَلِّقِينَ ! وَيَا مَنْ أَلْبَسَ أَوْلِيَاءَهُ مَلَابِسَ هَيْبَتِهِ ، فَقَامُوا بِعِزَّتِهِ مُسْتَعِزِّينَ !

أَنْتَ الذَّاكِرُ مِنْ قَبْلِ ذِكْرِ الذَّاكِرِينَ ! وَأَنْتَ البَادِئُ بِالإِحْسَانِ مِنْ قَبْلِ تَوَجُّهِ العَابِدِينَ ! وَأَنْتَ الجَوَادُ بِالعَطَايَا مِنْ قَبْلِ طَلَبِ الطَّالِبِينَ ! وَأَنْتَ الوَهَّابُ ثُمَّ أَنْتَ لِمَا وَهَبْتَنَا مِنَ المُسْتَقْرِضِينَ !

٣٠ـ إِلَهِي ! اطْلُبْنِي بِرَحْمَتِكَ حَتَّى أَصِلَ إِلَيْكَ ! وَاجْذُبْنِي بِمِنَّتِكَ حَتَّى أُقْبِلَ عَلَيْكَ !

٣١ـ إِلَهِي ! إِنَّ رَجَائِي لَا يَنْقَطِعُ عَنْكَ وَإِنْ عَصَيْتُكَ ؛ كَمَا أَنَّ خَوْفِي لَا يُزَايِلُنِي وَإِنْ أَطَعْتُكَ !

٣٢ـ إِلَهِي ! قَدْ دَفَعَتْنِي العَوَالِمُ إِلَيْكَ ؛ وَأَوْقَفَنِي عِلْمِي بِكَرَمِكَ عَلَيْكَ !

٣٣ـ [إِلَهِي !] كَيْفَ أَخِيبُ وَأَنْتَ أَمَلِي ؟! أَمْ كَيْفَ أُهَانُ وَعَلَيْكَ مُتَّكَلِي ؟!

٣٤ـ إِلَهِي ! كَيْفَ أَسْتَعِزُّ وَفِي الذِّلَّةِ أَرْكَزْتَنِي ؟! أَمْ كَيْفَ لَا أَسْتَعِزُّ وَإِلَيْكَ نَسَبْتَنِي ؟!

٣٥ـ إِلَهِي ! كَيْفَ لَا أَفْتَقِرُ وَأَنْتَ الَّذِي فِي الفَقْرِ أَقَمْتَنِي ؟! أَمْ كَيْفَ أَفْتَقِرُ وَأَنْتَ الَّذِي بِجُودِكَ أَغْنَيْتَنِي ؟!

أَنْتَ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُكَ ! تَعَرَّفْتَ لِكُلِّ شَيْءٍ فَمَا جَهِلَكَ شَيْءٌ ! وَتَعَرَّفْتَ إِلَيَّ فِي كُلِّ شَيْءٍ فَرَأَيْتُكَ ظَاهِراً فِي كُلِّ شَيْءٍ ! فَأَنْتَ الظَّاهِرُ لِكُلِّ شَيْءٍ !

يَا مَنِ اسْتَوَى بِرَحْمَانِيَّتِهِ عَلَى عَرْشِهِ فَصَارَ العَرْشُ غَيْباً فِي رَحْمَانِيَّتِكَ [رَحْمَانِيَّتِهِ] ؛ كَمَا صَارَتِ العَوَالِمُ غَيْباً فِي عَرْشِهِ !

مَحَقْتَ الآثَارَ بِالآثَارِ ! وَمَحَوْتَ الأَغْيَارَ بِمُحِيطَاتِ أَفْلَاكِ الأَنْوَارِ !
يَا مَنِ احْتَجَبَ فِي سُرَادِقَاتِ عِزِّهِ عَنْ أَنْ تُدْرِكَهُ الأَبْصَارُ !
يَا مَنْ تَجَلَّى بِكَمَالِ بَهَائِهِ فَتَحَقَّقَتْ عَظَمَتَهُ الأَسْرَارُ !
كَيْفَ تَخْفَى وَأَنْتَ الظَّاهِرُ ؟! أَمْ كَيْفَ تَغِيبُ وَأَنْتَ الرَّقِيبُ الحَاضِرُ ؟![1]

نعم ، إنّ هذا الدعاء لا يمكن أن نجده في كتب أدعية الشيعة إلّا في النسخ المطبوعة لكتاب «الإقبال» للسيّد ابن طاووس رضوان الله عليه ، وفي كتاب آخر ، هو «مفاتيح الجنان» للمحدّث المعاصر المرحوم الحاجّ الشيخ عبّاس القمّيّ رحمة الله عليه ، حيث نسباه إلى سيّد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه أفضل الصلوات في تتمّة دعاء يوم عرفة وذيله .

«ومحصّل الكلام أنّه وطبقاً لرواية الكفعميّ في حاشية كتاب «البلد الأمين» فإنّ السيّد حسيب (نسيب رضيّ الدين عليّ بن طاووس قدّس الله روحه) قال في كتاب «مصباح الزائر» ما قوله :

روى بِشر وبشير (ابنا غالب الأسديّ) أنّ الإمام الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام خرج من خيمته عصر يوم عرفة في عرفات في خضوع وخشوع وسار بهدوء حتّى وقف هو وجماعة من أهل بيته وأولاده

١ـ «الحِكَم العطائيّة ، والمناجات الإلهيّة» والذي يجيء بعده كذلك «الحِكَم العطائيّة الصغرى» طبعة المكتبة العربيّة بدمشق، أحمد عُبَيد، الطبعة الثانية (١ رجب سنة ١٣٩٤ هـ) ص ٨٠ إلى ٩٠ ؛ ولكنّنا انتقينا نصّ العبارات تلك من «شرح حِكم ابن عطاء الله» تأليف الشيخ أحمد زرّوق (والذي طُبع بتحقيق الدكتور عبد الحليم محمود والدكتور محمود بن شريف في مكتبة النجاح ـ طرابلس الغرب، الأُستاذ محمّد نور الدين بريون) من ص ٤٤٨ إلى ٤٧٣ . وكما يظهر من مقدّمة هذين المحقّقَيْن على الكتاب، أنّ الشيخ زرّوق (أحمد بن أحمد بن محمّد) كان من فاس (المغرب).

وغلمانه عند الجانب الأيسر لجبل عرفات [جبل الرحمة] مولّين وجوههم شطر البيت الحرام . ثمّ رفع يديه أمام وجهه كالمسكين الذي يطلب الطعام وبدأ بقراءة هذا الدعاء : **الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَيْسَ لِقَضَائِهِ دَافِعٌ** ـ إلى آخر الدعاء والذي آخره **يَا رَبِّ يَا رَبِّ يَا رَبِّ** ، وليس في آخره العبارات **إلَهِي ! أَنَا الفَقِيرُ فِي غِنَايَ** ـ إلى آخره . (كان هذا ما ورد في حاشية «البلد الأمين» [والتوضيح الأخير هو لنا] .

ثمّ روى السيّد ابن طاووس رواية بِشر وبَشير اللذين كانا من قبيلة «بني أسد» في كتاب «مصباح الزائر» في الكلام عن يوم عرفة بنفس الشكل الذي أوردناه نحن في حاشية «البلد الأمين» ، ثمّ روى هذه الرواية حسب مضمون «البلد الأمين» .[1]

كان ذلك هو كلام المجلسيّ رحمه الله في «بحار الأنوار» . ثمّ ذكر عدّة أدعية أُخرى عن السيّد ابن طاووس في يوم عرفة ثمّ قال : وقال السيّد : ومن الدعوات المشرّفة في يوم عرفة ، دعاء مولانا الحسين بن عليّ صلوات الله عليه وهو :

الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَيْسَ لِقَضَائِهِ دَافِعٌ وَلَا لِعَطَائِهِ مَانِعٌ .

وهنا ينقل ابن طاووس هذا الدعاء المفصّل عنه (الإمام الحسين عليه السلام) مع هذه الإضافة :

إلَهِي ! أَنَا الفَقِيرُ فِي غِنَايَ فَكَيْفَ لَا أَكُونُ فَقِيراً فِي فَقْرِي ـ حتّى يختم الدعاء بالعبارة :

١ـ «بحار الأنوار» ج ٢٠ ، ص ٢٨٢ ، باب أعمال خصوص يوم عرفة وليلتها وأدعيتها زائداً على ما مرّ في طيّ الباب السابق ، طبعة الكمبانيّ ؛ وفي الطبعة الإسلاميّة: ج ٩٨، ص ٢١٤.

أَمْ كَيْفَ تَغِيبُ وَأَنْتَ الرَّقِيبُ الحَاضِرُ، إنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ وَالحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ ـ انتهى كلامه .

ثمّ يقول المجلسيّ رحمة الله عليه : قد أورد الكفعميّ رحمه الله عليه أيضاً هذا الدعاء في «البلد الأمين» وابن طاووس في «مصباح الزائر» كما سبق ذكرهما ، ولكن ليس في آخره فيهما بقدر ورقة تقريباً وهو من قوله : **إلَهِي ! أَنَا الفَقِيرُ فِي غِنَايَ** إلى آخر هذا الدعاء .

وكذا لم توجد هذه الورقة في بعض النسخ العتيقة من «الإقبال» أيضاً ، وعبارات هذه الورقة لا تلائم سياق أدعية السادة المعصومين أيضاً ، وإنّما هي على وفق مذاق الصوفيّة . ولذلك قد مال بعض الأفاضل إلى كون هذه الورقة من مزيدات بعض مشايخ الصوفيّة ومن إلحاقاته وإدخالاته .

وبالجملة ، هذه الزيادة إمّا وقعت من بعضهم أوّلاً في بعض الكتب ، وأخذ ابن طاووس عنه في «الإقبال» غفلةً عن حقيقة الحال ؛ أو وقعت ثانياً من بعضهم في نفس كتاب «الإقبال» ؛ ولعلّ الثاني أظهر على ما أومأنا إليه من عدم وجدانها في بعض النسخ العتيقة وفي «مصباح الزائر» ، **والله أعلم بحقيقة الأحوال.**[1]

وأمّا المرحوم المحدّث القمّيّ ، فقد ذكر بعد نقل هذا الدعاء إلى (**يَا رَبِّ يَا رَبِّ يَا رَبِّ**) ، أنّ الإمام كان يكثر من قول **يَا رَبِّ** ، وأمّا الذين كانوا يستمعون إلى الدعاء ، من الذين اجتمعوا من حوله ، كانوا يكتفون بقول آمين .

ثمّ علت أصوات بكائهم مع الإمام عليه السلام حتّى غروب الشمس ،

١ـ «بحار الأنوار» ج ٢٠ ، ص ٢٨٧ ، الطبعة القديمة (الكمبانيّ)؛ وفي طبعة المكتبة الإسلاميّة: ج ٩٨، ص ٢٢٧ و٢٢٨.

ثمّ حزموا أمتعتهم باتّجاه المشعر الحرام .

يقول المؤلّف (المحدّث القمّيّ) إنّ الكفعميّ نقل دعاء عرفة للإمام الحسين عليه السلام في كتاب «البلد الأمين» إلى هذه الفقرة[١] ، وأورد العلّامة المجلسيّ في «زاد المعاد»[٢] هذا الدعاء الشريف كما في رواية الكفعميّ ، إلّا أنّ السيّد ابن طاووس في كتابه «الإقبال» قد زاد على الدعاء المذكور بعد **يَا رَبِّ يَا رَبِّ يَا رَبِّ** قائلاً : **إلَهِي ! أَنَا الفَقِيرُ فِي غِنَايَ** .

وقد نقل جميع تلك الفقرات بالتفصيل وزاد عليها في آخرها عبارة **إنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ وَالحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ**.[٣]

نعم ، فإنّ هذه المناجاة والحِكَم المنقولة عن ابن عطاء الله هي في الحقيقة من تأليفه هو ، وإسنادها إلى سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام غير صحيح .

فكيف يتسنّى للمرحوم السيّد ابن طاووس ، وهو المتوفّى في ٥ ذي القعدة سنة ٦٦٤[٤] أن يتصوّر أنّ هذه الفقرات من ابن عطاء الله ، وهو

١ـ «البلد الأمين» للشيخ إبراهيم الكفعميّ ، ص ٢٥١ إلى ٢٥٨ ، منشورات مكتبة الصدوق ـ طهران.

٢ـ «زاد المعاد» للعلّامة الملّا محمّد باقر المجلسيّ الثاني رحمه الله ، ص ٩١ إلى ٩٦ ، طبعة قديمة جدّاً بقلم أحمد التبريزيّ ؛ وطبعة المرحوم الحاجّ الشيخ فضل الله النوريّ رحمه الله ، بقلم مصطفى النجم آباديّ : ص ٢٠٩ إلى ٢٢٢.

٣ـ «الإقبال» ص ٣٣٩ إلى ٣٥٠ ، الطبعة الحجريّة ؛ «مفاتيح الجنان» ص ٢٧١ ، طبعة الإسلاميّة ، سنة ١٣٧٩ هـ.

٤ـ «طبقات أعلام الشيعة» الأنوار الساطعة في المائة السابعة (القرن السابع) تأليف سماحة العلّامة الشيخ آغا بزرك الطهرانيّ ، ج ٧ ، ص ١١٧ ، دار الكتب العربيّة ـ بيروت ، عند ذكر أخبار عليّ بن موسى بن طاووس.

المتوفّى في جمادى الآخرة سنة ٧٠٩[1] ، وينسبها إلى الإمام عليه السلام ؟ فالفاصل الزمنيّ بين وفاة هذين الشخصين هو ٤٤ سنة وسبعة أشهر ، وبذلك يكون السيّد خلال هذه المدّة ، والتي تقرب من نصف قرن ، قد توفّي قبل تأليف هذه الأدعية ، وعلى هذا ، يمكن الجزم ، بأنّ إلحاق هذه الفقرات بدعاء الإمام في يوم عرفة في كتاب (الإقبال) ، قد تحقّق بعد رحيل السيّد . وعليه ، فإنّ الاحتمال الثاني للعلاّمة المجلسيّ رحمه الله سيكون يقيناً ، وأمّا الاحتمال الأوّل الذي يقول فيه : ربّما يكون قد ورد في كتب البعض ، ثمّ قام ابن طاووس بنقل ذلك بدون دراية ، فهو غير صحيح .

كلّا ، وحاشا أن يكون السيّد وهو الذي يمتلك تلك العظمة والمنزلة ، قد اقتبس هذا الكلام من كتاب عارفٍ ، وألحقه في آخر دعاء الإمام ، ثمّ نسبه إلى الإمام .

والدليل على ذلك ، عدم ذكر السيّد له في كتاب «مصباح الزاهر» ، وعدم ورود ذلك في المخطوطات القديمة من كتاب «الإقبال» ، أي أنّ هذه النسخ كانت موجودة في حياة السيّد ، ونُسبت إليه بعد وفاته ، إلّا أنّ المجلسيّ ، ولعدم علمه بكتاب «الحِكَم العطائيّة» ، ولا بمؤلّفه ، أو زمان تأليفه ، قد أخطأ في إسناده هذا . وأمّا خطأ المحدّث القمّيّ ، وهو الخبير في فنّ البحث والتأليف ، فهو أنّه ، وبعد أن رأى كلام العلاّمة المجلسيّ رحمه الله القائل : لم نعثر على هذه الفقرات من الدعاء في النسخ القديمة من كتاب «الإقبال» ، قال في «مفاتيح الجنان» : ولكن ذكر السيّد ابن طاووس في «الإقبال» بعد كلمة **يَا رَبِّ يَا رَبِّ يَا رَبِّ** هذه الزيادة ؟

١ـ «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون» لحاجي خليفة كاتب الجلبيّ : ج ١ ، ص ٦٧٥ ، العمود الأيمن ؛ ومقدّمة «شرح الحِكَم العطائيّة» ص ١٣ .

ذلك أنّ هذه العبارة ، تؤكّد إسناد هذا الدعاء إلى السيّد ابن طاووس ، وكان عليه أن يقول : وقد شوهدت هذه الإضافة في بعض نسخ كتاب «الإقبال» .

وحصيلة الكلام ، أنّ هذا الدعاء جيّد المضامين ، ولطيف المعاني ، وقراءته في كلّ وقت وحين مفيدة ونافعة . إلاّ أنّه لا يجوز إسناده إلى سيّد الشهداء عليه السلام . **وَالحَمْدُ لِلَّهِ أَوَّلاً وَآخِراً ، وَظَاهِراً وَبَاطِناً** .

نعم ، فإنّ العرفاء الأفاضل يعبّرون عن التجلّي الذاتيّ المقرون بالجمال ، بالطلعة البهيّة للمعشوق والمحبوب ، أو إماطة الستار عن المحيّا ، أو بإظهار الوجه .

وفي ذلك يقول الخواجة شمس الدين محمّد حافظ الشيرازيّ أعلى الله رتبته :

ساقى بيا كه يار ز رخ پرده بر گرفت
كار چراغ خلوتيان باز در گرفت
آن شمع سر گرفته دگر چهره بر فروخت
وين پير سالخورده جوانى ز سر گرفت
آن عشوه داد عشق كه مفتى ز ره برفت
وآن لطف كرد دوست كه دشمن حذر گرفت[١]

١ـ يقول : «هلمّ يا ساق وأسقنا فقد أزال الحبيب الحجاب وبان، وأضاء فَرط جماله وحُسنه سراج خلوة العشّاق.

وازدادَ شمع محيّا الحبيب المشتعل ضياءً ونوراً وأضحى هذا الشيخ العجوز شابّاً يافعاً من جديد.

وقد غمز العشق غمزة وأغرى إغراءً بحيث وقع قاضي الشرع كذلك في شباكه واحتار في المحبوب، وأغدق الحبيبُ علينا من حبّه حتّى هَجَرَنا الأعداء وفارقونا».

بـار غـمی کـه خـاطر ما خسته کرده بود
عـيسـی دمی خدا بـفرستاد و بـر گـرفت
زنـــهار از آن عـــبارت شـــيرين دلفـريب
گـوئی کـه پستهٔ تـو سـخن در شکـر گـرفت
هر سرو قد که بر مه و خور ، حسن می‌فروخت
چـــون تـو درآمـدی پـی کـار دگـر گـرفت
زيـن قـصّه هـفت گـنبد افـلاک پـر صـداست
کـوته نـظر بـبين کـه سـخن مـختصر گـرفت
حافظ تـو ايـن سـخن ز کـه آمـوختی کـه يـار
تـعويذ کـرد شـعر تُـرا و بـه بـر گـرفت[١]

ويجب القول ، إنّه كلّما تقرّب العبد إلى الله عزّ وجلّ ، زالت الحجب

١ـ يقول : «إنّ الله سبحانه أرسل أنفاراً مُستعدّين للتضحية بأنفسهم كعيسى ابن مريم عليهما السلام، لكي يُزيل عنّا إصر الهجر والفراق الذي أثقل كاهلنا ولوّع قلوبنا، ويُخلّصنا من الغَمّ.

فاحذر العبارات الرنّانة والكلام المعسول الخادع، كأنّ ثغره فُستقةً ضاحكة معجونة بالسكّر.

إنّ كلّ مَن اعتاد على الدلال والاغترار بقامته وقوامه في مقابل القمر والشمس، جلس جانباً وكسدت بضاعته وامتهن مهنة أُخرى بعد أن خرجتَ أنت علينا وبدا جمالك وحُسنك.

لقد دوّى صوت العشق وملأ صداه أركان السماوات السبع، فانظرْ إلى السفيه القليل العقل الذي اعتبر هذه القصّة حكاية عابرة لا أهمّيّة لها.

يا **حافظ** ! مَن ذا الذي علّمك هذا النمط من الحديث السماويّ والشِّعر الراقي ، اللذان حرزا محبوبك وحفظا معشوقك فطفق يحملهما معه كالتميمة ؟».

«ديوان حافظ» ص ١١٩ ، الغزليّة رقم ٨٦ ، طبعة منشورات صفي عليشاه، سنة ١٣٧٦ شمسيّة (١٩٩٧م).

النفسانيّة . **إنّ التقرّب إلى الله، يعني حالة كشف الحجاب، أي القيام بعملٍ ينتهي برفع الحجاب.**

علينا أداء كلّ العبادات بنيّة التقرّب إلى الله ، وإلّا ، فإنّ تلك العبادات تكون باطلة ، ولا قيمة لها ، وإن كانت عظيمة .

إنّ التقرّب إلى الله ، ليس المقصود به تقرّباً مكانيّاً أو زمانيّاً أو غير ذلك ، لأنّ الله سبحانه وتعالى لا مكان محدّد له حتّى يتقرّب الإنسان منه . ولا هو واقع في زمان معيّن حتّى يقترب الإنسان إلى ذلك الزمان ، إنّ المكان والزمان وسائر العوارض والجواهر ، مخلوقات الله ، وفي قبضة يمينه **وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ**.[1]

إلّا أنّ هناك حجباً كثيرة بين النفس الإنسانيّة وربّها ، تزيد على سبعين ألف حجاب ، وعلى هذا ، فإنّ أيّ عمل يقوم به الإنسان ، سواء أكان طاعةً ، أم ترك معصية ، يؤدّي إلى إزالة حجاب من تلك الحجب ، شريطة أن يكون هذا العمل بقصد التقرّب إلى الله ، أي أنّ النفس الإنسانيّة تقترب مرحلة نحو الله ، فيتوضّح لها صفاؤها ونقاؤها وتطرح عن داخلها القسوة والظلمة ، حتّى تزول الحجب عن العبد رويداً رويداً ، ولا يبقى أيّ بعدٍ نفسانيّ أو فاصلٍ مكانيّ بينه وبين ربّه .

وحينها ، سيرى العبد بعين الله ، ويسمع بأُذنه ، وينطق بلسانه ، فتكون عيناه عيني الله ، وأُذناه أُذني الله ، ولسانه لسان الله .

وبعبارة أوضح ، حتّى هذه اللحظة ، كانت كلّ الصفات والأفعال

١ـ مقطع من الآية ٦٧ ، من السورة ٣٩ : الزمر ، وتمام الآية : **وَمَا قَدَرُوا ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ**.

تنسب إلينا على سبيل الاستقلال ، وأمّا الآن ، فصفة الاستقلال هذه قد انتفت ، وطُرحت في أُتون النار ، وتطاير رمادها في مهبّ رياح الفَناء ، حيث لا يحمل العبد في وجوده وصفاته وأفعاله ، غير الآيتيّة والمرآتيّة ، ولهذا فالله تعالى يتلألأ في مرآة هذا العبد ، ويُظهر وجوده من نافذته ، وينظر بعينه ، ويسمع بأُذنه ، وينطق بلسانه ، ويمشي على رِجليه ، وعن أفكاره يعبّر ، وبعقله يدرك ، فإذاً ، فالله موجود ، ولا غيره ، وهو يرى ويسمع ويتكلّم ويمشي ويفكّر ويدرك ، وكفى .

ومن هنا يقول العارف القدير الشيخ محمود الشبستريّ أعلى الله مقامه :

چو نيكو بنگرى در اصل اين كار
هم او بيننده هم ديده است و ديدار
حديث قدسى اين معنى بيان كرد
فَبى يَسمَعْ وَبى يُبصِرْ عيان كرد[١]

يقول الشارح المحترم لكتاب «گلشن» : وهو الشيخ محمّد اللاهيجيّ في شرحه لهذين البيتين :

لأنّ كلّ ما موجود إنّما هو موجود بحقيقة كلّ وجود الحقّ ، ولا شيء غير ، فهذا معنى قوله : نصّ :

چو نيكو بنگرى در اصل اين كار
هم او بيننده هم ديده است و ديدار

١ـ يقول : «فلو نظرتَ جيّداً في الأمر هذا لرأيت أنّه الباصر والبصير والإبصار.
بان في الحديث القدسيّ وظهر أنّ المؤمن بي يسمع وبي يبصر».
«گلشن راز» ص ١٤ ، بخطّ النستعليق لعماد الأردبيليّ ، سنة ١٣٣٣ شمسيّ ، المصادف (سنة ١٩٥٤م).

فلأنّ أصل الوجود هو الحقّ تعالى ، ولا موجود غيره ، فتفكّر وتأمّل مليّاً ، فستعرف بأن لا وجود لغير الحقّ ، فالناظر هو ، والمنظور هو الإنسان ، والنظرة هي للوجه الذي ينعكس في المرآة ، فكلّهم الحقّ تعالى ، وجميع الصور ، إنّما هي مظاهر للحقّ ، وقد تجلّى بكلّ صورة ومظهر ، وتجلّيه الأقدس على هيئة صور الأعيان الثابتة ، والتي هي الصور المعقولة للأسماء الإلهيّة المخزونة في العلم . حيث ظهر بصفة القابليّة ، والتجلّي المقدّس هو المراد به هو التجلّي الشهوديّ ، والذي يظهر جليّاً على صورة تلك الأعيان ، وبحسب استعداداتها .

عشق هر دم ظهور ديگر داشت　　زان كند نقش مختلف پيدا
هر دم از كون سر برون آرد　　روى ديگر نمايد از هر جا[1]

وهذا «مقام أحديّة الجمع» و«المقام المحمّديّ» صلّى الله عليه وآله وسلّم الذي تجلّت حقيقة الوحدانيّة في مظهر الفرديّة **وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ**.[2] **إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ** ،[3] لأنّ استحكام المكشوفات ومتانتها بشهادة البراهين العقليّة ، يقول :

١ـ يقول : «لقد كان للعشق في كلّ آن ظهور آخر، ويُبدي من ذلك صورة مختلفة عن الأُخرى.

وكلّما ظهر في ناحية من نواحي الكون، ظهر بوجه آخر من مكان آخر».

٢ـ مقطع من الآية ١٧ ، من السورة ٨ : الأنفال ، وتمام الآية : **فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**.

٣ـ صدر الآية ١٠ ، من السورة ٤٨ : الفتح ، وتمام الآية : **إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**.

حديث قدسى اين معنى بيان كرد فَبي يَسمَعْ وَبي يُبصِرْ عيان كرد

والحديث القدسيّ هو أنّ ذلك المعنى نزل على النبيّ بدون واسطة[1]، ومعنى عبارة الحديث القدسيّ التي جاءت في البيت السابق هيّ:

لَا يَزَالُ العَبْدُ يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ وَلِسَانَهُ وَيَدَهُ وَرِجْلَهُ. فَبِي يَسْمَعُ وَبِي يُبْصِرُ وَبِي يَنْطِقُ وَبِي يَبْطِشُ وَبِي يَسْعَى.

وفي رواية: **وَبِي يَمْشِي**.

اعلم أنّ محبّة الله الصمد من قبل العبد، عند العارفين، هي تجلٍّ لنفحات الألطاف الربّانيّة من مهبّ البوادي في غمرة تلاطم أمواج بحر الإرادة، والتي هي برزخ الغيب والشهادة، الهابّة من أُسس وجود الأكوان ومفاتيح غيب الأعيان، والتي تخصّ المظاهر الظاهرة، والمجالي الزاكية، والتي هي مكمن الآثار القدسيّة، وحملة الأسرار الأُنسيّة، حيث تطهّر مرايا بواطن المستقبلين للفيض الجماليّ من كدورات الآثار المجاليّة الجسمانيّة، وظلمة الشهوات النفسانيّة، وعن طريق رفع حجاب العوائق والعلائق، ودفع عذاب القواطع والموانع، تقترب من بساط القُرب. وتُذيق متعطّشي زلال الوصال، لذّة شراب روح الأُنس.

ومحبّة طالب الحقّ، هي انجذاب سرّ السالك المشتاق، نحو تحصيل هذه المعاني التي هي منشأ سعادة الطالبين، ومنع كمال الراغبين، وميل باطن الطالب لدرك نتائج هذه الحقائق، حيث جمال الطالبين منها محروم وبسبب فقدان هذه الثروة والسلطان، فهم تحت نير الذلّ والعار. شعر:

---

[1] ـ وللحديث القدسيّ ميزة أُخرى هي أنّه لا يجب اعتباره معجزة للنبيّ، ولذا فإنّ القرآن الكريم لا يُعتَبر من الأحاديث القدسيّة.

ایــن ســعادت هــر کــه را در بــر گــرفت
خــاک پــایش را فــلک بــر ســر گــرفت
هــر کــه او از خــود بــه کــلّی وا نــرست
نــــایدش درّی از ایــن دریــا بــه دست
خــود مــحبّت فــارغ از مــا و مــن است
هر که او را دوست ، خود را دشمن است[1]

وما ذُكر في شرح المحبّة ، هو بعينه عبارة قطب المحقّقين ، الأمير سيّد عليّ الهمدانيّ قدّس سرّه وعلى سبيل التبرّك والتيمّن نُقل بحذافيره بدون زيادة أو نقصان .

فهذا الحديث القدسيّ ، أنّ الله تعالى ، بالحقيقة ، هو الناظر والمنظور ، حيث «**بِي يَسْمَعُ وَبِي يُبْصِرُ**» يوضّح هذا المعنى ، فالإنسان ، في الواقع ، هو تلك القوى والأعضاء والجوارح التي نسبها الله إليه ، فإذاً كلّها هو . شطر بيت : * نامی است زمن بر من و باقی همه اوست *[2]

وهو ما يُعرف بـ **مَقَامُ الفَنَاءِ بَعْدَ البَقَاءِ** وإشارة لمرتبة : **أَطِعْنِي أَجْعَلَكَ مِثْلِي وَلَيْسَ كَمِثْلِي**.[3]

نعم ، فلهذا الحديث أهمّيّة قصوى من حيث المعنى والدلالة ،

١ـ يقول :

«فمن حصل على هذه السعادة — كان تراب قدمه للفَلَك وسادة
فمن لم يجتز النفس جميعاً كلّها — لم ينل شيئاً منها ولا من درّها
هي تخلو من (أنا) و(نحن) — فمن أحبّها عادى نفسه على عَلَن»

٢ـ يقول : «هو اسمٌ منّي عَلَيّ ، والباقي كلّه هو».

٣ـ أورد السيّد حيدر الآمليّ هذا الحديث في «جامع الأسرار» ص ٢٠٤ ؛ «شرح گلشن راز» بتصحيح وتنقيح كيوان سميعي ، ص ١١٣ إلى ١١٥.

وأيضاً ، من حيث سنده وطريقة روايته . يقول المرحوم آية الله وحجّته ، العالم العظيم الشأن الحاجّ ميرزا جواد آقا الملكيّ التبريزيّ قدّس سرّه في كتابه القدير «لقاء الله» : «هذا الحديث القدسيّ ، متّفق عليه من قبل جميع ملل الإسلام» .[١]

أمّا عن طريق الشيعة ، فقد روى الشيخ الثقة الجليل الأقدم أبو جعفر أحمد بن محمّد بن خالد البرقيّ ، والذي يتقدّم الشيخ الكلينيّ بالمنزلة ، ومن جملة مشايخه في الإجازات ، في كتابه «المحاسن» عن أحمد بن أبي عبد الله البرقيّ ، عن عبد الرحمن بن حمّاد ، عن حنّان بن سدير ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، أنّه قال : **قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: قَالَ اللهُ:**

مَا تَحَبَّبَ إلَيَّ عَبْدِي بِشَيءٍ أَحَبَّ إلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ. وَإنَّهُ لَيَتَحَبَّبُ إلَيَّ بِالنَّافِلَةِ حَتَّى أُحِبَّهُ. فَإذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَلِسَانَهُ الَّذِي يَنْطِقُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا.

إذَا دَعَانِي أَجَبْتُهُ، وَإذَا سَأَلَنِي أَعْطَيْتُهُ.

وَمَا تَرَدَّدْتُ فِي شَيءٍ أَنَا فَاعِلُهُ كَتَرَدُّدِي فِي مَوْتِ مُؤْمِنٍ يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ.[٢]

١ـ «لقاء الله» ص ٢٤.

٢ـ «المحاسن»، ج ١ ، ص ٢٩١ ، برقم ٤٤٣ ، كتاب مصابيح الظُّلَم ؛ وقد ردّ القاضي نورالله الشوشتريّ في كتاب «مصائب النواصب» على المعاند الذي ادّعى أنّ كُتب الشيعة مُقتصرة على الكُتب الأربعة المشهورة «الكافي» ؛ «الفقيه» ؛ «التهذيب» و«الاستبصار»، قائلاً ما مفهومه: «وأمّا ثالثاً فلأنّ حصر كتب الإ ماميّة في أربعة غير صحيح، لأنّ كتبهم تبلغ الستّة وخامسها «المحاسن» من تأليف أحمد بن محمّد بن خالد البرقيّ، وسادسها «قرب ⇦

....

⇐ الإسناد» من تأليف محمّدبن عبد الله جعفر الحميريّ».

وذكر الملّا محمّد تقي المجلسيّ طيّب الله مضجعه في شرحه بالفارسيّة على كتاب «من لا يحضره الفقيه» (الطبعة الحجريّة ، ج ١ ، ص ٦١) في شرح قول الصدوق رحمه‌الله فيما يتعلّق بكتاب «المحاسن» لأحمد بن أبي عبد الله البرقيّ ما قوله: «وهذا الكتاب موجود وفي متناول أيدينا، وهو كما نقل عنه المشايخ كبير وثقة ومُعتَمَد عليه. وما موجود لدينا اليوم ربّما كان ثُلث الكتاب المذكور. وقد صنّف المؤلّف ثلاث وتسعين مُصنّفاً آخر غير هذا الكتاب في فنون العلوم. وقد ورد ذِكر أسماء هذه الكتب وسائر كتب العلماء الأُخرى في فهارس أصحاب الرجال».

وقال العلّامة المجلسيّ قدّس الله تربته في مقدّمة كتاب «بحار الأنوار» في الفصل الثاني في كلامه في أنّ الكتب التي استند إليها في تأليف كتابه «بحار الأنوار» وروى عنها، هل هي كتب معتبرة أم لا، ما معناه: «ويعتبر كتاب «المحاسن» للبرقيّ من الأُصول المعتبرة وقد نقل عنه الكلينيّ وجميع مَن تأخّرَ عنه».

وقال العلّامة السيّد مهدي بحر العلوم رحمه الله في رجاله (الطبعة الحروفيّة، ج ١، ص ٣٣١): «بنو خالد البرقيّ : أبوهم : خالد بن عبد الرحمن بن محمّد بن عليّ ، كوفيّ من موالي أبي الحسن الأشعريّ . وقيل : مولى جرير بن عبد الله. قتل يوسف بن عمر ـ والي العراق ـ جَدّه محمّد بن عليّ بعد قتل يزيد ـ رضي الله عنه ـ فهرب خالد ـ وهو صغير ـ مع أبيه عبدالرحمن إلى برق رود قرية في سواد (قم) على وادٍ هناك يُعرَف بذلك ـ فنُسبوا إليها». حتّى يصل العلّامة إلى قوله : «وذكرَ البرقيّ في (رجاله) أباه محمّداً في أصحاب الكاظم، والرضا والجواد عليهم السلام. وذكرَ نفسه في أصحاب الجواد والهادي عليهما السلام وكان في زمان العسكري عليه السلام، وذكرَ أصحابه، ولم يعدّ نفسه فيهم وكأنّه لم يلقه أو لم يتّفق له الرواية».

وأورد الشيخ الجليل النجاشيّ رحمه الله في رجاله (الطبعة الحجريّة، ص ٥٦) عن أحمد بن الحسين في تأريخه: «أحمد بن محمّد بن عبد الرحمن بن محمّدبن عليّ البرقيّ ... توفّي أحمدبن أبي عبد الله البرقيّ في سنة أربع وسبعين ومائتين. وقال عليّ بن ⇐

ونقل المجلسيّ رضوان الله عليه نفس هذا الحديث عن «المحاسن» في «بحار الأنوار» سنداً ورواية.[1]

ورواه الكلينيّ بمضمون مشابه، ولكن بسندين مختلفين:

الأوّل: عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، وأبو عليّ الأشعريّ عن محمّد بن عبد الجبّار: وجميعاً عن ابن فضّال، عن عليّ بن عقبة عن حمّاد بن بشير، قال: سمعت أبا عبد الله (الصادق) عليه السلام يقول:

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: قال الله عزّ وجلّ:

مَنْ أَهَانَ لِي وَلِيّاً فَقَدْ أَرْصَدَ لِمُحَارَبَتِي. وَمَا تَقَرَّبَ إلَيَّ عَبْدٌ بِشَيءٍ أَحَبَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ. وَإنَّهُ لَيَتَقَرَّبُ إلَيَّ بِالنَّافِلَةِ حَتَّى أُحِبَّهُ؛ فَإذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَلِسَانَهُ الَّذِي يَنْطِقُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا.

إنْ دَعَانِي أَجَبْتُهُ، وَإنْ سَأَلَنِي أَعْطَيْتُهُ. وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيءٍ أنَا فَاعِلُهُ كَتَرَدُّدِي عَنْ مَوْتِ المُؤْمِنِ يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ.[2]

الثاني: عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد بن خالد، عن إسماعيل بن مهران، عن أبي سعيد القمّاط، عن أبان بن تغلب، عن أبي جعفر (الباقر) عليه السلام أنّه قال:

⇦ محمّد ماجيلويه: توفّي سنة ثمانين ومائتين».

١ـ «بحار الأنوار» ج ١٥، ص ٢٩، باب حُبّ الله تعالى، طبعة الكمبانيّ القديمة؛ وطبعة الإسلاميّة: ج ٧٠، ص ٢٢، حديث رقم ٢١.

٢ـ «أُصول الكافي» ج ٢، ص ٣٥٢، حديث رقم ٧، من كتاب الإيمان والكفر، باب من آذى المسلمين واحتقرهم.

لَمَّا أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ: يَا رَبِّ مَا حَالُ المُؤْمِنِ عِنْدَكَ ؟!

قَالَ: يَا مُحَمَّدُ ! مَنْ أَهَانَ لِي وَلِيّاً فَقَدْ بَارزَنِي بِالمُحَارَبَةِ ! وَأَنَا أَسْرَعُ شَيءٍ إلَى نُصْرَةِ أَوْلِيَائِي. وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيءٍ أَنَا فَاعِلُهُ كَتَرَدُّدِي عَنْ وَفَاةِ المُؤْمِنِ؛ يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ.

إنَّ مِنْ عِبَادِي المُؤْمِنِينَ مَنْ لَا يُصْلِحُهُ إلَّا الغِنَى وَلَوْ صَرَفْتُهُ إلَى غَيْرِ ذَلِكَ لَهَلَكَ. وَإنَّ مِنْ عِبَادِي المُؤْمِنِينَ مَنْ لَا يُصْلِحُهُ إلَّا الفَقْرُ، وَلَوْ صَرَفْتُهُ إلَى غَيْرِ ذَلِكَ لَهَلَكَ.

وَمَا يَتَقَرَّبُ إلَيَّ عَبْدٌ مِنْ عِبَادِي بِشَيءٍ أَحَبَّ إلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ. وَإنَّهُ لَيَتَقَرَّبُ إلَيَّ بِالنَّافِلَةِ حَتَّى أُحِبَّهُ؛ فَإذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ إذاً سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَلِسَانَهُ الَّذِي يَنْطِقُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا.

إنْ دَعَانِي أَجَبْتُهُ؛ وَإنْ سَأَلَنِي أَعْطَيْتُهُ.[1]

وقد ذكر العلاّمة المجلسيّ رضوان الله عليه، شرحاً مبسوطاً وجميلاً عند توضيحه وشرحه لهذه الرواية في كتاب «مرآة العقول» نورد هنا مقتطفات من ذلك الشرح ما يناسب هذا البحث:

هذا الحديث صحيح السند.

١ـ «أُصول الكافي» ج ٢، ص ٣٥٢، حديث رقم ٨.

وروى هذا الحديث كذلك بدون سند ثقة الإسلام الشيخ أبو الفضل عليّ الطبرسيّ المتوفّى أوائل القرن السابع الهجريّ، في كتاب «مشكاة الأنوار في غُرر الأخبار» الطبعة الثانية، المطبعة (الحيدريّة) ـ النجف الأشرف، في ص ١٤٦ و ١٤٧، عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام. وقد ذكر الحقير المسكين هذا الحديث أيضاً في كتاب «التوحيد العلميّ والعينيّ» ص ٢٩٩، مع ذِكر أسناد عدّة له في التعليقة.

قال الشيخ البهائيّ برّد الله مضجعه: هذا الحديث صحيح السند، وهو من الأحاديث المشهورة بين الخاصّة والعامّة. وقد رووه في صحاحهم بأدنى تغيير هكذا.[١]

وقد أطنب المرحوم الشيخ البهائيّ أعلى الله درجته، في مقام شرح وتفسير هذا الحديث، بعد ذِكر هذه الرواية هنا، مُورِداً مقتطفات من كلام الحكماء والصوفيّة. ثمّ قام بنقل كلام للمحقّق الشريف في حاشية تفسير «الكشّاف» وذلك في آخر البحث، إلى أن قال: **وَإنَّهُ لَيَتَقَرَّبُ إلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ:**

النوافل جميع الأفعال غير الواجبة، وأمّا تخصيصها بالصلوات المندوبة فعُرفٌ طارٍ. ومعنى محبّة الله سبحانه للعبد هو كشف الحجاب عن قلبه وتمكينه من أن يطأ على بساط قربه، فإنّ ما يُوصف به سبحانه إنّما يؤخذ باعتبار الغايات لا باعتبار المبادي. وعلامة حبّه سبحانه للعبد، توفيقه للتجافي عن دار الغرور، والترقّي إلى عالم النور، والأُنس بالله، والوحشة عمّا سواه، وصيرورة جميع الهموم همّاً واحداً.

وقال بعض العارفين: **إذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ مَقَامَكَ، فَانْظُرْ فِيمَا أَقَامَكَ.**

وقد قال معلّقاً على هذه الفقرة: «فإذا أحببته كنت إذاً سمعه الذي

١ـ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: **إنَّ اللهَ تَعالَى قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيّاً فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ. وَمَا يَتَقَرَّبُ إلَيَّ عَبْدِي بِشَيءٍ أَحَبَّ إلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ. وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بِالنَّوافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ؛ فَإذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا. إنْ سَأَلَنِي لَأَعْطَيْتُهُ، وَإنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ. وَمَا تَرَدَّدْتُ فِي شَيءٍ أَنَا فَاعِلُهُ كَتَرَدُّدِي فِي قَبْضِ نَفْسِ المُؤْمِنِ؛ يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ، وَلَابُدَّ لَهُ مِنْهُ.**

يسمع به»

تمسّك بعض الصوفيّة والاتّحاديّة والحلوليّة والملاحدة بظواهر تلك العبارات وأعرضوا عن بواطن هذه الاستعارات، فضلّوا وأضلّوا، مع أنّ عقل جميع أُولي الألباب يحكم باستحالة اتّخاذ شيء مع أشياء كثيرة متباينة الحقائق ومختلفة الآثار، وأيضاً ما ذكروه من الكفر الصريح لا اختصاص بالمحبّين والعارفين، بل يحكمون باتّحاده تعالى بجميع أصناف الموجودات، حتّى الكلاب والخنازير والقاذورات، **سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا**.

وهنا، يختم العلاّمة المجلسيّ كلام الشيخ قدّس سرّه، ثمّ يشرع هو بشرح وتفصيل هذا الحديث قائلاً:

فهذه الأخبار نافية لمذاهبهم الفاسدة الخبيثة لا مثبتة لها، ولها عند أهل الإيمان وأصحاب البيان وأرباب اللسان معان واضحة ظاهرة تقبلها الأذهان ومبنيّة على مجازات واستعارات شايعة في الحديث والقرآن، ومشتملة على نكات بليغة استحسنها أرباب المعاني، ولا تنافي عقائد أهل الإيمان، وهي كثيرة نومئ هنا إلى بعضها.

الأوّل: ما ذكره الشيخ البهائيّ قدّس سرّه وإن داهن في أوّل كلامه حيث قال: لأصحاب القلوب في هذا المقام كلمات سنيّة وإشارات سريّة وتلويحات ذوقيّة تعطر مشامّ الأرواح وتحيي رميم الأشباح، لا يهتدى إلى معناها ولا يطّلع على مغزاها إلّا من أتعب بدنه في الرياضات وعنّى نفسه بالمجاهدات حتّى ذاق مشربهم وعرف مطلبهم، وأمّا من لم يفهم تلك الرموز ولم يهتد إلى هاتيك الكنوز لعكوفه على الحظوظ الدنيّة وانهماكه في اللذّات البدنيّة فهو عند سماع تلك الكلمات على خطر عظيم من التردّي في غياهب الإلحاد والوقوع في مهاوي الحلول والاتّحاد، **تَعالَى اللَهُ عَنْ ذَلِكَ**

عُلُوّاً كَبيراً.

وقال الشيخ البهائيّ رحمه الله عندها :

فنقول : هذا مبالغة في القرب وبيان لاستيلاء سلطان المحبّة على ظاهر العبد وباطنه وسرّه وعلانيّته ، فالمراد والله اعلم : أنّي إذا أحببت عبدي جذبته إلى محلّ الأُنس وصرفته إلى عالَم القدس وصيّرت فكره مستغرقاً في أسرار الملكوت وحواسّه مقصورة على اجتلاء أنوار الجبروت ، فيثبت حينئذٍ في مقام القرب قدمه ويمتزج بالمحبّة لحمه ودمه ، إلى أن يغيب عن نفسه ويذهل عن حسّه فيتلاشى الأغيار في نظره حتّى أكون له بمنزلة سمعه وبصره كما قال من قال :

جُنُونِي فِيكَ لَا يَخْفَى وَنَارِي مِنْكَ لَا تَخْبُو
فَأَنْتَ السَّمْعُ وَالإبْصَارُ وَالأَرْكَانُ وَالقَلْبُ

وقال رحمه الله : **يَبْطِشُ بِهَا** ، بالكسر والضمّ أي يأخذ بها ، وأصل البطش الأخذ بالعنف والسطوة - انتهى كلام الشيخ رحمه الله .

هنا يورد العلّامة المجلسيّ رحمه الله مضافاً إلى هذا الوجه ، خمسة أوجه أُخرى غيرها ، ويستحسن الوجه الخامس بالخصوص ، ويقول في الوجه السادس : ما هو أرفع وأوقع وأحلى وأدقّ وألطف وأخفى ممّا مضى ، وهو أنّ العارف لمّا تخلّى من شهواته وإرادته وتجلّى محبّة الحقّ على عقله وروحه ومسامعه ومشاعره وفوّض جميع أُموره إليه وسلّم ورضى بكلّ ما قضى ربّه عليه يصير الربّ سبحانه متصرّفاً في عقله وقلبه وقواه ، ويدير أُموره على ما يحبّه ويرضاه ، فيريد الأشياء بمشيّة مولاه كما قال سبحانه مخاطباً لهم : **وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ**.[1]

١ـ صدر الآية ٣٠ ، من السورة ٧٦ : الإنسان . وتمام الآية : **وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن** ⇦

كما ورد في تأويل هذه الآية في غوامض الأخبار عن معادن الحِكَم والأسرار والأئمّة الأخيار .

وروي عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم : **قَلْبُ المُؤْمِنِ بَيْنَ إصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ ؛ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ .**

وكذلك ، يتصرّف ربّه الأعلى منه فيساير الجوارح والقوى ،كما قال سبحانه مخاطباً لنبيّه المصطفى : **وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ .**[1]

وقال تعالى : **إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ .**[2]

فلذلك صارت طاعتهم طاعة الله ومعصيتهم معصية الله ، فاتّضح بذلك معنى قوله تعالى : «**كُنْتُ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ**» **وَأَنَّهُ بِهِ يَسْمَعُ وَيُبْصِرُ** . فكذا ، ساير المشاعر تدرك بنوره وتنويره ، وساير الجوارح تتحرّك بتيسّره وتدبيره ،كما قال تعالى : **فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ .**[3]

وقريب منه ما ذكره الحكماء في اتّصال النفس بالعقول المفارقة ، والأنوار المجرّدة على زعمهم ، حيث قالوا : قد تصير النفس لشدّة اتّصالها

⇦ **يَشَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا .**

١ـ مقطع من الآية ١٧ ، من السورة ٨ : الأنفال . وتمام الآية : **فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ .**

٢ـ صدر الآية ١٠ ، من السورة ٤٨ : الفتح . وتمام الآية : **إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا .**

٣ـ الآيات ٥ إلى ٧ ، من السورة ٩٢ : الليل . وتمام الآية : **فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ .**

بالعقل الفعّال بحيث يصير العقل بمنزلة الروح للنفس، والنفس بمنزلة البدن للعقل، فيلاحظ المعقولات في لوح العقل، ويدبّر العقل نفسه كتدبير النفس للبدن، ولذا يظهر منه الغرائب التي يعجز عنها ساير الناس كإحياء الموتى وشقّ القمر وأمثالهما.

قال صاحب «الشجرة الإلهيّة»[1]: كما أنّ في النفس في حال التعلّق بالبدن تتوهّم أنّها هي البدن، أو أنّها فيه وإن لم تكن هو ولا فيه، فكذلك النفس الكاملة إذا فارقت البدن وقطعت تعلّقها من شدّة قوّتها ونوريّتها وعلاقتها العشقيّة مع نور الأنوار والأنوار العقليّة، تتوهّم أنّها هي فتصير الأنوار مظاهراً لنفوس المفارقة كما كانت الأبدان أيضاً، فهذا هو معنى الاتّحاد لا بمعنى صيرورة الشيئين شيئاً واحداً فإنّه باطل ـ انتهى.

حتّى يصل المجلسيّ إلى قوله:

قال المحقّق الطوسيّ قدّس الله سرّه القُدُّوسيّ: العارف إذا انقطع عن نفسه واتّصل بالحقّ رأى كلّ قدرة مستغرقة في قدرته المتعلّقة بجميع المقدورات، وكلّ علم مستغرقاً في علمه الذي لا يعزب عنه شيء من الموجودات، وكلّ إرادة مستغرقة في إرادته التي لا يتأبّى عنها شيء من الممكنات، بل كلّ وجود وكلّ كمال وجود فهو صادر عنه فائض من لدنه.

فصار الحقّ حينئذٍ بصره الذي يبصر به، وسمعه الذي يسمع به، وقدرته التي بها يفعل، وعلمه الذي به يعلم، ووجوده الذي به يجود، فصار

١ـ وجاء في «الذريعة» ج ١٣، ص ٢٨، برقم ٨٩ أنّ: «شجرة الهيّه» هو كتاب بالفارسيّة في أُصول الدين للحكيم المتكلِّم السيّد رفيع الدين محمّد بن حيدر الحسنيّ الطباطبائيّ المعروف بـ(ميرزا رفيعا)، وهو من شيوخ المجلسيّ. توفّي في سنة ١٠٨٢ أو ١٠٩٩هـ. وكان المشار إليه قد ألّف ذلك الكتاب للشاه صفيّ الصفويّ سنة ١٠٤٧ هـ».

العارف حينئذٍ متخلّقاً بأخلاق الله في الحقيقة .

وقال بعض المحقّقين في شرح هذا الخبر أيضاً : معنى محبّة الله كشفه الحجاب عن قلبه و تمكينه إيّاه من قربه ، ومعنى المحبّة من العبد ميل نفسه إلى الشيء لكمال إدراكه فيه بحيث يحمّلها على ما يقرّبها إليه ، فإذا علم العبد أنّ الكمال الحقيقيّ ليس إلّا للّه ، وأنّ كلّ ما يراه كمالاً من نفسه أو من غيره فهو من **الله** و**بالله** وإلى **الله** لم يكن حبّه إلّا **للّه** و**في الله** . وذلك يقتضي إرادة طاعته والرغبة فيما يقرّبه إليه واتّباعه من كلّ وسيلة له إلى معرفته ومحبّته ، قال الله تعالى لرسوله :

قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ .[1]

فإنّ متابعة الرسول في عبادته وسيرته وأخلاقه وأحواله ونوافله ، يحصل القرب إلى الله ، وبالقرب يحصل محبّة الله إيّاه .

وقال بعض العارفين بزعمه : إذا تجلّى الله سبحانه بذاته لأحد يرى كلّ الذوات والصفات والأفعال متلاشية في أشعّة ذاته وصفاته وأفعاله ، ويجد نفسه مع جميع المخلوقات كأنّها مدبّرة لها وهي أعضائها ولا يلمّ بواحد منها شيء إلّا ويراه ملمّاً به ، ويرى ذاته الذات الواحدة ، وصفته صفتها ، وفعله فعلها لاستهلاكه بالكلّيّة في عين التوحيد ، وليس للإنسان وراء هذه الرتبة مقام في التوحيد .

ولمّا انجذب بصيرة الروح إلى مشاهدة جمال الذات استتر نور العقل الفارق بين الأشياء في غلبة نور الذات القديمة ، وارتفع التميّز بين القِدَم والحدوث لزهوق الباطل عند مجيء الحقّ .

١ـ صدر الآية ٣١ ، من السورة ٣ : آل عمران . وتمام الآية : **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ .**

وقيل : إلى هذا المعنى يشير ما ورد في الحديث النبويّ : **عَلِيٌّ مَمْسُوسٌ فِي ذَاتِ اللَهِ.**

ولعلّ هذا هو السرّ في صدور بعض الكلمات الغريبة من مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة البيان وأمثالها ـ انتهى .

ويقول المجلسيّ في ختام هذا البحث الذي ينتهي هنا : الاكتفاء بما أسلفنا وأومأنا ، وترك الخوض في تلك المسالك الخطيرة أولى وأحوط وأحرى ، **وَاللَهُ الْمُوَفِّقُ لِلْهُدَى.**[1]

وقد اعتبر الشيخ بهاء الدين العامليّ رحمه الله هذه الرواية ، واحدة من الروايات الأربعين الصحيحة في كتابه «الأربعين» . وقد نقلها بسند متّصل عن الكلينيّ ،كما فعل المجلسيّ ، ثمّ اختتمه بشرح جميل مرّت مقتطفات منه .[2]

وقد ذكر أيضاً ، السيّد علي خان الحسينيّ الحسنيّ المدنيّ الشيرازيّ المعروف بالكبير ، هذه الرواية في «شرح الصحيفة المباركة الكاملة السجّاديّة» .[3] وكذا فعل السيّد حسن الشيرازيّ في كتابه « كلمة الله» .[4]

وأورد ذلك أيضاً ، الغزّاليّ في كتابه «إحياء العلوم» في باب المحبّة

١ـ «مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول» ج ١٠ ، ص ٣٨٣ إلى ٣٩٦، حديث ٨، كتاب الإيمان والكفر، باب من آذى المسلمين واحتقرهم ، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٤ هـ.

٢ـ كتاب «الأربعين» ص ٢٩٥ إلى ٣٠٣ ، الحديث ٣٥ ، الطبعة الحجريّة (ناصري)، سنة ١٢٧٢ هـ.

٣ـ «رياض السالكين» ج ٦ ، ص ١٥٧ ، في شرح الدعاء الخامس والأربعين، طبعة رابطة المدرّسين.

٤ـ «كلمة الله» ص ٦٨ ، حديث رقم ٦٧ ، تحت عنوان (زُلفى المؤمن)، وذكر مصادره في ص ٥١٩ عن «المحاسن» للبرقيّ ، و«الكافي» للكلينيّ في ثلاثة مواضع.

والشوق إلى الله.[١]

واستشهد السيّد حيدر الآمليّ بهذا الحديث في كتاب «جامع الأسرار ومنبع الأنوار» الذي طُبع بتصحيح هنري كوربن، في أربعة مواضع:

الأوّل: في صفحة ٢٠٤، برقم (٣٩٣): **أَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى فِيهِ (أَيْ مَقَامِ الوَحْدَةِ الذَّاتِيَّةِ) فَكَقَوْلِهِ فِي الحَدِيثِ القُدْسِيِّ: لَا يَزَالُ العَبْدُ** ـ إلى آخره.

الثاني: في صفحة ٢٤٩، برقم (٤٩٥): **قُلْنَا: جَوَابُكَ فِي هَذَا السُّؤَالِ مِنْ طُرُقِهِمْ (هُوَ) فِي غَايَةِ الوُضُوحِ؛ وَهُوَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: نَحْنُ إذَا أَثْبَتْنَا أَنَّ الإمَامَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مَعْصُوماً وَمَنْصُوصاً (عَلَيْهِ)** ـ إلى آخره.

الثالث: في صفحة ٦٠٥، برقم (١٢٦٩): **وَحَقُّ اليَقِينِ هُوَ أَوَّلُ دُخولِهِمْ فِي البَقَاءِ الحَقِيقِيِّ الحَاصِلِ بَعْدَ الفَنَاءِ الكُلِّيِّ المُسَمَّى بِالفَرْقِ بَعْدَ الجَمْعِ، الَّذِي هُوَ مَقَامُ التَّكْمِيلِ وَالرُّجُوعِ إلَى الكَثْرَةِ بِاللَهِ لَا بِهِ؛ لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: «وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّـهَ رَمَىٰ». وَلِقَوْلِهِ فِي الحَدِيثِ القُدْسِيِّ** ـ إلى آخره.

الرابع: في صفحة ٦٧٥، برقم (١١٩): **وَهَذَا هُوَ مَقَامُ مُشَاهَدَةِ العَبْدِ نَفْسَهُ مَعَ كَثْرَتِهَا فِي مِرْآةِ الحَقِّ وَاحِدَةً** ـ إلى آخره.

وهؤلاء هم من الخاصّة الذين نقلوا هذه الرواية في الكتب المذكورة، ويتّضح من كتاب «سرّ العالمين»، أنّ الغزّاليّ كان قد تشيّع في آخر عمره، وقد استوفينا البحث في هذا الأمر في الجزء الثامن من «معرفة الإمام» من سلسلة العلوم والمعارف الإسلاميّة.[٢]

١ـ «إحياء العلوم» ج ٤، ص ٢٦٣، طبعة دار الكتب العربيّة الكبرى، مطبعة ميمنة ـ مصر، سنة ١٣٣٤.

٢ـ «معرفة الإمام» ج ٨، من الدرس ١١٨ إلى ١٢٠.

وقد تمّ بحث هذا الحديث المبارك من قبل العبد الحقير، مؤلّف هذا الكتاب «معرفة الله» في أماكن عدّة في سلسلة العلوم والمعارف الإسلاميّة هذه: الجزء التاسع من «معرفة الإمام»[١] والجزء الثاني من «معرفة المعاد»[٢] وكذلك في «مهر تابان» (= الشمس الساطعة)،[٣] و«التوحيد العلميّ والعينيّ».[٤]

ومن العامّة، رواه البخاريّ في كتاب «الرقاق»، باب التواضع.[٥]

وذكره أيضاً الراغب الإصفهانيّ في «المفردات» في كتاب القاف، في مادّة قرب بقوله: وعلى هذا القرب، نبّه عليه الصلاة والسلام فيما ذكر عن الله تعالى:

مَنْ تَقَرَّبَ إلَيَّ شِبْراً، تَقَرَّبْتُ إلَيْهِ ذِرَاعاً.

وعنه قوله أيضاً: **مَا تَقَرَّبَ إلَيَّ عَبْدٌ بِمِثْلِ أَدَاءِ مَا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ** ـ إلى آخر الخبر.[٦]

وقد رواه أحمد بن حنبل عن عبد الواحد، مولى عروة، عن عروة، عن عائشة،[٧] وقد بحث الشيخ عزيز الدين النسفيّ هذا الحديث في ثلاثة مواضع من كتاب «الإنسان الكامل»:

١ـ «معرفة الإمام» ج ٩، من الدرس ١٣١ إلى ١٣٤.

٢ـ «معرفة المعاد» ج ٢، المجلس ٩.

٣ـ انظر: «الشمس الساطعة» البحث الفلسفيّ.

٤ـ خلال التذييل على المكتوب السادس للمرحوم السيّد، ص ٢٩٩.

٥ـ «صحيح البخاريّ» ج ٨، ص ١٠٥، طبعة بولاق.

٦ـ «المفردات في غريب القرآن» ص ٣٩٩، العمود الأيسر، تحقيق السيّد محمّد سيّد الجيلانيّ، مطبعة مصطفى البابيّ الحلبيّ.

٧ـ «مسند أحمد بن حنبل» ج ٦، ص ٢٥٦، دار صادر، المكتب الإسلاميّ ـ بيروت.

الأوّل : خلال بحثه في العقل ودرجاته ، فهو يعتبر أنّ العقل الأعلى والأرقى موجود لدى مَن تحقّق في شأنه الحديث القدسيّ : **كُنْتُ لَهُ سَمْعاً وَبَصَراً وَيَداً وَلِسَاناً ، بِي يَسْمَعُ وَبِي يُبْصِرُ وَبِي يَبْطِشُ وَبِي يَنْطِقُ**.

الثاني : وخلال بحثه في المشكاة ، فهو يطنب في الشرح حتّى يصل إلى هذا الحديث .

الثالث : وخلال بحثه في لقاء الله ، يستشهد بهذا الحديث .[١]

ويقول الملاّ حسين الواعظ الكاشفيّ في «الرسالة العليّة» عند ذكره لمقام القرب : قال الله تعالى : **وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ**. وعندها يذكر هذا الحديث القدسيّ .[٢]

١ـ «الإنسان الكامل» للنسفيّ ، بتصحيح ومقدّمة فرانسوا ماريجان موله، طبعة تابان، سنة ١٣٤١ ، الصفحات: ١٣٦ و ٢٨٥ و ٣٠٥ على التوالي . قال بخصوص الموضع الثالث هذا ما ترجمته:

«(٢١) يا أيّها الدرويش ! لن يكون بإمكان السالك معرفة أيّ شيء ورؤيته كما هو ما لم يتشرّف بلقاء الله . وليس للسالك شغلاً شاغلاً غير معرفة الله ورؤيته، ومعرفة صفاته ورؤيتها. فمَن لم يرى الله ولم يعرف صفاته فهو كمَن جاء (إلى الدنيا) أعمى وخرج (منها) أعمى. فإذا وصل السالك إلى نور الله فقد خلّف وراءه كلّ الرياضات والمجاهدات الصعبة، ووصل إلى المقام الذي يقول عنه الله :**كُنْتُ لَهُ سَمْعاً وَبَصَراً وَيَداً وَلِسَاناً ، وَبِي يَسْمَعُ وَبِي يُبْصِرُ وَبِي يَبْطِشُ وَبِي يَنْطِقُ**. وكذا فقد وصل إلى المقام الذي قال عنه رسول الله عليه السلام: **اتَّقُوا فَرَاسَةَ المُؤْمِنِ ، فَإنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَهِ**. وعند وصول السالك إلى نور الله فهو حينئذٍ سائر في طريق نور الله . فقد كان حتّى تلك اللحظة سائراً في طريق نور العقل؛ وهو ذا عمل العقل قد انتهى ؛ وهو الآن سائر في طريق نور الله. ويسير طوراً في طريق نور الله حيث تزال كلّ الحُجُب النورانيّة والظلمانيّة من أمام السالك، فيرى الأخير الله ويعرفه. إذن فلا يمكن رؤية نور الله أو معرفته إلّا بنور منه أيضاً».

٢ـ «الرسالة العليّة في الأحاديث النبويّة» (شرح أربعين حديثاً نبويّاً بتصحيح ⇦

ويذكر الملاّ عبد الرزّاق الكاشانيّ في «شرح منازل السائرين» في قسم الحقائق، في باب الحياة :

«وأصل المحبّة هو العلم بالآيات والأخبار الواردة في المحبّة والشوق والإرادة كما في قوله تعالى : **يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ**. [٥٤/٥] **وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ**. [١٦٥/٢] **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ**. [٣١/٣] وعن الرسول الأكرم صلّى الله عليه [وآله] وسلّم حاكياً عن ربّه عزّ وجلّ : **لَا يَزَالُ العَبْدُ يَتَقَرَّبُ** ـ إلى آخر الحديث ، **وَإنَّ أَحَبَّ العِبَادِ إِلَى اللَهِ الأَخْفِيَاءُ الأَتْقِيَاءُ**.[١] **مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَهِ، أَحَبَّ اللَهُ لِقَاءَهُ**.[٢]

⇦ السيّد جلال الدين الأُرمَويّ المحدِّث) . هذا وقد توفّي الكاشفيّ سنة ٩١٠.

نعم ، فهذه الرواية موجودة في ص ١٧٠ و ١٧١ من هذه الرسالة . وجاء في كتاب «تشيّع وتصوّف (=التشيّع والتصوّف) تأليف الدكتور كامل مصطفى الشيبيّ ، وترجمة ذكاوتي القراكوزلو، ص ٣٢٥، ضمن بيان ترجمة أحوال الكاشفيّ ما يلي :

«ويبدو أنّ الواعظ الكاشفيّ كان من الأفذاذ النوادر الذين لم يجد المذهب أو الطريقة أو التعصّب سبيلاً إلى أنفسهم فكان طرازاً غريباً من الرجال، شبيهاً برجل من الشيعة اشتهر بتلك السماحة أيضاً هو بهاء الدِّين العامليّ . ومع أنّ الواعظ الكاشفيّ كان صوفيّاً نَقشبَنديّاً وفقيهاً حنفيّاً ألّف في الفقه الحنفيّ رسالة برأسها («هديّة العارفين» ج ١، ص ٣١٦ ـ التعليقة)، كتب سنة ٩٠٨ أوّل وأهمّ رسالة في مجالس العزاء الحسينيّ سمّاها «روضة الشهداء في مقاتل أهل البيت»».

١ـ «سنن ابن ماجة» (كتاب الفتن ، الباب ١٦ ، من ترجّى له السلامة من الفتن: ١٣٢١/٢) عن الرسول الكريم... **إنَّ اللَهَ يُحِبُّ الأَبْرَارَ الأَتْقِيَاءَ الأَخْفِيَاءَ ، الَّذِينَ إذَا غَابُوا لَمْ يُفْتَقَدُوا ، وَإِذَا حَضَرُوا لَمْ يُدْعَوْا وَلَمْ يُعْرَفُوا** ـ التعليقة).

٢ـ «الجامع الصغير» للسيوطيّ (باب الميم : ١٦٠/٢) و«معاني الأخبار» باب معنى ما روي أنّ من أحبّ لقاء الله .(التعليقة) ؛ وشرح الكاشانيّ لـ«منازل السائرين» للخواجة عبدالله الأنصاريّ ، ص ٥٢٨ ، منشورات بيدار.

وقد تطرّق أبو مظفّر منصور السمعانيّ في كتاب «روح الأرواح» إلى ذكر وشرح هذا الحديث القدسيّ في ثلاثة مواضع : في باب «الحقّ المبين» و«الواجد» و«المنتقم» .[١]

واستشهد الشيخ نجم الدين الرازيّ به في موضعين من كتاب «مرصاد العباد» ، وقال في الموضع الثاني في مقام تجلّي الأُلوهيّة :

«إنّ محمّداً عليه الصلاة هو مصداق لتجلّي الأُلوهيّة ، حتّى أضحى الوجود المحمّديّ إثباتاً لوجود الذات الإلهيّة حيث يقول تعالى : **إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ**.

لم ينل أحد من الأنبياء عليهم السلام هذا الشرف والمنزلة الرفيعة ، ولكن كلّ من عزم على أن يأكل من هذه المائدة ، فله أن يسعى للدنو من مضيّفه ، والتقرّب إليه أكثر فأكثر كما في قوله سبحانه **لَا يَزَالُ العَبْدُ يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بِالنَّوَافِلِ** . [حتّى آخر الحديث] .

وهذه السعادة إنّما هي من خاصّيّة تجلّي الذات الإلهيّة» .[٢]

واستشهد كذلك الشيخ نجم الدين الرازيّ بهذا الخبر في أحد المواضع في رسالة «العشق والعقل» ، حيث يستدلّ على عدم قدرة العقل في متابعة هذا الطريق ، إلى أن يقول :

«ومن هنا ، فلا سبيل إلّا بطيّ طريق العشق ، حيث يتجرّد العشق من الحروف ، ويرتدي حلّة الجذبة ، فيجتاز السالك بجذبة واحدة مقام قاب قوسين ليصل به إلى مرتبة الوجود ، وتضعه في مقام **أَوْ أَدْنَىٰ** وعلى بساط

١ـ «رَوح الأرواح في شرح أسماء الملك الفتّاح» بتصحيح نجيب مائل الهرويّ ، ص ٤٤٢ ، ٤٩٩ ، ٥٥٢ ، «انتشارات علمى و فرهنگى» (=المنشورات العلميّة والثقافيّة).

٢ـ «مرصاد العباد» ص ٢٠٨ ، ٣٢٠ ، و ٣٢١ ، طبعة بنگاه ترجمه ونشر كتاب.

القرب ، حيث :

جَذْبَةٌ مِنْ جَذَبَاتِ الحَقِّ تُوَازِي عَمَلَ الثَّقَلَيْنِ.

أي أنّه لا يمكن الوصول إلى ما يوازي عمل الثقلين إلّا بالجذبة . وأن ينسلخ من مرحلة **فَٱذْكُرُونِى** ، ويتجلّى جمال مرحلة **أَذْكُرْكُمْ** ، فيكون الذاكر مذكوراً ، والعاشق معشوقاً ، وحينما يوصل العشق العاشق بمعشوقه ، فإنّ العشق يبقى بصفة (الدلّالة) على الباب والعاشق يَقْدِم إلى حضرة وصال المعشوق بصفة الفَرَاشة ، ووجوده يسكبه على قدم شعلة شمع جلال المعشوق حتّى يُضيّف المعشوق العاشقَ المحترقَ بنور جماله . فيتجلّى الوجود المجازيّ للعاشق ، والوجود الحقيقيّ للمعشوق من مكمن **كُنْتُ كَنْزاً مَخْفِيَّاً** فلا يبقى من العاشق إلّا اسمه . شعر :

عشق آمد و شد چو خونم اندر رگ و پوست
تا كرد مرا تهىّ و پر كرد ز دوست
اجزاى وجود من همه دوست گرفت
نامى است ز من بر من و باقى همه اوست[1]

فيكون هذا هو معنى **لَا يَزَالُ العَبْدُ يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ** [حتّى آخر الرواية]» .[2]

١ـ يقول :

«جاء الحبّ وصار دمي في عروقي فأفرغني ثمّ ملأني من حبّ صَدوقِ
وصار الحبيب كلّ همّي ووجودي فما أبقى لي غير اسمي دون وجودي»

٢ـ رسالة «عشق و عقل» ص ٦٤ إلى ٦٦ ، و١١٧ و١١٨ ، (معيار الصدق في مصداق العشق)، طبعة بنگاه ترجمه ونشر كتاب. ويقول معلّق الكتاب:

«حديث قدسيّ مشهور مرويٌّ على وجوه مختلفة . ذكره الهُجويريّ في «كشف المحجوب» ص ٣٩٣، طبعة لينينغراد ، وجاء ذِكره في «إحياء العلوم» و«الجامع الصغير» ⇐

وقد استند الهجويريّ الغزنويّ في كتابه «كشف المحجوب» إلى هذا الخبر في موضعَيْن اثنين.[١] واستدلّ الملاّ مسكين في تفسير «حدائق الحقائق» بهذه الرواية في موضع واحد.[٢]

وذكر كلّ من عبد الحليم محمود ومحمود بن شريف هذا الحديث القدسيّ في مقدّمتهما في شرح «الحِكَم العطائيّة» للشيخ أحمد زرّوق خلال بيان وتعداد مدارج الإنسان.[٣]

وقد نظّم ابن الفارض المصريّ أبياتاً تفيد معنى هذا الحديث في كتابه «نظم السلوك»:

وَجَاءَ حَدِيثِي فِي اتِّحَادِيَ ثَابِتٌ
رِوَايَتُهُ فِي النَّقْلِ غَيْرُ ضَعِيفَةِ

⇦ و«إتحاف السادة المتّقين». وقد أشار مولانا جلال الدين إلى مضمون هذا الحديث في «المثنويّ» حيث قال:

رو كه **بى يَسمَع** و **بى يُبصِر** توئى   سرّ توئى چه جاى صاحب سرّ توئى
آنكه **بى يَسمَع** و **بى يُبصِر** شده است   در حقِ اين بنده آن هم بيهُده است

يقول: «اذهَبْ، فأنتَ مَن قيل عنه (بي يَسمَع وبي يُبصر)، وأنتَ السرّ لأنّك أنت صاحب السرّ.

إنّ مَقام (بي يَسمَع وبي يُبصر) لا يمكن إطلاقه على هذا العبد جزافاً».

١ـ «كشف المحجوب» تصنيف أبو الحسن عليّ بن عثمان الجُلابيّ الهُجويريّ الغزنويّ، بتصحيح و.جوكوفسكي، ص ٣٢٦ و٣٩٣، طبعة مكتبة طهوري.

٢ـ تفسير «حدائق الحقائق» لمعين الدين الفَراهي الهَرَويّ، ص ٢٧٨، منشورات أمير كبير.

٣ـ «حِكَم ابن عطاء الله» شرح الشيخ أحمد زرّوق، ص ٤، طبعة طرابلس الغرب، مكتبة النجاح، حيث يقول: وفي حديث قدسيّ يقول سبحانه: **عَبْدِي! اعْبُدْنِي أَجْعَلْكَ رَبَّانِيّاً، تَقُولُ لِلشَّيءِ كُنْ فَيَكونُ**. وفي حديث قدسيّ آخر يقول (الحديث إلى آخره).

يُشِيرُ بِحُبِّ الحَقِّ بَعْدَ تَقَرُّبٍ
إلَيْهِ بِنَفْلٍ أَوْ أَدَاءِ فَرِيضَةِ
وَمَوْضِعُ تَنْبِيهِ الإشَارَةِ ظَاهِرٌ
بِكُنْتُ لَهُ سَمْعاً كَنُورِ الظَّهِيرَةِ
تَسَبَّبْتُ فِي التَّوْحِيدِ حَتَّى وَجَدْتُهُ
وَوَاسِطَةُ الأَسْبَابِ إحْدَى أَدِلَّتِي
وَوَحَّدْتُ فِي الأَسْبَابِ حَتَّى فَقَدْتُهَا
وَرَابِطَةُ التَّوْحِيدِ أَجْدَى وَسِيلَتِي
وَجَرَّدْتُ نَفْسِي عَنْهُمَا فَتَجَرَّدَتْ
وَلَمْ تَكُ يَوْماً قَطُّ غَيْرَ وَحِيدَةِ
وَغُصْتُ بِحَارَ الجَمْعِ بَلْ خُضْتُها عَلَى انْـ
ـفِرَادِيَ فَاسْتَخْرَجْتُ كُلَّ يَتِيمَةِ
لِأَسْمَعَ أَفْعَالِي بِسَمْعٍ بَصِيرَةٍ
وَأَشْهَدَ أَقْوَالِي بِعَيْنٍ سَمِيعَةِ[1]

واستدلّ كذلك سعيد الدين سعيد الفرغانيّ بهذا الحديث في موضعين من شرحَيْه العربيّ والفارسيّ للتائيّة: الأوّل في شرحه لقول ابن الفارض:

جَوَاهِرُ أَنْبَاءٍ، زَوَاهِرُ وُصْلَةٍ طَوَاهِرُ أَبْنَاءٍ، قَوَاهِرُ صَوْلَةِ[2]

١ـ «ديوان ابن الفارض» ص ١٤٢، الطبعة الأُولى، ١٣٧٢ هـ؛ وطبعة بيروت ١٣٨٢ هـ؛ «نظم السلوك» البيت ٧١٩ إلى ٧٢٦؛ وقد ورد البيت الخامس في كِلا النسختين هكذا: **أجدى وسيلةٍ**. وفي الشرح العربيّ للفرغانيّ في ج ٢، ص ٢٠١: **أجدى وسيلتي** وهو الصحيح.

٢ـ عن «مشارق الدراري» المشروح بالفارسيّة ص ٤٥٧، والذي ذكر هذا الحديث في ص ٤٦.

والثاني في شرحه لقول هذا العارف :

وَجَاءَ حَدِيثِي فِي اتِّحَادِيَ ثَابِتٌ   رِوَايَتُهُ فِي النَّقْلِ غَيْرُ ضَعِيفَةِ

وقد ذكر هذا البيت ، وبيتين آخرين بعده ، سبقت الإشارة إليهما هنا ، واستدلّ بهذا الخبر في موضعين أثناء شرحٍ وافٍ لهما ، ولأنّ شرحه ، في الحقيقة ، هو شرحٌ للحديث الذي نحن بصدده ، فما أجمل أن ننقل هنا عباراته ، حتّى نتعرّف أكثر على مفاد ومحتوى هذا الحديث ، وأن نستوعب واقع معنى أبيات ابن الفارض بشكل أفضل :

يقول الفرغانيّ [١] : «**يَحْتَمِلُ قَوْلُهُ : «وَجَاءَ حَدِيثِي ...» أَنْ يَكُونَ عَلَى**

١ـ ولبيان عظمة المَقام العِلميّ للفرغانيّ والقيمة الأدبيّة لكلامه، نكتفي هنا بذِكر ما قاله آية الله مير سيّد حامد حسين الموسويّ النيشابوريّ الهنديّ في كتاب «عبقات الأنوار» ج ١ ، من المجلّد(١٢) : سند حديث الثقلينِ والموجود في القسم الثاني حسب طبعة مؤسّسة نشر نفائس المخطوطات (إصفهان) ، من ص ٤٧٣ إلى ٤٧٥ ، برقم ١١٣ . فقد قال آية الله النيشابوريّ الهنديّ ما ترجمته:

«وأمّا إثبات سعيد الدين محمّد بن أحمد الفرغانيّ لحديث الثقليْنِ فقد قال في شرحه بالفارسيّة على القصيدة التائيّة لابن الفارض عن تفسيره للبيت التالي :

وَأَوْضَحَ بِالتَّأْوِيلِ مَا كَانَ مُشْكُلاً   عَلِيٌّ بِعِلْمٍ نَالَهُ بِالوَصِيَّةِ

ما يلي : لقد أوضح عليٌّ بالتأويل ما قد أشكلَ من المعنى وأشبه فيه من مراد القرآن والحديث على غيره من الصحابة وخاصّة عمر؛ وهو الذي كان يُردّد دوماً (مقولته المشهورة) بهذا الخصوص: **لَوْلَا عَلِيٌّ لَهَلَكَ عُمَرُ** . مع أنّ (عليّاً) كان قد تطرّق إلى هذه المشكلات وحلّها بالعِلم الذي كان قد ورثه عن المصطفى بواسطة الوصيّة التي قال فيها : **إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ كِتَابَ اللَهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي ! أُذَكِّرُكُمُ اللَهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي** ، ثلاث مرّات، ثمّ عاد وكرّر قوله: **أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى غَيْرَ أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي** . وبواسطة قوله: **أَنَا مَدِينَةُ العِلْمِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا** ـ انتهى كلام الفرغانيّ .

ومحامد العلّامة الفرغانيّ المبهرة ومعاليه المُزهرة واضحة لكلّ مَن يبحث في ⇦

لِسَانِ الجَمْعِ الإلَهِيِّ ؛ فَإنَّ هَذَا حَدِيثٌ إلَهِيٌّ . وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ عَلَى لِسَانِ الجَمْعِ المُحَمَّدِيِّ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ .

ويُشير ذلك الحديث على تحقّق محبّة الحقّ لي ومحبّتي له ، وذلك

⇦ كتاب «عبرٌ في خَبر مَن غبر» للذهبيّ ، و«نفحات الأُنس» لعبد الرحمن الجاميّ ، و«كتائب أعلام الأخيار من فقهاء مذهب النعمان المختار» لمحمود بن سليمان الكَفويّ ، و«كشف الظنون» لمصطفى بن عبدالله القُسطنطينيّ ، وغير ذلك من الكتب الأُخرى. **وقد سَبقَ بِعون الله المُنيلِ في مجلّد حديثِ مدينةِ العلم ، بيانُها بالتفصيلِ**. وهنا نكتفي بالإشارة إلى ما قاله عبدالرحمن الجاميّ في كتاب «نفحات الأُنس» ، وهو (ما ترجمته):

وكان الشيخ سعيد الدين الفرغانيّ رحمه الله تعالى من أكمل أرباب العرفان وأكابر أصحاب الذوق والوجدان. فلم يُبيّن أحد مسائل عِلم الحقيقة بهذه الدقّة والصحّة كما فعله هو في ديباجة «شرح القصيدة التائيّة الفارضيّة». فقد قام أوّلاً بشرحها بالفارسيّة، ثمّ عرض ذلك على شيخه (الشيخ صدر الدين القَونويّ قدّس سره ، فاستحسن شيخه ذلك وكتب بعض العبارات في هذا الباب ، فوضع الشيخ سعيد تلك العبارات المكتوبة بعينها في ديباجته على الشرح الفارسيّ تَيمّناً وتبرّكاً. وثانياً، ولتعميم الفائدة وتتميمها، قام بنقلها إلى العربيّة وأضاف عليها فوائد كثيرة وزيادات أُخرى. **جزاه اللهُ عن الطالبين خيرَ الجزاء**.

وله مُصَنَّفٌ آخر يُسمى بـ«مناهج العباد إلى المعاد» في أصحاب المذاهب الأربعة رضوان الله عليهم أجمعين وهو في مسائل العبادات وبعض المعاملات التي لا غنى لسالكي هذا الطريق عنها؛ والتي لا يمكن سلوك طريق الحقيقة بدونها في بيان آداب الطريقة بعد إصلاح وتصحيح أحكام الشريعة. والحقّ أنّه كتاب مفيد وهو ما لابدّ لأيّ طالبٍ ومريد ـ إلى آخره.

فهذا الفرغانيّ ، شيخُهم السعيد المسعود، و حَبرُهم الحميد المحمود ؛ قد أثبتَ هذا الخبرَ النافحَ كالأزهار والورود العاطِر ، كالقُتار الساطِع من العود. فالعجبُ كلُّ العجب من الجاحد العَنود، والمنكر الكَنود؛ كيف لا يَزعُه وازعٌ عن الإنكار والجُحود ، ولا يَصرفهُ صارفٌ عن البغي والمُرود! واللهُ العاصمُ عن شرِّ كلِّ معاندٍ حسودٍ لدودٍ ، وهو الواقي عن زيغِ كلِّ حيودٍ ميودٍ.

بعد طلبي للتقرّب والزلفى إلى الحقّ بأداء النوافل والفرائض والعبادات . ويبدو موضع الإشارة في هذا الحديث إلى الاتّحاد واضحاً وجَدّ جليّ وصريح كنور الشمس الوضّاح في صدر النهار وكبد السماء ؛ وذلك ممّا قَصَدَه بقوله : **كُنْتُ لَهُ سَمْعاً** .

وأمّا لفظ الحديث ، كما ورد في «صحيح البخاريّ» ومسلم فهو :

مَا تَقَرَّبَ إلَيَّ عَبْدِي بِشَيءٍ أَحَبَّ إلَيَّ مِنْ أَدَاءِ مَا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ. وَلَا يَزَالُ يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ؛ فَإذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَلِسَانَهُ الَّذِي يَنْطِقُ بِهِ ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ـ الحديث .

واعلم ، أنّ المحبّة شدّة الرغبة الباطنيّة من أجل الوصول إلى كمالٍ من الكمالات ، وحقيقتها : الآصرة القويّة الوحدانيّة بين الطالب والمطلوب ، ومعناها : تسلّط عوامل الاتّحاد أو الاشتراك ، ممّا يستلزم زوال عوامل التفاضل أو الاختلاف بين الطالب والمطلوب .

والمحبّ هو من تظهر فيه هذه الآصرة أوّلاً ، وتتغلّب وتتسلّط عليه حتّى يقوم الطالب بإزالة عوامل التفاضل عن نفسه ، أو عمّا يطلب . وأصل هذه المحبّة ، هو حقيقة **فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُعْرَفَ** ، حيث كانت ذات الحقّ الواحدة مُحبّة ، وكان المحبوب كمال وجوده وظهور الكمالات الأسمائيّة له ، وتعكس مرآة المحبوب ، الحقيقة الإنسانيّة ، صورةً ومعنىً ، ولا شيء غيرها . **لِكَمَالِ جَمْعِيَّتِهَا وَتَمَامِ مُضَاهَاتِهَا وَقَابِلِيَّتِهَا ، وَقُصُورِ غَيْرِهَا عَنْ ذَلِكَ** .

وَإلَيْهِ الإشَارَةُ فِيمَا رُوِيَ مِنَ الحَدِيثِ الإلَهِيِّ خِطَاباً لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ : لَوْلَاكَ لَمَا خَلَقْتُ الكَوْنَ .

وبحكم هذه المحبّة ، تعيّن تجلٍّ من الله ، بصورة إجماليّة في باطن

تلك الحقيقة الإنسانيّة في جوهرها، والتي تشير إلى البرزخيّة والجمعيّة بين الواحديّة والأحديّة أوّلاً، وبين العلم بالعالم وبين الوجود ثانياً، ثمّ سار وتنزّل من باطن تلك الحقيقة الإنسانيّة في صورٍ تفصيليّة، والتي هي عبارة حقائق العالم، لكمال الظهور الذي كان هو المحبوب الأوّل، حتّى يصل إلى هذه الصورة العنصريّة الإنسانيّة، وهي الصورة الإجماليّة الواقعيّة لتلك الحقيقة الإنسانيّة.

وأمّا مرآة الجمعيّة وكمال ظهور ذلك التجلّي، فواقع الوحدانيّة لذلك النزوع والمحبّة، تزامن مع هذا التجلّي، وهي مستترة في باطنه.

ولمّا كان ذلك التجلّي وحدانيّاً، كان لزاماً أن يكون محلّه ومرآته وظهوره في هذا النزول، أمراً وحدانيّاً كذلك، وما كان لغير العدالة والاعتدال الموحّدين للكثرة في هذه المراتب، بل في عالم التركيب والكثرة من أثر وظلّ وصورة من حقيقة الوحدة، ولا جرم أنّ مرآة ظهور ذلك التجلّي في كلّ مرتبة، هي أمر معتدل، حتّى تكون مرآته، حقيقة وسطيّة، وعدالة إمكان كلّ ممكن في عالم المعاني والأرواح، وذلك بين جهة الوجوب وجهة المحال. وأمّا في عالم المثال والحسّ، فلم يكن مظهر ذلك التجلّي إلّا مزاجاً معتدلاً من الطبيعة والعناصر والمولّدات، وحصيلة هذه الجملة من مراتب الاعتدالات، هو إظهار الاعتدال الإنسانيّ الموجود في الوسط، وصورة الوحدة والعدالة لذلك هي البرزخيّة الأُولى والثانية.

ولمّا كان ظهور ذلك التجلّي في نزوله، في جملة هذه المراتب، ولأنّه تلبّس بصور إنسانيّة تفصيليّة وإجماليّة، فقد اجتمعت حوله أحكام الكثرة والتعيّنات، والنسب والإضافات، والتي هي من مستلزمات الأجزاء والأطراف، وآثار الانحراف، فخرج كلّ حكم من تلك الأحكام على صورة أمل وأُمنية وطلب لذّة وشهوة، وأرادت التغلّب على حُكم الوحدة

والبساطة وصورة الجمعيّة وعدالتها وتوجيهها نحو أوصاف الكثرة والتركيب وأحكام الانحرافات والتغلّب عليها . وكان أمر الشجرة ، والهبوط من الجنّة ، صورة وأثراً لتلك الغلبة .

فتطلّبت تلك المحبّة الوحدانية ـ وهي الآصرة المستترة في باطن التجلّي ـ وضع ميزان اعتداليّ يمثّل الشريعة والطريقة ، لتربط هذا الإنسان المتعرّض للمحبوب بالواسطة ، بجملة من الإرادات والمقاصد والحركات والسكنات الخاصّة بها ، وبالوحدة والعدالة ، ظاهراً وباطناً .

وتستتر حقيقة هذه المحبّة في الباطن ، وهي لسان هذا الميزان الذي هو عين الفرائض ، بحكم انتشار وحدة الأمر «**وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ**» **فإنَّ مُطْلَقَ الأَمْرِ يَقْتَضِي الفَرَضِيَّةَ** ، فيسري أثر هذه المحبّة في باطن أجزاء عمود الميزان وكفّتيه ، اللتين هما بمثابة سنن ونوافل هذا الميزان ، فتغدو حُجُب الحقيقة الإنسانيّة ضعيفة وشفّافة ولطيفة ، تلك الحقيقة التي تكون بمرتبة المحبوبيّة بحكم العناية اللاعليّة في الأزل ، والتي غلبت عليه بحكم الوجوب والوحدة ، وبحكم استعداده الكامل زمان السير والمرور عبر المراتب تنازلياً ، طرأت الحجب الضعيفة والشفّافة واللطيفة عليه ، فإذا تيسّر أداء الفرائض بإخلاص وبالكامل بسبب محبوبيّته ، فبمجرّد أداء تلك الفرائض ظاهراً وباطناً ترتفع الحُجُب ، وحينها ، يظهر حكم حقيقة تلك المحبّة والوحدة الحقيقيّة فيه ، والتي باطنها لسان في قلبه ، فتجذبه نحوها رغم إرادته ، وتجعل منه مرآة كمال ظهورها ، حتّى يظهر الحكم السابق **فَأَحْبَبْتُ** فيه بواسطتها ، وتكون نتيجة ذلك الظهور **إنَّ اللهَ قَالَ عَلَى لِسَانِ عَبْدِهِ : سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ** .

وذلك تحقيق قوله : **مَا تَقَرَّبَ إلَيَّ عَبْدِي بِشَيءٍ أَحَبَّ إلَيَّ مِنْ أَدَاءِ مَا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ** . ذلك أن لا شيء من الميزان أقرب إلى الوحدة من لسان

الميزان ؛ وكذا لا شيء أقرب إلى الوحدة الحقيقيّة للمحبّة من أداء الفرائض عند سريان وحدة الأمر فيه .

وأمّا إذا كان ذلك موجوداً من قبل في مبدأ الحكم والاستعداد الإنسانيّ ، في زمان مروره ونزوله عبر المراتب ، فستجتمع حوله قيود وصفات الكثرة الإنسانيّة وبكثافة ، وتتغلّب على حكم وحدته ، فسيحتاج ذلك الشخص إلى رياضة ومجاهدة كثيرتين ، ولا تتيسّر استقامة واعتدال ذلك الميزان الذي يمثّل أداء الفرائض قلباً وقالباً ، إلّا بملازمة السنن والنوافل من الأذكار والأعمال وشتّى أنواع القُرُبات ، التي تخالفها النفس ، شرط توفّر الإخلاص ومجانبة الشبهات وصغائر الرياء ، وترك جميع اللذّات والشهوات النفسيّة التي تتوقّف عليها استقامة ميزان الشريعة والطريقة بصورة كاملة .كما جاء في الحديث :

إنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ العَبْدُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ الصَّلَاةُ؛ فَإنْ صَلُحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ ، وَإنْ فَسَدَتْ خَابَ وَخَسِرَ . وَإنِ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْئاً قَالَ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: انْظُرُوا ! هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ فَيُكْمَلَ بِهَا مَا انْتَقَصَ مِنَ الفَرِيضَةِ ؟! ثُمَّ يَكُونَ سَائِرُ عَمَلِهِ عَلَى ذَلِكَ .

يدلّ ظاهر الحديث على أنّ النوافل هي مكمّلات للفرائض .

وعلى هذا ، فيلزم على السالك الذي وقع في رتبة المحبّ منذ الأزل المداومة على هذه السنن والنوافل ، حتّى يتسنّى له بعد ملازمته للإخلاص والتوحيد في العمل الاقتراب من لسان الميزان ، ويتمكّن أثر المحبّة الكامن في كفّتي وأجزاء عمود ميزان الشريعة والطريقة من إزالة كلّ صور وإحكام انحرافات نفس هذا السالك ، حتّى تعتدل كفّتا الميزان وعموده . وحينئذٍ ، يظهر القلب الذي هو محلّ ذلك اللسان المذكور ، ويظهر فيه ذلك التجلّي الوجوديّ بوحدته الحقيقيّة ، ويزيل ذلك الأثر من المحبّة الذي

تزامن مع هذا التجلّي واللسان ورافقهماكلّ حُكم امتيازيّ فيما بين الوجود المضاف إلى النفس والقوى والمدارك الباقية فيه ، ويُظهر بدلاً من ذلك حكم عوامل الاتّحاد .

فينكشف حينئذٍ هذا المعنى لهذا السائر المحبّ ، في الحقيقة ، بظهور حكم المحبّة الذي هو إزالة للأحكام الامتيازيّة للنسب والإضافات أنّ هذا الوجود الواحد الذي كان سمعه وبصره ولسانه ويده ورِجله حتّى هذه اللحظة ، وأنّه لم يكن يسمع إلّا بنور الوجود الواحد الحقّ ، ولم يكن ليرى ولا لينطق ولا يبطش ولا يسير إلّا به .

وقدكان محجوباً عن هذا العلم حتّى الآن بسبب تقيّده بأحكام تلك النسب والإضافات التي هي أحكام امتيازيّة ، فارتفعت الحجب والموانع بسبب حقيقة المحبّة التي أزالت تلك القيود ، وانكشفت حقيقة هذا العمل ساطعة وضّاءة .

وهذا هو معنى قوله : **وَلَا يَزَالُ العَبْدُ يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ؛ فَإذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ وَلِسَانَهُ وَيَدَهُ** ـ الحديث .

وإذن ، ففي هذا الحديث الصحيح دلالة صريحة على صحّة وثبوت ما ادّعيته في التوحيد ؛ **وَاللَهُ المُلْهِمُ لِلصَّوَابِ**.[1]

١ـ شرح «مشارق الدراري» ص ٦٠٥ إلى ٦١٠ ، طبعة انجمن فلسفه و عرفان اسلامي (بالفارسيّة)؛ والشرح بالعربيّة المطبوع في مصر سنة ١٢٩٣ هـ: ج ٢ ، ص ١٩٧ إلى ٢٠٠.

قال العلّامة شمس الدين محمّد بن محمود الآمليّ في كتاب «نفائس الفنون» ج ٢، ص ٢٦ و ٢٧ (ما ترجمته):

«ولأنّ حقيقة المحبّة هي نوع من علاقات الاتّحاد التي تربط المحبّ بالمحبوب، وجذبة من جذبات المحبوب التي تجذب المحبَّ نحوه ، فينسلخ المحبوب تدريجيّاً من جميع صفاته نتيجة هذه الجذبة وتلك العلاقة ، ثمّ تسلبه ذاته بقبضة قويّة ومقتدرة ⇦

وعلى أساس فناء الصفات واندكاك عـالم الوجـود فـي عـالم الحـقّ ، يصرّح العارف الجليل المغربيّ بقوله :

دیــده‌ای وام کــنم از تـو ، بـه رویت نگـرم
زانکـــه شـــایستهٔ دیــدار تـــو نـــبود نــظرم
چون ترا هر نفسی جلوه به حُسنی دگر است
هر نفس زان نگران در تو بـه چشـمی دگـرم
توئی از منظر چشمم نگران بـر رخ خـویش
کــه تــوئی مــردمک دیــده و نـور بـصرم[١]

⇦ وتضفي عليه ذاتاً أُخرى غيرها تناسب اتّصافه بصفاته هو . وبعد ذلك ، تـتبدّل صـفاته الموجودة داخل تلك الذات؛ كما قال الجُنيد: : **المحبّةُ دخولُ صفات المُحَبِّ على البدن من المُحِبِّ**. وهنا يتّضح لدينا سرّ **فَإذا أحْبَبْتُهُ كُنْتُ لَهُ سَمْعاً وَبَصَراً** ، وهي حقيقة:

أَنَا مَـنْ أَهْـوَى وَمَـنْ أَهْـوَى أَنَـا نَـحْـنُ رُوحَـانِ حَـلَـلْـنَـا بَـدَنَا
فَـإذَا أَبْـصَـرْتَـنِـي أَبْـصَــرْتَـهُ وَإذَا أَبْـصَــرْتَــهُ أَبْـصَــرْتَـنَـا

ومع ذلك فلا يوجد سبب معيّن للمحبّة (كما قيل) حيث:

إنّ المـحـبّـةَ أمـرُهــا عـجـبُ تُلقَـى عليـكَ ومـا لَـهـا سـببُ

ثمّ قال في ص ٣٢: «وقال بعضهم : إنّ الفَناء هو الغياب عن الأشياء ، والبقاء حضور مع الحقّ ؛ وهذا المعنى هو نتيجة السُّكْر . فقد قال صاحب «العوارف» : **الفناءُ المطلقُ المطابقُ ، هو ما يَستَولي من أمر الحقِّ سبحانَه على العبدِ ، فيَغلبُ كونُ الحقِّ على كونه العبدَ** . وهذه هي حقيقة مطلق الفَناء».

١ـ يقول : «أعرني بصراً لأنظر إليك به وإن كانت عيني لا تليق النظر إليه.

إنّ في كلّ نَفَسٍ منك يتجلّى مظهر آخر لجمالك، وفي كلّ مرّة أخـافُ فـيها عـليك فألحظك بعيني الأُخرى.

أنت ناظر إلى حُسنكَ وجمالك من نظرات عيوني ، لأنّك أنت إنسان عيني وبُؤبُؤها ونور بصري».

هر كه بی‌رسم و اثر گشت به كويش پی‌برد
من بی‌رسم و اثر ناشده ، پی می‌نبرم
تا زمن هست اثر ، از تو نيابم اثری
كاشكی در دو جهان هيچ نبودی اثرم
نتوانم به سر كوی تو كردن پرواز
تا ز اقبال تو حاصل نبود بال و پرم
بوی جانبخش تو همراه نسيم سحر است
زان سبب مردهٔ انفاس نسيم سحرم
يار هنگام سحر بر دل ما كرد گذر
گفت چون جلوه‌كنان بر دل تو می‌گذرم
مغربی آينهٔ دل ز غبار دو جهان
پاک بزْدای كه پيوسته در او می‌نگرم [1]

ونظم الحكيم الجليل الحاجّ ملّا هادي السبزواريّ شعراً قال فيه :

١ـ يقول : «إنّ مَن ذاب في الحقّ وانمحى فيه قد وصل إلى طُوره، لكنّني لم أصل إليه لأنّني ما ذُبتُ ولا انمحيتُ فيه.

فما زال أثر منّي موجوداً ، لم أعثر لك على أثر، فيا ليت ما كان لأثري من وجود في العالمين.

ليست لي القدرة على الطيران في سمائك، حتّى تمنَّ عَلَيَّ بجناحَيْن.

إنّ ريحك العطرة تعانق نسيم السَّحَر، ولهذا تراني قتيل نسيم ذلك السحر.

مرّ الحبيب بجانب قلبي ساعة السَّحَر ، قال : سأَمُرُّ على قلبك كما يفعل مَن يُريد الظهور (للآخرين).

يا **مغربيّ** ! أزِل غُبار العالمين عن مرآة القلب وطهِّرها ، لأنّني ما فتئتُ أنظر فيها».

«ديوان شمس مغربي» ص ٨٦ و ٨٧ ، طبعة الإسلاميّة.

ای بــه ره جســتجوی ، نـعره زنـان دوست دوست
گر به حرم ور به دیر ، کیست جز او ، اوست اوست
پـــرده نـــدارد جـــمال غـــیر صـفات جـلال
نیست بر این رخ نقاب ، نیست بر این مـغز پـوست
جـــامه دران گـــل از آن نـــعره زنـــان بـلبلان
غنچه بپیچد به خود ، خون به دلش تـو بـه تـوست
دم چو فرو رفت هاست ، هـوست چـو بـیرون رود
یـعنی از او در هــمه هـر نـفسی هـای و هـوست
یـار بـه کـوی دل است، کـوی چـو سـرگشته گـوی
بحر به جوی است و جوی این همه در جستجوست
بـــا هـــمه پـــنهانیش هست در اعـــیان عِـیان
بـا هـمه بـی‌رنگیش در هـمه ز او رنگ و بـوست[1]

١ـ يقول : «يا مَن تصرخ في بحثك : الحبيب الحبيب ، مَن ذا غيره موجود في الحَرم أو الدير؟ إنّه هوَ.

لا ستار يُغطّي الجمال سوى صفات الجلال ، ولا خمار يُخفي هذا الوجه ولاقشر يحيط بهذا اللبّ.

إنّ الزهور تشقّ أكمامها لغناء البلابل ، والبراعم تملأ قلوبها بالدم.

إنّ النَّفَس حين يدخل في الشهيق ، ويخرج في الزفير يعني أنّ منه (من الله) شهيقاً وزفيراً في كلّ نفس.

إنّ الحبيب (موجود) في طريق القلب والطريق كأنّه حيران ، واتّحد البحر بالغدير وأضحى الغدير يبحث كلّ هذا البحث.

إنّه مع اختفائه واستتاره ظاهر وعيان في الأعيان ، وبالرغم من عدم تَلوُّنه فقد اقتبس كلّ شيء لونه وعبيره منه».

يـــار در ايــــن انـــجمن يـوسف سـيمين بــدن
آيــــنه‌خانه جــــهان، او بــه هــمه رو بــه روست
پــــرده حـــجازى بســاز يــا بــه عــراقــى نــواز
غــير يكــى نــيست راز ؛ مــختلف از گــفتگوست
مــــــخزن اســــرارِ اوست ســــرّ ســــويداى دل
در پــيَش **اسـرار** بـاز در بـه در و كـو بـه كـوست[1]

روى آية الله المرحوم الحاجّ ميرزا جواد آقا الملكيّ التـبريزيّ هـذا الحديث على صورتَيْن . فقد قال : **فَلَوْ كَانَ العَمَلُ عَمَلاً فَلَابُدَّ أَنْ يُثْمِرَ نُوراً وَمَعْرِفَةً فِي القَلْبِ. فَلَا يَزَالُ يَزْدَادُ نُورُهُ حَتَّى يَكُونَ مَحْسُوساً لِكُلِّ أَحَدٍ. أَمَا سَمِعْتَ مَا فِي الحَدِيثِ القُدْسِيِّ :**

لَا يَزَالُ يَتَقَرَّبُ العَبْدُ إلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أَجْعَلَهُ مِثْلِي ـ إلى آخره.

وَلَا يَزَالُ يَتَقَرَّبُ العَبْدُ إلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ وَكُنْتُ سَمْعَهُ الَّـذِي يَسْمَعُ بِهِ ـ إلى آخره.[2]

ويصف المحقّق الفيض الكاشانيّ سماع الإمام جعفر الصـادق عـليه

١ـ يقول : «إنّ مَثَل الحبيب في حفلنا هذا كمثل يوسف ذي الجسم الفضّيّ اللـون، يُشبه الحجرة المُغطّاة جدرانها بالمرايا ، فأينما وَلّيتَ وجهك رأيته ، فهو أمام الجميع.

اصنَع ستاراً حجازيّاً أو اعزِف لحناً عراقيّاً ، فلا وجود إلّا لسرّ واحد؛ مُختلفٌ عن كلّ (ما عهدناه من) حديث.

إنّه هو مخزن الأسرار وعيبتها وهو سرّ سُوَيداء القـلب ، وهـو الذي يـعرف الأسـرار جميعاً».

«ديوان حكيم حاج ملّا هادي سبزواري» المعروف بـ «اسـرار» ص ٣٨ و ٣٩ ، مكـتبة ثقفي ، إصفهان.

٢ـ «أسرار الصلاة» ص ١٧٥ ، طبعة مطبعة حيدري ، سنة ١٣٨٠.

السلام كلامه هو كلام الله وبإذن الله بما يلي :

وَعَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ حَالَةٍ لَحِقَتْهُ فِي الصَّلَاةِ حَتَّى خَـرَّ مَغْشِيَّاً عَلَيْهِ؛ فَلَمَّا أَفَاقَ قِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ: مَا زِلْتُ أُرَدِّدُ هَذِهِ الآيَـةَ عَلَى قَلْبِي حَتَّى سَمِعْتُهَا مِنَ المُتَكَلِّمِ بِـهَا ، فَـلَمْ يَـثْبُتْ جِسْـمِي لِـمُعَايَنَةِ قُدْرَتِهِ. [1]

ويقول المحقّق الفيض أيضاً في هذا الكتاب [2] : «وقد أخبر جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام عن أعلى درجات هذه الحالة بـقوله : **وَاللَهِ لَـقَدْ تَجَلَّى اللَهُ لِخَلْقِهِ فِي كَلَامِهِ وَلَكِنْ لَا يُبْصِرُونَ.** [3] وبـعدها بـصفحة واحـدة يورد الفيض هنا نفس الرواية السابقة التي نقلها في «أسرار الصلاة» .

يقول السيّد ابن طاووس رحمه الله في كتاب «فلاح السـائل» [4] : **فَـقَدْ رُوِيَ أَنَّ مَوْلَانَا جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ الصَّادِقَ [عَلَيْهِ السَّلَامُ] كَانَ يَتْلُو القُرْآنَ فِي صَلَاتِهِ، فَغُشِيَ عَلَيْهِ . فَلَمَّا أَفَاقَ سُئِلَ : مَا الَّذِي أَوْجَبَ مَا انْتَهَتْ حَـالُكَ إلَيْهِ ؟ فَقَالَ مَا مَعْنَاهُ : مَا زِلْتُ أُكَرِّرُ آيَاتِ القُرْآنِ حَتَّى بَلَغْتُ إلَى حَالٍ كَأَنَّنِي سَمِعْتُ مُشَافَهَةً مِمَّنْ أَنْزَلَهَا ، عَلَى المُكَـاشَفَةِ وَالعِـيَانِ، فَـلَمْ تَـقُمِ القُـوَّةُ البَشَرِيَّةُ بِمُكَاشَفَةِ الجَلَالَةِ الإلَهِيَّةِ.**

وبعدها يقول السيّد في توضيحه : «أنت الذي لا تعرف حـقيقة هـذا الأمر ، إيّاك وأن تستبعد ذلك ، أو يوسوس الشـيطان لك فـيجعلك تشكّ أو

١ـ «المحجّة البيضاء» ج ١ ، ص ٣٥٢ ، طبعة مكتبة الصدوق ، سـنة ١٣٣٩ شـمسيّ (١٩٦٠م)، كتاب «أسـرار الصلاة» ؛ ويقول في التعليق عليه : عن «بحار الأنـوار» عن «فـلاح السائل».

٢ـ ج ٢ ، ص ٢٤٧ ، كتاب آداب تلاوة القرآن.

٣ـ يقول في تعليقه : قد نقله الشهيد في «أسرار الصلاة» ص ٢٠٤.

٤ـ ص ١٠٧ و١٠٨ ، طبعة فرهومند ، سنة ١٣٨٢.

تتردّد في قبول هذا الذي نرويه لك . فعليك أن تؤمن بـذلك ، أفـلم تسـمع بقول البارئ جلّ جلاله : **فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُـوسَىٰ صَعِقًا**».

ويحكي آية الله الحاجّ ميرزا جواد آقا الملكيّ التبريزيّ فـي رسـالة «لقاء الله»[1] وكذلك في كتاب «أسرار الصلاة»[2] نفس عبارة السيّد في «فـلاح السائل» ، ويقول في ص ٢١٢ مـن هـذه الطـبعة (وفـي ص ٩٣ مـن الطـبعة القديمة) : «والارتقاء هو أن تسمو به القراءة صعوداً حتّى يصل إلى الحـالة التي يسمع بها كلام الله كما رأيت في قراءة الإمام الصادق عليه السلام فـي الجملة التي يقول فيها : **حَتَّى سَمِعْتُهَا مِنَ الْمُتَكَلِّمِ بِهَا**».

وفي ص ٢٤٢ من هذه الطبعة (ص ١٠٧ من الطبعة القديمة) يـقول : **وَمِنْ ذَلِكَ مَا رُوِيَ مِنْ غَشْوَةِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَ تَكْرَارِ «مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ»**؛ وما روي عن الإمام السجّاد عليه السلام : **إذَا قَرَأَهُ ، يُكَـرِّرُهُ حَـتَّى يَكَادُ أَنْ يَمُوتَ**».

يروي المجلسي رضوان الله عـليه فـي «بـحار الأنـوار»[3] عـن «فـلاح السائل» : «قال صاحب كتاب «زهرة المهج وتواريـخ الحـجج» بسـنده عـن الحسن بن محبوب ، عن عبد العزيز العبدي ، عن ابن أبي يعفور أنّه قال : **قَالَ مَوْلَانَا الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : كَانَ عَلِيُّ بْنُ الحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ إذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ اقْشَعَرَّ جِلْدُهُ وَاصْفَرَّ لَوْنُهُ وَارْتَعَدَ كَالسَّعَفَةِ**».[4]

١ـ من النسخة الخطّيّة بقلم الحقير : ص ١٦ و١٧ ؛ ومن النسخة المطبوعة : ص ٤٣.
٢ـ الطبعة الحجريّة ، أحمد شاهي : ص ٨٤ و ٨٥ ؛ وطبعة فروهمند : ص ١٩٥ و ١٩٦.
٣ـ طبعة الإسلاميّة ، ج ٨٤ ، ص ٢٤٧ ، كتاب الصلاة ، باب آداب الصلاة.
٤ـ «فلاح السائل» ص ١٠١ ـ التعليقة.

وبنفس المعنى يروي الكلينيّ أنّ مولانا زين العابدين عليه السلام **كَانَ إذَا قَالَ : «مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ» ، يُكَرِّرُهَا فِي قِرَاءَتِهِ حَتَّى كَانَ يَظُنُّ مَنْ يَرَاهُ أَنَّهُ قَدْ أَشْرَفَ عَلَى مَمَاتِهِ.**[1]

وَرُوِيَ أَنَّ مَوْلاَنَا جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ الصَّادِقَ عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ كَانَ يَتْلُو القُرْآنَ فِي صَلاَتِهِ فَغُشِيَ عَلَيْهِ . فَلَمَّا أَفَاقَ سُئِلَ مَا الَّذِي أَوْجَبَ مَا انْتَهَتْ حَالُهُ إلَيْهِ ، فَقَالَ مَا مَعْنَاهُ : مَا زِلْتُ أُكَرِّرُ آيَاتِ القُرْآنِ حَتَّى بَلَغْتُ إلَى حَالٍ كَأَنَّنِي سَمِعْتُهَا مُشَافَهَةً مِمَّنْ أَنْزَلَهَا».[2] انتهت رواية المجلسيّ رحمه الله .

ويروي الكلينيّ في «أُصول الكافي»[3] عن عليّ بن إبراهيم ، بإسناده عن الزُّهريّ قال : «**قَالَ عَلِيُّ بْنُ الحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ : لَوْ مَاتَ مَنْ بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ لَمَا اسْتَوْحَشْتُ بَعْدَ أَنْ يَكُونَ القُرْآنُ مَعِي . وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ إذَا قَرَأَ «مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ» يُكَرِّرُهَا حَتَّى كَادَ أَنْ يَمُوتَ.**

يقول الملّا عبد الرزّاق الكاشانيّ في كتاب «الاصطلاحات» على هامش «شرح منازل السائرين» في «مائة باب» للخواجة عبد الله الأنصاريّ : **المُطَّلَعُ هُوَ مَقَامُ شُهُودِ المُتَكَلِّمِ عِنْدَ تِلاَوَةِ آيَاتِ كَلاَمِهِ مُتَجَلِّياً بِالصِّفَةِ الَّتِي هِيَ مَصْدَرُ تِلْكَ الآيَةِ . قَالَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّادِقُ [عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ]: لَقَدْ تَجَلَّى اللَهُ لِعِبَادِهِ فِي كَلاَمِهِ وَلَكِنْ لاَ يُبْصِرُونَ . وَكَانَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي الصَّلاَةِ فَخَرَّ مَغْشِيّاً عَلَيْهِ ، فَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ قَالَ: مَا زِلْتُ أُكَرِّرُهَا حَتَّى سَمِعْتُ مِنْ قَائِلِهَا.**

قَالَ الشَّيْخُ الكَبِيرُ شِهَابُ الدِّينِ قَدَّسَ اللَهُ سِرَّهُ : كَانَ لِسَانُ جَعْفَرٍ

١ـ «فلاح السائل» ص ١٠٤ ـ التعليقة.

٢ـ «فلاح السائل» ص ١٠٧ و١٠٨ ـ التعليقة.

٣ـ ج ٢ ، ص ٦٠٢ ، كتاب فضل القرآن ، الطبعة الثانية ، سنة ١٣٨١ ، مكتبة الصدوق.

الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ كَشَجَرَةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَ نِدَائِهِ مِنْهَا بِأَنِّي أَنَا اللهُ . وَلَعَمْرِي أَنَّ المُطَّلَعَ أَعَمُّ مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ مَقَامُ شُهُودِ الحَقِّ فِي كُلِّ شَيءٍ مُتَجَلِّياً بِصِفَاتِهِ الَّتِي ذَلِكَ الشَّيءُ مَظْهَرُهَا؛ لَكِنْ لَمَّا وَرَدَ فِي الحَدِيثِ النَّبَوِيِّ [صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ]: «مَا مِنْ آيَةٍ إلَّا وَلَهَا ظَهْرٌ وَبَطْنٌ، وَلِكُلِّ حَرْفٍ حَدٌّ وَلِكُلِّ حَدٍّ مُطَّلَعٌ» خَصُّوهُ بِذَلِكَ». [1]

يقول الغزّاليّ في «إحياء العلوم» [2] : وأخبر جعفر بن محمّد الصادق رضي الله عنه عن عظمة قراءة القرآن **قَالَ : وَاللهِ لَقَدْ تَجَلَّى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِخَلْقِهِ فِي كَلَامِهِ وَلَكِنَّهُمْ لَا يُبصِرُونَ. وَقَالَ أَيْضاً وَقَدْ سَأَلُوهُ عَنْ حَالَةٍ لَحِقَتْهُ فِي الصَّلَاةِ** ـ حتّى آخر الرواية المروية في «فلاح السائل» وعندها يقول : «وعليه ففي مثل هذه الدرجة ، تزداد حلاوة القراءة ولذّة المناجاة حتّى يقول أحد الحكماء : لقد اعتدتُ على قراءة القرآن ولكن بدون أن أشعر بحلاوة ذلك ، حتّى صرتُ أقرأه بشكلٍ وكأ نّي أسمعهُ بصورة مباشرة من لسان النبيّ وهو يتلوه على أصحابه . وبعد ذلك ، ارتقيتُ مرتبة أعلى ، وذلك بقراءته بشكل يجعلني وكأ نّي أسمعُ جبرائيل عليه السلام وهو يلقيه على النبيّ ، وبعدها أكون في حالة وكأ نّي أسمعهُ من الناطق بالقرآن نفسه . وهنا ، أشعرُ بلذّة ونعيم لا أقوى عليهما ولا أتملّك نفسي» ـ انتهى كلام الغزّاليّ .

يقول مؤلّف «كشف الغايات في شرح ما اكتنفت عليه التجلّيات» [3]

١ـ الطبعة الحجريّة ، ص ١٢٠.

٢ـ طبعة دار الكتب العربيّة الكبرى ، ج ١ ، ص ٢٥٩.

٣ـ طبعة مركز نشر دانشگاهى ـ طهران ١٤٠٨ هـ ، بتحقيق عثمان إسماعيل يحيى، ص ١٧٢.

وهو شرح على كتاب «التجلّيات الإلهيّة» لمحيي الدين بن عربي : **كَانَ الإمَامُ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّادِقُ ـ رَضِيَ اللَهُ عَنْهُ ـ ذَاتَ يَوْمٍ فِي الصَّلَاةِ، فَخَرَّ مَغْشِيَّاً عَلَيْهِ . فَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ : مَا زِلْتُ أُكَرِّرُ آيَةً حَتَّى سَمِعْتُ مِنْ قَائِلِهَا، فَكَانَ بِي مِنْ ذَلِكَ مَا كَانَ**. (عن «عوارف المعارف» للسهرورديّ و«إحياء العلوم») .

يقول الحكيم السبزواريّ في «ديوان أسرار»[1] :

شورش عشق تو در هيچ سرى نيست كه نيست
منظر روى تو زيب بصرى نيست كه نيست
نيست يک مرغ دلى ، كش نفكندى به قفس
تير بيداد تو تا پر به پرى نيست كه نيست
ز فغانم ز فراق رخ و زلفت به فغان
سگ كويت همه شب تا سحرى نيست كه نيست
نه همين از غم او سينهٔ ما صد چاک است
داغ او لاله صفت بر جگرى نيست كه نيست[2]

١ـ ص ٣٩ و ٤٠ ، طبعة كتابفروشي ثقفي ـ إصفهان ، سنة ١٣٣٨ شمسي (= ١٩٥٩م) .

٢ـ يقول : «ليس من رأس إلّا وفيه هياج حبّك ، وليس من بصر إلّا وهو ناظر إلى طلعتك الجميلة.

لقد أسرتَ في قفصك كلّ طائر من طيور القلوب وحبسته فيه ، وإنّ سهامك القاتلة لا تعرف الخيبة أبداً.

ما بقي صوت لعواء كلبٍ عند حيّك لارتفاع صوت صراخي وأنيني كلّ ليلة إلى وقت السَّحَر.

ليست صدورنا هي وحدها التي تمزّقت بسبب الحزن عليه وحسب ، بل إنّ الأسى الذي خَلّفَه فينا وَضعَ علائمه واضحة على جميع الأكباد».

مــوسئى نــيست كــه دعــوىّ أنـا الحـقّ شـنود
ور نه اين زمـزمه اندر شجـرى نيست كه نيست
چشـــم مــا ديــدهٔ خــفّاش بــود ور نــه تــرا
پـرتـو حســن به ديـوار و درى نيست كه نيست
گــوش اســرار شــنو نــيست وگــر نـه **اسـرار**
برش از عالم مـعنى خـبرى نـيست كـه نـيست[1]

١ـ يقول : «ليس هناك موسى ليسمع نداء (أنا الحقّ) ، وإلّا فليس من شجرة إلّا وتضجّ بهذا النداء.

لا شكّ أنّ عيوننا تشبه عيون الخفافيش ، وإلّا ، فنور جمالك الذي لا نظير له يـملأُ الأبواب والجدران.

وليست هناك أُذُنٌ واعية تعي تلك الأسرار ، وإلّا فمن أين حصل «أسرار» عـلى (كـلّ تلك) الأخبار من عالَم المعنى؟».

البحثان الحادي عشر والثاني عشر

الله في كل مكان، افتح عينيك وحدّق

وتفسير الآية المباركة

مَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأَاتٍ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ

أَعُوذُ بِاللَهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمَ

بِسْــمِ اللَهِ الـرَّحْمَنِ الـرَّحيم

وَصَلَّى اللَهُ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبينَ الطَّاهِرينَ

وَلَعْنَةُ اللَهِ عَلَى أعْدَائِهِمْ أجْمَعينَ مِنَ الآنَ إلَى قِيامِ يَوْمِ الدِّينِ

وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إلَّا بِاللَهِ العَليِّ العَظِيمِ

قَالَ اللَهُ الحَكِيمُ فِي كِتَابِهِ الكَرِيم :

مَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ ٱللَهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَهِ لَأَتٍ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ.[1]

والآيات السابقة لها هي :

بِسْمِ ٱللَهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيم

الٓمٓ * أَ حَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا أَن يَقُولُوٓا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُـفْتَنُونَ * وَلَـقَدْ فَـتَنَّا ٱلَّـذِينَ مِـن قَـبْلِهِمْ فَـلَيَعْلَمَنَّ ٱللَـهُ ٱلَّـذِينَ صَـدَقُوا وَلَـيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰـذِبِينَ * أَمْ حَسِبَ ٱلَّـذِينَ يَـعْمَلُونَ ٱلسَّـيِّئَاتِ أَن يَسْـبِقُونَا سَآءَ مَـا يَحْكُمُونَ.

أمّا الآيات اللاحقة لها فهي :

وَمَن جَـٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَـٰهِدُ لِـنَفْسِهِ إِنَّ ٱللَـهَ لَـغَنِىٌّ عَـنِ ٱلْـعَـٰلَمِينَ * وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَـنُكَفِّرَنَّ عَـنْهُمْ سَـيِّئَاتِهِمْ وَلَـنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا يَعْمَلُونَ.

١ـ الآية ٥، من السورة ٢٩ : العنكبوت.

في الآية ، موضوع البحث ، يعد الله سبحانه وتعالى شأنه ، المشتاقين إلى رؤيته صراحةً بلقائه وزيارته ، وينبّه إلى أنّ الأمر لا ينتهي بمجرّد قول الشهادتين والإيمان باللسان ، بل إنّ المؤمنين أمامهم امتحانات عديدة عليهم اجتيازها ، وبدون الاختبار ، ووضع المتفوّهين بالشهادتين والإيمان باللسان على محكّ التجربة ، يستحيل على أحد الصعود إلى درجات النعيم والفوز بالجنان ولقاء جمال الواهب المنّان ، وهي سنّة سنيّة ، ودأب قديم للّه في إخضاع كلّ الأُمم والأقوام للامتحان ، حتّى يتبيّن المؤمن الصادق من المدّعي الكاذب .

ولقد ساء ما يعتقد به البعض وضلّ ضلالاً كبيراً ، أنّه بارتكاب القبائح والمعاصي يسبقون إرادة الله واختياره وقدره وقضائه ، بل سيندحرون ، وسيتبيّن لهم أنّهم توهّموا كونهم أحراراً غير مقيّدين في ارتكابهم تلك الأعمال في عالم الكون والأمر والخلق والإيجاد ، ساء ما يعتقدون به ويظنّون ، حيث لم يعقلوا أنّ استباقهم لأمر الله وتأخّرهم عنه ، هو أمر إلهيّ محيط بهم ، وأنّهم بطريقة تفكيرهم هذه إنّما يضعون أنفسهم في قبضة إرادة الله القاهرة ومشيئته الغالبة .

وأمّا الذين يتُوقون إلى رؤية الله ولقائه ، فستتحقّق لهم أُمنيتهم تلك ، ولن يخيب أملهم أو تحبط مساعيهم ؛ وسيحين موعد اللقاء ، وتطوى صفحة البُعد والهجران ، فالله الواحد العالم بالخلق والسميع بهم ؛ على علمٍ تامّ بتلك الأُمنية ، وسيكشف النقاب عن وجهه المشرق ، وسيُلقّى السالكُ جائزته لقاء سعيه واجتهاده الحثيث في سبيل لقاء الله ورؤيته .

إنّ اجتهاد الناس ورغبتهم في لقاء الله ، لا ينفع الله في شيء ، لأنّه غنيّ عن العالمينَ ، وإنّ مردود وثواب اجتهاد وسعي الإنسان المجاهد والساعي والسالك ، إنّما هو عائد له .

إنّ الذين آمنوا بالله لا بلسانهم بل بأعماق قلوبهم ، وأعقبوا ذلك أعمالاً صالحة تُرضِي الله المحبوب الأزليّ ، الذين تجيش في نفوسهم فكرة لقاء الله ، فلا جرم أنّ الله سبحانه سيغفر ما تقدّم من ذنوب هؤلاء المحبّين الصادقين ويثيبهم على صالح أعمالهم .

قال جناب أُستاذنا الأعظم المفسّر الأكبر : العلّامة الطباطبائيّ قدّس الله تربته المنيفة في تفسير هذه الآيات :

«يلوح من سياق آيات السورة وخاصّة ما في صدرها من الآيات أنّ بعضاً ممّن آمن بالنبيّ صلّى الله عليه وآله بمكّة قبل الهجرة رجع عنه خوفاً من فتنة كانت تهدّده من قِبَل المشركين ، فإنّ المشركين كانوا يدعونهم إلى العود إلى ملّتهم ويضمنون لهم أن يحملوا خطاياهم إن اتّبعوا سبيلهم فإن أبوا فتنوهم وعذّبوهم ليعيدوهم إلى ملّتهم .

يشير إلى ذلك قوله تعالى : **وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَـٰيَـٰكُمْ** ـ الآية .[1]

وقوله : **وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ** ـ الآية .[2]

وكأنّ في هؤلاء الراجعين عن إيمانهم من كان رجوعه بمجاهدة من والديه على أن يرجع وإلحاح منهما عليه في الارتداد كبعض أبناء المشركين على ما يستشمّ من قوله تعالى : **وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَـٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا** ـ الآية [3]، وقد نزلت

١ـ الآية ١٢ ، من السورة ٢٩ : العنكبوت .

٢ـ الآية ١٠ ، من السورة ٢٩ : العنكبوت .

٣ـ الآية ٨ ، من السورة ٢٩ : العنكبوت .

السورة في شأن هؤلاء .

فغرض السورة على ما يستفاد من بدئها وختامها والسياق الجاري فيها أنّ الذي يريده الله سبحانه من الإيمان ليس هو مجرّد قولهم : **ءَامَنَّا بِٱللَّهِ** ، بل هو حقيقة الإيمان التي لا تحرّكها عواصف الفتن ولا تغيّرها غِيَر الزمن ، وهي إنما تتثبّت وتستقرّ بتوارد الفتن وتراكم المحن .

فالناس غير متروكين بمجرّد أن يقولوا : **ءَامَنَّا بِٱللَّهِ** دون أن يُفتنوا ويمتحنوا فيظهر ما في نفوسهم من حقيقة الإيمان أو وصمة الكفر فليعلمنّ الله الذين صدقوا ويعلم الكاذبين .

فالفتنة والمحنة سُنّة إلهيّة لا معدّل عنها تجري في الناس الحاضرين كما جرت في الأُمم الماضين كقوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم ولوط وشعيب وموسى فاستقام منهم من استقام وهلك من هلك . **وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَـٰكِن كَانُوٓا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ** .[1]

فعلى من يقول : **ءَامَنْتُ بِاللَّهِ** أن يصبر على ايمانه ويعبد الله وحده فإن تعذّر عليه القيام بوظائف الدين فليهاجر إلى أرض يستطيع فيها ذلك فأرض الله واسعة ولا يَخَفْ عسر المعاش فإنّ الرزق على الله .

وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ .[2]

وأمّا المشركون الذين يفتنون المؤمنين من غير جرم أجرموه إلّا أن يقولوا : **رَبُّنَا ٱللَّهُ** فلا يحسبوا أنّهم يُعجزون الله ويسبقونه ، فأمّا فتنتهم للمؤمنين وإيذاؤهم وتعذيبهم فإنّما هي فتنة لهم وللمؤمنين غير خارجة عن علم الله وتقديره ، فهي فتنة وهي محفوظة عليهم إن شاء أخذهم بوبالها في

١ـ ذيل الآية ٣٣ ، من السورة ١٦ : النحل .

٢ـ صدر الآية ٦٠ ، من السورة ٢٩ : العنكبوت .

الدنيا وإن شاء أخّرهم إلى يوم يُرجعون فيه إليه ، وما لهم من محيص .

وأمّا ما لفّقوه من الحجّة وركنوا إليه من باطل القول فهو داحض مردود إليهم والحجّة قائمة تامّة عليهم .

ثمّ يصل سماحة الأُستاذ إلى تفسير الآية الثانية فيقول :

قوله تعالى : **وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ**.

اللامان للقسم ، وقوله : **وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ** حال من الناس في قوله : **أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ** ، أو من ضمير الجمع في قوله : **لَا يُفْتَنُونُ** . وعلى الأوّل فالإنكار والتوبيخ متوجّه إلى ظنّهم أنّهم لا يفتنون مع جريان السنّة الإلهيّة على الفتنة والامتحان ، وعلى الثاني إلى ظنّهم الاختلاف في فعله تعالى حيث يفتن قوماً ولا يفتن آخرين ، ولعلّ الوجه الأوّل أوفق للسياق .

فالظاهر أنّ المراد بقوله : **وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ** أنّ الفتنة والامتحان سنّة جارية لنا وقد جرت في الذين من قبلهم وهي جارية **وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللهِ تَبْدِيلًا**.[1]

وقوله : **فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا** إلى آخر الآية ، تعليل لما قبله ، والمراد بعلمه تعالى بالذين صدقوا [و]بالكاذبين ظهور آثار صدقهم وكذبهم في مقام العمل بسبب الفتنة والامتحان الملازم لثبوت الإيمان في قلوبهم حقيقة وعدم ثبوته فيها حقيقة فإنّ السعادة التي تترتّب الإيمان المدعو إليه وكذا الثواب إنما تترتّب على حقيقة الإيمان الذي له آثار ظاهرة من الصبر عند المكاره والصبر على طاعة الله والصبر عن معصية الله لا على دعوى الإيمان المجرّدة .

١ـ ذيل الآية ٢٣ ، من السورة ٤٨ : الفتح .

ويمكن أن يكون المراد بالعلم علمه تعالى الفعليّ الذي هو نفس الأمر الخارجيّ ، فإنّ الأُمور الخارجيّة بنفسها من مراتب علمه تعالى ، وأمّا علمه تعالى الذاتيّ فلا يتوقّف على الامتحان البتّة .

والمعنى : أحَسِبُوا أن يتركوا ولا يُفتنوا بمجرّد دعوى الإيمان وإظهاره ، والحال أنّ الفتنة سنّتنا وقد جرت في الذين من قبلهم ، فمن الواجب أن يتميّز الصادقون من الكاذبين بظهور آثار صدق هؤلاء وآثار كذب أُولئك ، الملازم لاستقرار الإيمان في قلوب هؤلاء وزوال صورته الكاذبة عن قلوب أُولئك .

والالتفات في قوله «**فليعلمنّ الله**» إلى اسم الجلالة قيل : للتهويل وتربية المهابة ، والظاهر أنّه في أمثال المقام لإفادة نوعٍ من التعليل .

وذلك أنّ الدعوة إلى الإيمان والهداية إليه والثواب عليه لمّا كانت راجعة إلى المسمّى بالله الذي (**مِنْهُ يَبْدَأُ كُلُّ شَيءٍ ، وَبِهِ يَقومُ كُلُّ شَيءٍ ، وَإلَيْهِ يَنْتَهي كُلُّ شَيءٍ بِحَقيقَتِهِ .**) فمن الواجب أن يتميّز عنده حقيقة الإيمان من دعواه الخالية ، ويخرج عن حال الإبهام إلى حال الصراحة ، ولذلك عدل عن مثل قولنا : **فَلَنَعْلَمَنَّ** ، إلى قوله : **فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ** .

قوله تعالى : **أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ** .

«**أَمْ**» منقطعة ، والمراد بقوله : **ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ** المشركون الذين كانوا يفتنون المؤمنين ويصدّونهم عن سبيل الله ،كما أنّ المراد بالناس في قوله : **أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ** هم الذين قالوا : **ءَامَنَّا** ، وهم في معرض الرجوع عن الإيمان خوفاً من الفتنة والتعذيب .

والمراد بقوله : **أَن يَسْبِقُونَا** ، الغلبة والتعجيز بسبب فتنة المؤمنين وصدّهم عن سبيل الله ، على ما يعطيه السياق .

وقوله : **سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ** ، تخطئة لظنّهم أنّهم يسبقون الله بما يمكرون من فتنة وصدّ ، فإنّ ذلك بعينه فتنة من الله لهم أنفسهم وصدّ لهم عن سبيل السعادة ؛ **وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ**.[1]

ثمّ يصل العلّامة بعد بيان موجز إلى هذه الآية ، فيقول في تفسيرها وتفسير الآيتينِ اللتين تعقبانها :

«قوله تعالى : **مَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأَتٍ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ**. إلى تمام ثلاث آيات . لما وبّخ سبحانه الناس على استهانتهم بأمر الإيمان ورجوعهم عنه بأيّ فتنة وإيذاء من المشركين ووبّخ المشركين على فتنتهم وإيذائهم المؤمنين وصدّهم عن سبيل الله إرادة لإطفاء نور الله وتعجيزاً له فيما شاء وخطأ الفريقين فيما ظنّوا . رجع إلى بيان الحقّ الذي لا معدّل عنه والواجب الذي لا مخلص منه ، فبيّن في هذه الآيات الثلاث أنّ من يؤمن بالله لتوقّع الرجوع إليه ولقائه ، فليعلم أنّه آتٍ لا محالة وأنّ الله سميع لأقواله عليم بأحواله وأعماله ، فليأخذ حذره وليؤمن حقّ الإيمان الذي لا يصرفه عنه فتنة ولا إيذاء وليجاهد في الله حقّ جهاده ، وليعلم أنّ الذي ينتفع بجهاده هو نفسه ولا حاجة للّه سبحانه إلى إيمانه ولا إلى غيره من العالمينَ ، وليعلم أنّه إن آمن وعمل صالحاً فإنّ الله سيكفّر عنه سيئاته ويجزيه بأحسن أعماله .

والعلمان الأخيران يؤكّدان العلم الأوّل ويستوجبان لزومه الإيمان

---

[1] ـ الآيتان ٤٢ و٤٣ ، من السورة ٣٥ : فاطر : **وَأَقْسَمُوا بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا * ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا**.

وصبره على الفتن والمحن في جنب الله .

فقوله : **مَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ ٱللَهِ** ، رجوع إلى بيان حال مَن يقول : آمنت فإنّه إنّما يؤمن لو صدق بعض الصدق لتوقّعه الرجوع إلى الله سبحانه يوم القيامة ، إذ لولا **المعاد** لَلُغِي الدين من أصله ، فالمراد بقوله : **مَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ ٱللَهِ** : **مَنْ كانَ يُؤْمِنُ بِاللَهِ** ؛ أو من كان يقول : **آمَنْتُ بِاللَهِ** . فالجملة من قبيل وضع السبب موضع المسبّب .

والمراد بـ**لِقَآءَ ٱللَهِ** وقوف العبد موقفاً لا حجاب بينه وبين ربّه ، كما هو الشأن يوم القيامة الذي هو ظرف ظهور الحقائق ، قال تعالى :

وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ.[1]

وقيل : المراد بلقاء الله هو البعث . وقيل : الوصول إلى العاقبة من لقاء مَلَك الموت والحساب والجزاء . وقيل : المراد ملاقاة جزاء الله من ثواب أو عقاب . وقيل : ملاقاة حكمة يوم القيامة ، والرجاء على بعض هذه الوجوه بمعنى الخوف .

وهذه **وجوه مجازيّة بعيدة** لا موجب لها إلّا أن يكون من التفسير بلازم المعنى .

وقوله : **فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَهِ لَأَتٍ** ، الأجل هو الغاية التي ينتهي إليها زمان الدين ونحوه ، وقد يطلق على مجموع ذلك الزمان والغالب في استعماله هو المعنى الأوّل .

و**أَجَلَ ٱللَهِ** : هو الغاية التي عيّنها الله تعالى للقائه ، وهو آت لا ريب فيه وقد أكّد القول تأكيداً بالغاً ، ولازم تحتّم إتيان هذا الأجل وهو يوم القيامة أن لا يسامح في أمره ولا يستهان بأمر الإيمان بالله حقّ الإيمان

١ـ ذيل الآية ٢٥ ، من السورة ٢٤ : النور .

والصبر عليه عند الفتن والمحن من غير رجوع وارتداد ، وقد زاد في تأكيد القول بتذييله بقوله : **وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ** ، إذ هو تعالى لمّا كان سميعاً لأقوالهم عليماً بأحوالهم فلا ينبغي أن يقول القائل : آمنت بالله إلّا عن ظهر القلب ومع الصبر على كلّ فتنة ومحنة .

ومن هنا يظهر أنّ ذيل الآية : **فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأَتٍ** من قبيل وضع السبب موضع المسبّب كما كان صدرها : **مَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ ٱللَّهِ** أيضاً ، والأصل من قال : **آمَنْتُ بِاللَّهِ** . فليقله مستقيماً صابراً عليه مجاهداً في ربّه .

وقوله : **وَمَن جَـٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَـٰهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ** ، المجاهدة والجهاد مبالغة من الجهد بمعنى بذل الطاقة ، وفيه تنبيه لهم أنّ مجاهدتهم في الله بلزوم الإيمان والصبر على المكاره دونه ليست ممّا يعود نفعه إلى الله سبحانه حتّى لا يهمّهم ويُلغوه لغِناهم عنه ، بل إنّما يعود نَفعُهُ إليهم أنفسهم ، لغناهُ تعالى عن العالمين ، فعليهم أن يلزموا الإيمان ويصبروا على المكاره دونه .

فقوله : **وَمَن جَـٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَـٰهِدُ لِنَفْسِهِ** تأكيد لحجّة الآية السابقة . وقوله : **إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ** تعليل لما قبله .

والالتفات من سياق التكلّم بالغير إلى اسم الجلالة في الآيتين نظير ما مرّ من الالتفات في قوله : **فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا** .

وقوله : **وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا يَعْمَلُونَ** . بيان لعاقبة إيمانهم حقّ الإيمان المقارن للجهاد ويتبيّن به أنّ نفع إيمانهم يعود إليهم لا إلى الله سبحانه وأنّه عطيّة من الله وفضل .

وعلى هذا فالآية لا تخلو من دلالة ما على أنّ الجهاد في الله هو الإيمان والعمل الصالح ، فإنّها في معنى تبديل قوله في الآية السابقة : «**ومن**

جاهد» من قوله في هذه الآية : «**والذين آمنوا وعملوا الصالحات**» .

وتكفير السيّئات هو العفو عنها ، والأصل في معنى الكفر هو الستر ، وقيل : تكفير السيّئات هو تبديل كفرهم السابق إيماناً ومعاصيهم السابقة طاعات ، وليس بذاك .

وجزاؤهم بـ**أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا يَعْمَلُونَ** هو رفع درجتهم إلى ما يناسب أحسن أعمالهم أو عدم المناقشة في أعمالهم عند الحساب إذا كانت فيها جهات رداءة وخسّة فيعاملون في كلّ واحد من أعمالهم معاملة من أتى بأحسن عمل من نوعه فتحتسب صلاتهم أحسن الصلاة وإن اشتملت على بعض جهات الرداءة وهكذا» .[١]

وعموماً ، فإنّ هذه الآية الشريفة التي نحن بصددها ، وبالنظر إلى ما أوردناه من تفسير العلاّمة قدّس الله سرّه تبيّن بوضوح أنّ لقاء الله هو أمر حتميّ ، وللوصول إلى ذلك ، لزم أن يعمل الراغبون للقائه على حزم أمرهم وأن يتهيّأوا لذلك ويخطوا بخطوات ثابتة وبعزم راسخ للمضيّ في هذا الطريق ، وألّا يخشوا أيّة آفة أو عاهة في هذا السبيل ، وألّا يردعهم رادع أو مانع يصادفهم ، وعليهم إزالة كلّ تلك الموانع بالاستعانة بالله ، ولا يستوحشوا ممّا يلاقيهم من محن واختبارات مفروضة في هذا الطريق ، حتّى ينعموا بوصاله سبحانه وبمدد منه . إنّ هذا ليس حِكراً على أُمّة خاتم الأنبياء ، فهذه السنّة مع جميع الأُمم السالفة ، وكلّ الأقوام المؤمنة بأنبيائها .

إنّ الأعذار لن تجدي شيئاً ، وتأجيل العمل إلى الغد ، لن يُثمر ، وإسدال ستار الجهل والحُمق على البصيرة يحول دون ورود النور إلى القلوب .

١ـ «الميزان في تفسير القرآن» ج ١٦ ، ص ١٠١ إلى ١٠٧ ، طبعة الآخونديّ .

فكيف للّه أن يُفهم عباده ، وبأيّة وسيلة أو طريقة ، فيعقل السفهاء ، ويفيق النائمون ، وينتبه الغافلون ؟

فوالله وتالله وبالله ، لو لم تكن في القرآن كلّه إلّا هذه الآيات الأخيرة المذكورة في أوّل سورة العنكبوت ، والتي تمّ تفسيرها إجمالاً من قبل الأُستاذ العلّامة فقيد الفقه والعلم والعرفان والبصيرة والشهود ، فنقرأها ونفهمها ، لكفى بها من عِبرة ، فما بالك مع باقي الآيات في القرآن التي تبحث جلّها وحدة الحقّ ، ووجود واجب الوجود ، والتي تبيّن لنا بوضوح وصريح البيان لقاءه سبحانه .

نخست ديده طلب كن ، پس آنگهى ديدار
از آنكه يار كند جلوه بر اُولو الأبصار
ترا كه ديده نباشد كجا توانى ديد
به گاه عرض تجلّى جمال چهرهٔ يار
اگر چه جملهٔ پرتو ، فروغ حُسن وى است
ولى چو ديده نباشد كجا شود نَظّار
ترا كه ديده نباشد چه حاصل از شاهد
ترا كه گوش نباشد چه سود از گفتار[1]

١ـ يقول : «في البِدء اطلُبْ عينين ، ثمّ اسأل عن اللقاء والموعد ، حتّى يتجلّى الحبيب لأُولي الأبصار.

فإذا لم تكن لك عينان فأنّى لك أن تُبصر مكان تجلّي جمال مُحَيّا الحبيب؟

إنّه وإن كان النور كلّه هو شعاع حسنه (أي الحبيب) ، لكن لا يمكنك أن تكون ناظراً ما لم تكن لديك عينان تبصر بِهما.

إذا لم تكن لديك عينان فما الفائدة من حضور الحبيب عندك ، وإذا لم تكن لديك أُذُنان فما فائدة التحدّث (معه)».

تـرا كـه ديـده بـود پـر غـبار ، نـتوانـی
صـفای چـهرهٔ او ديـد بـا وجـود غـبار
اگـر چـه آيـنه داری بـرای حسـن رخش
ولی چه سـود کـه داری هـميشه آيـنه تـار
بـيا بـه صـيقل تـوحيد ، آيـنه بـزدای
غبار شـرک ، کـه تـا پـاک گـردد از زنگـار
اگـر نگـار تـو آئـينه‌ای طـلب دارد
روان تـو ديـدهٔ دل را بـه پـيش او مـی‌دار
جـمال حسـن تـرا صـد هـزار زيب افـزود
از آنکه حسن تـرا **مـغربی** است آيـنه دار[1]

هُوَ الحُبُّ

هُوَ الحُبُّ فَاسْلَمْ بِالحَشَا مَا الهَوَى سَهْلُ
فَمَا اخْتَارَهُ مُضْنىً بِهِ ، وَلَهُ عَقْلُ

١ـ يقول : «وإذا كانت عيناك مليئة بالغبار ، لن تستطيع معاينة صفاء وجهه (أي الحبيب) مع وجود ذلك الغبار.

إنّك وإن كنت تملك مرآة لحسن محيّاه ، لكن لا فائدة منها إذا كانت لا تُظهر الأشياء فيها بوضوح.

تعال وأزِلْ غبار الشرك عن المرآة بمصقلة التوحيد حتّى تتطهّر وتتخلّص من كلّ صدأ (بها).

إذا كان معشوقك وحبيبك يتطلّب مرآة ، لزم أن تضع عينَي فؤادك أمامه.

لقد أضفى الجمال والحسن عليك ألف نوع من الزينة ، لأنّ «المغربيّ» هو الحامل للمرآة التي ترى فيها نفسك».

«ديوان شمس المغربيّ» ص ٦٧ و٦٨ ، طبعة الإسلاميّة ، سنة ١٣٤٨ شمسيّة هجريّة (١٩٦٩م).

وَعِشْ خـــالِياً ، فَــالحُبُّ راحَــتُهُ عَــنَا
وَأَوَّلُـــــهُ سُـــــقْمٌ ، وَآخِـــــرُهُ قَـــتْلُ
وَلَكِــــنْ لَــدَيَّ المَــوْتُ فِــيهِ صَــبَابَةً
حَــيَاةٌ لِـمَنْ أَهْـوَى ، عَـلَيَّ بِـهَا الفَـضْلُ
نَــصَحْتُكَ عِــلْماً بِـالهَوَى وَالَّـذِي أَرَى
مُــخَالَفَتِي ، فَــاخْتَرْ لِــنَفْسِكَ مَـا يَـحْلُو
فَـإنْ شِـئْتَ أَنْ تَـحْيَا سَـعِيداً ، فَـمُتْ بِـهِ
شَــــهِيداً وَإِلَّا فَـــالغَرَامُ لَـــهُ أَهْـــلُ
فَمَنْ لَـمْ يَـمُتْ فِـي حُـبِّهِ لَـمْ يَـعِشْ بِـهِ
وَدُونَ اجْــتِنَاءِ النَّـحْلِ مَـا جَـنَتِ النَّـحْلُ
تَـمَسَّكْ بِأَذْيَـالِ الهَـوَى ، وَاخْـلَعِ الحَـيَا
وَخَــلِّ سَــبِيلَ النَّــاسِكِينَ ، وَإِنْ جَــلُّوا
وَقُــــلْ لِــــقَتِيلِ الحُبِّ : وَفَّــيْتَ حَــقَّهُ
وَلِلْمُدَّعِي : هَيْهَاتَ مَـا الكَـحِلُ الكَـحَلُ [١]
تَـــــعَرَّضَ قَـــــوْمٌ لِـــلْغَرَامِ وَأَعْــرَضُوا
بِــجانِبِهِمْ عَــنْ صِــحَّتِي فِــيهِ وَاعْـتَلُّوا
رَضُــوا بِــالأَمَانِي ، وَابْـتُلُوا بِـحُظُوظِهِمْ
وَخَاضُوا بِحَارَ الحَبِّ دَعْـوىً فَـمَا ابْـتَلُّوا
فَهُمْ فِي السُّرَى لَمْ يَـبْرَحُوا مِـنْ مَكَـانِهِمْ
وَمَا ظَـعَنُوا فِـي السَّـيْرِ ، عَـنْهُ وَقَـدْ كَـلُّوا

١ـ **الكَحِل** : عينٌ مكحولةٌ ؛ الكَحَل : سوادُ العين خِلقة.

وَعَنْ مَذْهَبي ، لَمَّا اسْتَحَبُّوا العَمَى عَلَى الـ
ـهُدَى حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ ضَلُّوا
أَحِبَّةَ قَلْبِي ، وَالمَحَبَّةُ شَافِعِي
لَدَيْكُمْ ، إذَا شِئْتُمْ بِهَا اتَّصَلَ الحَبْلُ
عَسَى عَطْفَةٌ مِنْكُمْ عَلَيَّ بِنَظْرَةٍ
فَقَدْ تَعِبَتْ بَيْنِي وَبَيْنَكُمُ الرُّسْلُ
أَحِبَّايَ أَنْتُمْ ، أَحْسَنَ الدَّهْرُ أَمْ أَسَا
فَكُونُوا كَمَا شِئْتُمْ ، أَنَا ذَلِكَ الخِلُّ
إذَا كَانَ حَظِّي الهَجْرُ مِنْكُمْ وَلَمْ يَكُنْ
بِعَادٌ فَذَاكَ الهَجْرُ عِنْدِي هُوَ الوَصْلُ
وَمَا الصَّدُّ إلَّا الوُدُّ مَا لَمْ يَكُنْ قِلىً
وَأَصْعَبُ شَيءٍ غَيْرَ إعْرَاضِكُمْ سَهْلُ
وَتَعْذيبُكُمْ عَذْبٌ لَدَيَّ وَجَوْرُكُمْ
عَلَيَّ بِمَا يَقْضِي الهَوَى لَكُمُ عَدْلُ
وَصَبْرِيَ صَبْرٌ عَنْكُمُ ، وَعَلَيْكُمُ
أَرَى أَبَداً عِنْدِي مَرَارَتُهُ تَحْلُو
أَخَذْتُمْ فُؤَادِي وَهْوَ بَعْضِي فَمَا الَّذي
يَضُرُّكُمُ لَوْ كانَ عِنْدَكُمُ الكُلُّ
نَأَيْتُمْ فَغَيْرَ الدَّمْعِ لَمْ أَرَ وَافِياً
سِوَى زَفْرَةٍ مِنْ حَرِّ نَارِ الجَوَى تَغْلُو
فَسُهْدِيَ حَيٌّ فِي جُفُونِي مُخَلَّدٌ
وَنَوْمِي بِهَا مَيْتٌ وَدَمْعِي لَهُ غُسْلُ

هَوىً طَـلَّ مَـا بَـيْنَ الطُّـلُولِ دَمِـي فَـمِنْ
جُفُونِي جَرَى بِـالسَّفْحِ مِـنْ سَـفْحِهِ وَبْـلُ
تَـــبَالَهَ قَـــوْمِي ، إذْ رَأَوْنِـــي مُـتَيَّماً
وَقَالُوا : بِمَنْ هَـذَا الفَـتَى مَسَّـهُ الخَـبْلُ ؟
وَمَــاذَا عَسَـى عَـنِّي يُـقَالُ سِـوَى : غَـدَا
بِــنُعْمٍ لَـهُ شُـغْلٌ ، نَـعَمْ لِـي بِـهَا شُـغْلُ
وَقَــالَ نِسَــاءُ الحَــيِّ : عَــنَّا بِـذِكْرِ مَـنْ
جَــفَانَا ، وَبَــعْدَ العِــزِّ لَــذَّ لَــهُ الذُّلُّ
إذَا أَنْـــعَمَتْ نُـــعْمٌ عَـــلَيَّ بِــنَظْرَةٍ
فَلَا أَسْعَدَتْ سُعْدَى وَلَا أَجْـمَلَتْ جُـمْلُ
وَقَــدْ صَــدِئَتْ عَــيْنِي بِــرُؤْيَةِ غَــيْرِهَا
وَلَــثْمُ جُــفُونِي تُــرْبَهَا لِــلصَّدَا يَــجْلُو
وَقَـــدْ عَـــلِمُوا أَنِّــي قَــتِيلُ لِــحَاظِهَا
فَــإنَّ لَــهَا فِــي كُــلِّ جَـارِحَةٍ نَــصْلُ
حَــدِيثِي قَــدِيمٌ فِــي هَــوَاهَـا وَمَـا لَـهُ
كَــمَا عَــلِمَتْ بَــعْدٌ ، وَلَــيْسَ لَـهُ قَـبْلُ
وَمَــا لِـيَ مِـثْلٌ فِـي غَـرَامِـي بِـهَا ، كَـمَا
غَــدَتْ فِــتْنَةً فِـي حُسْـنِهَا مَـا لَـهَا مِـثْلُ
حَــرَامٌ شِـفَا سُـقْمِي لَـدَيْهَا رَضِـيتُ مَـا
بِهِ قَسَمَتْ لِـي فِـي الهَـوَى وَدَمِـي حِـلُّ
فَــحَالِي وَإنْ سَــاءَتْ فَـقَدْ حَسُـنَتْ بِـهَا
وَمَا حَـطَّ قَـدْرِي فِـي هَـوَاهَـا بِـهِ أَعْـلُو

وَعِــــنْوَانُ مَــا فِــيهَا لَــقِيتُ وَمَــا بِــهِ
شَقِيتُ وَفِي قَوْلِي اخْـتَصَرْتُ وَلَـمْ أَغْـلُ
خَـفِيتُ ضَـنىً حَـتَّى لَـقَدْ ضَـلَّ عَـائِدِي
وَكَــيْفَ تَــرَى العُــوَّادُ مَـنْ لَا لَـهُ ظِـلُّ
وَمَــا عَــثَرَتْ عَــيْنٌ عَــلَى أَثَـرِي وَلَـمْ
تَدَعْ لِيَ رَسْماً فِي الهَوَى الأَعْـيُنُ النُّـجْلُ
وَلِـــــي هِـــمَّةٌ تَــعْلُو إذَا مَــا ذَكَــرْتُهَا
وَرُوحٌ بِـــذِكْرَاهَــا إذَا رَخُــصَتْ تَــغْلُو
جَرَى حُبُّهَا مَـجْرَى دَمِـي فِـي مَـفَاصِلِي
فَأَصْبَحَ لِـي عَـنْ كُـلِّ شُـغْلٍ بِـهَا شُـغْلُ
فَـنَافِسْ بِـبَذْلِ النَّـفْسِ فِـيهَا أَخَـا الهَـوَى
فَــإنْ قَــبِلَتْهَا مِــنْكَ يَــا حَــبَّذَا البَــذْلُ
فَــمَنْ لَــمْ يَـجُدْ فِـي حُبِّ نُـعْمٍ بِـنَفْسِهِ
وَلَــوْ جَــادَ بِــالدُّنْيَا إلَـيْهِ انْـتَهَى البُـخْلُ
وَلَــــوْلَا مُـــــرَاعَـــاةُ الصِّــيَانَةِ غَــيْرَةً
وَلَــــوْ كَــثُرُوا أَهْــلُ الصَّــبَابَةِ أَوْ قَــلُّوا
لَــــقُلْتُ لِــــعُشَّاقِ المَــــلَاحَةِ أَقْــبِلُوا
إلَــيْهَا عَــلَى رَأْيِــي وَعَـنْ غَـيْرِهَا وَلُّـوا
وَإنْ ذُكِــــرَتْ يَــوْماً فَــخِرُّوا لِــذِكْرِهَا
سُجُوداً وَإنْ لَاحَتْ ، إلَى وَجْـهِهَا صَـلُّوا
وَفِــــي حُــبِّهَا بِــعْتُ السَّــعَادَةَ بِــالشَّقَا
ضَــلَالاً وَعَــقْلِي عَـنْ هُـدَايَ بِـهِ عَـقْلُ

وَقُـــلْتُ لِـرُشْدِي وَالتَّـنَسُّكِ والتُّـقَى
تَـخَلَّوْا ، وَمَا بَـيْنِي وَبَـيْنَ الهَـوَى خَـلُّوا
وَفَـرَّغْتُ قَـلْبِي عَـنْ وُجُـودِيَ مُـخْلِصاً
لَـعَلِّيَ فِـي شُـغْلِي بِـهَا مَـعَهَا أَخْـلُو
وَمِـنْ أَجْـلِهَا أَسْعَى لِـمَنْ بَـيْنَنا سَعَى
وَأَعْـدُو ، وَلَا أَغْـدُو لِـمَنْ دَأْبُـهُ العَـذْلُ
فَأَرْتَـاحُ لِـلْوَاشِـينَ بَـيْنِي وَبَـيْنَهَا
لِـتَعْلَمَ مَـا أَلْـقَى وَمَـا عِـنْدَهَا جَـهْلُ
وَأَصْـبُو إِلَـى العُـذَّالِ حُـبّاً لِـذِكْرِهَا
كَأَنَّـهُمُ مَـا بَـيْنَنَا فِـي الهَـوَى رُسْـلُ
فَـإِنْ حَـدَّثُوا عَـنْهَا فَكُـلِّي مَسَـامِعٌ
وَكُـلِّيَ إِنْ حَـدَّثْتُهُمْ ، أَلْسُـنٌ تَـتْلُو
تَـخَالَفَتِ الأَقْـوَالُ فِـينَا تَـبَايُناً
بِـرَجْمِ ظُـنُونٍ بَـيْنَنَا مَـا لَـهَا أَصْـلُ
فَشَـنَّعَ قَـوْمٌ بِـالوِصَالِ وَلَـمْ تَـصِلْ
وَأَرْجَـفَ بِـالسِّلْوَانِ قَـوْمٌ وَلَـمْ أَسْـلُ
فَـمَا صَـدَقَ التَّشْـنِيعُ عَـنْهَا لِشِـقْوَتِي
وَقَـدْ كَـذَبَتْ عَـنِّي الأَرَاجِـيفُ وَالنَّـقْلُ
وَكَيْفَ أُرَجِّـي وَصْـلَ مَـنْ لَـوْ تَـصَوَّرَتْ
حِمَاهَا المُنَى وَهْماً ، لَضاقَتْ بِـهِ السُّـبْلُ
وَإِنْ وَعَـدَتْ لَـمْ يَـلْحَقِ الفِـعْلُ قَـوْلَهَا
وَإِنْ أَوْعَـدَتْ فَـالقَوْلُ يَسْـبِقُهُ الفِـعْلُ

عِـــــدِينِي بِـــوَصْلٍ وَامْــطُلِي بِــنَجَازِهِ
فَـعِنْدِي إذَا صَـحَّ الهَـوَى حَسُـنَ المَـطْلُ
وَحُــرْمَةِ عَــهْدٍ بَــيْنَنَا عَــنْهُ لَــمْ أَحُــلْ
وَعَـقْـدٍ بِـأَيْــدٍ بَــيْـنَـنَـا مَــا لَــهُ حَــلُّ
لَأَنْتِ عَلَى غَـيْظِ النَّـوَى وَرِضَـى الهَـوَى
لَــدَيَّ وَقَــلْبِي سَــاعَةً مِـنْكِ مَـا يَـخْلُو
تُــرَى مُــقْلَتِي يَــوْماً تَـرَى مَـنْ أُحِـبُّهُمْ
وَيُـــــعْتِبُنِي دَهْــرِي وَيَــجْتَمِعُ الشَّـــمْلُ
وَمَــا بَــرِحُوا مَــعْنىً أَرَاهُــمْ مَـعِي فَـإِنْ
نَأَوْا صُورَةً فِـي الذِّهْـنِ قَـامَ لَـهُمْ شَكْـلُ
فَـهُمْ نُـصْبُ عَـيْنِي ظَـاهِراً حَـيْثُمَا سَـرَوْا
وَهُــمْ فِــي فُــؤَادِي بَـاطِناً أَيْـنَمَا حَـلُّوا
لَــــهُمْ أَبَـــداً مِــنِّي حُــنُوٌّ وَإنْ جَــفَوْا
وَلِـــي أَبَــداً مَــيْلٌ إلَــيْهِمْ وَإنْ مَــلُّوا[1]

فــتوى پــير مــغان دارم و قـولى است قـديم
كه حرام است مى آنجا كه نه يـارست نـديم[2]

١ـ «ديــوان ابــن الفــارض المــصري» ص ٣٨ إلى ٤٢ ، اللامــيّة، الطبعة الأُ ولى، ١٣٧٢ هـ.ق، دار العلم للجميع ؛ ومن طبعة سنة ١٣٨٢ ، دار صادر ـ دار بيروت: ص ١٣٤ إلى ١٣٩ ؛ وفي «شرح الديـوان الكـامل لابـن الفـارض» تـصنيف الشـيخين : حسـن البـورينيّ وعبدالغني النابلسيّ ، (من طبعة دار التراث بيروت) ج ٢ ، ص ١٠٨ إلى ١٣٦ ، ولأجـل التركيب الأدبيّ لهذه اللاميّة ، أو للمعاني العرفانيّة الراقية التي تحملها ، فقد جـاء شـرحـها بشكل كامل ووافٍ .

٢ـ يقول : «إنّ لديّ فتوى من شـيخ الحانة وقول قديم له كـذلك (مـفادهما) ، أنّ ⇐

چـاک خـواهـم زدن ایـن دلق ریـائی چکـنم
روح را صـحبت نـاجنس عـذابـی است الیـم
تـا مگـر جـرعه فشـاند لب جـانان بـر مـن
سـالها شـد کـه مـنم بـر در مـیخانه مـقیم
مگـرش خـدمت دیـرین مـن از یـاد بـرفت
ای نسـیم سـحری یـاد دهش عـهد قـدیم
بـعد صـد سـال اگـر بـر سـر خـاکـم گـذری
سـر بـر آرد ز گِـلم رقـص‌کنان عـظم رمـیم
دلبـر از مـا بـه صـد امّـید سـتد اوّل دل
ظـاهراً عـهد فـرامُش نکـند خـلق کـریم
غـنچه گـو تـنگدل از کـار فـروبسته مـباش
کـز دم صـبح مـدد یـابی و انـفاس نسـیم[١]

⇦ احتساء الخمرة حرام إذا لم يكن الحبيب موجوداً يشاركك الشراب.

١ـ يقول : «سأُمزّق ثوب الرياء إرباً إرباً ، إذ لا حيلة لي غير ذلك ، لأنّ التحدّث إلى روح العاشق الطاهرة لا تتناسب والرياء أو الخداع ، لأنّ ذلك تعذيب مُؤلِمٌ للروح.

ليتَ شفتَي الحبيب تُريق عَلَيَّ ولو جرعة ، فإنّي مُقيم عند باب الحانة سنين طوالاً.

هل نَسيَ خِدمتي له في السابق ؟ يا نسيم السَّحَر ! ذَكِّره بالعهد القديم.

(وقل له :) لو مررتَ على رفاتي بعد مضيّ مائة عام على موتي ، فإنّ عظامي النخرة ستخرج من التراب وترقص لك.

إنّ الذي شغف حُبُّه قلبي كان يُمَنّينا بألف أمل وأُمنية للوصال ، فليس حَريّ بمَن كان ذا خُلُق كريم (وسجايا حميدة) أن يَنسَ (أو يَتَناسى) العهود (التي قطعها لنا).

قل للبراعم أن لا تحزن ولا تكتئب لانغلاقها ، لأنّه ستصلك من نسيم الصباح ما يُمدّك بأسباب الحياة (وستَتَفتّحين بواسطة نسيم الربيع)».

فكــر بـهبود خـود اى دل ز درى ديگـر كـن
درد عــاشق نشــود بــه ، بـه مـداواى حكـيم
گــوهر مــعرفت انــدوز كــه بـا خـود بـبرى
كــه نـصيب دگـران است نِـصاب زر و سـيم
دام سخت است مگـر يـار شـود لطـف خـدا
ور نـــه آدم نــبرد صــرفه ز شــيطان رجــيم
حافظ ارسيم و زرت نيست چه شد شاكر باش
چه به از دولت لطـف سـخن و طـبع سـليم[١]

وهنا يحكم العقل السليم بأن يكون القلب كلّه ملكاً للّه ، بغضّ النظر عن الطقوس والعادات والتقاليد التي تشغل الإنسان عـن ربّـه بـغيره ؛ وأن يـواصـل الإنسـان السـير مـنفرداً فـي طـريق الصـدق ، ولقـاء ربّـه الودود ومرضاته ، منفرداً ، ولو وقف بوجهه جميع العـالمين ، وأن يـنهجَ مـنهج الرسول الكريم : **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَنْ كَانَ يَرْجُوا**

١ـ يقول : «أيّها الفؤاد ! إن كنتَ تبغي مداواة نفسك ففكِّر وابحث عن وسيلة أُخرى، فإنّ آلام الصَّبّ لا يشفيها دواء الحكيم.

اكتَنِزْ لئالئ العرفان وكشف الحقيقة حتّى تتمكّن من حملها معك (إلى العالَم الآخر)، في حين أنّه يتوجّب على المرء إعطاء زكاة الذهب والفضّة إذا ما وَصَلا حدّ النصاب.

إنّ الشرَكَ والمصيدة (التي نصبها الشيطان لنا) مُحكَمة ولا يمكننا الفرار منها إلّا لُطف إلهيّ ، ولولا ذلك اللطف لما استطاع آدم (أبو البشر) من التغلّب على الشيطان الرجيم.

يا **حافظ** ! إن لم تكن غنيّاً ولم تكن تملك الذهب والفضّة فلا تأبَه لذلك وكن شاكراً، فلا أفضل من كونك صاحب لسانٍ ذَرِب وطبع سليم وقريحة جيّدة».

«ديوان الخواجة شمس الدين حافظ الشيرازيّ» ص ٤٩٩ و ٥٠٠ ، الغزلية رقـم ٣٦٧، طبعة منشورات صفيّ عليشاه ، سنة ١٣٧٦ شمسيّة هجريّة (١٩٩٧م).

ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا.[١] وينصت لنداء الحقّ القائل: **قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ**.[٢]

ولا يكتفي بقدميه، بل زحفاً على صدره، وصولاً إلى بارئه، وأن ينطق بكلّ جوارحه ملبّياً ذلك النداء. وأن يخرج من زمرة المرتدّين، وينضوي تحت لواء **يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ، وَلَا يَخافونَ فِي اللَهِ لَوْمَةَ لَائِم**:

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ.[٣]

وهكذا تظلّ قصيدة الغزل التي نظمها حكيم شيراز عن عالَم الغيب تَعزف نشيد البارئ سبحانه ليظلّ صوته وصداه على الدوام في أسماع أُولي البصائر.

دست از طلب ندارم تا كام من برآيد
يا جان رسد به جانان يا جان ز تن برآيد
بگشاى تربتم را بعد از وفات و بنگر
كز آتش درونم دود از كفن برآيد[٤]

١ـ الآية ٢١، من السورة ٣٣: الأحزاب.

٢ـ آخر الآية ٩١، من السورة ٦: الأنعام.

٣ـ الآية ٥٤، من السورة ٥: المائدة.

٤ـ يقول: «لن أكُفّ عن البحث (عمّا أبحث) حتّى أصل إلى مرادي وهدفي، وهو: إمّا أن أصل إلى حبيبي أو أهلك دون ذلك.

انبِشْ قبري بعد وفاتي وانظُرْ، إلى الدخان الصاعد من كَفَني بسبب النار التي تستعر في داخلي».

بـــنمای رخ کــه خـلقی واله شـوند و حـیران
بگشـــای لب کــه فـریاد از مـرد و زن بـرآیـد
جان بر لب است و حسرت در دل که از لبانش
نگــرفته هــیچ کــامی جــان از بــدن بـرآیـد
از حســرت دهــانش آمـد بـه تـنگ جـانم
خــود کـام تـنگدستان کـی زان دهـن بـرآیـد
بر بـوی آنکـه در بـاغ یـابد گـلی چـو رویت
آیــد نســیم و هــر دم گِــرد چــمن بــرآیـد
گــویند ذکــر خــیرش در خــیل عشـقبازان
هــرجـا کـه نـام **حـافظ** در انـجمن بـرآیـد[١]

نقل السيّد هاشم البحرانيّ رواية لطيفة وظريفة عن يونس بن ظَبيان ، عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليهما السلام حول منهج وسلوك أُولي

١ـ يقول : «أظهِرْ مُحيّاكَ فالخَلقُ كلّه مُتيّمٌ وحيران ، وافتَحْ ثغركَ حتّى تصعد صرخات الرجال والنساء وتتعالى أصواتهم.

لقد ملّ بدني وضاق قلبي بسبب الغَمّ والحسرة لعدم حصولي على قُبلة (من الحبيب).

متى سيُلبّي الحبيب مطلبنا ويمنّ علينا برشفة من لُمى شفتيه؟

لقد هبّ النسيم وطاف بالمرج كلّ لحظة على أمل أن يصافح وردة جميلة كطلعتك؟

متى ذُكِرَ اسم **حافظ** في أيّ جمع للعشّاق ، فإنّه يُذكَرُ بالخير والحسنى».

ديوان «الخواجة شمس الدين حافظ الشيرازيّ» ص ٣١٥ و٣١٦ ، الغزلية رقـم **٢٣٣** ، طبعة منشورات صفيّ عليشاه ، سنة ١٣٧٦ شمسيّة (١٩٩٧م) . يبدأ عجز البيت الأوّل في هذه المجموعة، بعبارة «يا تن رسد به جانان» ، ولكن ركاكة المعنى التي تُسبّبها هذه العبارة في هذه الحالة ، جعلتنا نستعيض عنها بـ«يا جان رسد به جانان» التي وردت في بعض النسخ من «ديوان حافظ» وهي الأصحّ .

الألباب ، وكيفيّة محبّتهم للّه ، والأعمال التي يتقرّبون بها إلى الله فتوصلهم إلى لقائه ومعرفته ، حتّى يصل في نهاية الأمر إلى أنّ على كلّ من يروم الوصول إلى مقام الكمال ، أن يسير على نهج الأئمّة عليهم السلام حتّى يتسنّى له اجتياز كلّ العقبات والطرق الصعبة والتخلّص من حبائل الشيطان والنفس الأمّارة بالسوء ، وبذلك يتمّ له الوصول إلى علم اليقين وعين اليقين وحقّ اليقين . وقد ذكر روايات عدّة في تفسير الآية الكريمة :

يَـٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ .[1]

منها هذه الرواية :

عن ابن بابويه ، عن عليّ بن الحسين ، عن أبي محمّد هارون بن موسى ، عن محمّد بن همام ، عن عبد الله بن جعفر الحميريّ ، عن عمر بن عليّ العبديّ ، عن داود بن كثير الرقّيّ ، عن يونس بن ظبيان أنّه قال : دخلتُ على الصادق عليه السلام ، فقلتُ : يابن رسول الله ! إنّي دخلتُ على مالك وأصحابه فسمعتُ بعضهم يقول إنّ الله له وجه كالوجوه ، وبعضهم يقول : له يدان ، واحتجّوا لذلك قول الله تعالى : **بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ** . وبعضهم يقول : هو كالشابّ من أبناء ثلاثين سنة ، فما عندك في هذا يابن رسول الله ؟

١ـ الآيات ٧١ إلى ٧٦ ، من السورة ٣٨ : ص ، وهي : **إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى خَـٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا لَهُۥ سَـٰجِدِينَ فَسَجَدَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ * قَالَ يَـٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ * قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ .**

قال يونس: وكان متّكِئاً فاستوى جالساً وقال: **اللَهُمَّ عَفْوَكَ! عَفْوَكَ!**

ثمّ قال: **يَا يُونُسُ! مَنْ زَعَمَ أَنَّ لِلَّهِ وَجْهاً كَالوُجُوهِ فَقَدْ أَشْرَكَ. وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ لِلَّهِ جَوَارِحَ كَجَوَارِحِ المَخْلُوقِينَ فَهُوَ كَافِرٌ بِاللَهِ، فَلَا تَقْبَلُوا شَهَادَتَهُ! وَلَا تَأْكُلُوا ذَبِيحَتَهُ! تَعَالَى اللَهُ عَمَّا يَصِفُهُ المُشَبِّهُونَ بِصِفَةِ المَخْلُوقِينَ. فَوَجْهُ اللهِ أَنْبِيَاؤُهُ وَأَوْلِيَاؤُهُ.**

وَقَوْلُهُ: خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ، فَالْيَدُ: القُدْرَةُ [كَقَوْلِهِ:] وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ (لأنّ «أيَّدَ» من مادّة «يد». أي أنّ الله تعالى قوّاكم بنصره). **فَمَنْ زَعَمَ أَنَّ اللهَ فِي شَيءٍ، أَوْ عَلَى شَيءٍ، أَوْ تَحَوَّلَ مِنْ شَيءٍ إلَى شَيءٍ، أَوْ يَخْلُو مِنْهُ شَيءٌ، وَلَا يَخْتَلِي**[1] **مِنْهُ مَكَانٌ، أَوْ يَشْغَلُ بِهِ شَيءٌ؛ فَقَدْ وَصَفَهُ بِصِفَةِ المَخْلُوقِينَ.**

وَاللَهُ خَالِقُ كُلِّ شَيءٍ. لَا يُقَاسُ بِالمِقْيَاسِ، وَلَا يُشْبِهُ بِالنَّاسِ. وَلَا يَخْلُو مِنْهُ مَكَانٌ، وَلَا يَشْتَغِلُ بِهِ مَكَانٌ. قَرِيبٌ فِي بُعْدِهِ، بَعِيدٌ فِي قُرْبِهِ. ذَلِكَ اللهُ رَبُّنَا لَا إلَهَ غَيْرُهُ.

فَمَنْ أَرَادَ اللهَ وَأَحَبَّهُ بِهَذِهِ الصِّفَهِ فَهُوَ مِنَ المُوَحِّدِينَ. وَمَنْ أَحَبَّهُ بِغَيْرِ هَذِهِ الصِّفَةِ فَاللَهُ مِنْهُ بَرِيءٌ وَنَحْنُ مِنْهُ بُرَاءُ.

ثمّ قال عليه السلام: **إنَّ أُولِي الأَلْبَابِ الَّذِينَ عَمِلُوا بِالفِكْرَةِ حَتَّى وَرِثُوا مِنْهُ حُبَّ اللهِ. فَإنَّ حُبَّ اللهِ إذَا وَرِثَتْهُ القُلُوبُ اسْتَضَاءَ بِهِ وَأَسْرَعَ إلَيْهِ اللُّطْفُ،**[2] **فَإذَا نَزَلَ مَنْزِلَةَ اللُّطْفِ**(ونزل عليه الاسم الإلهيّ اللطيف) **صَارَ مِنْ أَهْلِ الفَوَائِدِ.**

١ـ هكذا وردت في النسخة المسجّلة، والصحيح هو **أو يختلي**، وجاء في «أقرب الموارد»: **الخلوة: المكان الذي يختلي فيه الرجل.**

٢ـ جاء في «أقرب الموارد»: **لَطَفَ به وـ له (ن) لُطفاً: رفَق به، وـ الله للعبد** ⇦

فَإذَا صَارَ مِنْ أَهْلِ الفَوَائِدِ تَكَلَّمَ بِالحِكْمَةِ . وَإذَا تَكَلَّمَ بِالحِكْمَةِ صَارَ صَاحِبَ فِطْنَةٍ.[١] فَإذَا نَزَلَ مَنْزِلَةَ الفِطْنَةِ عَمِلَ بِهَا فِي القُدْرَةِ ، فَإذَا عَمِلَ بِهَا فِي القُدْرَةِ عَمِلَ فِي الأَطْبَاقِ السَّبْعَةِ .

فَإذَا بَلَغَ هَذِهِ المَنْزِلَةَ صَارَ يَتَقَلَّبُ فِي لُطْفٍ وَحِكْمَةٍ وَبَيَانٍ.

فَإذَا بَلَغَ هَذِهِ المَنْزِلَةَ جَعَلَ شَهْوَتَهُ وَمَحَبَّتَهُ فِي خَالِقِهِ.

فَإذَا فَعَلَ ذَلِكَ نَزَلَ المَنْزِلَةَ الكُبْرَى ؛ فَعَايَنَ رَبَّهُ فِي قَلْبِهِ، وَوَرِثَ الحِكْمَةَ بِغَيْرِ مَا وَرِثَتْهُ الحُكَمَاءُ ، وَوَرِثَ العِلْمَ بِغَيْرِ مَا وَرِثَتْهُ العُلَمَاءُ، وَوَرِثَ الصِّدْقَ بِغَيْرِ مَا وَرِثَهُ الصِّدِّيقُونَ.

إنَّ الحُكَمَاءَ وَرِثُوا الحِكْمَةَ بِالصَّمْتِ . وَإنَّ العُلَمَاءَ وَرِثُوا العِلْمَ بِالطَّلَبِ. وَإنَّ الصِّدِّيقِينَ وَرِثُوا الصِّدْقَ بِالخُشُوعِ وَطُولِ العِبَادَةِ.

فَمَنْ أَخَذَهُ بِهَذِهِ السِّيرَةِ إمَّا أَنْ يَسْفَلَ وَإمَّا أَنْ يُرْفَعَ . وَأَكْثَرُهُمُ الَّذِي يَسْفُلُ وَلَا يَرْفُعُ إذَا لَمْ يَرْعَ حَقَّ اللهِ وَلَمْ يَعْمَلْ بِمَا أَمَرَهُ بِهِ.

فَهَذِهِ صِفَةُ مَنْ لَمْ يَعْرِفِ اللهَ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ ، وَلَمْ يُحِبَّهُ حَقَّ مَحَبَّتِهِ.

(يا يونس !)فَلَا يَغُرَّنَّكَ صَلَاتُهُمْ وَصِيَامُهُمْ وَرِوَايَاتُهُمْ وَعُلُومُهُمْ ؛ فَإنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ.[٢]

ثمّ قال الإمام : يَا يُونُسُ ! إذَا أَرَدْتَ العِلْمَ الصَّحِيحَ فَعِنْدَنَا أَهْلَ البَيْتِ ! فَإنَّا وَرِثْنَاهُ ، وَأُوتِينَا شَرْحَ الحِكْمَةِ وَفَصْلَ الخِطَابِ.

⇦ وبالعبد: رفَق به وأوصلَ إليه ما يُحبّ برفقٍ، و-: وعصمه فهو لطيف به، والاسم: اللطف، و-الشيء: دنا.

١ـ جاء في «أقرب الموارد» : الفِطْنَةُ بالكسر: الحِذق والفهم، وقد تُفسَّر بجودة تهيّؤ النفسِ لتصوّر ما يرِدُ عليها مِن الغير ؛ ويُقابلُها الغَباوة . ج : فِطَن.

٢ـ مقتبس من الآيتَيْن ٥٠ و٥١ ، من السورة ٧٤ : المدثّر : كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ * فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ.

يقول يونس : قلتُ : **يَابْنَ رَسُولِ اللَهِ !**

وَكُلُّ مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ البَيْتِ وَرِثَ كَمَا وَرِثْتُمْ مِنْ عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ ؟!

قال عليه السلام : **مَا وَرِثَهُ إلَّا الأَئِمَّةُ الاِثْنَا عَشَرَ !**

يقول يونس : قلت يابن رسول الله سمّهم لي !

قال عليه السلام : **أَوَّلُهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَبَعْدَهُ الحَسَنُ وَالحُسَيْنُ ، وَبَعْدَهُ عَلِيُّ بْنُ الحُسَيْنِ ، وَبَعْدَهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ ، وَبَعْدَهُ أَنَا ، وَبَعْدِي مُوسَى وَلَدِي ، وَبَعْدَ مُوسَى عَلِيٌّ ابْنُهُ ، وَبَعْدَ عَلِيٍّ مُحَمَّدٌ ، وَبَعْدَ مُحَمَّدٍ عَلِيٌّ ، وَبَعْدَ عَلِيٍّ الحَسَنُ ، وَبَعْدَ الحَسَنِ الحُجَّةُ ؛ اصْطَفَانَا اللَهُ وَطَهَّرَنَا ، وَآتَانَا مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِنَ العَالَمِينَ .**

قال يونس ثمّ قلتُ له : **يابن رسول الله !** دخل عليك ابن عبد الله بن مسعود وسألك ما سألت فأجبته بغير ما أجبتني به .

قال : **يَا يُونُسُ ! كُلُّ امْرِئٍ مَا يَحْتَمِلُهُ ! وَلِكُلِّ وَقْتٍ حَدِيثُهُ ! وَإنَّكَ لَأَهْلٌ لِمَا سَأَلْتَهُ ! فَاكْتُمْهُ إلَّا عَنْ أَهْلِهِ !**[1]

يروي العلّامة المجلسيّ رحمه الله في «بحار الأنوار» عن «مصباح الشريعة» :

قَالَ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : الإخْلَاصُ يَجْمَعُ حَوَاصِلَ[2] **الأَعْمَالِ .**

١ـ «البرهان في تفسير القرآن» ج ٢ ، ص ٩٣٠ ، الطبعة الحجريّة ،سنة ١٣٠٢هـ؛ وقد روى هذه الرواية شيخنا الأقدم عليّ بن محمّد الخزّاز القمّيّ الرازيّ مع اختلاف طفيف في الألفاظ وبنفس السند دون واسطة ابن بابويه بل عن عليّ بن الحسين (أبيه) مباشرة، في كتاب «كفاية الأثر في النصّ على الأئمّة الاثني عشر» ص ٢٥٥ إلى ٢٥٩ ، طبعة انتشارات بيدار، سنة ١٤٠١ هـ.

٢ـ جاء في «أقرب الموارد» : **الحاصلُ مِن كلّ شيء: ما بقي وثبت وذهب ما سِواه، يكونُ من الحساب والأعمال ونحوها. وحاصل الشيء : بقيّته ؛ ج : حواصل. الحاصل** ⇦

وَهُوَ مَعْنىً مِفْتَاحُهُ القَبُولُ ، وَتَوْقِيعُهَا الرِّضَا.

فَمَنْ تَقَبَّلَ اللهُ مِنْهُ وَرَضِيَ عَنْهُ فَهُوَ المُخْلِصُ وَإنْ قَلَّ عَمَلُهُ. وَمَنْ لَا يَتَقَبَّلِ اللهُ مِنْهُ فَلَيْسَ بِمُخْلِصٍ وَإنْ كَثُرَ عَمَلُهُ ؛ اعْتِبَاراً بِآدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَإبْلِيسَ. (إذ تُقبّل عمل آدم مع قلّته ، ولم يُتقبّل عمل إبليس مع كثرته) .

وَعَلَامَةُ القَبُولِ وُجُودُ الاسْتِقَامَةِ بِبَذْلِ كُلِّ المُحَابِّ ، مَعَ إصَابَةِ عِلْمِ[1] **كُلِّ حَرَكَةٍ وَسُكُونٍ.**

فَالمُخْلِصُ ذَائِبٌ رُوحُهُ ، بَاذِلٌ مُهْجَتَهُ فِي تَقْوِيمِ مَا بِهِ العِلْمُ وَالأَعْمَالُ وَالعَامِلُ وَالمَعْمُولُ بِالعَمَلِ. لِأَنَّهُ إذَا أَدْرَكَ ذَلِكَ فَقَدْ أَدْرَكَ الْكُلَّ. وَإذَا فَاتَهُ ذَلِكَ فَاتَهُ الكُلُّ. وَهُوَ تَصْفِيَةُ مَعَانِي التَّنْزِيهِ فِي التَّوْحِيدِ.[2]

كَمَا قَالَ الأَوَّلُ : هَلَكَ العَامِلُونَ إلَّا العَابِدُونَ ؛ وَهَلَكَ العَابِدُونَ إلَّا العَالِمُونَ ؛ وَهَلَكَ العَالِمُونَ إلَّا الصَّادِقُونَ ؛ وَهَلَكَ الصَّادِقُونَ إلَّا

⇦ **أيضاً : ما خلَص من الفضّة من حجارة المعدن ، ويقال للذي يُخلِّصه : مُحصِّل.**

وجاء في النسخة المصحّحة والمطبوعة للشيخ المصطفويّ (مركز نشر كتاب ـ طهران) سنة ١٣٧٩ ، ص ٥٢ و٥٣ ، باب ٧٦ : **يَجْمَعُ فَوَاضِلَ الأَعْمَالِ.**

وفي نسخة الملّا عبد الرزّاق الجيلانيّ الشارح لـ«مصباح الشريعة» الذي صحّحه السيّد جلال الدين المحدّث الأُرمَويّ وطبعته (انتشارات دانشگاه طهران) سنة ١٣٤٤ ، ج ٢ ، ص ١٣٦ : **فَوَاضِل.**

١ـ لا وجود لكلمة عِلم في «المستدرك».

٢ـ في نسخة «البحار» و«مصباح الشريعة» لحجّة الإسلام المصطفويّ كذا: **فِي تَقْوِيمِ مَا بِهِ العِلْمُ وَالأَعْمَالُ ، وَالعَامِلُ وَالمَعْمُولِ بِالعَمَلِ.** وأمّا في نسخة «شرح المصباح» للملّا عبد الرزّاق الجيلانيّ ، وتصحيح الأُرمويّ ، ج ٢ ، ص ١٣٧ ، فقد وردت العبارة الآنفة كذا: **فِي تَقْوِيمِ مَا بِهِ العِلْمُ وَالأَعْمَالُ وَالعَامِلُ وَالمَعْمُولُ وَالعَمَلُ.**

ولهذا نقلنا العبارات التي تَلَت العبارة المذكورة هنا عن نسخة الملّا عبد الرزّاق الجيلانيّ.

المُــخْلِصُونَ؛ وَهَــلَكَ المُـخْلِصُونَ إلَّا المُـتَّقُونَ ؛ وَهَـلَكَ المُـتَّقُونَ إلَّا المُوقِنُونَ؛ وَإنَّ المُوقِنِينَ لَعَلَى خَطَرٍ عَظِيمٍ.

قَالَ اللَهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : «وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ».

وَأَدْنَى حَدِّ الإخْلَاصِ بَذْلُ العَبْدِ طَاقَتَهُ ، ثُمَّ لَا يَجْعَلَ لِعَمَلِهِ عِنْدَ اللَهِ قَدْراً فَيُوجِبَ بِهِ عَلَى رَبِّهِ مُكَافَاةً بِعَمَلِهِ . لِعِلْمِهِ أَنَّهُ لَوْ طَالَبَهُ بِـوَفَاءِ حَـقِّ العُبُودِيَّةِ لَعَجَزَ.

وَأَدْنَى مَقَامِ المُخْلِصِ فِي الدُّنْيَا السَّلَامَةُ مِـنْ جَـمِيعِ الآثَـامِ، وَفِـي الآخِرَةِ النَّجَاةُ مِنَ النَّارِ وَالفَوْزُ بِالجَنَّةِ.[1]

١ـ «بحار الأنوار» ج ٧٠ ، ص ٢٤٥ ، طبعة الدار الإسلاميّة ؛ وفي طبعة الكمبانيّ القديمة: ج ١٥، من القسم الثاني، ص ٨٦ ، باب الإخلاص ومعنى قُربه تعالى؛ وفي «مستدرك الوسائل» ج ١ ، ص ١٠ ، الطبعة الحجريّة ، مقدّمة العبادات ، باب وجوب الإخلاص في العبادة والنيّة ، من «مصباح الشريعة» ؛ وكتاب «أسرار الصلاة» للشهيد الثاني ، ص ١٢٥، الطبعة الحجريّة ، طهران سنة ١٣١٢ ، ضمن بيان أسرار النيّة من «مصباح الشريعة»؛ و«مصباح الشريعة» ص ٥٢ و٥٣ ، الباب ٧٦ ، من طبعة مركز نشر كتاب، بتصحيح وتعليق حجّة الإسلام والمسلمين الحاجّ الشيخ حسن المصطفويّ.

وقد أضاف الملّا عبد الرزّاق الجيلانيّ هنا شرحاً وهذه ترجمته : «ونسبَ الإتيان إلى الموت لا إلى المخاطب بسبب مرارة الموت وأنّ الموت ليس ممّا يمكن للإنسان أن يصله فيرضى به، إذن ففي قصّة الموت نرى وصول الموت إليه لا وصوله هو إلى الموت. أو هو إشارة إلى عِظَم منزلة الموت باعتبار الأهوال التي تسبقه وتخلفه. أي أنّه بسبب كون الموت مخيفاً ومهولاً فإنّ وصول العبد الضعيف إليه مُتعسّر أو قل مُتعذّر ، فإذا وقع (الموت) فإنّ ذلك مُتصوّر من قِبَل الموت لا من قِبَل العبد ؛ [كما نُقِلَ] عن الخواجة جمال الدين محمود الشيرازيّ والذي كان من جملة تلاميذ الملّا جلال الدوانيّ أنّه قال لأُستاذه يوماً: ياشيخنا! هل سيأتي علينا يوم يمكن لنا أن نصل فيه إلى الفضيلة وبالجملة نرتقي فيه درجات ⇦

نعم رأينا في رواية أُولي الألباب أنّ الإمام عليه السلام صرّح بمعاينة الله ومشاهدته في القلب (**فَعَايَنَ رَبَّهُ فِي قَلْبِهِ**)، وهذه إنّما تكون بجهاد النفس والروح التي شرحها الإمام قبل هذا وأكّد أنّ نتيجة ذلك وثمرته هو الورود في المنزلة الكبرى ولقاء ربّ العزّة.

وقد لاحظنا في هذه الرواية الأخيرة عن «مصباح الشريعة» أنّ النجاة إنّما تكون بالإخلاص في العمل، مؤكّدة أنّ البذل في سبيل المحبوب بشكل صحيح وأصيل مع العلم بصواب كلّ حركة وسكنة يؤدّيها، وصهر الروح وبذل المهجة والنفس في سبيل الله، واعتبار ذلك ميزاناً ومعياراً لقبول الأعمال والأفعال.

إنّ الطريق الأقوم والسبيل الأرشد، هما ما سار فيه الأنبياء والنخبة من الأولياء. وهو جدّ خطير ودقيق، إنّه عشق للّه، الحيّ ذي الجلال والواحد القهّار. وما أخطره وما أعظمه، وما أكثر ما يحمل من معاني الشوق والحبّ، حتّى غدا خلاصة أعمال الكائنات ورجح على عبادة الثقلينِ.

إنّها قوّة الحبّ التي تزيل الموانع وتدكّ الحصون وتعين على اجتياز العقبات والسير في غمرة الظُّلمة، وتعبر بالمرء بحار الحسرة وصحارى

⇐ العِلم فنكون في عداد الفضلاء ؟! فقال أُستاذه : لن تصلوا إلى الفضل أبداً ، لكنّ الفضل نفسه سيصلكم! أي أنّ الفضيلة والعِلم سينزلان تدريجيّاً ويصلان إليكم.

ويفسّر الصوفيّة اليقين بمرتبة الوصول إلى الحقّ. أي أنّ مَن وصل الحقَّ عن طريق الرياضات والمجاهدات وهجر المتعلّقات البدنيّة ورفض الغواشي الهيوليّة سقطت عنه العبادات ورُفعَ عنه التكليف؛ وهذا ممّا لا معنى له على الإطلاق؛ إذ إنّه لو كان الوصول إلى أعلى مراتب الرياضة وأقصى درجاتها ينتج عنه سقوط التكاليف لكان سقوطها أوجب للأنبياء والأوصياء».

الحيرة ، وعوالم التيه والضلال ، ولولا ذلك ما استطاعت جميع قوى الدنيا أن تخطو بالإنسان شبراً إلى الأمام بدون إرادة الله . إنّ الحبّ حلّال المشاكل ومفتاح سرّ النجاح .

ای رُخت چون خلد و لعلت سلسبیل
سلسبیلت کرده جان و دل سبیل
سبز پوشان خطت بر گرد لب
همچو مورانند گرد سلسبیل
ناوک چشم تو در هر گوشه‌ای
همچو من افتاده دارد صد قتیل
یا رب این آتش که بر جان من است
سرد کن زانسان که کردی بر خلیل
من نمی‌یابم مجال ای دوستان
گرچه دارد او جمالی بس جمیل [١]

١ـ يقول : «يا مَن وجهه كجَنّة الخُلد وشفتاه (تنبعان) ماءً سلسبيلاً ، لقد أباحَ لك لُماكَ العَذب أرواح العاشقين وقلوبهم.

إنّ الشَّعْرَ الأخضر اللون الذي يعلو شفتك العُليا كأنّه نَملٌ مُصطَفٌّ أمام عين السلسبيل (الذي هو فَمُك).

إنّ سهام عينيك قد أطاحت بالمئات من القتلى من أمثالي في كلّ زاوية وركن.

إلهي ! أطفِئ النار المستعرة في داخلي واجعلها برداً وسلاماً كما جعلتها كذلك على (إبراهيم) خليلك.

إنّه لا سبيل ولا إذن لي (للوصول إلى جمال حبيبي وحسنه) ، بالرغم من أنّ جماله وحُسنه لا يضاهيهما شيء».

پـاى مـا لنگ است و مـنزل بس دراز
دست مـا كـوتاه و خـرما بـر نـخيل
شـــاه عـــالم را بـقا و عـزّ و نـاز
باد و هر چيزى كه باشد زيـن قـبيل[١]
حـــافظ از ســـرپنجهٔ عشــق نگــار
همچو مور افتاده شـد در پـاى پـيل[٢]

روى العلاّمة المجلسيّ رحمه الله عـن كـتاب «الخـرائـج والجـرائـح» للقطب الراونديّ رحمه الله عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام عن أبيه عليه السلام أنّه قال :

مَرَّ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّـلَامُ بِكَـرْبَلَاءَ فَـقَالَ : لَـمَّا مَـرَّ بِـهِ أَصْـحَابُهُ وَقَـدِ اغْرَوْرَقَتْ عَيْنَاهُ يَبْكِي وَيَقُولُ :

هَذَا مُنَاخُ رِكَابِهِمْ ، وَهَذَا مُلْقَى رِحَالِهِمْ ، هَا هُنَا مُرَاقُ دِمَائِهِمْ ؛ طُوبَى

١ـ وجاء في التعليقة أنّ البيت التالي هو من ضمن الغزليّة أعلاه كذلك:

عقل در حسنت نمى يابد بَـدل طبع در لطفت نمى بيند بـديل

يقول : «لم يَرَ (أو لم يَشهد) العقل لحُسنكَ نظيراً ، ولم يجد (أو ما وَجدَ) الطبعُ بديلاً أو مِثالاً للُطفِكَ».

٢ـ يقول : «إنّ رِجلايَ عَرجاوان والمُقام جَدّ بعيد ، ويَدايَ قصيرتان في حين أنّ البَلَحَ عالٍ (لا يمكن الوصول إليه).

فليَعِشْ سلطان العالَم وليَدُمْ بقاؤه وعزّه ودلاله ، وكلّ ما يَمتُّ له بصلة أو يختصّ به.

لقد صار **حافظ** كنملة موطوءة بأقدام الفيل ، وذلك لجبروت العشـق وقـدرته عـليه وهيمنته لقواه».

ديوان «الخواجة شمس الدين حافظ الشيرازيّ» ص ٤١٦ ، الغزليّة رقـم ٣٠٨، طـبعة منشورات صفيّ عليشاه ، سنة ١٣٧٦ شمسيّة (١٩٩٧م).

لَكِ مِنْ تُرْبَةٍ عَلَيْهَا تُرَاقُ دِمَاءُ الأَحِبَّةِ !

وَقَالَ البَاقِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : خَرَجَ عَلِيٌّ يَسِيرُ بِالنَّاسِ ، حَتَّى إذَا كَانَ بِكَرْبَلَاءَ عَلَى مِيلَيْنِ أَوْ مِيلٍ ، تَقَدَّمَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ حَتَّى طَافَ بِمَكَانٍ يُقَالُ لَهُ : المِقْدَفَانِ . فَقَالَ : قُتِلَ فِيهَا مِائَتَا نَبِيٍّ وَمِائَتَا سِبْطٍ كُلُّهُمْ شُهَدَاءُ .

وَمَنَاخُ رِكَابٍ وَمَصَارِعُ عُشَّاقٍ شُهَدَاءَ . لَا يَسْبِقُهُمْ مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ ؛ وَلَا يَلْحَقُهُمْ مَنْ بَعْدَهُمْ .[1]

روى العالم الكبير والمحقّق العظيم المرحوم الحاجّ الشيخ جعفر الشوشتريّ عن مجاهد ، عن ابن عبّاس أنّه قال :

كنت مع أمير المؤمنين عليه السلام عندما خرج إلى صفّين ، فلمّا وصل إلى نينوى على شطّ الفرات ، ناداني بأعلى صوته وقال : **يَابْنَ عَبَّاسٍ ! أَتَعْرِفُ هَذَا المَوْضِعَ ؟!**

أجبته :كلا يا أمير المؤمنين ، لا أعرفه .

قال عليه السلام : **لَوْ عَرَفْتَهُ كَمَعْرِفَتِي ، لَمْ تَكُنْ تَجُوزُهُ حَتَّى تَبْكِيَ كَبُكَائِي !**

يقول ابن عبّاس : فبكى عليه السلام حتّى اخضلّتْ لحيته الشريفة وجرت دموعه على صدره . وبكينا نحن أيضاً معه ، وكان يقول :

أَوَّهْ ! أَوَّهْ ! مَا لِي وَلِآلِ أَبِي سُفْيَانَ ؟! مَا لِي وَلِآلِ حَرْبٍ حِزْبِ الشَّيْطَانِ وَأَوْلِيَاءِ الكُفْرِ ؟! يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ ! فَقَدْ لَقِيَ أَبُوكَ مِثْلَ الَّذِي تَلْقَى مِنْهُمْ !

١ـ «بحار الأنوار» طبعة الكمبانيّ : ج ٩ ، ص ٥٨٠ ؛ وطبعة آخوندي : ج ٤١ ، ص ٢٩٥ ، الرواية رقم ١٨ ، وذكر المرحوم الشيخ جعفر الشوشتريّ القسم الأوّل من الرواية في كتاب «خصائص الحسين» عليه السلام ، ص ١١٥ و١١٦ ، الطبعة الحجريّة.

ثمّ طلب ماءً ليتوضّأ ، وصلّى قدراً ، ولمّا فرغ من صلاته ، أخذته غفوة لساعة فلمّا أفاق نادى : يابن عبّاس ! فأجبته : لبيك .

قال عليه السلام : **أَلَا أُحَدِّثُكَ بِمَا رَأَيْتُ فِي مَنَامِي آنِفاً عِنْدَ رَقْدَتِي ؟!**

فقلت : قد رقدت عيناك ، أبشر يا أمير المؤمنين ، إنّها رؤيا خير !

فقال عليه السلام : **كَأَنِّي بِرِجَالٍ قَدْ نَزَلُوا مِنَ السَّمَاءِ ؛ وَمَعَهُمْ أَعْلَامٌ بِيضٌ ، وَقَدْ تَقَلَّدُوا سُيُوفَهُمْ وَهِيَ بِيضٌ تَلْمَعُ ، وَقَدْ خَطُّوا حَوْلَ هَذِهِ الأَرْضِ خَطَّةً .**

ثُمَّ رَأَيْتُ كَأَنَّ هَذَا النَّخِيلَ قَدْ ضَرَبَتْ بِأَغْصَانِهَا الأَرْضَ ، تَضْطَرِبُ بِدَمٍ عَبِيطٍ . وَكَأَنِّي بِالحُسَيْنِ سَخْلَتِي وَفَرْخِي وَمُضْغَتِي وَمُخِّي ، قَدْ غَرَقَ فِيهِ يَسْتَغِيثُ فِيهِ فَلَا يُغَاثُ .

وَكَأَنَّ الرِّجَالَ البِيضَ قَدْ نَزَلُوا مِنَ السَّمَاءِ يُنَادُونَهُ وَيَقُولُونَ : صَبْراً آلَ الرَّسُولِ ! فَإِنَّكُمْ تُقْتَلُونَ عَلَى أَيْدِي شِرَارِ النَّاسِ وَهَذِهِ الجَنَّةُ يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ إِلَيْهِ مُشْتَاقَةٌ . ثُمَّ يُعَزُّونَنِي وَيَقُولُونَ : يَا أَبَا الحَسَنِ ! أَبْشِرْ فَقَدْ أَقَرَّ اللهُ بِهِ عَيْنَكَ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ العَالَمِينَ !

ثُمَّ انْتَبَهْتُ هَكَذَا ! وَالَّذِي نَفْسُ عَلِيٍّ بِيَدِهِ ، لَقَدْ حَدَّثَنِي الصَّادِقُ المُصَدَّقُ : أَبُو القَاسِمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي خُرُوجِي إِلَى أَهْلِ البَغْيِ عَلَيْنَا !

وَهَذِهِ أَرْضُ كَرْبٍ وَبَلَا ، يُدْفَنُ فِيهَا الحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَسَبْعَةَ عَشَرَ رَجُلاً مِنْ وُلْدِي وَوُلْدِ فَاطِمَةَ . وَإِنَّهَا لَفِي السَّمَاوَاتِ مَعْرُوفَةٌ تُذْكَرُ أَرْضُ كَرْبٍ وَبَلَا كَمَا تُذْكَرُ بُقْعَةُ الحَرَمَيْنِ وَبُقْعَةُ بَيْتِ المَقْدِسِ ـ إلى آخره .[١]

١ـ «خصائص الحسين» ص ١١٢ و١١٣ ، الطبعة الحجريّة ، سنة ١٣٠٣ هـ.

وأيضاً يروي آية الله الشوشتريّ أعلى الله مقامه : أنّه لمّا سار الحسين عليه السلام نحو المدينة حضر جماعة من الجنّ عنده ، وكان عليه السلام ينوح ويقرأ المراثي في حين كانوا يستمعون له . وتفصيل الرواية أنّه لمّا حضرت مواكب الجنّ المسلمين عند الإمام عليه السلام قالوا : **يَا سَيِّدَنَا ! نَحْنُ شِيعَتُكَ وَأَنْصَارُكَ ، فَمُرْنَا بِأَمْرِكَ وَمَا تَشَاءُ ! وَلَوْ أَمَرْتَنَا بِقَتْلِ كُلِّ عَدُوٍّ لَكَ وَأَنْتَ بِمَكَانِكَ ، لَكَفَيْنَاكَ ذَلِكَ !**

فَجَزَاهُمُ الحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَيْراً وَقَالَ لَهُمْ : أَوَ مَا قَرَأْتُمْ كِتَابَ اللَهِ المُنْزَلَ عَلَى جَدِّي رَسُولِ اللَهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ:

«أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ» ؟[1]

ويقول الله سبحانه : **لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ.**[2]

وَإذَا أَقَمْتُ بِمَكَانِي فَبِمَاذَا يُبْتَلَى هَذَا الخَلْقُ المَتْعُوسُ[3] **وَبِمَاذَا يُخْتَبَرُونَ ؟! وَمَنْ ذَا يَكُونُ سَاكِنَ حُفْرَتِي بِكَرْبَلَا ؟ وَقَدِ اخْتَارَهَا اللَهُ يَوْمَ دَحَى الأَرْضَ وَجَعَلَهُ مَعْقِلاً لِشِيعَتِنَا ، وَيَكُونُ لَهُمْ أَمَاناً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ !**

وَلَكِنْ تَحْضُرُونَ يَوْمَ السَّبْتِ وَهُوَ يَوْمُ عَاشُورَا الَّذِي فِي آخِرِهِ أُقْتَلُ ، وَلَا يَبْقَى بَعْدِي مَطْلُوبٌ مِنْ أَهْلِي ! وَتُسْبَى أَخَوَاتِي وَأَهْلُ بَيْتِي ، وَيُسَارُ بِرَأْسِي إلَى يَزِيدَ لَعَنَهُ اللَهُ !

فقالت جماعة الجنّ : يا حبيب الله وابن حبيب الله ، لو لم تكن طاعتك مفروضة ولم تجز مخالفتك ، لجعلنا أعداءك هباءً منثوراً قبل أن

١ـ صدر الآية ٧٨ ، من السورة ٤ : النساء.

٢ـ مقطع من الآية ١٥٤ ، من السورة ٣ : آل عمران.

٣ـ جاء في «أقرب الموارد» : **تَعِسَ (ل) تَعْساً : لغةٌ فهو تَعِسٌ مثل تَعِب . وتَتعدّى هذه بالحركة وبالهمزة فيُقال : تَعَسَه اللهُ و أتعَسَه . ومنه : هو منحوسٌ متعوسٌ ، تَعْساً له ، أي ألزَمه اللهُ هلاكاً ، وهو مفعول مطلقٌ عاملُه محذوفٌ .**

تصل أيديهم إليك .

فقال الإمام الحسين صلوات الله عليه لهم :

نَحْنُ وَاللَهِ أَقْدَرُ عَلَيْهِمْ مِنْكُمْ ، وَلَكِنْ «لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ». [١]

وذكر أيضاً آية الله الشوشتريّ كلاماً حول مراثي سيّد الشهداء عليه السلام ، واستماع عبد الله بن عمر أحياناً ، وعبد الله بن الزبير أحياناً أُخرى لها خارج مكّة ، وهذا الكلام هو :

إنَّهُ لَمَّا خَرَجَ الحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ مَكَّةَ ، جَاءَ عَبْدُ اللهِ بْنُ العَبَّاسِ وَعَبْدُ اللَهِ بْنُ الزُّبَيْرِ ، فَأَشَارَا عَلَيْهِ بِالإِمْسَاكِ.

فَقَالَ لَهُمَا : إنَّ رَسُولَ اللَهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَدْ أَمَرَنِي بِأَمْرٍ وَأَنَا مَاضٍ فِيهِ.

قَالَ : فَخَرَجَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَهُوَ يَقُولُ : وَا حُسَيْنَاهْ !

ثُمَّ جَاءَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ وَأَشَارَ إلَيْهِ بِصُلْحِ أَهْلِ الضَّلَالِ، وَحَذَّرَهُ مِنَ القَتْلِ وَالقِتَالِ.

فَقَالَ : يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ! أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ مِنْ هَوَانِ الدُّنْيَا عَلَى اللهِ تَعَالَى أَنَّ رَأْسَ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا أُهْدِيَ إلَى بَغِيٍّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إسْرَائِيلَ ؟!

أَمَا تَعْلَمُ أَنَّ بَنِي إسْرَائِيلَ كَانُوا يَقْتُلُونَ بَيْنَ طُلُوعِ الفَجْرِ إلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ سَبْعِينَ نَبِيّاً ثُمَّ يَجْلِسُونَ فِي أَسْوَاقِهِمْ يَبِيعُونَ وَيَشْتَرُونَ كَأَنْ لَمْ يَصْنَعُوا شَيْئاً ! فَلَمْ يُعَجِّلِ اللهُ عَلَيْهِمْ بَلْ أَخَذَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ أَخْذَ عَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ؟!

١ـ «خصائص الحسين» ص ١١٩ و ١٢٠ ؛ وهذه الآية هي مقطع من الآية ٤٢، من السورة ٨: الأنفال.

يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ! وَلَا تَدَعْ نُصْرَتِي ![1]

١ـ «خصائص الحسين» ص ١٢١ و ١٢٢.

انظرْ أيّها القارئ ! فهذا عبد الله بن عمر بن الخطّاب الذي ذكر العامّة له ما استطاعوا من مناقب وآثار حميدة ؛ فعبد الله هذا يُبايع يزيد بن معاوية لعنة الله عليهما ويدع نُصرة سيّد الشهداء عليه السلام ؛ وبهذا ، فإنّ عبد الله بن عمر لم يُبايع لا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ولا ولده الحسين عليه السلام ، بينما بايعَ الحجّاج بن يوسف الثقفيّ للخليفة الأمويّ عبد الملك بن مروان ، بطريقة مزرية ومهينة ؛ إذ قال له الحجّاج عندما أراد عبدالله بن عمر مبايعته طالباً منه مدّ يده : لا تبايع يَدي ! هاك إصبع قدمي اليُسرى وبايعني عليها...! هذا، وقد كانت عاقبة عبد الله بن عمر في نهاية الأمر أن مات مسموماً على يَد الحجّاج نفسه في حال يُرثى لها.

فقارن بينه وبين أصحاب أبي عبد الله الحسين عليه السلام ، أيّها القارئ الكريم، الذين أحلّهم الإمام عليه السلام ليلة عاشوراء من بيعته وخيّرهم بين البقاء معه والقتال إلى جانبه، وبين الرحيل إلى ديارهم وأوطانهم مستعينين بظلمة الليل ، قائلاً لهم : إنّ القوم إنّما يطلبونني ولو أصابوني لذهلوا عن طلب غيري !

ونذكر جواب بني هاشم والأنصار في إظهار وفائهم وفدائهم كما عبّر عنها الميرزا محمّد تقي حجّة الإسلام النيّر التبريزيّ في ديوان «آتشكده»:

گفت ياران : كاى حيات جان ما　　　دردهاى عشق تو درمان ما
رشتهٔ جانهاى ما در دست توست　　　هستى ما را وجود از هست توست
سايه از خور چون تواند شد جدا　　　يا خود از صوتى جدا افتد صَدا
زنده بى‌جان كى تواند كرد زيست　　　زندگى را بى تو خون بايد گريست
ما به ساحل خفته و تو غرق خون　　　لا و حقِّ البَيتِ هَذا لا يَكون
كاش ما را صد هزاران جان بدى　　　تا نثار جلوهٔ جانان بدى

يقول : قال الأنصار : يا حياة قلوبنا ، إنّ آلام حبّك ترياقنا.

وإنّ نسيج أرواحنا في يدك ، فوجودنا نابع من وجودك.

فأنّى يمكن للظلّ الانفصال عن الشمس ، أو للصدا أن ينفصل عن الصوت. ⇦

إلّا أَنَّ سَيِّدَ الشُّهَدَاءِ عَلَيهِ سَلَامُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ ، وَالإمَامَ إلَى قِيَامِ يَوْمِ الدِّينِ ، رُوحِي وَأَرْوَاحُ العَالَمِينَ لَهُ الفِدَاء ، لم ينثنِ عن رأيه وتصميمه ، وسار قُدُماً بأمر الله الجليل وسنّة رسوله الكريم ، وطبقاً لنظريّته وإرادته في تحقيق هذا الأمر بالتمام والكمال ، بل إنّه كان مسروراً ومغتبطاً في قيامه وثورته ضدّ ظلم بني أُميّة ويزيد ، وأمسى مثلاً يُقتدى به إلى أبد الآبدين ، ملخّصاً حقّه وحقّ أخيه وأُمّه وجدّه في أُرجوزته المدوّية يوم عاشوراء :

كَفَرَ الْقَوْمُ وَقِدْمًا رَغِبُوا عَنْ ثَوَابِ اللَهِ رَبِّ الثَّقَلَيْنْ

وأثبت أنّ الوصاية تختصّ بأمير المؤمنين عليه السلام وأنّ إمامته هي الإمامة الحقّة ، وأنّ حكومة يزيد المبنيّة على أساس حكومة معاوية ، وعلى أساس حكومة عثمان وعلى أساس حكومة عمر ، وعلى أساس حكومة أبي بكر ، إنّما هي باطلة وجوفاء .

⇦ وكيف للحيّ أن يعيش بلا روح ؟ فحياةً بدونك ينبغي أن يُذرف عليها بدل الدمع دما. أنغفوا على الساحل بينما تغرق أنت في بحر الدماء . لا وحقّ البيت هذا لا يكون. فليت لنا مائة ألف روح لننثرها أمامك فداءً لروحك يا حبيبنا».

در به روى ما مبند اى شهريار خلوت از اغيار بايد ، نى ز يار

جان كلافه، ما عجوز عشق كيش يوسفا از ما مگردان روى خويش

يقول : «فلا تصفق الباب في وجوهنا أيّها الملك ، فالخلوة ينبغي أن تكون من الأجانب لا الأحبّاء.

أرواحنا حيرى ، ونحن كالعجوز العاشقة ، فلا تعرض عنّا يا يوسف».

ما به آه خشک و چشم تر خوشيم يونس آب و خليل آتشيم

اندرين دشت بلا تا پا زديم پاى بر دنيا و ما فيها زديم

يقول : «نحن سعداء بآهاتنا الحَرَّى وأعيننا المخضلّة بالدموع، كيونس في الماء، وكالخليل في النار.

لقد سرنا قُدُماً في صحراء البلوى ، وسحقنا بأقدامنا على الدنيا وما فيها».

واعلموا يا خلق الله ! واسمعوا أيّها الناس ! إنّ أبي وصيّ المصطفى ، وهو المرتضى خليفة الحقّ . وأنا الإمام الناطق بالحقّ ، ومَن له حقّ مسك زمام الأُمور الظاهريّة والباطنيّة والمادّيّة والمعنويّة وسوق البشر نحو الهداية وسُبل السلام . وقيادة الناس إلى شاطئ الأمن والأمان ، ويخلفني ابني عليّ من بعدي وهكذا حتّى آخر الأئمّة المعصومين عليهم السلام ، الطاهر الطهر المتمسّك بحبل الله ، المعرض عن هوى النفس الأمّارة بالسوء ، وحبّ الجاه ، والمستند إلى عزّة صاحب العزّة ، الإمام المهديّ محمّد بن الحسن العسكريّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف .

أُفٍّ ، أُفٍّ لهذه الدنيا وحكومتها ! أُفٍّ أُفٍّ لعالم الشهوات والتوابع !

أرمي الوصول إلى مأمنه ، إنّ ربّي ومحبوبي الأزليّ ، الذي بذلت له مهجتي مذ كنت في حجر النبيّ قال لي : يا حسين ! عليك بهذا الأمر هذا طريقك وهذا مسلكك .

فالنفس عزيزة على الذليل الذي يقبل بظلم دول الطغيان سابقاً وحاضراً .

لكنّي أنا الحسين ، ونفسي عزيزة إذا بذلتها لتحرير بني البشر من براثن هؤلاء الوحوش ، عندئذٍ ، سأستطعم لذّة الفداء حينما أرى نفسي وأهل بيتي على هذا الطريق . هذا هو منهجي فمن أراد أن يكون حسيناً فليسلك هذا المنهج .

وذكر آية الله الشيخ الشوشتريّ قدّس الله تربته أنّ السيّد رحمه الله قال :

وصل خبر استشهاد مسلم بن عقيل إلى الإمام في منزل «زُبالة» إلّا أنّ الإمام واصل سيره حتّى التقى بالفرزدق فسلّم عليه وقال :

يَابْنَ رَسُولِ اللهِ! كَيْفَ تَرْكَنُ إلَى أَهْلِ الكُوفَةِ وَهُمُ الَّذِينَ قَتَلُوا ابْنَ

عَمِّكَ مُسْلِمَ بْنَ عَقِيلٍ وَشِيعَتَهُ ؟!

يقول الراوي : **فَاسْتَعْبَرَ الحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَاكِياً . ثُمَّ قَالَ : رَحِمَ اللَّهُ مُسْلِماً ! فَلَقَدْ صَارَ إلَى رَوْحِ اللَهِ وَرَيْحَانِهِ وَتَحِيَّتِهِ وَرِضْوَانِهِ !**

أَمَا إنَّهُ قَدْ قَضَى مَا عَلَيْهِ ، وَبَقِيَ مَا عَلَيْنَا . ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

فَإنْ تَكُنِ الدُّنْيَا تُعَدُّ نَفِيسَةً
فَدَارُ ثَوَابِ اللَهِ أَعْلَى وَأَنْبَلُ
وَإنْ تَكُنِ الأَبْدَانُ لِلْمَوْتِ أُنْشِئَتْ
فَقَتْلُ امْرِئٍ بِالسَّيْفِ فِي اللَهِ أَفْضَلُ
وَإنْ تَكُنِ الأَرْزَاقُ قِسْماً مُقَدَّراً
فَقِلَّةُ حِرْصِ المَرْءِ لِلرِّزْقِ أَجْمَلُ
وَإنْ تَكُنِ الأَمْوَالُ لِلتَّرْكِ جَمْعُهَا
فَمَا بَالُ مَتْرُوكٍ بِهِ الحُرُّ يَبْخَلُ[1]

وقد أنشد الميرزا سروش أبياتاً كذلك في كيفيّة استشهاد وتضحية الإمام ، نقتطف منها ما يلي :

گفت شاها من فرشتهٔ نصرتم
كآمده سوى تو از آن حضرتم
آمدم از ذِروهٔ گردون به سطح
كه منم نَصْرٌ مِنَ اللَهِ وَفَتْحْ[2]

١ـ «خصائص الحسين» ص ١٢٣.

٢ـ يقول : «قال : ياسلطان (الدنيا والآخرة)! أنا المَلاك الذي جاء من لَدن الحقّ تعالى لنُصرتكَ .

قد جئتُكَ من أعلى عِلّيّين إلى هنا ، فأنا نَصرٌ من الله والفتح».

حكـــم كـــن ای أحـــمد مـعراج عشـق
تـــا نـــه كـــوفه بـــاز مـاند نـه دمشـق
حكــــم كـــن ای أحـــمد روز اُحُـــد
تــا بــلا بــاريم بــر ايــن قــوم لُـدّ
گــفت: رو رو عـاجزان را يـار بـاش
باكه‌ای هان ؟ خـفته‌ای ، بـيدار بـاش
ای فــــرشته رو بــــخوان لَـوْلَاكْ را
تـــا بـــدانـــی صـــانع افــلاک را
ای فــرشته هــرچــه آيــد بــر سـرم
هــــــيچ آوخ از درون بـــــرناورم
ای فرشته حال عشق اندر تـو نـيست
تـا بـدانـی عـاشقان را حـال چـيست
تـــو هـــمی بـــينی ســـپاه انـــدر سپاه
مـــن نـــمی‌بينم كســـی غـــير از إله[1]

١ـ يقول : «فاحكُم (بِما تشاء) يا أحمد معراج الحبّ والعشق ، حتّى لا أُبـقي (عـلى هذه الأرض) لا الكوفة ولا دمشق.

احكُمْ يا أحمدَ يوم أُحد ، حتّى نُمطر البلاء على هؤلاء القوم المعتدين.

قال : ماذا تقول ؟ هل أنتَ نائم أم صاح ؟ اذهَبْ ، وأعِنِ الضعفاء.

يا أيّها المَلاك ! اذهَبْ ورَدِّد عبارة (لولاك) ، حتّى تَعلمَ مَن هو صانع الأفلاك.

أيّها المَلاك ! إنّ ما ينزل بي من بلاء ، لن يجعلني أصرخُ أو أقول : آهٍ.

أيّها المَلاك ! (يبدو) أنّ العشق لمّا يدخلك بعد ، لتَعلمَ حال العاشقين وحالتهم.

أنتَ ترى جيشاً وعساكر لا غير ، في حين لا أرى إلّا الإله».

تــو هــمی بــینی سـنان انـدر سـنان
مــن هــمی بــینم جـنان انـدر جـنان
مـــن دوئــيّت از مــيان بــرداشــتم
مــن عــلَم بــر بــام عشـق افـراشـتم
کــيستم مــن آفــتاب شــرق عشــق
غرق عشقم غرق عشقم غـرق عشـق
كِــى درنگــد کــى شكــيبد ای کــیا
عــاشقی کــه گــفت مــعشوقش بـیا
عون آن خواهد كه جان خواهد به تن
نــه کسـیکه عــاشق جــان بــاختن
عـــاشقانه رفـــته انـــدر مـــهلکه
حکـــم لَا تُــلْقُوا بــه ایشــان نــامده
حکـــم لَا تُــلْقُوا بــود مــر خــام را
نـــه کـــه خــاصانِ بــلا آشــام را[1]

١ـ يقول : «أنت لا ترى إلّا تـصادم الأسـنّة وتـزاحـم الرمـاح ، وأنـا لا أرى إلّا جـناناً وجنّات.

لقد أزلتُ عن نفسي الثنويّة ، ورفعتُ الراية فوق صرح العشق.

أنا لستُ إلّا شروق العشق (لا غروبه) ، فأنا غارقٌ في بحر العشق ويَمّه ولُججه.

يا عَظيم ! أيّ عاشقٍ تَوقّفَ وانتظر ، وقال لمعشوقه : تَعالْ ؟

إنّ الذي يُريد بقاء روحه داخل جسده هو الذي يحتاج إلى العَون ، وليس العاشق الذي يشتهي إزهاق روحه (في سبيل معشوقه).

ذلك العاشق الذي رمى بنفسه وسط المهالك ، فأطلِقْ عليه لَقَبَ (لا تُلقوا).

فإنّ حُكم (لا تُلقوا) يخصّ الأغرار (الذين لا خبـرة لهم في الحبّ) ، ولا يسـري ⇦

مـــــرغ آبـــــى را بـــود آتش مـــمات
مـــرغ آتش را حـــيات انـــدر حـــيات
از ســـــــــمندر دور ران احـــــراق را
هـــــين مـــترسان از بـــلا عشّـــاق را
شـــوق ســـر دادن ربـــوده خـــوابشـان
انــــتظار صــــبح صــبر و تــابشان[1]

... حتّى آخر القصيدة .[2]

⇦ حُكمه على الخواصّ المشتاقين إلى احتساء البلايا».

١ـ يقول : «إنّ النار لتُحرقُ وتُميتُ الطائر المائيّ وحسب ، لكنّ حياة طائر النار مرهونة بالنار (وبقاؤه منوط ببقائها).

أبعِدِ النار عن السمندر ، ولا تُرهِب العشّاق أو تُخوّفهم بالبلايا.

إنّ هَوى الفداء والتضحية قد أقلقَ منام هؤلاء العشّاق ، وضاقت صدورهم لفرط انتظارهم إلى الصباح».

٢ـ لقد دوّن الحقير هذه القصيدة في كرّاسي الخطّيّ السادس ص ٥٩ و ٦٠ نقلاً عن بعض المخطوطات. وقد أورد المرحوم الحاجّ ملّا علي آقا واعظ التبريزيّ الخيابانيّ ثلاثة أبيات من شعر الميرزا سروش في كتاب «وقائع الأيّام» المجلّد الخاصّ بمحرّم الحرام، من طبعة الدار الإسلاميّة، سنة ١٣٥٤ ، ص ٤٥٣ ، وهي :

تـــير بگـــذشت از گـلوى نـازكش — شـــاه را بشكـافت بـازو ، نـاوكش
بـازوى دست خـدا را كـرد چـاك — گفت هم جنّ و ملك: تبّت يداكْ
رفت از وى هوش در آغوش بـاب — شه ز ديده ريخت بر رويش گلاب

يقول : «اخترقَ السهم نحره الرقيق ، فقَطعَ شريانه (أي شريان الطفل الرضيع) وأصاب سَهمٌ آخر ذراعه (أي ذراع الأب).

لقد مَزّقَ ذراع الله (بعمله هذا) ، فصاحت الملائكة والجنّ معاً : تبّتْ يداك!

ففقدَ الطفلُ وعيه في حجر أبيه ،فأراقَ سلطان الدنيا والآخرة من دموعه التي تُشبه ⇦

وفي هذا الصدد ، قام الشاعر الجوديّ الخراسانيّ بنظم قصيدة صوّرت هذه الواقعة أروع تصوير حين قال :

باشد به سوی کعبهٔ مقصود روی ما
کآنجا برآید آنچه بود آرزوی ما
ما را خیال یک سر مو نیست غیر دوست
بر حال ما گواه بود مو به موی ما
تخمی فشانده‌ایم و خوریم آنگهش ثمر
کآبش دهد زمانه ز خون گلوی ما
گشتیم ما مسافر کوئی که اندر او
جز تیر و تیغ و نی نکند جستجوی ما
کردیم رو به سوی دیاری که هر قدم
باشد بلا مقابل، اجل رو به روی ما
در کعبه‌ای مقام نمائیم کز صفا
مسجود کائنات بود خاک کوی ما[1]

⇦ ماء الورد على مُحيّاه».

وقال المرحوم المؤلّف نفسه في تعليقه : وهذا مذكور في بعض تواريخ العامّة وفي «مصائب المعصومين».

١ـ يقول : «فلتبقَ أنظارنا مُتوجّهة نحو كعبة المقصود ، حتّى تتحقّق أُمنياتنا هناك.
فلا شيء يشغل بالنا قَيد شعرة إلّا الحبيب ، وعلى هذا تَشهد كلّ شعرة فينا.
لقد بذرنا حَبّاً سنأكُل ثمره بعد حين ، إذ سيرويه الزمان من دماء حناجرنا.
وقد سِرنا في طريق تُلاحقنا فيه الرماح والسهام والنبال.
وتوجّهنا إلى ديار لا نرى أمامنا إليه إلّا أجلنا في كلّ حين.
إنّنا نُقيم في مُقام أضحى ثَراه مسجداً لكلّ الكائنات».

بــر قــبله‌ای بــرای نــماز آوریـم روی

کآنجا بود ز خـون سـر مـا وضـوی مـا[1]

السَّلامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ وَعَلَى الْمُسْتَشْهَدِينَ بَيْنَ يَدَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ . يَا لَيْتَنَا كُنَّا مَعَكَ فَنَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً. اللَهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ شِيعَتِهِ وَحَرَمِهِ وَالذَّابِّينَ عَنْهُ ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الفَائِزِينَ بِإِدْرَاكِ ثَارِهِ مَعَ الإمَامِ الْمُنْتَظَرِ حُجَّةِ بْنِ الحَسَنِ العَسْكَرِيِّ عَجَّلَ اللَهُ تَعَالَى فَرَجَهُ.

للّه الحمد وله المنّة على إتمام الجزء الأوّل من «معرفة الله» من القسم الأوّل من سلسلة (العلوم والمعارف الإسلاميّة) بتوفيق من الربّ الودود ورعاية الإمام الحيّ الرؤوف صاحب العصر أرواحنا فداه ، وذلك في صبيحة يوم الخميس الثامن والعشرين من شهر جمادى الأُولى سنة ١٤١٥ ه‍ في مدينة مشهد المقدّسة ، عَلَى ثَاوِيهَا وَسَاكِنِهَا وَشَاهِدِهَا آلَافُ التَّحِيَّةِ وَالإكْرَامِ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ ، بتحرير الحقير الفقير السيّد محمّد الحسين الحسينيّ الطهرانيّ غفر الله له ولوالديه .

بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ ، وَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى أَعْدَائِهِمْ أَجْمَعِينَ مِنَ الآنَ إلَى قِيَامِ يَوْمِ الدِّينِ ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ.

١ـ يقول : «وإنّنا نتوجّه في صلاتنا إلى قبلة ليس فيها من ماء لوضوئنا إلّا دم رؤوسنا».

«وقائع الأيّام» المجلّد الخاصّ بمحرّم الحرام ، ص ٧٨.